المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
كلية أصول الدين
قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة



آراء مرعي الحنبلي الاعتقادية عرض ودراسة في ضوء عقيدة السّلف

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

إعـداد

علي بن موسى النعمي

إشـراف

فضيلة الدكتور / محمد بن عبد العزيز العلي

الأستاذ المشارك بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

العام الجامعـي

١٤٢٧هـ - ١٤٢٨هـ


بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

وتشتمل على ما يلي :

أولاً : أهمية الموضوع، وأسباب اختياره .

ثانياً : خطة البحث .

ثالثاً : منهج البحث .

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾(1).

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾(2).

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾(3).

أما بعد:

فإن علم التوحيد أشرف العلوم، وأرفعها مكانة، وأجلها قدراً، لتعلقه بالله سبحانه وتعالى وأسمائه وصفاته وحقوقه على عباده، إذ شرف العلم تابع لشرف المعلوم.

ولما وفقني الله للالتحاق بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة ، كان لابد للطالب من تقديم رسالة لنيل الدرجة العلمية،فاخترت الكتابة في موضوع **"آراء مرعي الحنبلي الاعتقادية، عرض ودراسة** في **ضوء عقيدة السلف"**، وذلك بعد أن استخرت الله سبحانه وتعالى، وشاورت في ذلك أهل العلم من مشايخنا الأفاضل في القسم، فوجدت منهم استحساناً وتأييداً لهذا الموضوع، فعزمت أمري وتوكلت على الله سبحانه وتعالى.

---

(1) سورة آل عمران، الآية: (102).

(2) سورة النساء، الآية: (1).

(3) سورة الأحزاب، الآية: (70-71).

أهمية الموضوع وأسباب اختياره :

ولهذا الموضوع أهمية كبيرة، دفعتني لاختياره، ورغبتني فيه، ومن ذلك ما يلي:

أولاً: غزارة علم الشيخ مرعي الحنبلي، وكثرة كتبه، وتنوع معارفه، وذلك كله يدعونا إلى معرفة آرائه الاعتقادية.

ثانياً: مكانته العلمية فهو أحد أعلام الحنابلة المتأخرين وأحد المحققين لمذهبهم، وأقواله تحظى بالقبول لديهم.

يقول ابن حميد[1] –رحمه الله-: "العالم العلامة، البحر الفهامة، المدقق المحقق، المفسر، المحدث، الفقيه، الأصولي، النحوي، أحد أكابر علماء الحنابلة بمصر"[2].

وكان السفاريني[3] – رحمه الله – ينقل عنه كثيراً في كتابه "لوامع الأنوار"، انظر على سبيل المثال (٦٦/٢، ١٠٣، ١٦٠، ١٨٤، ١٨٧).

ثالثاً: اضطراب الشيخ مرعي الحنبلي في تقرير مذهب السلف فهو أحياناً ينقل كلام السلف ويؤيده وينصره، وأحياناً ينقل عن المتكلمين ويصفه بأنه مذهب السلف وقولهم- مما يستدعي ذكر آرائه ودراستها في ضوء عقيدة السلف- وهذا ما وقفت عليه مبدئياً عند قراءتي وتحضيري لوضع هذه الخطة، أما إبراز آرائه الاعتقادية فهو ما سيجليه هذا البحث بعد متابعة ما كتبه –رحمه الله-.

رابعاً: أن هذا الموضوع رغم أهميته لم يتناوله أحد بالبحث – حسب علمي -، ولذا فهو سيقدم بإذن الله مادة علمية نافعة للمكتبة الإسلامية .

---

(١) هومحمد بن عبدالله بن علي بن عثمان بن حميد العامري ، مؤرخ ، فقيه ، من علماء الحنابلة ،له مصنفات منها :بغية الوعاة ، النعت الأكمل بتراجم الإمام أحمد بن حنبل ، توفي سنة ١٢٩٥هـ .
انظر : السحب الوابلة (٦ / ٢٤٣) ، معجم المؤلفين (١٠ / ٢٢٧) .

(٢) السحب الوابلة (ص٤٦٣).

(٣) هو محمد بن أحمد بن سالم السفاريني ، شمس الدين ، عالم بالعقيدة والحديث والأصول ، والأدب ، صاحب سنة واتباع ، له تصانيف منها : لوامع الأنوار البهية ، الذخائر لشرح منظومة الكبائر ، توفي سنة ١١٨٨هـ .
انظر : الأعلام (٦ / ١٤) ، معجم المؤلفين (٨ / ٢٦٢) .

خطة البحث :

هذا وقد قسمت بحثي إلى مقدمة وتمهيد وأربعة أبواب وخاتمة، على النحو التالي:

المقدمة : وتشتمل على ما يلي :

أولاً : أهمية الموضوع وأسباب اختياره .

ثانياً : خطة البحث .

ثالثاً : منهج إعداده .

التمهيد : ترجمة موجزة لمرعي الحنبلي :

- عصر مرعي الحنبلي .
- حياته الشخصية .
- حياته العلمية .

الباب الأول : منهج مرعي الحنبلي في تقرير العقيدة والرد على المخالفين، وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول : منهجه في تقرير العقيدة .

الفصل الثاني : منهجه في الاستدلال .

الفصل الثالث : منهجه في الرد على المخالفين .

الباب الثاني آراؤه في التوحيد ، وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول : آراؤه في توحيد الربوبية ، وفيه تمهيد ومبحثان :

تمهيد في تعريف توحيد الربوبية .

المبحث الأول : الاستدلال على وجود الله .

المبحث الثاني : حكم إيمان المقلد .

الفصل الثاني : آراؤه في توحيد الألوهية ، وفيه تمهيد ومبحثان :

تمهيد في تعريف توحيد الألوهية .

المبحث الأول : عناية مرعي الحنبلي بتقرير توحيد الألوهية .

الفصل الثاني : آراؤه في الإيمان بالرسل ، وفيه تمهيد وأربعة مباحث :

تمهيد في تعريف النبي والرسول والفرق بينهما .
المبحث الأول : الحكمة من إرسال الرسل .
المبحث الثاني : معنى الإيمان بالأنبياء والرسل وما يتضمنه .
المبحث الثالث : عصمة الأنبياء .
المبحث الرابع : الإيمان بنبوة النبي – صلّى الله عليه وسلّم -.

الفصل الثالث : آراؤه في الإيمان باليوم الآخر ، وفيه تمهيد وثلاثة مباحث :
تمهيد في تعريف اليوم الآخر .

المبحث الأول : آراؤه في الحياة البرزخية ، **وفيه ثلاثة مطالب :**
المطلب الأول : الموت وسكراته .
المطلب الثاني : عذاب القبر ونعيمه .
المطلب الثالث : الأرواح .

المبحث الثاني : آراؤه في أشراط الساعة ، **وفيه مطلبان :**
المطلب الأول : أشراط الساعة الصغرى .
المطلب الثاني : أشراط الساعة الكبرى .

المبحث الثالث : آراؤه في الحياة الآخرة ، **وفيه ستة مطالب :**
المطلب الأول : الحشر، والحساب، والشفاعة .
المطلب الثاني : الميزان، والصراط، والحوض .
المطلب الثالث : الرؤية .
المطلب الرابع : أصحاب الأعراف .
المطالب الخامس : حكم أطفال المشركين في الآخرة .
المطلب السادس : الجنة والنار .

الفصل الرابع : آراؤه في القدر ، وفيه تمهيد ومبحثان :

تمهيد في تعريف القضاء والقدر والفرق بينهما .

المبحث الأول : آراؤه في الإيمان بالقضاء والقدر ، **وفيه ستة مطالب :**

المطلب الأول : رأيه في القدر إجمالاً .

المطلب الثاني : أفعال العباد .

المطلب الثالث : الآجال والمحو والإثبات .

المطلب الرابع : الحكمة والتعليل في أفعال الله سبحانه وتعالى .

المطلب الخامس : تكليف ما لا يطاق .

المطلب السادس : تنـزيه الله عن الظلم .

المبحث الثاني : الاحتجاج بالقدر على المعاصي .

الباب الرابع : آراؤه في مسائل الأسماء والأحكام ، وفيه خمسة فصول :

الفصل الأول : تعريف الإيمان والإسلام والعلاقة بينهما .

الفصل الثاني : زيادة الإيمان ونقصانه .

الفصل الثالث : حكم عصاة الموحدين .

الفصل الرابع : موقفه من التكفير .

الفصل الخامس : الولاء والبراء وحكم التشبه بالمشركين .

الخاتمة : وفيها أهم النتائج .

الفهارس .

منهج البحث :

يمكن تلخيص المنهج الذي سلكته في إعداد هذه الرسالة فيما يلي :

١) قمت بجمع كتب الشيخ مرعي الحنبلي – رحمه الله - ومؤلفاته، وذلك عن طريق البحث والسؤال والسفر حتى استطعت بحمد الله وتوفيقه أن أحصل على جميع مؤلفاته المطبوعة وعلى معظم مخطوطاته التي لم تفقد، وقرأتها،لاستخراج المسائل العقدية منها وآرائه فيها.

٢) رتبت المسائل على أبواب العقيدة ومباحثها.

٣) ذكرت أولاً رأي الشيخ مرعي في المسألة موجزاً، ثم أوردت كلامه فيها بتمامه إن كان قصيراً، أو مع التصرف فيه إن كان طويلاً، وإن كان قد تكلم في المسألة في أكثر من موضع، فإني أقارن بين تلك المواضع فإن كان كلامه فيها متفقاً أوردت أجمعها وأحلت في الحاشية على الباقي، وإن كان كلامه فيها مختلفاً ذكرته كله وحاولت التوفيق بينه.

٤) بعد إيراد كلام الشيخ مرعي ذكرت عقبه موافقته لمنهج السلف أو مخالفته لهم ، فإن كانت المسألة مما وافق فيها مذهب السلف ذكرت ما يدل على ذلك من أقوالهم وبعض أدلتهم، وإن كانت المسألة مما خالف فيها مذهب السلف ذكرت ما يدل على ذلك مع مناقشته فيما ذهب إليه.

٥) عزوت الآيات القرآنية ، وبينت مواضعها بذكر اسم السورة ورقم الآيه.

٦) خرجت الأحاديث الواردة في الرسالة، فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بذلك، وإن كان في غيرهما فإني أجتهد في تخريجه، ثم أذكر الحكم عليه من أقوال المحدثين.

٧) ترجمت للأعلام، ما عدا الصحابة، والأئمة الأربعة، وأصحاب الكتب الستة، وذلك لعدم خفاء أحوالهم.

٨)عرفت بالفرق والطوائف الواردة في الرسالة.

٩)عرفت بالأماكن والبلدان والألفاظ الغريبة.

١٠)في تخريج الأحاديث وترجمة الأعلام والتعريف بالفرق والبلدان وشـرح الكلمات الغريبة، كان منهجي أن أذكر ذلك في أول ورود له فقط؛ وذلـك تجنباً للتكرار.

١١)قمت بوضع فهارس في آخر الرسالة تسهيلاً للوصول إلى ما حوته من مسائل، وهي كالتالي :

أولاً : فهرس الآيات القرآنية .

ثانياً : فهرس الأحاديث النبوية .

ثالثاً : فهرس الآثار .

رابعاً : فهرس الأبيات الشعرية .

خامساً : فهرس الأعلام .

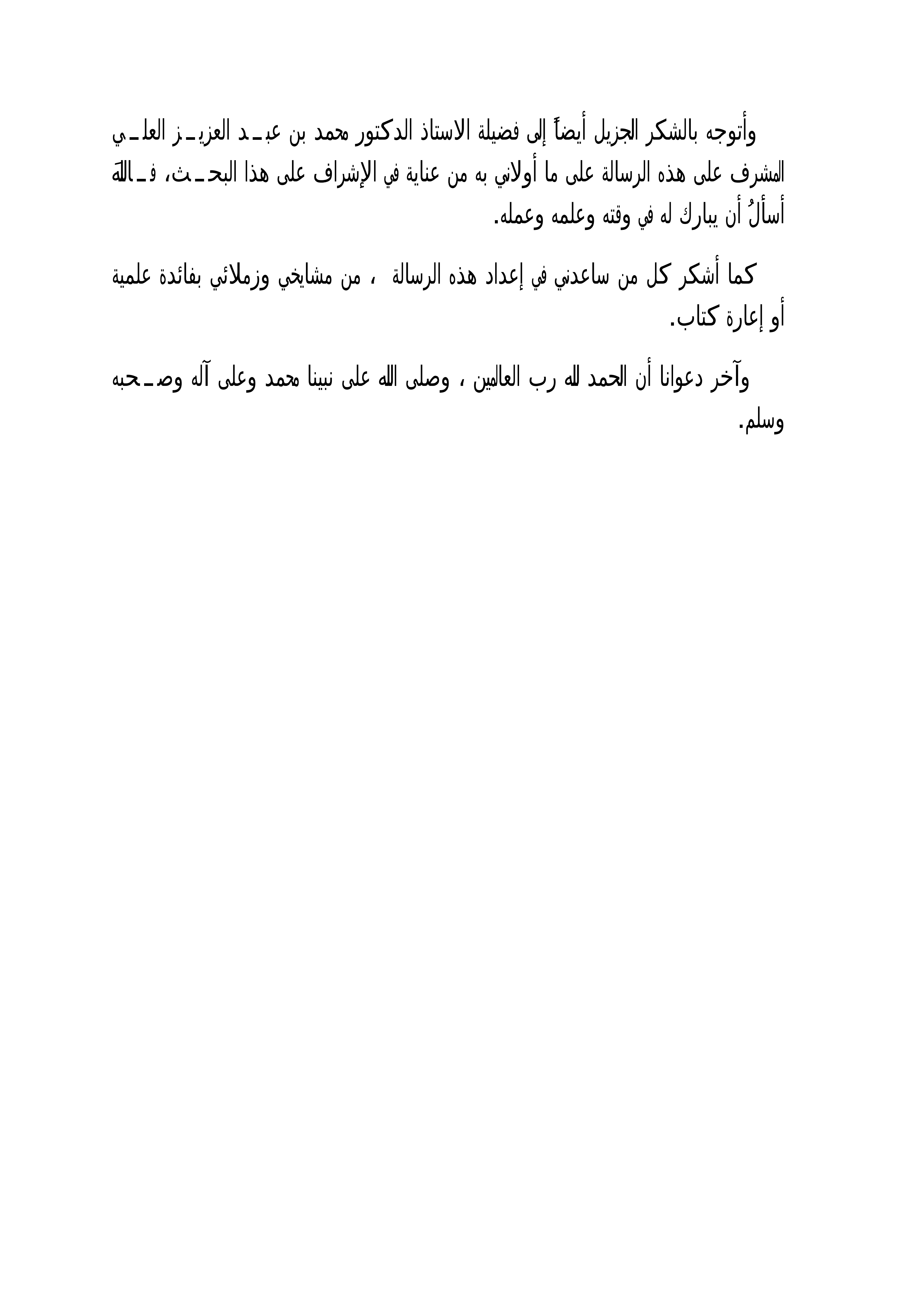
سادساً : فهرس الفرق والطوائف .

سابعًا : فهرس المصادر والمراجع .

ثامناً : فهرس الموضوعات .

هذا وأحمد الله سبحانه وتعالى وأشكره على تسهيله هذا البحث وإعانتي على إتمامـه، ولا أدعي أني وفيت الموضوع حقه، ولا أني أصبت في كل ما قلت وقصدت؛ لأن النقص والخطأ من طبيعة البشر، ولكن حسبي أني بذلت فيه وسعي، فما كان فيه من صواب فمن الله، ومـا كان فيه من خطأ فمني وأستغفر الله منه، ورحم الله من رأى فيه خطأ فأرشدني إلى صوابه.

وفي الختام أتوجه بالشكر لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ممثلة في كليـة أصـول الدين، - قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة – على منحي هذه الفرصة لإعداد رسالتي هذه.


وأتوجه بالشكر الجزيل أيضاً إلى فضيلة الاستاذ الدكتور محمد بن عبد العزيز العلي المشرف على هذه الرسالة على ما أولاني به من عناية في الإشراف على هذا البحث، فالله أسألُ أن يبارك له في وقته وعلمه وعمله.

كما أشكر كل من ساعدني في إعداد هذه الرسالة ، من مشايخي وزملائي بفائدة علمية أو إعارة كتاب.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

التمهيـد

تـرجمة موجزة لمرعي الحنـبلي

- عصر مرعي الحنبلي .

- حياته الشـخصية .

- حياته العلميـة .

التمهيد

ترجمة موجزة لمرعي الحنبلي

عصره :

من المعلوم أن من أراد أن يعطي فكرة عن شخصية من الشخصيات، وبيانـاً لأثرهـا في المجتمع، لا سيما إذا كان لتلك الشخصية آثار وأعمال يتوارد ذكرها متناثراً في كتب العلماء، أن يدرس الظروف المحيطة بها والبيئة التي عاشت فيها، حتى يتمكن الباحث من الوقوف على العوامل والمؤثرات التي أدت إلى ظهور تلك الشخصية، ونبوغها واتجاهها، وذلك أن المرء عادة يتأثر بالأحوال المحيطة به، كما يتأثر بالبيئة وبمن حوله من شيوخه ومعلميه، كما يؤثر هـو في تلاميذه وطلابه ومن يحيطون به ويعاشرونه، وللأحوال السياسية والاجتماعية والعلمية وغيرها أثر كبير في تكييف اتجاهه ومنهجه الذي يسلكه، من أجل ذلك كله كان لابد ونحن نـدرس آراء الشيخ مرعي – رحمه الله – الاعتقادية، من أن نعطي فكرة موجزة عن العصر الذي عاش فيه من النواحي التالية:

١- الناحية السياسية.

٢- الناحية الاجتماعية.

٣- الناحية الدينية والعلمية.

١ – الناحية السياسية :

عاش الشيخ مرعي في النصف الثاني من القرن العاشر والنصف الأول من القرن الحادي عشر الهجريين.

وقد عاش في الشام ومصر بعد أن دخلا تحت حكم العثمانيين في أواخر عام ٩٢٢هـ وأوائل عام ٩٢٣هـ على يد السلطان سليم الأول[١] بعد أن كانتا تحت حكم المماليك.

هذا وقد عاصر الشيخ عصر الضعف بالنسبة للخلافة العثمانية وذلك بعد موت الخليفة سليمان القانوني[٢] سنة ٩٧٤هـ والذي أدخل قوانين وأنظمة غريبة مما كان عليه العثمانيون قبله، فجاء من بعده خلفاء كان يغلب عليهم الضعف والركون إلى الدنيا وشهواتها وملذاتها[٣].

ويمكن أن نجمل الكلام عن الحالة السياسية في أربعة أمور:

أ - سيطرة العقلية العسكرية:

وهي العقلية التي تنزع إلى حل الأمور بالسيف، فالسلاطين كانوا يربون تربية عسكرية، ثم أصبح الحرص على السلطان مسألة جوهرية، فأعطي جيش الإنكشارية[٤] من الصلاحيات ما لم يكن قبل ذلك.

فكانوا هم الذين يقومون بإخماد الثورات، والوقوف في وجه من يحاول الخروج على السلطان أو شك السلطان في طاعته، فوصل الأمر إلى قتله ولو كان من إخوان السلطان أو أقربائه.

ثم زادت السيطرة العسكرية حتى أصبح السلطان الجديد يعطيهم مبالغ من المال، أو يقدم

---

(١) هو سليم بن السلطان بايزيد خان تولى الخلافة بعد أبيه، وامتدت خلافته أربعاً وخمسين سنة، توفي سنة (٩٢٦)هـ.
انظر: الكواكب السائرة (٢٠٩/١)، شذرات الذهب (١٤٣/٨).

(٢) هو سليمان بن السلطان سليم بايزيد خان، تولى الخلافة بعد أبيه، وامتدت خلافته تسعاً وأربعين سنة، توفي سنة (٩٧٤)هـ.
انظر: الكواكب السائرة (١٥٦/٣)، شذرات الذهب (٣٧٥/٨).

(٣) انظر: مقدمة الفوائد الموضوعة (ص١٦).

(٤) الإنكشارية: هم عماد الجيش، انظر: التاريخ الإسلامي في العهد العثماني (١١٢/٨).

لهم امتيازات جديدة يوم تنصيبه، مما زاد الأمر سوءاً فأصبحوا يتدخلون في شـؤون النـاس، ويتحكمون في أموالهم وجميع أمورهم[١].

ب – الاتفاقيات مع الدول الأجنبية:

كان غير المسلمين من نصارى وغيرهم في أراضي الخلافة العثمانية يشعرون أ م غربـاء لا دور لهم فيما يحدث داخل الدولة الإسلامية، حتى جاء سليمان القانوني فـأعطى امتيـازات للدول الأجنبية التي تتفق معه في عدم خوض الحرب بين الجانبين، وذلك حتى يتفرغ لأعدائـه الآخرين، فقامت علاقات تجارية بين الدولة العثمانية وهذه الدول، مما زاد في تـدخل تلـك الدول في الدولة الإسلامية، فكانت أول اتفاقية مع دولة البندقية[٢] عام ٩٢٨هـ تنص على البقاء في جزيرة قبرص مقابل دفع مبلغ معين كل سنة.

ثم كانت المعاهدة مع فرنسا عام ٩٤٢هـ والمؤلفة من ستة عشر بنداً[٣] أغلبـها في صـالح فرنسا ورعاياها في الدولة الإسلامية.

"وهكذا أصبح لرعايا فرنسا وحلفائها دولة ضمن دولة، محاكمهم خاصة وعلـى أعلـى مستوى... ولا يحق للعثمانيين التدخل في شؤو م.

.... كما أصبحت معنويات هؤلاء الرعايا كبيرة لا يهتمون بالدولة أبداً، ويتصرفون كما يريدون، الأمر الذي سبب إزعاجاً للدولة وضعفاً؛ إذ كانوا يحرضون على التمرد ويؤسسـون الجمعيات"[٤].

جـ – ضعف الجهاد:

كان جيش الإنكشارية لا يخرجون إلى الحرب إلا إذا كان السلطان معهم ولذا كانت أهم الحروب والغزوات تحت إمرة السلطان وقيادته، فغير السلطان سليمان هذه السـنة الحميـدة

---

(١) انظر : التاريخ الإسلامي في العهد العثماني (٨ / ١١١ – ١١٤) .

(٢) مدينة في إيطاليا ، تعد من أشهر مدن العالم ، وهي تضم نحو ١٢٠جزيرة في البحر الأدرياتيكي ، وهـي عاصـمة إقليم فينيسيا السياسية في إيطاليا ، وتقع على الطرف الشمالي للبحر الأدرياتيكي على بعد ٤ كم مـن السـاحل الإيطالي .

انظر : الموسوعة العربية العالمية (5 / 137) .

(٣) انظر بنود تلك الاتفاقية في تاريخ الدولة العلية العثمانية (ص٢٢٤).

(٤) التاريخ الإسلامي في العهد العثماني (ص١١٦).

وأجاز للانكشارية القتال تحت إمرة قائدهم الأكبر ولو لم يكن السلطان موجوداً، فكان هذا التغيير سبباً في تقاعس أغلب من خلفه من السلاطين عن الخروج من قصورهم الباذخة، وتفضيلهم البقاء بين غلمانهم وجواريهم، على الخروج للقتال وتكبد مشاقه[1].

وبذلك ضعف الجهاد الذي كان لدى العثمانيين منذ ظهورهم حتى وفاة السلطان سليمان القانوني، مع أنه كانت هناك بعض الغزوات التي يظهر فيها قوة الجهاد إلا أنه بدأ يضعف تدريجياً حتى تلاشى قبل سقوط الخلافة العثمانية.

وهذا ربما يكون السبب في تأليف الشيخ مرعي لكتابه: "نزهة الناظرين في فضائل الغزاة والمجاهدين".

٤ – تغيير الولاة:

تميزت هذه المدة الزمنية بعدم الاستقرار وكثرة الاضطرابات الداخلية، وقد توالى على مصر بالذات عدة ولاة في مدد زمنية متقاربة وقصيرة، ويرجع ذلك إلى عدم ثقة السلطان بمن يوليه، وبخاصة إن ظهر منه شيء من العصيان أو وشي عليه من بعض أعدائه، أو بسبب عدم كفاءته في إخماد الثورات الشعبية و العسكرية أحياناً، أو بسبب تبرم الشعب منه لجشعه وظلمه، أو لزيادة الضرائب عليهم، وربما أدى ذلك إلى طرده أو قتله[2].

---

(١) انظر: تاريخ الدولة العلية (ص٢٥٢).

(٢) انظر: العرب والعثمانيون (ص٩٨، ١٣١)، التاريخ الإسلامي في العهد العثماني (٨/١١١-١١٦).

٣ – الناحية الاجتماعية :

يظهر انعكاس الحالة السياسية على الوضع الاجتماعي العام في عدة أمور منها:

أ - الترف:

وفرت الدولة الكثير من الأموال التي كانت من قبل تنفق على تقوية الجيش الإسلامي، الذي كان لا يتوانى في الفتوحات والغزوات، فلما تضاءلت تلك الغزوات وركن الخلفاء وكبار الدولة إلى الراحة والدعة، انصرفوا إلى اللهو في قصورهم، وإلى تبذير الأموال على شهواتم، وبناء القصور والحدائق، وصاروا يحرصون على اقتناء الجواري والمغنيات وينفقون في ذلك ويتنافسون[١].

"ولا يخفى أن الثروة تورث غالباً المفاخرة في الصرف والتفاني في الزهو والترف وكل أمة سادت فيها هذه الخصال لابد لها من التأخر"[٢].

ب - الزواج من الأجنبيات:

بسبب تلك الاتفاقيات مع الدول الأجنبية والتي تسمح بدخول الأجانب وتجولهم في الدولة الإسلامية، كان هناك اختلاط مع النصارى وغيرهم والميل إليهم بل والزواج منهم، فكان السلاطين يتزوجون بالفتيات من النصارى أو اليهود إعجاباً بجمالهن أو لمصلحة سياسية، غير أن هؤلاء النسوة قد يبقين على عقيدتن السابقة، فيكون ارتباطهن بأصحاب عقيدتن أكثر من ارتباطهن بدولتهن الجديدة، ولذلك فهن يعملن ما يرينه من مصلحتهن ومصلحة أبناء دينهن، فيربين أولادهن على محبة النصارى، أو عدم كرههم على الأقل، بل بلغ الأمر بهن إلى أن صرن يتدخلن في سياسة الدولة، وأمورها الخاصة، كل ذلك كان له أكبر الأثر في ضعف الدولة[٣].

٣ - انحرافات سلوكية:

ما كان الترف والفراغ في أمة إلا أدى ذلك إلى انحراف سلوكهم وأخلاقهم، ولذا فقد

---

(١) انظر : التاريخ الإسلامي في العهد العثماني (٨ / ١١٠) ، خطط الشام (٢ / ٢٣١) .

(٢) تاريخ الدولة العلية (ص٢٥٢).

(٣) انظر : التاريخ الإسلامي في العهد العثماني (٨ / ١١٠) ، خطط الشام (٢ /٢٣١) .

انتشرت عادة شرب الدخان بين الجند لما أخلدوا إلى الراحة والدعة، ومن أجل ذلـك ألـف الشيخ مرعي كتابه "تحقيق البرهان في شأن الدخان الذي يشربه الناس الآن"، بل إنه انتشـر شرب الخمر في تلك المدة.

وإذا كان الحال على هذا، فإنه لابد وأن تفرز تلك السلبيات والسلوكيات والانحرافات، الفساد والانحلال والفوضى.

وفي هذه المدة ظهر الطاعون مراراً، وكان يجرف الأحياء جرفاً، فاسـتولى علـى النـاس الخوف، وتمكنت الأوهام من عقولهم، وانتشرت الخرافات بينهم، وقد أسهم العلماء في دفـع شر هذا الوباء الفتاك، ومنهم الشيخ مرعي فقد كتب رسالتين في هذا الشأن: "تحقيق الظنون بأخبار الطاعون" و"ما يفعله الأطباء والداعون لدفع شر الطاعون"[١].

---

(١) انظر: التاريخ الإسلامي في العهد العثماني (٨/١١٠-١١٧)، وتاريخ الدولة العلية (ص١٠٩، ٢٥٩)، خطط الشام (٢/٢٣١).

٣ – الناحية الدينية والعلمية :

إن انصراف العثمانيين بكل ثقلهم نحو التدريب العسكري والقتال وتعبئة الجيوش وبناء الأساطيل مما كان يحتم عليهم الواجب الملقى عليهم أول أمرهم، ثم انصرافهم للدعة واللهو كان السبب في انصرافهم عن العلم، الذي لم يلق منهم دعماً إلا القليل(١).

ولذلك "زاد انحطاط العلم في القرن العاشر، فلم تكن أيام الترك العثمانيين ميمونة على المعارف في هذه الديار مثل القرنين السالفين... وإذا اختلف لسان الحاكم والمحكوم عليه، وخصت الوظائف الدينية الكبرى بجماعة السلطان من الترك، مالت النفوس عن العلم، اللهم إلا من كانت لهم فطر سليمة، عشقوه لفائدته وقليل ما هم...

أما القرن الحادي عشر فشبيه بتاليه وسالفه، من حيث قلة الإبداع والاكتفاء بالموجود، لكن عدد العالمين والمتأدبين كان أكثر على ما يظهر"(٢).

وفي ذلك العصر قلت قضية الإبداع والأصالة ، وسيطر الجمود والتقليد ، والتعصب لبعض المذاهب ومحاولة قفل باب الاجتهاد، وذم العلماء المجتهدين إن خالفوا المذهب، كما حصل لابن تيمية(٣) ومؤلفاته، الذي كان قدوة للشيخ مرعي الذي نصب نفسه مدافعاً عنه بل ألف كتابين في ذلك، بين فيها مناقبه وثناء العلماء عليه، وهما: "الشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية"، و: "الكواكب الدرية في مناقب المجتهد ابن تيمية".

وفي هذا العصر ضعف أسلوب الإنشاء، حتى أوشك أن يكون عامياً(٤)، ولهذا نجد أن الشيخ مرعي قد أسهم في إبعاد سيطرة اللهجة العامية على لسان الناس، فألف كتابه المشهور: "بديع الإنشاء والصفات في المكاتبات والمراسلات".

---

(١) انظر: التاريخ الإسلامي في العهد العثماني (١٢٠/٨).

(٢) انظر: خطط الشام (٥١/٤، ٥٤)، وقد ذكر محمد كرد علي أسماء العلماء في هذين القرنين وعلى الأخص في بلاد الشام، فراجعه (٥٢/٤-٥٧).

(٣) هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن تيمية، الحراني الدمشقي، تقي الدين، أبو العباس، شيخ الإسلام، له تصانيف منها: مجموع الفتاوى، درء تعارض العقل والنقل، توفي سنة ٧٢٨هـ.
انظر: العقود الدرية (ص٢، ٦٧)، الأعلام العلية (ص٢٥، ٧٢).

(٤) انظر: مقدمة بهجة الناظرين وآيات المستدلين (ص٩)، ومقدمة الدكتور محمد الصباغ على كتاب الفوائد الموضوعة للشيخ مرعي.

ومن سلبيات الخلافة العثمانية: "عدم الوعي الإسلامي الصحيح، إذ كان كثير من المسؤولين لا يعرفون من الإسلام سوى العبادات؛ لذا كانوا يحرصون عليها وعلى تأديتها ويقيمون الاحتفالات ببعض المناسبات، وهذه الاحتفالات ليست واردة ولا بذات أصل، ويحرصون على الأذكار... والانصراف أحياناً إلى ذلك انصرافاً تاماً، وهذا ما أدى إلى انتشار الطرق الصوفية[1]، ومع هذا الانتشار حدث التواكل وعدم السعي في الأرض، وإضعاف فكرة الجهاد"[2].

وهذا هو سبب انتشار الاهتمام بقبور الأولياء وأضرحتهم، فزيد من البناء عليها وتشييد المساجد عليها وشد الرحال إليها.

ومن أجل هذا انبرى الشيخ مرعي فألف كتابه "شفاء الصدور في زيارة المشاهد والقبور" والذي ذكر فيه شيئاً مما اعتاده الناس ومما يخالف الدين الحنيف، بل إنه قال فيه: "وكأني بمن يأتي فينظر في كلامي هذا المشيد بالكتاب والسنة وأقوال الأئمة فيتمغص منه، ويضرب صفحاً عنه لكونه مخالفاً للعادات الفاسدة والطباع الحايدة، معتمداً على حكايات رآها وخرافات تلقاها"[3].

---

(١) اختلف في اشتقاق لفظ الصوفية على أقوال كثيرة، والصحيح أنه نسبة إلى لبس الصوف، وقد كانت بداية التصوف عبارة عن تمسك بالأخلاق والعبادة والزهد في الدنيا، ولم يكن هذا الاسم معروفاً في القرون الثلاثة الأولى، وانتهى المطاف ببعض فرقهم إلى الغلو والتطرف، حتى خرجوا عن دائرة الإسلام، والقول بمذهب الباطنية: إن لكل ظاهرٍ باطناً، ولكل تنزيل تأويلاً، من أقطاب غلاتهم: ابن عربي، والحلاج، ابن سبعين، وغيرهم.
انظر: مجموع الفتاوى (٥/١١ وما بعدها)، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص٧٢-٧٤)، مصرع التصوف، وللاستزادة: التصوف المنشأ والمصدر (ص٢٠-٤٨)، التصوف بين الحق والخلق (ص١٢، ١٣، ٤٦).

(٢) التاريخ الإسلامي في العهد العثماني (٣٥/٨).

(٣) شفاء الصدور في زيارة المشاهد والقبور (ص٢٢٠).

حياته الشـخصية

اسمه ونسبه ولقبه وكنيته :

هو الإمام العلامة مرعي بن يوسف بن أبي بكر بن أحمد بن أبي بكر بن يوسف بن أحمـد الكرمي المقدسي المصري الأزهري الحنبلي[1].

فالكرمي: بسكون الراء نسبة إلى قرية طور كرم[2]، وقد نسب الشيخ مرعي إليها لأ ـ ا مكان ولادته ونشأته.

المقدسي: بفتح الميم وسكون القاف وكسر الدال والسين، نسبة إلى بيت المقدس، ونسب

---

(١) انظر ترجمته في:

- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لحاجي خليفة (١٩٤٨/٢).
- خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، للمحبي (٣٥٨/٤).
- نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة، للمحبي أيضاً (٢٤٤/٢).
- النعت الأكمل لأصحاب الإمام أحمد بن حنبل، للغزي (ص١٨٩).
- عنوان المجد في تاريخ نجد، لابن بشر (٣٠٨/٢).
- السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة، لابن حميد (ص٤٦٣-٤٦٧).
- إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، لإسماعيل باشا (٤٢٦/٢).
- المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل، لابن بدران (ص٤٤٢).
- مختصر طبقات الحنابلة، للشطي (ص١٠٨).
- الأعلام، للزركلي (٢٠٣/٧).
- معجم المؤلفين، لرضا كحالة (٢١٨/١٢).
- مصطلحات الفقه الحنبلي، للثقفي (ص٢٢٠).
- مفاتيح الفقه الحنبلي، للثقفي أيضاً (١٩٣/٢).
- معجم المطبوعات العربية،لسركيس (١٧٣٧/٢).
- عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد للحيدري (ص٤٣).

(٢) تعرف اليوم عند أهل فلسطين بـ (طول كرم) باللام، والطور هو الجبل، وطور كرم: بلدة تقع غـرب نـابلس، وبينها وبين البحر سهول خصبة وتبعد عن القدس بحوالي ٦٩ كيلاً شمالاً.
انظر: معجم البلدان (٤٧/٤)، مختصر طبقات الحنابلة (ص١٠٨)، معجم بلدان فلسطين (ص٤٧٨).

الشيخ مرعي إليه لأن أول طلبه للعلم كان فيه، وقد تتلمذ على بعض علمائه[1].

المصري: بكسر الميم وسكون الصاد، في آخرها راء، هذه النسبة إلى مصر، ونسب الشيخ مرعي إليها، لأ ا كانت سكنه ومه له وآخر محط رحاله، و ا توفي[2].

الأزهري: بفتح الألف وسكون الزاي وفتح الهاء نسبة إلى جامع الأزهر بمصر الذي درس وتعلم فيه، وبرع وصنف وعلم وأفاد واستفاد[3].

الحَنبلي: بفتح الحاء وسكون النون وفتح الباء، نسبة إلى مذهب الإمام أحمد بـن حنبـل الشيباني، الذي ينتسب إليه وفيه يقول:

لـئن قلـد النـاس الأئمـة إننـي لفي مذهب الحبر ابن حنبل راغـب
أقلــد فتــواه وأعشــق مذهبــه وللناس فيما يعشـقون مـذاهب[4]

لقبه: زين الدين[5].

كنيته: لم تذكر كتب التراجم التي اطلعت عليها كنية له.

---

(١) انظر: مختصر طبقات الحنابلة (ص١٠٨) ، الأعلام (٢٠٣/٧) .
(٢) انظر : النعت الأكمل (ص ١٨٩) .
(٣) خلاصة الأثر (٤ / ٣٥٨) ، مختصر طبقات الحنابلة (ص ١٠٨) .
(٤) انظر: السحب الوابلة (١١٢٥/٣)، عنوان المد (٣١١/٢).
(٥) انظر: تاريخ آداب اللغة العربية (٣ / ٣١٦) .

ولادته ونشأته :

ولد الشيخ مرعي في قرية طور كرم بنابلس في فلسطين، ولم تذكر التراجم التي ترجمت له سنة ولادته، أو مقدار عمره عند وفاته، إلا صاحب كتاب "فوائد الارتحال ومعرفة السفر في أخبار أهل القرن الحادي عشر"، الشيخ مصطفى بن فتح الله الشافعي الحموي(١)، فقد قال في ترجمة الشيخ مرعي: "... ولد بطور كرم في ربيع الأول سنة ثمان وثمانين وتسعمائة..." (٢).

أما نشأته: فقد ولد الشيخ مرعي في بلدة طور كرم بنابلس في فلسطين، ونشأ فيها، وتلقى مبادئ العلوم الأولية، من حفظ القرآن والقراءة والكتابة، حتى صار أهلاً للطلب، ثم انتقل إلى القدس، ثم رحل إلى القاهرة واستوطنها(٣)، وقد تعلق قلب الشيخ مرعي بالمساجد، ومنها الجامع الأزهر، والمساجد تكتنفها الرحمة وهي خير البقاع وفيها البركة، ومما يدل على تعلق قلبه – رحمه الله – بالأزهر، أنه كتب كثيراً من كتبه ورسائله في الجامع الأزهر، فيذيل خاتمته بالقول: "وقد فرغت منه في الجامع الأزهر"(٤).

وربما يخطر على بال أحدنا سبب اختيار الشيخ مرعي لمصر دون غيرها من البلدان، ويجيبنا صاحب عنوان الـد بقوله: "وأما مصر في هذا العصر، فإ ا على ما شاهدنا، وتتبعت ما فيها، أما من حيث العلماء الأعلام من ذوي التقرير والتحرير، وأما من طلبة العلم، فقد بلغوا مراتب الألوف، ولهم المصنفات العديدة، في كل فن، وحق لها أن تسمى اليوم بـ (بلد العلم)" (٥).

أسرته :

---

(١) هو مصطفى بن فتح الله الشافعي، الحموي، ثم المكي، مؤرخ، من أدباء عصره، له مصنفات منها: فوائد الارتحال ومعرفة السفر في أخبار القرن الحادي عشر، توفي سنة ١١٢٣هـ.
انظر: الأعلام (٢٣٨/٧).

(٢) فوائد الارتحال ومعرفة السفر في أخبار القرن الحادي عشر، مخطوط بدار الكتب المصرية، تاريخ تيمور، فلم (١٠٤١٦)، انظر: دفع الشبهة والغرر عمن يحتج على فعل المعاصي بالقدر، تحقيق: الوليد بن مسلم (ص٤٨).

(٣) انظر: عنوان الـد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد (٣٠٨/٢)، معجم المؤلفين (٢١٨/١٢)، الأعلام (٢٠٣/٧).

(٤) انظر على سبيل المثال: اللفظ الموطا في بيان الصلاة الوسطى (ص١٠٨)، تحقيق الرجحان بصوم يوم الشك من رمضان (ص١٣٦)، تنوير بصائر المقلدين (ص٣٠٢).

(٥) عنوان الـد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد (ص٤٣).

لم يذكر الشيخ مرعي أحداً من أبنائه، أو أقربائه بأسمائهم، وكل ما في رسائله أنه ألمح إلى الشكوى من هم العيال، فقال: "فإن الإنسان محل النسيان، لاسيما وقد تشتت الفكر والبال، من هم العيال"[١].

وذكرت كتب التراجم الآتي:

١- ابنه أحمد: ذكره ابن حميد في "السحب الوابلة" في ترجمة يوسف الكرمي، قـال: "أخذ عن عمه الشيخ أحمد بن الشيخ مرعي"[٢].

٢- ابنه يحيى: ذكره ابن حميد في سياق ترجمة يوسف الكرمي[٣].

٣- أخاه يحيى: ولم تذكر المصادر التي بين أيدينا شيئاً عن حياته، وإنما ذكرت أن له ابناً يسمى (أحمد) [٤].

٤- ابن أخيه: أحمد بن يحيى بن يوسف بن أبي بكر بن أحمد بن أبي بكر بن يوسف بن أحمد الحنبلي الكرمي[٥].

قال المحبي[٦]: "كان من العلماء العاملين، والأولياء الزاهدين، ولد ببيت المقدس، في سـنة ١٠٠٠، وقرأ القرآن بطور كرم، ورحل إلى القاهرة سنة ست وعشرين وألف، وأخـذ ـا الفقه وغيره، عن عمه مرعي الحنبلي..." [٧].

٥- حفيده: يوسف بن يحيى بن مرعي الكرمي:

---

(١) تحقيق البرهان في شأن الدخان الذي يشربه الناس الآن (ص٩٩).

(٢) السحب الوابلة (١١٩٢/٣).

(٣) المصدر السابق (١١٩٢/٣)، النعت الأكمل (ص٢٤٩).

(٤) المصدر السابق (١١٩٢/٣)، النعت الأكمل (ص٢٤٩).

(٥) خلاصة الأثر (٣٦٧/١)، النعت الأكمل (ص٢٤٩).

(٦) هو محمد أمين بن فضل الله بن محب الله بن محمد المحبي، الحموي الدمشقي، مؤرخ، باحث، أديب، له مصـنفات منها: نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة، قصد السبيل بما في اللغة من الدخيل، توفي سنة ١١١١هـ.
انظر: الأعلام (٤١/٦)، معجم المؤلفين (٧٨/٩).

(٧) خلاصة الأثر (٣٦٧/١).

جاء في ترجمته في النعت الأكمل: "يوسف بن يحيى بن مرعي الطور كرمي النابلسي، مفتي الحنابلة بنابلس، الشيخ الفاضل الفقيه والعالم الهمام النبيل النبيه، رحل إلى مصر لطلب العلم في سنة أربع وأربعين وألف، وعاد في سنة تسع وأربعين، وكان يفتي بنابلس، وكـان يميـل إلى القول بعدم وقوع الطلاق في كلمة، موافقة للمجد ابن تيمية، وكانت وفاته ار الاثنين عاشر صفر، سنة ثمان وسبعين بعد الألف"[1].

---

(١) النعت الأكمل (ص٢٣٠).

أعماله :

- تصدر للإفتاء والتدريس بالجامع الأزهر، وجامع ابن طولون ، وكان مما تولى تدريس القرآن الكريم وتفسيره.

- أسندت إليه مشيخة جامع السلطان حسن[1] في القاهرة، ونازعه هذا المنصب معاصره الشيخ إبراهيم الميموني الشافعي[2] واستطاع أن يتغلب عليه في هذا النزاع، وأخذ منه المشيخة وقامت بينهما عداوة مستحكمة، وألف كل منهما في الآخر رسائل، وكانت رسالة الشيخ مرعي بعنوان: "النادرة الغريبة والواقعة العجيبة" ومضمونها الشكوى من الميموني.

- صنف الشيخ مرعي في أكثر الفنون فلم يقتصر على علوم الشريعة فحسب، بل تعداه إلى علوم العربية كالنحو، والبلاغة، والبديع، وكذلك صنف في التاريخ والسيرة، بالإضافة إلى أنه كان شاعراً له عدة قصائد في أغراض مختلفة.

---

(١) بناه السلطان حسن بن محمد بن قلاوون المولود سنة ٧٣٥ هـ ،في موقع قصري الأميرين الطنبغا المارداني، ويلبغا اليحياوي،الذين كانا بالرملة بمصر سنة ٧٥٧هـ ، وكان البناء عبارة عن جامع ومدرسه،وكان بناؤه من عجائب الدنيا .

انظر : حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة (٢ / ٢٦٩) ، أطلس العمارة الإسلامية والقبطية في القاهرة (٢ / ١١٤٢) .

(٢) هو أبو إسحاق برهان الدين إبراهيم بن محمد بن عيسى المصري الشافعي، عارف بالتفسير والحديث، له تصانيف أكثرها حواشي وشروح منها: حاشية على تفسير البيضاوي، تنئة الإسلام بتجديد بيت الله الحرام، توفي سنة ١٠٧٩هـ.

انظر: خلاصة الأثر (٤٦/١)، الأعلام (٦٧/١).

وفاته :

توفي العلامة الشيخ مرعي بعد حياة حافلة بالعلم والتعليم والتدريس والإفتاء في القاهرة في شهر ربيع الأول سنة ثلاث وثلاثين وألف من الهجرة النبوية [1].

وهذا التاريخ ذكره جميع من ترجم له إلا ابن حميد انفرد عنهم وحدد تاريخ وفاته بضحى يوم الأربعاء في الخامس والعشرين من شهر ذي القعدة سنة اثنتين وثلاثين وألف من الهجـرة حيث قال: "رأيت في ظهر الغاية بخط شيخ مشايخنا العمدة الضابط... نقلاً أن وفاته ضحوة يوم الأربعاء لخمس بقيت من ذي القعدة سنة ١٠٣٢هـ"[2].

والصحيح أن وفاته سنة (١٠٣٣هـ) لكن ليس في شهر ربيع أول، كما ذكر ذلك أكثـر المترجمين ، لأن الشيخ مرعي – رحمه الله – ذكر في ابة رسالته "توقيف الفريقين على خلود أهل الدارين" قال: "فرغت من هذه الرسالة ار الأربعاء بالجامع الأزهر في أواسط ذي القعدة سنة (١٠٣٣هـ)"[3]، فيدل ذلك على أن وفاته كانت في اية ذي القعـدة أو في شـهر ذي الحجة سنة (١٠٣٣هـ) - والله أعلم - .

---

(١) خلاصة الأثر (٦١/٤)، وهدية العارفين (٤٢٦/٢)، النعت الأكمل (ص١٩٥)، السـحب الوابلـة (١١٥٢/٣) مختصر طبقات الحنابلة (ص١١١)، الأعلام (٢٠٣/٧)، معجم المؤلفين (٢١٨/١٢).

(٢) السحب الوابلة (١١٥٢/٣).

(٣) توقيف الفريقين على خلود أهل الدارين (ص٨٠).

حياته العلمية

طلبه للعلم ورحلاته :

تقدم أن الشيخ مرعي – رحمه الله – قد ابتدأ في نشأته بحفظ القـرآن الكـريم والقـراءة والكتابة، في قريته طور كرم، وفيها شغف بحب العلم وتلقى مبادئ العلوم، حتى صار أهـلاً للرحلة لطلب العلم خارج بلدته.

فرحل إلى القدس لينهل من منهله العذب، ويتعلم على يد علمائه ومشايخه الأفاضل، فأخذ عنهم بعض العلوم كالفقه والحديث.

ثم رحل بعد ذلك إلى مصر، التي كانت مركزاً هاماً من مراكز العلوم والمعرفـة، حيـث الجامع الأزهر الذي كان يغص بالعلماء والطلاب فأخذ عن علمائه ومشايخه، ولما طاب لـه العيش في مصر، ووجد ما يصبو إليه عزم على الاستقرار ا فسكن القاهرة، واتخـذ الجـامع الأزهر وغيره من مراكز العلم منطلقاً له لأداء رسالته العلمية، من التدريس والإفتاء والتصنيف والتحقيق، يساعده على ذلك وجود المقدرة العلمية العالية لديه من قوة الحفظ والذكاء، فكان يقطع وقته بإفتاء الناس والإجابة عن أسئلتهم وحل مشكلاتم التي تعترضهم من وجهة النظر الشرعية، وقد وقف نفسه للتعليم فكان يدرس طلاب العلم ويمنحهم من وقته الكثير.

وكان منهمكاً على العلوم ا ماكاً كلياً، فقطع زمانه بالإفتـاء والتـدريس والتحقيـق والتصنيف فسارت بتآليفه الركبان، وكان هذا دأبه حتى تبوأ م لة كبيرة في المذهب الحنبلي، وصار من كبار علماء الفقه الحنبلي بمصر، ولم يزل ركناً للإفادة حتى توفي بالقاهرة – رحمـه الله – [1].

---

(١) انظر: السحب الوابلة (١١١٩/٣)، وخلاصة الأثر (٣٥٨/٤).

شيوخه وتلاميذه :

أ - شـيوخه :

أخذ الشيخ مرعي – رحمه الله – العلم خلال رحلاته بين فلسطين ومصر على يد علمـاء أفاضل، ممن اشتهر أمرهم، وبرعوا في شتى أنواع العلوم والمعارف، وقد ذكر المحبي أنه أخـذ العلم عن كثير من المشايخ المصريين[(١)].

ولكن مصادر ترجمته لم تذكر إلا أربعة من مشايخه، ولعل هؤلاء هم أبرز العلماء الذين أخذ عنهم:

١- الشيخ محمد المرداوي:

هو الشيخ محمد بن أحمد المرداوي، نزيل القاهرة، فقيه الحنابلة وشيخهم في عصره، كـان جبلاً من جبال العلم وبحراً من بحور الإتقان، أخذ العلم عن التقي محمد الفتوحي[(٢)]، والشيخ عبد الله الشنشوري[(٣)] الفرضي، وأخذ عنه جماعة من العلماء منهم الشيخ مرعـي، والشـيخ عثمان بن أحمد الفتوحي[(٤)]، وغيرهم.

توفي بالقاهرة سنة (١٠٢٦هـ)[(٥)].

---

(١) انظر : خلاصة الأثر (٣٥٨/٤).

(٢) تقي الدين أبو بكر محمد بن أحمد بن عبد العزيز الفتوحي المصري المعروف بابن النجار، تبحر في علوم كثيرة حتى انتهت إليه الرئاسة في المذهب، كان زاهداً وورعاً، له مصنفات منها: منتهى الإرادات في جمع المقنع مـع التنقـيح وزيادات. توفي سنة ٩٧٢هـ.
انظر: السحب الوابلة (٨٥٤/٢)، الأعلام (٦/٦).

(٣) عبد الله بن محمد بن عبد الله العجمي الشنشوري، فرضي، محدث، أصولي، تولى الخطابة بالجامع الأزهر بمصر، لـه مصنفات منها: خلاصة الفكر في شرح المختصر في مصطلح الأثر، الفوائد الشنشورية في شرح المنظومة الرحبيـة، توفي سنة ٩٩٩هـ.
انظر: الأعلام (١٢٨/٤)، معجم المؤلفين (١٢٨/٦).

(٤) عثمان بن أحمد بن محمد بن أحمد الفتوحي القاهري الحنبلي، الشهير بابن النجار، تولى القضاء بالمحكمة الكـبرى بمصر، له مصنفات منها: منتهى الإرادات، توفي سنة ١٠٦٤هـ.
انظر: معجم المؤلفين (٢٠٠/٦).

(٥) انظر: خلاصة الأثر (٣٥٦/٣)، مختصر طبقات الحنابلة (ص١٠٦)، النعت الأكمل (ص٢١٦).

٢- محمد حجازي:

هو الشيخ محمد بن محمد بن عبد الله الأكراوي،المعروف بمحمد حجـازي ولـد سـنة ٩٥٧هـ الشافعي مذهباً، الشعراوي طريقة[(١)]، الشهير بالواعظ، نشأ بمصر، وحفظ القـرآن، وحفظ متوناً في علوم مختلفة، كان من الراسخين في العلم، أخذ العلم عن كثير من المشـايخ حتى قيل إن شيوخه بلغوا ثلاثمائة شيخ ،له مصنفات كثيرة منها: فتح الولي النصـير بشـرح الجامع الصغير ، والاستعلام عن رؤية النبي ﷺ في المنام ، وشرح ألفية الحديث للسيوطي،توفي بالقاهرة في ربيع الأول سنة (١٠٣٥هـ)[(٢)].

٣- يحيى الحجاوي:

هو الشيخ الفرضي يحيى بن موسى بن أحمد بن موسى بن سـالم الحجـاوي المقدسـي الدمشقي الصالحي القاهري الحنبلي.

ولد ونشأ في دمشق، وأخذ الحديث عن والده، ثم رحل إلى القاهرة وأخذ عن علمائهـا، كالتقي الفتوحي وغيرهم، ثم درس وعلم وأخذ منه العلم جماعة منهم الشيخ مرعـي، ودرس بالجامع الأزهر وأفاد واستفاد، ولم يزل ركناً للعلم حتى توفي بالقاهرة[(٣)].

٤- أحمد الغنيمي:

هو الشيخ أحمد بن محمد بن محمد بن علـي الغنيمـي الأنصـاري الخزرجـي الحنفـي المصري،ولد سنة ٩٦٤هـ كان شافعي المذهب، من أجل الشيوخ الذين انفردوا في عصرهم في علم المنقول والمعقول، درس التفسير بجامع ابن طولون بالقاهرة، وقد انتفع به عدد كبير من طلبة العلم منهم الشيخ مرعي ،وله مؤلفات منها: ابتهاج الصدور، و جة الناظرين في محاسن أم البراهين.توفي بالقاهرة في رجب سنة (١٠٤٤هـ)[(٤)].

---

(١) نسبة إلى عبد الوهاب بن أحمد الشعراني أو الشعرواي، من كبار المتصوفين، ولد بمصر سنة ٨٩٨هـ، وتـوفي سـنة ٩٧٣هـ.

انظر: الأعلام (١٨٠/٤).

(٢) انظر: خلاصة الأثر (١٧٤/٤)، الأعلام (٧٩/٦)، معجم المؤلفين (١٧٧/٩).

(٣) انظر: النعت الأكمل (ص١٨٣)، ومختصر طبقات الحنابلة (ص١٠٥).

(٤) انظر: خلاصة الأثر (٣١٢/١)، الأعلام (٢٣٧/١)، معجم المؤلفين (١٣٢/٢)، هدية العارفين (١٥٨/١).

ب - تلاميـذه :

كان الشيخ مرعي – رحمه الله – من العلماء العاملين، فدرس وأفتى وصنف في شتى أنواع العلوم والمعارف، وعالم هذا دأبه لابد أن يتخرج على يديه تلاميذ فضلاء ينشرون عنه هـذا العلم النافع، ولكن المتتبع لمصادر ترجمته يجد أ ا أغفلت هذا الجانب ولم تذكر لنا إلا القليـل منهم وهم على النحو التالي:

١- محمد الجمازي:

هو الشيخ محمد بن موسى بن محمد الجمازي الحسيني، فقيه مالكي المذهب، كان أحد أهل العلم والفضل وأحد أئمة البيان، له اشتغال بالأدب وله نظم، وكان له بمصر م لة ومكانـة، ولي القضاء بمحكمة ابن طولون.

له مصنفات منها: التحفة الوفية لشرح المقدمة الأندلسية في العروض، الحجة في التوحيـد ،توفي بمصر سنة (١٠٦٥هـ)[١].

٢- عبد الباقي البعلي:

هو العالم عبد الباقي بن عبد الباقي بن عبد القادر بن إبراهيم بن عمر بن محمـد البعلـي الدمشقي الحنبلي الأزهري الشهير بابن البدر، محدث مقرئ فقيه مفسر.

ولد بدمشق سنة ١٠٠٥هـ، ورحل إلى مصر سنة ١٠٢٩هـ، تعلم في الأزهر وأخذ الفقه عن الشيخ مرعي وغيره، ثم عاد إلى دمشق وأخذ العلم عن بعض المشايخ في دمشق.

له مصنفات منها: شرح الجامع الصحيح للبخاري، العين والأثر في عقائد أهـل الأثـر، رياض أهل الجنة في آثار أهل السنة، فيض الرزاق في تذيب الأخلاق.

توفي بدمشق سنة (١٠٧١هـ) [٢] .

٣- أحمد الكرمي:

هو الشيخ الفاضل أحمد بن يحيى بن يوسف بن أبي بكر بن أحمد بن أبي بكر بن يوسف بن

---

(١) انظر: خلاصة الأثر (٢٣٤/٤)، الأعلام (١١٩/٧).

(٢) النعت الأكمل (ص٢٢٣)، هدية العارفين (١ / ٤٩٧) ، الأعلام (٣ / ٢٧٢) .

أحمد الكرمي المقدسي، أبو العباس، شهاب الدين.

ولد بطور كرم سنة ١٠٠٠هـ وقد قرأ بها القرآن ثم رحل إلى القاهرة سنة (١٠٢٦هـ)، فأخذ الفقه عن عمه الشيخ مرعي وغيره من العلماء، كان ملازماً للعبادة بمكانه المعروف بالجامع الأزهر، لا يتردد على أحد من أرباب الدنيا، متقيداً بصلاة الجماعة في الصف الأول بالأزهر الأوقات الخمسة، وكان من المشتغلين بالعلوم الدينية، قانعاً باليسير من الرزق، قليل الكلام، حسن السيرة.

توفي بالقاهرة ليلة الجمعة رابع عشر صفر سنة إحدى وتسعين وألف من الهجرة، ودفن قرب عمه الشيخ مرعي – رحمهم الله-[١].

٤ - عيسى بن محمود الدمشقي:

هو الشيخ عيسى بن محمود بن محمد بن كنانة الدمشقي الصالحي، ذكره ابن حميد في السحب الوابلة وقال:"... وطلب العلم على يد مشايخ أجلاء منهم: الشيخ مرعي..."[٢].

5 - أحمد بن مرعي بن يوسف :

هو ابن الشيخ مرعي، كان من العلماء الذين تصدروا للتدريس ولهم تلاميذ،ذكره صاحب السحب الوابلة في ترجمة الشيخ يوسف بن يحيى بن مرعي فقال :" رحل إلى مصر لطلب العلم سنة أربع وأربعين وألف من الهجرة،فأخذ بها عن الشيخ منصور البهوتي[٣] ، وعن عمه الشيخ أحمد ابن الشيخ مرعي ... " [٤]

٦ - يحيى بن مرعي بن يوسف :

هو ابن الشيخ مرعي، ذكره صاحب السحب الوابلة ضمن من لم يبلغه معلومات عنهم

---

(١) انظر: خلاصة الأثر (٣٦٧/١)، النعت الأكمل (ص٢٤٩)، والسحب الوابلة (٢٧٨/١).

(٢) السحب الوابلة (٣٢٧/١).

(٣) منصور بن يوسف بن صلاح الدين بن حسن بن إدريس البهوتي الحنبلي،له تصانيف كثيرة منها : الروض المربع شرح زاد المستقنع، إرشاد ذوي النهى لدقائق المنتهى،توفي سنة ١٠٥١هـ
انظر : معجم طبقات الحنابلة (ص١١٤) ، الأعلام (٧ / ٣٠٧) .

(٤) انظر : السحب الوابلة (٣ / ١١٩٢)، دفع الشبهة والغرر، تحقيق الوليد بن مسلم (ص٦١) .

فقال : " ... ومنهم ... الشيخ يحيى ابن المحقق الشيخ مرعي صاحب الغاية [1]... " [2].

ومن المؤكد أن يكون للشيخ مرعي تلاميذ كثيرون غير ما ذكرنا، كيف لا وقد تصدر للتدريس بالجامع الأزهر، وتولى مشيخة جامع السلطان حسن مدة من الزمن، وانقطع للإفتاء والتدريس والتأليف.

فلاشك أن يكون له تلاميذ كُثر غير أن الذين ترجموا للمصنف ، لكن جرت عادتم أن يذكروا عدداً قليلاً من شيوخ وتلاميذ المترجم له على سبيل المثال لا الحصر[3].

أدبه وشعره :

وصف الشيخ مرعي – رحمه الله – بأنه أديب وشاعر، حيث كان له نظم وديوان شعر.

قال ابن حميد: وله ديوان شعر ظريف فمن شعره عفا الله عنه:

يا ساحر الطرف يا من مهجتي سحراً	كم ذا تنام وكم أسهرتني سحراً
لو كنت تعلم ما ألقاه منك لما	أتعبت يا منيتي قلباً إليك سرى
هذا المحب لقد شاعت صبابته	بالروح والنفس يوماً بالوصال شرى
يا ناظري بالدمع جاد وما	أبقيت يا مقلتي في مقلتي نظرا
يا من جفا ووفا للغير موعده	يا من رمانا ويا من عقلنا قمرا
الله منصفنا بالوصل منك على	غيظ الرقيب بمن قد حج واعتمرا
يا غامراً يكئيب بالصدود كما	أن السقام لمن يهواك قد غمرا
قل الصدود فكم أسقيت أنفسنا	كأس الحمام بلا ذنب بدا وجرى
وكم جرحت فؤادي كم ضنى جهدي	أليس دمعي حبيبي مذ هجرت جرى
فالشوق أقلقني والوجد أحرقني	والجسم ذاب لما قد حل بي وطرا
والهجر أضعفني والبعد أتلفني	والصبر قل وما أدركت لي وطرا[4]

وقال أيضاً:

---

(١) كتاب غاية المنتهى في الجمع بين الاقناع والمنتهى .

(٢)انظر : السحب الوابلة (٣ / ١٢٠٠)،دفع الشبهة والغرر، تحقيق الوليد بن مسلم (ص٦٢) .

(٣) انظر:دفع الشبهة والغرر، تحقيق الوليد بن مسلم (ص٦٣) .

(٤) السحب الوابلة (١١٢٢/٣).

إنمـا النـاس بـلاء ومحـن وهمـوم وغمـوم وفـتن
وعنـاء وضـناء قـبر هـم وهـلاك لـيس فـيهم مـؤتمن
حسـنوا ظـاهرهم كـي يخـدعوا لـيس في باطنـهم شـيء حسـن
لـيس مـن خـالطهم في راحـة ضـاع منـه الـدين والمـال وزن
فاحـذرن عشـرتم واتركنـها واجتنبـهم سـيما هـذا الـزمن[1]

والشيخ مرعي له ديوان شعر اسمه ديوان الكرمي، وله مؤلفات في الأدب والشعر فمنـها: "تسكين الأشواق بأخبار العشاق"، و"بديع الإنشاء والصفات في المكاتبات والمراسلات".

عقيدته ومذهبه:

أ- عقيدته:

تتضح عقيدة الشيخ مرعي من خلال هذا البحث بصورة مفصلة إلا أنني أحببت أن أعطي صورة إجمالية عن عقيدته، فهو – رحمه الله – على مذهب السـلف الصـالح إلا في بعـض المسائل كما سيتبين من خلال هذا البحث – إن شاء الله -.

فالشيخ مرعي – رحمه الله تعالى – يحب السلف الصالح – رحمهم الله – ويعلـن التزامـه بمنهجهم وعقيدتم ويحث على ذلك، ويكثر النقل من كتبهم خصوصاً شيخ الإسلام ابن تيمية فقد استفاد منه كثيراً، وقد ألف الشيخ مرعي كتابه "أقاويـل الثقـات في تأويـل الأسمـاء والصفات" وقال فيه: "ومن السلامة للمرء في دينه اقتفاء طريقة السلف الذين أمر أن يقتـدى م من جاء بعدهم من الخلف، فمذهب السلف أسلم، ودع ما قيل من أن مذهب الخلـف أعلم، فإنه من زخرف الأقاويل وتحسين الأباطيل، فإن أولئك قـد شـاهدوا الرسـول ﷺ والتنـزيل وهم أدرى بما نزل به الأمين جبريل"[2].

ومع هذا فالشيخ مرعي عفا الله عنه قد اضطرب في باب الصفات ولم يسلم مـن مخالفـة مذهب السلف، فهو أحياناً يقرر أن مذهب السلف هو أن يصفوا الله بما وصف به نفسـه، وبما وصفه به رسوله، من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تمثيل ولا تكييف[3]، وأحياناً يقرر بأن

---

(١) مختصر طبقات الحنابلة (ص١١١).
(٢) أقاويل الثقات (ص٤٦).
(٣) انظر: المصدر السابق (ص٧١).

مذهبهم هو تفويض معناها المراد منها إلى الله تعالى[1].

والشيخ مرعي في توحيد العبادة يتفق تماماً مع منهج السلف الصالح وعقيدتهم، ويتضح هذا من كتابه "شفاء الصدور في زيارة المشاهد والقبور" الذي تحدث فيه عن حكم زيارة القبور، والتمسح بها وتقبيلها، وتقبيل أعتابها، وحكم بناء المساجد عليها، والشيخ – رحمه الله – في هذا الكتاب قد أجاد وأفاد، وأعلن محاربته للبدع، ولكل ما يفعل عند القبور مما لم يأت به الشرع ورد عليهم بأدلة نقلية وعقلية.

يقول في مقدمة كتابه: "اعلم وفقني الله وإياك في القول والعمل، أني سأذكر في هذا الكتاب مسائل هي بحسب العادة غريبة، وباعتبار ما ألفه الناس من البدع عجيبة، فينكرها الجاهل ويعرفها الفاضل، والدليل على ذلك من الكتاب والسنة هو الفاصل، فعليك وفقك الله باتباع ما قام عليه الدليل، وإياك وزخرف الأقاويل واتباع الأباطيل والزم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإن أنكر عليك من أنكر أو أبى قبوله الجاهل واستكبر، واحرص على التمسك بالسنة باطناً وظاهراً في خاصتك وخاصة من يطيعك، واعرف المعروف وانكر المنكر، وادع الناس إلى السنة بحسب الإمكان، ولا ترجع إلى قول من يخالف الفقهاء كائناً من كان، وإن عارضك معارض فأقم عليه الدليل بالأحاديث الصحيحة، وأقوال الأئمة الصريحة، وتمسك بطريقة السلف الصالحين، ولا سيما الخلفاء الراشدين"[2].

ب - مذهبه:

وأما مذهبه فهو على المذهب الحنبلي، والشيخ مرعي درس المذهب الحنبلي وتفقّه فيه، ولذا فهو يعد من علماء الحنابلة الكبار، وقد أخذ المذهب الحنبلي عن علماء مشهورين في عصره، وقد درس الفقه الحنبلي في جامع طولون بالقاهرة مدة من الزمن[3].

والشيخ كان متعلقاً بالمذهب الحنبلي محباً له وفي ذلك يقول:

---

(١) انظر: المصدر السابق (ص٦٠، ٦١).
(٢) شفاء الصدور في زيارة المشاهد والقبور (ص١٤٥).
(٣) انظر: السحب الوابلة (١١١٩/٣).

لـئن قلـد النـاس الأئمـة إنـني لفي مذهب الحبر ابن حنبل راغـب
أقلـد فتـواه وأعشـق مذهبـه وللناس فيما يعشـقون مـذاهب[1]

ومع حبه للمذهب الحنبلي وافتخاره به إلا أنه لم يكن متعصباً ذلك التعصب المقيت الذي يعمي الأبصار ويعتم البصائر، وفي ذلك يقول: "العجب كل العجب ممن يأخـذ في تفضـيل بعض المذاهب على بعض تفضيلاً يؤدي إلى تنقيص المفضل عليه وسـقوطه، وربمـا أدى إلى الخصام بين السفهاء وصارت عصبية وحمية جاهلية، والعلماء منـزهون عن ذلك"[2].

وقد قدم الشيخ مرعي لمذهب الحنابلة خدمات جليلة، ظاهرة في مؤلفاته التي لاقت عندهم القبول والاستحسان، وتناولتها الأيدي بالقراءة والاستفادة في كل مكان، وسارت بـذكرها الركبان، وأقبل عليها طلبة العلم بالحفظ والإتقان، وهذه المؤلفات هي "دليل الطالب" و"غاية المنتهى في الجمع بين الإقناع والمنتهى".

وهذا المؤلف الأخير بيض منه الشيخ مرعي نسختين، أرسل واحدة إلى نجد، والأخرى إلى الشام، كما أفاد ذلك صاحب عنوان المجد[3].

والشيخ مرعي كان مقلداً متقيداً، لا يخرج عن المذهب الحنبلي في بداية طلبـه وتحصـيله، وهذا واضح في كتابه "دليل الطالب لنيل المطالب"، ومن ثم مشى مشي المجتهدين في التصحيح والترجيح، كما في كتابه "غاية المنتهى في الجمع بين الإقناع والمنتهى".

يقول ابن بدران[4]: " "غاية المنتهى" كتاب جليل للشيخ مرعي الكرمي، جمع فيـه بـين "الإقناع" و"المنتهى" وسلك فيه مسلك المجتهدين، فأورد فيه اتجاهات له كثيرة، يعنو نها بلفظ:

---

(١) المصدر السابق (١١٢٥/٣)، عنوان المجد في تاريخ نجد (٣٣/١).

(٢) تنوير بصائر المقلدين في مناقب الأئمة المجتهدين (ص٧٧).

(٣) انظر : عنوان المجد في تاريخ نجد (٣٠٨/٢).

(٤) هو عبد القادر بن أحمد بن مصطفى بن عبد الرحيم بن محمد بدران، فقيه أصولي حنبلي، عارف بالأدب والتاريخ، كان سلفي العقيدة، له مصنفات منها: شرح روضة النـاظر لابـن قدامـة، تهـذيب تـاريخ ابـن عسـاكر، توفي سنة ١٣٤٦هـ.
انظر: الأعلام (٣٧/٤)، معجم المؤلفين (٢٨٣/٥).

ويتجه"[1].

ونقل الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع[2] في مقدمة "غاية المنتهى" عن العلامة السـفاريني قوله في وصيته لأحد تلامذته من النجديين: "وعليك بما في الكتابين "الإقناع" و"المنتهى"، فإذا اختلفا، فانظر ما يرجحه صاحب "غاية المنتهى""[3].

---

(١) المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل (ص٤٤٣).

(٢) محمد بن عبد العزيز بن محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن مانع ابن شبرمه الوهيـبي التميمي، ولـد سـنة ١٣٠٠هـ فقيه غزير المعرفة بالأدب، درس في الحرم المكي، وولي رئاسة محكمة التمييز بمكة، له مصنفات منـها: مختصر عنوان المجد في تاريخ نجد، الكواكب الدرية على الدرة المضية للسفاريني، توفي سنة ١٣٨٥هـ.
انظر: الأعلام (٢٠٩/٦)، علماء نجد (٨٢٧/٣).

(٣) غاية المنتهى في الجمع بين الإقناع والمنتهى (٤/١).

حبه للعلماء وبخاصة شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمهم الله –:

من فضائل الشيخ مرعي – رحمه الله – أنه كان محباً لسير العلماء، يكشف عن حميد خصالهم، وجليل مواقفهم، ليتأسى المقتدي بسيرهم، ويحبب الناس بهم.

ففي كتابه الجامع لسير العلماء "تنوير بصائر المقلدين في مناقب الأئمة المجتهدين" يقول عنه: "مؤلف فريد في هذا المقام ليزداد الواقف عليه فيهم حباً واعتقاداً، ويتجنب المخالف إذا تأمل فيه عجباً وانتقاداً، ويستنير له بذلك فيهم مناهج سبله"(١).

وترجم في كتابه سيرة ثلاثين عالماً من كبار أهل العلم، وأفاض القول في الأئمة الأربعة، وخص الإمام أحمد بتفصيل طويل عن حياته وما حصل له من المحن.

وقال عند كلامه عن أئمة الهدى: "فمنهم أبو حنيفة النعمان عظيم المجتهدين، ومالك بن أنس نجم سنن المحدثين، ومحمد بن إدريس رئيس الفقهاء والأصوليين، وأحمد بن حنبل رأس الزاهدين وقامع المبتدعين"(٢).

وقال الشيخ مرعي عن الإمام أبي حنيفة – رحمه الله –:

"هو الإمام العلم الحجة البارع الورع، أجمع السلف والخلف على كثرة علمه، وورعه وعبادته، ودقة مداركه، واستباطات أدلته، وكثرة احتياطه في الدين وخوفه من الله تعالى"(٣).

وقال عن الإمام مالك – رحمه الله –:

"الإمام العلم الحجة، الضابط المتقن، إمام دار الهجرة، وعالم الإسلام، وأحد العلماء الأعلام"(٤).

وقال عن الإمام الشافعي – رحمه الله –:

"الإمام العلم، الحجة، الضابط، المتقن، المجتهد البارع، عالم الإسلام ناصر الحديث"(٥).

وقال عن الإمام أحمد – رحمه الله –:

"الإمام العلم الحجة، المجتهد، البارع، الحافظ الضابط المتقن، الورع الزاهد الناسك العابد،

---

(١) تنوير بصائر المقلدين في مناقب الأئمة المجتهدين (ص٢٧).
(٢) المصدر السابق (ص٢٧).
(٣) المصدر السابق (ص٤٩).
(٤) المصدر السابق (ص١٠٥).
(٥) المصدر السابق (ص١٣١).

عالم الإسلام وناصر السنة، وقامع البدعة، وأحد أئمة المذاهب المتبوعة، وحجة الإسلام وداحض الحجج الباطلة بأقواله الفاصلة، العالم الرباني، والإمام المبجل والحبر المفضل"(١).

وكان الشيخ مرعي – رحمه الله – محباً لشيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – أشد الحب، مطلعاً على آثاره أوسع الاطلاع، وقد أفرد كتابين في حياة ابن تيمية وهما: "الكواكب الدرية في مناقب المجتهد ابن تيمية"، و "الشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية".

ومما قاله في الثناء على شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله -:

"قد علمنا علم اليقين، وتحققنا التحقيق المبين من الثقات الناقلين، وأئمة الحديث الناقدين: أن ابن تيمية؛ الشيخ تقي الدين، هو الإمام، الحافظ، الحجة، العلم، المجتهد، الضابط، المتقن، المفسر، أعجوبة الزمان، ترجمان القرآن، سيد المحققين، وسند المدققين، وشيخ الإسلام والمسلمين، بحر ليس للبحر ما عنده للجواهر، وحبر سما على السماء وأين للسماء مثل ما له من الزواهر... تنوع في المباحث وفنونها، وتفوه بفصاحة وبلاغة... فريد العصر إلا أنه شيخ الإسلام، وحيد الدهر إلا أنه لا يقبل فضله الانقسام، ومفرد الزمان إلا أنه القائم مقام الجمع.

كيف لا وهو الفصيح الذي إن تكلم أجزل وأوجز، وأسكت كل ذي لسن ببلاغته وأعجز، فإن كنت تعرف الحق عرفت أهله، أو تدري ما الفضل أدركت فضله؛ إلا أن تكون ذا عصبية وحمية، فتجحد بالهوى فضائل ابن تيمية... ولقد كان بحراً يتقاذف موجه بالدرر، وعقداً في جيد الدهر، ولقد كان الزهد شعاره، والورع وقاره، والذكر أنيسه، والفكر جليسه"(٢).

---

(١) المصدر السابق (ص١٧٧).

(٢) الشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية (ص٨٧).

مؤلفاته :

كان الشيخ مرعي بارعاً في شتى أنواع العلوم والمعارف، فكان إمام المذهب الحنبلي بمصر في عصره، وكانت له اليد الطولى في معرفة دقائق الفقه الحنبلي، فألف فيه مفصلات ومختصرات، وكان بارزاً في التفسير والعقائد والحديث وعلومه والنحو والبلاغة، وكان شاعراً أديباً.

ولقد ترك آثاراً نافعة وعلماً ينتفع به ويتداول فيما بين كثير من المسلمين، بل وغير المسلمين أيضاً، فقد ترجمت بعض مؤلفاته إلى الفرنسية مثل كتاب: "نزهة الناظرين في تاريخ من ولي مصر من الخلفاء والسلاطين"(١)، وكتاب "قلائد العقيان في فضائل آل عثمان" الذي ترجم إلى التركية(٢).

وقد ترك الشيخ مؤلفات في شتى ميادين العلوم، مما يدل على اطلاعه وسعة علمه – رحمه الله – وهذه قائمة بأسماء مؤلفاته، مع بيان المطبوع منها والمخطوط:

أولاً : مؤلفاته المطبوعة :

١- إحكام الأساس في آية ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ ﴾(٣).

مطبعة الرسالة المقدسية – الطبعة الأولى ١٤٢١هـ -.

تحقيق: عمار توفيق أحمد بدوي.

٢- إخلاص الوداد في صدق الميعاد.

دار البشائر الإسلامية – الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ-.

تحقيق: خالد العربي مدرك.

٣- إرشاد ذوي العرفان لما للعمر من الزيادة والنقصان.

نشر دار عمار، الأردن ١٤٠٨هـ.

تحقيق: مشهور حسن سلمان.

---

(١) انظر: معجم المطبوعات العربية والمعربة (١٧٣٨/٢)، جولة في دور الكتب الأمريكية (ص٧٧).

(٢) انظر: تاريخ آداب اللغة العربية (٣٠٩/٣).

(٣) سورة آل عمران، الآية: (٩٦).

٤- أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمتشا ات، وقد قـام بتحقيقه كل من:

أ- جميل عبيد القرارعة: رسالة ماجستير في جامعة أم القرى عام ١٤٠٠هـ[(١)].

ب- الشيخ شعيب الأرناؤوط.

طبع مؤسسة الرسالة – الطبعة الأولى – بيروت سنة ١٤٠٦هـ.

٥- بديع الإنشاء والصفات في المكاتبات والمراسلات، ويعرف بإنشاء مرعي.

طبع طبعات كثيرة، منها طبعة مكتبة السيد محمد عبد الواحد بك الطوبي وأخيه بجوار المسجد الحسيني بمصر – الطبعة الثانية – ١٣٢٦هـ[(٢)].

٦- جة الناظرين وآيات المستدلين.

مطبوع بالآلة الكاتبة، رسالة دكتوراه بالجامعة الإسلامية – قسم العقيدة.

تحقيق: خليل إبراهيم أحمد الموصلي.

٧- تحقيق البرهان في إثبات حقيقة الميزان.

قام بتحقيقه كل من:

أ- د. سليمان الخزي.

مطبعة المدني – الطبعة الأولى – ١٤٠٩هـ.

ب- مشهور حسن سلمان.

دار ابن القيم.

٨- تحقيق البرهان في شأن الدخان الذي يشربه الناس الآن[(٣)].

نشر دار السلف – الطبعة الأولى – ١٤١٥هـ.

تحقيق: مشهور حسن سلمان.

---

(١) بمكتبة أم القرى قسم الرسائل الجامعية رقم ٢٦٠ك م ا.

(٢) ذكر محقق شفاء الصدور الأخ/ جمال بن حبيب صلاح أنه بحث عنه في بعض المكتبات الجامعية وغيرها فلم يجده، انظر: شفاء الصدور (ص٤٤)، وهو موجود في مكتبة الملك فهد الوطنية، وعندي نسخة منه.

(٣) ذكر الشيخ عمار توفيق أحمد بدوي مفتي محافظة طولكرم، محقق كتاب إحكام الأساس في آية إن أول بيت وضع للناس أن هذا الكتاب حققه الشيخ يوسف أبو سنينه وأطلعه على تحقيقه ولم يطبعه إلى الآن.
انظر: إحكام الأساس (ص٢٩).

٩- تحقيق الخلاف في أصحاب الأعراف.
نشر دار الصحابة – الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.
تحقيق: مشهور حسن سلمان.
١٠- تحقيق الرجحان في صوم يوم الشك من رمضان.
مطابع ابن تيمية – الطبعة الأولى.
تحقيق: عبد الكريم العمري.
١١- تنوير بصائر المقلدين في مناقب الأئمة المجتهدين.
دار ابن حزم – الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.
تحقيق: عبد الله الكندري.
١٢- توضيح البرهان في الفرق بين الإسلام والإيمان.
قام بتحقيقه كل من:
أ: د. محمد البريدي.
بحث منشور في مجلة الحكمة – العدد التاسع والعشرون.
ب: د. حمد بن عبد المحسن التويجري، لم يطبع بعد.
ج: مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي – مكتبة إمام الدعوة العلمية، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ.
١٣- توقيف الفريقين على خلود أهل الدارين.
طبع دار ابن حزم – الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.
تحقيق: خليل بن عثمان الجبور السبيعي.
١٤- دليل الطالب لنيل المطالب، وهو متن لطيف في الفقه الحنبلي، وعليه عدة شروحات.
طبع المكتبة الثقافية – الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.
تحقيق: عبد الله عمر البارودي.
١٥- دفع الشبهة والغرر عمن يحتج على فعل المعاصي بالقدر.
قام بتحقيقه كل من:
أ - أسعد الطيب المغربي.
نشر دار حراء – الطبعة الأولى – مكة المكرمة ١٤١٠هـ.
ب – د. عبد الله بن سليمان الغفيلي.

طبع دار المسير - الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.
جـ – الوليد بن مسلم.
نشر مكتبة ابن عباس - الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.
١٦– سلوان المصاب بفرقة الأحباب
دار الحرمين للطباعة – الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.
تحقيق: إبراهيم إسماعيل القاضي والسيد عزت المرسي.
١٧– شفاء الصدور في زيارة المشاهد والقبور.
قام بتحقيقه كل من:
أ – جمال بن حبيب صلاح – رسالة ماجستير – في جامعة أم القرى بمكة المكرمة.
طبع رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء – الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.
ب- عادل صالح الحطيلي.
طبع مكتبة الصحوة، - الطبعة الأولى ١٩٩٠م.
١٨– الشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية.
نشر مؤسسة الرسالة بيروت – الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.
تحقيق: د. نجم عبد الرحمن خلف.
١٩– غاية المنتهى في الجمع بين الإقناع والمنتهى، في الفقه الحنبلي ويقع في ثلاثة أجزاء.
منشورات المؤسسة السعيدية بالرياض – الطبعة الثانية.
٢٠– غذاء الأرواح بالمحادثة والمزاح.
طبع دار ابن حزم – الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.
تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي.
٢١– فرائد فوائد الفكر في الإمام المهدي المنتظر.
نشر مؤسسة دار الكتاب الإسلامي – الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.
تحقيق: سامي الغريدي.

٢٢– الفوائد الموضوعة في الأحاديث الموضوعة.

طبع دار الوراق – الطبعة الثالثة ١٤١٩هـ.

تحقيق: د. محمد لطفي الصباغ.

٢٣- قلائد المرجان في بيان الناسخ والمنسوخ من القرآن.

قام بتحقيقه كل من:

أ – سامي عطا حسن.

نشر دار القرآن الكريم الكويت – الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ.

ب – د. محمد الرحيل غرايبه و د. محمد علي الزغول.

طبع دار الفرقان – الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ.

٢٤- القول البديع في علم البديع.

نشر كنوز إشبيليا – الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ.

تحقيق: د. محمد علي الصامل.

٢٥- القول المعروف في فضل المعروف.

طبع دار البشائر الإسلامية – الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.

تحقيق: محمد أبو بكر عبد الله باذيب.

٢٦ – الكلمات البينات في قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾[1].

بحث منشور ضمن المجلة الأحمدية الصادرة من دبي – العدد السادس ١٤٢١هـ.

تحقيق: د. عبد الحكيم محمد الأنيس.

٢٧- الكواكب الدرية في مناقب المجتهد ابن تيمية.

طبع دار الغرب الإسلامي بيروت – الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

تحقيق: د. نجم عبد الرحمن خلف.

٢٨- اللفظ الموطا في بيان الصلاة الوسطى.

(١) سورة البقرة، الآية: (٢٥).

نشر وتوزيع دار البخاري – بريده – المدينة – الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.
تحقيق: د. عبد العزيز بن مبروك الأحمدي.
٢٩– ما يفعله الأطباء والداعون بدفع شر الطاعون.
طبع دار البشائر الإسلامية – الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.
تحقيق: خالد بن العربي مدرك.
٣٠ –محرك سواكن الغرام إلى حج بيت اللّه الحرام ، ت / د . محمد بن عبداللّه باجوده وآخر ، نشر دار القاهرة ، الطبعة الأولى ٢٠٠٦م .
31– مسبوك الذهب في فضل العرب وشرف العلم على شرف النسب.
قام بتحقيقه كل من:
أ - علي حسن علي عبد الحميد.
نشر دار عمار – الأردن – الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.
ب – د. نجم عبد الرحمن خلف.
طبع مكتبة الرشد – الرياض – الطبعة الأولى ١٤١١هـ.
٣٢ – المسرة والبشارة في فضل السلطنة والوزارة.
نشر مكتبة زايد للتراث والتاريخ – الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ.
تحقيق: د. محمد عبد القادر خريسات.

ثانياً : مؤلفاتــه المخطوطــة [1]:

١ - الآيات المحكمات والمتشابهات[2].

٢ - إتحاف ذوي الألباب[3] في قوله تعالى: ﴿ يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾[4].

٣ - الأدلة الوفية بتصويب قول الفقهاء والصوفية[5].

٤ - إرشاد ذوي الأفهام لنـزول عيسى عليه السلام[6].

٥ - إرشاد من كان قصده لا إله إلا الله[7].

٦ - أرواح الأشباح في الكلام على الأرواح[8].

٧ - أزهار الفلاة في آية قصر الصلاة[9].

٨ - الأسئلة في مسائل مشكلة[10].

٩ - إيقاظ العارفين على حكم أوقاف السلاطين[11].

١٠ – البرهان في تفسير القرآن، لم يتمه[12].

---

(١) انظر : أقاويل الثقات (ص٣٢) .

(٢) خلاصة الأثر (٣٥٨/٤)، إيضاح المكنون (٧/١)، السحب الوابلة (١١٢٠/٣)، مصطلحات الفقـه الحنبلـي (ص٢٢١).

(٣) حققه الدكتور عبدالرحمن بن عبدالله التركي ، لم يطبع بعد .

(٤) سورة الرعد، الآية: (٣٩).

(٥) السحب الوابلة (١١٢٠/٣)، ومختصر طبقات الحنابلة (ص١٠٩).

(٦) ذكر الدكتور عبدالله الغفيلي أنه يحققه ، انظر : دفع الشبهة والغرر (ص٣٠) .

(٧) السحب الوابلة (١١٢٠/٣)، إيضاح المكنون (٢٦/١)، مختصر طبقات الحنابلة (ص١٠٩).

(٨) إيضاح المكنون (٦٤/١)، الإعلام (٢٠٣/٧)، هدية العارفين (٤٢٦/٢).

(٩) خلاصة الأثر (٣٥٩/٤)، إيضاح المكنون (٦٦/١)، هدية العارفين (٤٢٦/٢).

(١٠) إيضاح المكنون (١٥٩/١)، ذكره الشيخ مرعي في كتابه أقاويل الثقات (ص٧٥) بهذا الاسم.

(١١) خلاصة الأثر (٣٥٩/٤)، إيضاح المكنون (١٥٩/١)، هدية العارفين (٤٢٦/٢)، السحب الوابلـة (١١٢٠/٣) مختصر طبقات الحنابلة (ص١٠٩).

(١٢) خلاصة الأثر (٣٥٩/٤)، السحب الوابلة (١١٢٠/٣)، مختصر طبقات الحنابلة (ص١٠٩)، ذكره الشيخ مرعـي في كتابه أقاويل الثقات (ص٦١) بهذا الاسم.

11 – بشرى ذوي الإحسان لمن يقضي حوائج الأخوان[١].

١٢ – بشرى من استبصر وأمر بالمعروف و ى عن المنكر[٢].

١٣ – تحسين الطرق والوجوه في قوله عليه السلام: "**اطلبوا الخير عند حسان الوجوه**"[٣].

١٤ – تحقيق الظنون بأخبار الطاعون[٤].

١٥ – تحقيق المقالة هل الأفضل في حق النبي عليه الصلاة والسلام الولاية أو النبوة أو الرسالة[٥].

١٦ – تسكين الأشواق بأخبار العشاق[٦].

١٧ – تشويق الأنام إلى حج بيت الله الحرام[٧].

١٨ – تلخيص أوصاف المصطفى وذكر من بعده من الخلفاء[٨].

١٩ – تنبيه الماهر على غير ما هو المتبادر من الأحاديث الواردة في الصفات[٩].

٢٠ – تذيب الكلام في حكم أرض مصر والشام[١٠].

٢١ – جامع الدعاء وورد الأولياء ومناجاة الأصفياء[١١].

---

(١) النعت الأكمل (ص١٩٣)، إيضاح المكنون (١٨٤/١)، مختصر طبقات الحنابلة (ص١١٠)، مفاتيح الفقه الحنبلي (١٩٦/٢).

(٢) مختصر طبقات الحنابلة (ص١١٠)، هدية العارفين (٤٢٦/٢)، السحب الوابلة (١١٢١/٣).

(٣) يوجد له نسخة خطية في دار الكتب الظاهرية تحت رقم (١٩٨٥)، وله صورة خطية بقسم المخطوطات بالجامعة الإسلامية برقم (١٠٠٢)، وفي جامعة الإمام محمد بن سعود برقم (١٦٥٠).

(٤) يوجد له نسخة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية برقم (١٦٥٠).

(٥) إيضاح المكنون (٢٦٧/١)، هدية العارفين (٤٢٦/٢)، مختصر طبقات الحنابلة (ص١١٠).

(٦) إيضاح المكنون (٢٦٧/١)، النعت الأكمل (ص١٩٣).

(٧) يوجد له نسخة خطية في خدا بخش (٢٩٠/١) وعنه صورة بمخطوطات الجامعة الإسلامية برقم (١٥٣٦/ن).

(٨) يوجد له نسخة في مكتبة شهيد علي باشا برقم (١٨٦١)، وله صورة في جامعة الإمام محمد بن سعود قسم المخطوطات برقم (١٧٢).

(٩) هدية العارفين (٤٢٧/٢)، إيضاح المكنون (٣٢٧/١)، النعت الأكمل (ص١٩٢).

(١٠) إيضاح المكنون (٣٤٢/١)، مختصر طبقات الحنابلة (ص١١٠)، السحب الوابلة (١١٢٠/٣).

(١١) يوجد له نسخة خطية في دار الكتب المصرية برقم (١٩٠/٦).

٢٢ – الحجج البينة في إبطال اليمين مع البينة[١].

٢٣ – الحكم الملكية والكلم الأزهرية[٢].

٢٤ – دليل الحكام في الوصول إلى دار السلام[٣].

٢٥ – دليل الطالبين لكلام النحويين[٤].

٢٦ – ديوان الكرمي[٥]، وهو ديوان شعر للمؤلف.

٢٧ – رسالة في السماع[٦].

٢٨ – رفع التلبيس عمن توقف فيما كفر به إبليس[٧].

٢٩ – روضة العارفين وتسليك المريدين[٨].

٣٠ – الروض النضر في الكلام على الخضر[٩].

٣١ – رياض الأزهار في حكم السماع والأوتار والغناء والأشعار[١٠].

٣٢ – السراج المنير في استعمال الذهب والحرير[١١].

٣٣ – سلوك الطريقة في الجمع بين كلام أهل الشريعة والحقيقة[١].

---

(١) خلاصة الأثر (٣٥٩/٤)، النعت الأكمل (ص١٩٣)، السحب الوابلة (١١٢١/٣)، مختصر طبقات الحنابلة (ص١١٠)، وإيضاح المكنون (٣٩٤/٣)، هدية العارفين (٤٢٧/٢).

(٢) تاريخ الأدب لبروكلمان (٤٨٥/٢)، ويوجد له نسخة في مكتبة الملك فيصل برقم (٢٠٢٦).

(٣) إيضاح المكنون (٤٧٨/١)، النعت الأكمل (ص١٩٣)، مختصر طبقات الحنابلة (١١٢١/٣).

(٤) يوجد له نسخة خطية بجامعة السليمانية بالعراق برقم (١٨٦).

(٥) إيضاح المكنون (٥٢٦/١)، هدية العارفين (٤٢٧/٢)، السحب الوابلة (١١٢٢/٣).

(٦) يوجد له صورة بمخطوطات الجامعة الإسلامية بالمدينة ضمن مجموع تحت رقم (١٥٥١/ف).

(٧) حققه الدكتور يوسف بن محمد السعيد ، لم يطبع بعد .

(٨) إيضاح المكنون (٥٨٩/١)، خلاصة الأثر (٣٥٩/٤)، مختصر طبقات الحنابلة (ص١١٠).

(٩) يوجد له نسخة خطية بمكتبة خدا بخش (٢٦٠٢)، وعنه صورة خطية بمكتبة المخطوطات بالجامعة الإسلامية برقم (١٥٥٩/ف).

(١٠) يوجد له نسخة خطية بخدا بخش تحت رقم (٢٦٠٢)، ومنه صورة بمخطوطات الجامعة الإسلامية تحت رقم (١٥٥٩/ف).

(١١) خلاصة الأثر (٣٦٠/٤)، النعت الأكمل (ص١٩٣)، السحب الوابلة (١١٢١/٣)، هدية العارفين (٤٢٧/٢).

٣٤ – الغزل المطلوب في المحب والمحبوب[٢].

٣٥ – فتح المنان بتفسير آية الامتنان[٣].

٣٦ – فم الوكاء في كلام السفيان من ألفاظ المهملات في التكفير[٤].

٣٧ – قرة عين الودود بمعرفة المقصور والممدود[٥].

٣٨ – قلائد العقيان في فضائل آل عثمان[٦].

٣٩ – قلائد العقيان[٧] في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ ﴾[٨].

٤٠ – لطائف المعارف[٩].

٤١ – المختصر في علم الصرف[١٠].

٤٢ – مرآة الفكر في المهدي المنتظر[١١].

٤٣ – المسائل اللطيفة في فسخ الحج والعمرة الشريفة[١٢].

٤٤ – مقدمة الخائض في علم الفرائض[١].

---

(١) إيضاح المكنون (٢/٢٥)، السحب الوابلة (٣/١١٢٠).

(٢) له نسخة في مكتبة جامعة الملك سعود بالرياض برقم (١٩٤٢ف)، ذكره محقق كتاب القول البديع في علم البديع (ص١١) ولم ينبه عليه أحد قبله.

(٣) إيضاح المكنون (٣/١٧٤)، النعت الأكمل (ص١٩٢)، مختصر طبقات الحنابلة (ص١١٠).

(٤) تاريخ الأدب لبروكلمان (٢/٤٨٤).

(٥) إيضاح المكنون (٢/٢٢٥)، خلاصة الأثر (٤/٣٥٨).

(٦) يوجد له نسخ خطية في دار الكتب المصرية برقم (١١٧٤)، والخزانة العامة بالرباط برقم (٢٣٨٠)ك، وفي مكتبة الأوقاف بالموصل ضمن مجموع رقم (٩/٢٢)، وفي بانكيبور (الهند) رقم (١٥/١٠٦٧). وله صورة في مكتبة الملك فيصل برقم (٤٩٢٥).

(٧) هدية العارفين (٢/٤٢٧)، خلاصة الأثر (٤/٣٦٠)، النعت الأكمل (ص١٩٣).

(٨) سورة النحل، الآية: (٩٠).

(٩) إيضاح المكنون (٢/٤٠٥)، النعت الأكمل (ص١٩٣).

(١٠) يوجد له نسخة خطية في مكتبة طوب كابي سراي باستنابول برقم (١٨٠).

(١١) إيضاح المكنون (٢/٤٦١)، وخلاصة الأثر (٤/٣٥٩).

(١٢) خلاصة الأثر (٤/٣٦٠)، النعت الأكمل (ص١٩٣)، إيضاح المكنون (٢/٤٢٧).

٤٥ – منية المحبين وبغية العاشقين[٢].

٤٦ – نزهة المتفكر[٣].

٤٧ – نزهة الناظرين في تاريخ من ولي مصر من الخلفاء والسلاطين[٤].

٤٨ – نزهة الناظرين في فضائل الغزاة والمجاهدين[٥].

٤٩ – النادرة الغريبة والواقعة العجيبة[٦].

٥٠ – نصيحة[٧].

---

(١) إيضاح المكنون (٥٤٣/٢)، السحب الوابلة (١١١٩/٣).

(٢) يوجد له نسخة في مكتبة الإسكندرية تحت رقم (٤٥٦٤).

(٣) إيضاح المكنون (٦٤١/٢)، خلاصة الأثر (٣٦٠/٤).

(٤) يوجد له نسخة خطية في دار الكتب الوطنية بتونس تحت رقم (٣٨٧٢) ونسخة أخرى في دار الكتب المصرية برقم (١٢٨٣)، مكتبة الخزانة العامة بالرباط رقم (٢٣٤٧).

(٥) إيضاح المكنون (٦٤٢/٢)، هدية العارفين (٤٢٧/٢)، مختصر طبقات الحنابلة (ص١١٠).

(٦) إيضاح المكنون (٦١٤/٢)، مختصر طبقات الحنابلة (ص١١٠)، السحب الوابلة (١١٢١/٣).

(٧) يوجد نسخة منه في برلين برقم (٥٤١٥).

ثناء العلماء عليه :

أثنى على الشيخ مرعي – رحمه الله – كل من ترجم له حيث اجتمعت فيه الصفات الحميدة والخصال الحسنة إلى جانب منزلته العلمية وسعة اطلاعه وإلمامه بشتى أنواع العلوم مما جعل له ذكراً حسناً وثناءً طيباً وحميداً.

قال المحبي: "أحد أكابر علماء الحنابلة بمصر، وكان محدثاً فقيهاً ذا اطلاع واسع على نقول الفقه ودقائق الحديث، ومعرفة تامة بالعلوم المتداولة"[(١)].

وقال أيضاً: "مقدم في العلوم الشرعية، غير متأخر في العلوم الأدبية المرعية، فهو من الفضل في منتهاه، ومن الأدب في محل سهاه، وله جودة وإتقان، وتمسك بالهدى وإيقان"[(٢)].

وقال الغزي[(٣)]: "شيخ مشايخ الإسلام، أوحد العلماء المحققين الأعلام واحد عصره وأوانه، وأوانه، ووحيد دهره وزمانه، صاحب التآليف العديدة، والفوائد الفريدة، والتحريرات المفيدة، خاتمة أعيان العلماء المتأخرين، من سمت بعلومه سماء المفاخر، فهو العلامة على التحقيق، والفهامة عند أهل التدقيق.... إلى أن قال: وقد قلت مادحاً لهذا الإمام بشيء من النظام:

هوى السبق في كل المعارف يا له ... إمام همام حاز كل العوارف
وقد صار ممنوحاً بكل فضيلة ... بظل ظليل بالعوارف وارف
سقى الله ترباً ضمه وابل الحيا ... بجنات عدن آمناً من مخاوف
ولا زال رضوان الإله مباكراً ... ثرى ضمه ما حن بيت لطائف"[(٤)]

وقال ابن حميد: "العالم العلامة البحر الفهامة، المدقق المحقق، المفسر، المحدث، الفقيه،

---

(١) خلاصة الأثر (٣٥٨/٤).

(٢) نفحة الريحانة (٢٤٤/٢).

(٣) هو محمد بن شريف بن محمد بن عبد الرحمن بن زين العابدين بن زكريا الغزي، العامري، الدمشقي، الشافعي، فقيه، مؤرخ، أديب، ناظم، نحوي، توفي سنة ١٢١٤هـ.
انظر: معجم المؤلفين (٢٢٢/١١).

(٤) النعت الأكمل (ص١٩٠).

الأصولي، النحوي، أحد أكابر علماء الحنابلة بمصر"[١].

وقال ابن بشر[٢]: "الشيخ العالم العلامة، كانت له اليد الطولى في معرفة الفقه وغيره، صنف مصنفات عديدة في فنون العلم"[٣].

وقال ابن بدران: "العلامة، بقية المتهدين، أحد أكابر علماء هذا المذهب بمصر"[٤].

وقال محمد جميل الشطي[٥]: "شيخ الإسلام، أوحد العلماء الأعلام فريد عصره وزمانه، ووحيد دهره وأوانه، صاحب التآليف العديدة، والتحريرات المفيدة، العلامة بالتحقيق والفهامة بالتدقيق"[٦].

---

(١) السحب الوابلة (١١١٨/٣).

(٢) هو عثمان بن عبد الله بن عثمان بن حمد بن بشر النجدي الحنبلي، مؤرخ، له مصنفات منها: بغية المحاسب، الإشارة في معرفة منازل السبعة السيارة، توفي سنة ١٢٩٠هـ.
انظر: الأعلام (٢٠٩/٤)، معجم المؤلفين (٢٥٩/٦).

(٣) عنوان المد (٣٠٨/٢).

(٤) المدخل إلى فقه الإمام أحمد بن حنبل (ص٤٤٢).

(٥) هو محمد جميل بن عمر بن محمد الشطي، فقيه، مؤرخ، أديب، له مصنفات منها: روضة البشر في أعيان دمشق في القرن الثالث عشر الهجري، تنقيح السراجية في الفرائض، توفي سنة ١٣٧٩هـ.
انظر: معجم المؤلفين (١٦١/٩).

(٦) مختصر طبقات الحنابلة (ص١٠٨).

الباب الأول

منهج مرعي الحنبلي في تقرير العقيدة والرد على المخالفين

وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول : منهجه في تقرير العقيدة .

الفصل الثاني : منهجه في الاستدلال .

الفصل الثالث : منهجه في الرد على المخالفين .

الفصل الأول

منهجه في تقرير العقيدة

الفصل الأول

منهجه في تقرير العقيدة

المنهج هو الطريق الواضح السهل، قال تعالى: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾[1]، أي طريقاً واضحاً بيناً[2].

ومن خلال دراسة آراء الشيخ مرعي – رحمه الله – يتضح منهجه في تقرير العقيـدة، ويمكن تلخيص ذلك فيما يلي:

١ – انتسابه إلى مذهب السلف :

الشيخ مرعي – رحمه الله – يحب السلف الصالح – رحمهـم الله – ويعلـن التزامـه بمنهجهم وعقيدتهم، وفي ذلك يقول: "ومن السلامة للمرء في دينه اقتفاء طريقة السـلف الذين أمر أن يقتدى بهم من جاء بعدهم من الخلف، فمذهب السلف أسلم، ودع ما قيل من أن مذهب الخلف أعلم، فإنه من زخرف الأقاويل، وتحسين الأباطيل، فإن أولئك قـد شاهدوا الرسول والتنـزيل، وهم أدرى بما نزل به الأمين جبريل"[3].

وقال: "وبالجملة: فالحق هو اتباع ما كان عليه السلف قولاً وفعلاً واعتقاداً، وما سواه فهو اتباع هوى"[4].

وقال مصرحاً أنه على مذهب السلف: "وبمذهب السلف أقول وأدين الله تعـالى بـه، وأسأله سبحانه الموت عليه مع حسن الخاتمة في خير وعافية"[5].

---

(١) سورة المائدة، الآية: (٤٨).

(٢) انظر: لسان العرب (٣٨٣/٢).

(٣) أقاويل الثقات (ص٤٦).

(٤) المصدر السابق (ص١١٢).

(٥) المصدر السابق (ص٢٠٠).

وهو ينصح أيضاً باتباع مذهب السلف كل من تبلغه دعوته متمثلاً بقول النبي صلى الله عليه وسلم: **"لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه"**[1]، وقد صاغ ذلك بعبارة رائعة، فقال: "فعليك – وفقك الله – باتباع ما قام عليه الدليل، وإياك وزخرف الأقاويل واتباع الأباطيل، والزم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإن أنكر عليك من أنكر، أو أبى قبوله الجاهل واستكبر، واحرص على التمسك بالسنة باطناً وظاهراً في خاصتك وخاصة من يطيعك، واعرف المعروف وأنكر المنكر، وادع الناس إلى السنة بحسب الإمكان، ولا ترجع إلى قول من يخالف الفقهاء كائناً من كان، وإن عارضك معارض فأقم عليه الدليل بالأحاديث الصحيحة وأقوال الأئمة الصريحة، وتمسك بطريقة السلف الصالح لاسيما الخلفاء الراشدين، ولا تغتر بما يفعله كثير من الجاهلين وإن كانوا في نفس الأمر من الصالحين فإنهم غير معصومين"[2].

وقال في موضع آخر: "فانظر – رحمك الله – إلى السلف وطريقتهم فكن على مثل ما عليه كانوا تربح، وإياك ومحدثات الأمور المخالفة لطريقتهم، فإنك إن ركبتها تضل وتخسر، ولا تغتر بما غلب على الطباع وألفته العادات الفاسدات، وإياك وموافقة الغوغاء وأرباب الجهالة تقع في الضلالة"[3].

وقال: "ونسأله سبحانه حسن الاتباع لما كان عليه جماعة السلف الصالحين من الصحابة والتابعين والسابقين الأولين من الأنصار والمهاجرين، وأسأله سبحانه حسن الخاتمة في خير وعافية، آمين"[4].

والشيخ مرعي – رحمه الله – يحب سير علماء السلف – رحمهم الله –، فقد ألف كتاباً سماه "تنوير بصائر المقلدين في مناقب الأئمة المجتهدين"، ترجم فيه سيرة ثلاثين عالماً من كبار أهل العلم، كشف فيه عن حميد خصالهم، وجليل مواقفهم، ليتأسى المقتدي بسيرهم ويحبب الناس بهم.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان – باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، (ح١٣)، (ص٣)، ومسلم في كتاب الإيمان – باب خصال الإيمان أن تحب لأخيك ما تحب لنفسك، (ح٤٥)، (ص٦٨٨).

(٢) شفاء الصدور (ص١٤٥).

(٣) المصدر السابق (ص٢٧٨).

(٤) مسبوك الذهب في فضل العرب وشرف العلم على شرف النسب (ص٧١).

وفي ذلك يقول: "مؤلف فريد في هذا المقام ليزداد الواقف عليه فيهم حباً واعتقاداً، ويتجنب المخالف إذا تأمل فيه عجباً وانتقاداً، ويستنير له بذلك فيهم منهاج سبله"[١].

ويقول مدافعاً عن أئمة السلف، بعد أن تحدث عن سيرهم: "إذا علمت هذا فاعلم وفقك الله إن كل واحد من أئمة ا تهدين قد صح عنه سيرة حسنة وكرامات متعددة، وهم أولياء بلا شك، فمن انتقص أحداً منهم فقد أدخل نفسه فيما لا طاقة له به"[٢].

ويقول أيضاً: "فإياك يا أخي ثم إياك أن تنظر فيما وضعه بعض الرعاع في مثالب أحد من الأئمة، فيحصل عندك ما يخل بتعظيمه فتزل قدمك بعد ثبو ا"[٣]، كما سبقت الإشارة إلى ذلك في حياته العلمية.

ومن حبه لشيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – وتأثره به، ألف فيه رسالتين هما: "الشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية"، و"الكواكب الدرية في مناقب ا تهد ابن تيمية"، كما سبقت الإشارة إلى ذلك في التمهيد.

ودفاعه عن أئمة السلف وعلمائهم، دليل على انتسابه لمذهبهم السلفي .

---

(١) تنوير بصائر المقلدين في مناقب الأئمة ا تهدين (ص٢٧).

(٢) المصدر السابق (ص٢٨٨).

(٣) المصدر السابق (ص٢٨٩).

٣ – التزامه بنصوص الكتاب والسنة :

سار السلف – رحمهم الله – في تقرير العقيدة على التمسك والالتزام بما جاء في الكتاب والسنة، لعلمهم أنه لا حياة للقلوب ولا سعادة ولا طمأنينة إلا بذلك، فيجب التسليم والالتزام بما في الكتاب والسنة والرجوع إليهما عند النـزاع.

وقد سلك الشيخ مرعي هذا المسلك ودعا إليه وفي ذلك يقول: "وليس كل ما يتوهمه الإنسان يكون سبباً نافعاً، بل النافع ما أمر الشارع به لأنه أدرى بالنافع والضار وليس علينا إلا الامتثال والتسليم لما قال"[1].

ووجه أيضاً بالتمسك بالكتاب والسنة، وفعل ما الله ورسوله أمر، وترك ما الله ورسوله نهى، فقال: "اعلم وفقني الله وإياك في القول والعمل أني سأذكر في هذا الكتاب مسائل هي بحسب العادة غريبة، وباعتبار ما ألفه الناس من البدع عجيبة، فينكرها الجاهل ويعرفها الفاضل، والدليل في ذلك من الكتاب والسنة هو الفاصل.

فعليك وفقك الله باتباع ما قام عليه الدليل، وإياك وزخرف الأقاويل واتباع الأباطيل، والزم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإن أنكر عليك من أنكر أو أبى قبوله الجاهل واستكبر، واحرص على التمسك بالسنة باطناً وظاهراً في خاصتك وخاصة من يطيعك، واعرف المعروف وأنكر المنكر وادع الناس إلى السنة بحسب الإمكان.

ولا ترجع إلى قول من يخالف الفقهاء كائناً من كان، وإن عارضك معارض فأقم عليه الدليل بالأحاديث الصحيحة، وأقوال الأئمة الصريحة، وتمسك بطريقة السلف الصالحين، لاسيما الخلفاء الراشدين"[2].

ومن خلال استقرائي لكتب الشيخ مرعي، تبين لي أنه ملتزم بنصوص الكتاب والسنة، فهو في الغالب لا يبحث مسألة إلا ويستدل عليها من الكتاب والسنة، ويعيب على من يعرض عنهما طالباً الهدى في غيرهما، وفي ذلك يقول: "فيجب على كل مؤمن أن يفعل ما الله ورسوله به أمر، وأن ينتهي عما نهى عنه وزجر، ولا يتبع الهوى والهذيان بعد إقامة الحجة والبيان، قال الله سبحانه: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ

(١) شفاء الصدور في زيارة المشاهد والقبور (ص٣٧٠).

(٢) المصدر السابق (ص١٤٥).

﴿ فَٱنتَهُواْۚ ﴾[1] فهذه الآية حجة قاطعة لكل منازع"[2].

فموقف الشيخ مرعي – رحمه الله – من الالتزام بنصوص الكتاب والسنة هو موقف السلف – رحمهم الله – فقد كانوا وقافين عند نصوص الشرع، فلا يعارضونها بآرائهم واجتهاداتهم، ولا يترددون في الأخذ بها، بل يعظمونها ويسلمون لها.

ولهذا تظافر كلام السلف بلزوم الكتاب والسنة وعدم تجاوزهما.

قال ابن أبي زمنين[3] – رحمه الله –: "اعلم – رحمك الله – أن السنة دليل القرآن، وأنها لا تدرك بالقياس، ولا تؤخذ بالعقول، وإنما هي الاتباع للأئمة، ولما مشى عليه جمهور هذه الأمة، وقد ذكر الله – عز وجل – أقواماً أحسن الثناء عليهم، فقال: ﴿ فَبَشِّرۡ عِبَادِ ١٧ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾[4].

وأمر عباده فقال: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾[5].

فالسلف – رحمهم الله – يجعلون كلام الله وكلام رسوله هو الأصل الذي يعتمد عليه، وإليه يرد ما تنازع الناس فيه، فما وافقه كان حقاً، وما خالفه كان باطلاً"[6].

---

(١) سورة الحشر، الآية: (٧).

(٢) شفاء الصدور (ص١٥٦).

(٣) هو محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري الأندلسي، من أئمة المالكية، استبحر في العلم، وصنف في الزهد والرقائق، كان صاحب جد وإخلاص، له مصنفات منها: حياة القلوب، الوثائق، توفي سنة ٣٩٩هـ.
انظر: ترتيب المدارك (١٨٣/٧)، سير أعلام النبلاء (١٨٨/١٧) ، شجرة النور الزكية (ص١٠١) ، رقم (٢٥٢) .

(٤) سورة الزمر، الآيتان: (١٧-١٨).

(٥) سورة الأنعام، الآية: (١٥٣).

(٦) أصول السنة (ص١).

وهذا قوام السنة أبو القاسم الأصبهاني[1] – رحمه الله - يقول: "ليس لنا مع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأمر شيء إلا بالاتباع والتسليم، ولا يعرض على قياس ولا غيره، وكل ما سواهما من كلام الآدميين تبع لها، ولا عذر لأحد يتعمد ترك السنة ويذهب إلى غيرها؛ لأنه لا حجة لقول أحد مع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صح"[2].

وبهذا نعلم أن طريقة الشيخ مرعي في التزامه بالكتاب والسنة، هي طريقة السلف – رحمهم الله – فقد كانوا حريصين على اتباع آثار النبي صلى الله عليه وسلم باطناً وظاهراً، وأنهم يؤثرون كلام الله على كلام غيره من كلام أصناف الناس، ويقدمون هدي محمد صلى الله عليه وسلم على هدي كل أحد.

---

(١) هو أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي بن أحمد الأصبهاني، الملقب بقوام السنة، كان حسن الاعتقاد، وإماماً في التفسير والحديث واللغة، له مصنفات منها: الحجة في بيان المحجة، دلائل النبوة، توفي سنة ٥٣٥هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء (٢٠/٨٠)، تذكرة الحفاظ (١٢٧٧/٤).

(٢) الحجة في بيان المحجة (٥٩/١).

٣ – موقفه من الفلاسفة[(١)]:

نقد الشيخ مرعي الفلسفة، مع إقراره للفلاسفة بالذكاء والفطنة إلا أنهم ساروا في متاهات بغير دليل من الكتاب والسنة فقال: "الفلاسفة هم أرباب النهاية في العقول، لكن العقول إذا لم تستند إلى الشرع المنقول وقعت في الحيرة والضلالات، وطرأت عليها الخيالات والاستبعادات لما جاءت به الرسل" [(٢)].

ثم ذكر نقلاً عن الطوفي[(٣)] أنهم يشهدون على أنفسهم بالحيرة، ويقرون بأن عقولهم لا تسعفهم باليقين في الإلهيات فيقول: " قال الطوفي :وقد اعترف أكثر أئمة الكلام والفلسفة الأولين والآخرين أن الطرائق التي سلكوها في أمور الربوبية بالأقيسة التي ضربوها لا تفضي بهم إلى العلم واليقين في الأمور الإلهية ،مثل تكلمهم بالجسم والعرض في دلائلهم ومسائلهم ، ومقالة أساطين الفلاسفة من الأوائل أنهم قالوا: العلم الإلهي لا سبيل فيه إلى اليقين، وإنما يتكلم فيه بالأولى والأحرى.

ولهذا اتفق كل من خبر مقالة هؤلاء المتفلسفة في العلم الإلهي أن غالبه ظنون كاذبة، وأقيسة فاسدة، وأن الذي فيه من العلم والحق قليل"[(٤)].

وهذا النص يوضح موقف الشيخ مرعي من المناهج الفلسفية في الإلهيات، وهو بذلك يفرق بين العلم الإلهي والعلم الطبيعي من الرياضيات والفلك وسائر العلوم الخاضعة

---

(١) الفلاسفة: جمع فيلسوف وهي تتكون من مقطعين هما فيلو وسوفيا. ومعنى فيلو: في اليونانية محب، وسوفيا: الحكمة، فالفيلسوف هو محب الحكمة، هذا من ناحية تركيب الكلمة وإلا فإن المراد بالفلسفة قديماً تفسير المعرفة عقلياً، وفي القرون الوسطى أصبح الغرض من الفلسفة الوقوف على حقائق الأشياء، نظرية كانت أو عملية، وأصبحت منذ القرن التاسع عشر تقتصر على المنطق والأخلاق وعلم الجمال وما بعد الطبيعة، هذا حسب مفهوم الفلاسفة، ولكن في الحقيقة أصبح هذا الاسم يطلق على أتباع أرسطو الذين هذب ابن سينا طريقتهم وبسطها.

انظر: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص١٤٥-١٤٦)، الملل والنحل (٣٦٩/١)، إغاثة اللهفان (٣١١/٢)، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام (٤٩/١).

(٢) أقاويل الثقات (ص١١١).

(٣) سليمان بن عبدالقوي بن عبدالكريم بن سعيد، الصفي،الصرصري،نجم الدين الطوفي، فقيه حنبلي، اتهم بالرفض، له مصنفات منها : بغية السائل في امهات المسائل، معراج الوصول،توفي سنة ٧١٦هـ.
انظر :الدرر الكامنة (٢ / ٩١)، الأعلام (٣ / ١٢٧) .

(٤) أقاويل الثقات (ص١١١).

للتجربة ،وقد كان نقضه منصباً على أقوالهم ومناهجهم في العلم الإلهي.

ويرى الشيخ مرعي أن إكبار الفلاسفة لعقولهم أدى بهم إلى ترك الأخذ عن الأنبياء فقال: "الفلاسفة يعتقدون أن عندهم من العلوم والمعارف ما يستغنون به عن علم الأنبياء عليهم السلام"[1].

وقال: "وللمنجمين والفلاسفة كلام كثير كله هذيان لا يقوم عليه من الوحي برهان...

ومن الفلاسفة من أثبت أنواعاً أخر من الملائكة، وهم الملائكة الأرضية المدبرة لأحوال هذا العالم السفلي ثم الخيرة منها الملائكة، والشريرة منها الشياطين...

والفلاسفة فيهم كلام كثير لا ينبغي ذكره إذ هو كفر محض"[2].

هذا موقف الشيخ مرعي تجاه الفلاسفة العقليين، أما موقفه تجاه فلاسفة الصوفية فيرى أنهم مبتلون بالاستعلاء على الفقهاء وفي ذلك يقول: "فهذه الخصلة بعينها [يعني ازدراء الشريعة] موجودة في المتصوفة المتفلسفة فإنهم يحتقرون علم الفقهاء بالنسبة لعلمهم، ويزعمون أنهم محجوبون، وأنهم هم الواصلون، نعم؛ ولكن إلى سقر"[3].

ويرى أيضاً أن جلّ البلاء الذي حلّ بالشريعة من إباحية وتأويل للشرائع واستهانة بالأمر والنهي فمن قبلهم، وما ألف الشيخ مرعي رسالة: "دفع الشبهة والغرر عمن يحتج على فعل المعاصي بالقدر" إلا رداً على هذا النوع من الفلاسفة فقال: "القول بالإباحية وحل المحرمات... في الأصل، إنما قول أئمة... القرامطة[4] وكثير من الفلاسفة"[5].

وموقف الشيخ مرعي من الفلاسفة هو موقف أهل السنة والجماعة - رحمهم الله -.

---

(1) المصدر السابق (ص111).

(2) بهجة الناظرين وآيات المستدلين (ص202).

(3) أقاويل الثقات (ص111).

(4) القرامطة: هم طائفة من الباطنية أتباع حمدان القرمطي، رجل من أهل الكوفة دعا الناس إلى المذهب الباطني فضل بسببه كثير، وكان أول ظهورهم عام 281هـ في خلافة المعتضد ولهم أعمال شنيعة مخزية وأعظمها ما وقع منهم سنة 317هـ حيث هاجموا الحجاج وقتلوا المسلمين في الحرم واستباحوا دماءهم وأموالهم وقلعوا باب الكعبة والحجر الأسود حتى أعيد سنة 339هـ على يد أبي إسحاق إبراهيم بن محمد المزكي – رحمه الله –.
انظر: الفرق بين الفرق (ص351) ، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص122) .

(5) دفع الشبهة والغرر (64).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: "وهم [يعني الفلاسفة] وإن عظموا الأنبياء ونواميسهم فلأجل أ م أقاموا قانون العدل الذي لا تقوم مصلحة العالم إلا به، ويوجبون طاعة الأنبياء والعمل بنواميسهم وهي الشرائع التي جاءوا ا...

والعمليات عندهم إما أن تكون التي علمها [يعني الرسول] وما أمكنه إظهارها، بـل أظهر ما يخالف الحق عنده لمصلحة الجمهور، وإما أنه لم يعلمها"[1].

وقال ابن أبي العز[2] – رحمه الله -: "فهذه الأصول [يعني أركان الإيمان الستة] الـتي اتفقت عليها الأنبياء والرسل – صلوات الله عليهم وسلامه – ولم يؤمن ا حقيقة الإيمان إلا أتباع الرسل.

وأما أعداؤهم ومن سلك سبيلهم من الفلاسفة وأهل البدع فهم متفاوتون في جحدها وإنكارها.

وأعظم الناس لها إنكاراً الفلاسفة المسمون عند من يعظمهم بالحكماء، فإن من علـم حقيقة قولهم علم أ م لم يؤمنوا بالله ولا رسله ولا كتبه ولا ملائكته ولا باليوم الآخر"[3].

---

(١) الرد على المنطقيين (ص٤٤٢)، وانظر: الصفدية (٢٤٢/١).

(٢) هو أبو الحسن علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي الدمشقي ،كان إماماً داعياً إلى اتباع المنهج السلفي ، له مصنفات منها : شرح العقيدة الطحاوية ، الاتباع ، توفي سنة ٧٩٢هـ .
انظر : الدرر الكامنة (٣ / ٥١) ، الأعلام (٤ / ٣١٣) .

(٣) شرح العقيدة الطحاوية (٤٠٢/٢)، وانظر: افت الفلاسفة (ص٢٢٦).

٤ – موقفه من علم الكلام[1]:

يرى الشيخ مرعي عدم الخوض في علم الكلام، ويرى السلامة في تركه،ثم نقل عن الطوفي أن أكثرهم تراجع وندم عن الاشتغال بعلم الكلام فقال: "اعلم – وفقك الله – أنه ليس للمرء أسلم في دينه من ترك الخوض في مثل هذا، والإعراض عن الخوض في علم الكلام المذموم واقتفاء طريقة السلف ، فإ م لم يخوضوا في شيء من هذا ولم يبحثوا عنه معتقدين أن لنا رباً موجوداً ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[٢] أفلا يسعنا ما وسعهم قال الطوفي :

وقد اعترف أكثر أئمة أهل الكلام والفلسفة من الأولين والآخرين: أن الطرائق التي سلكوها في أمور الربوبية بالأقيسة التي ضربوها، لا تفضي م إلى العلم واليقين في الأمور الإلهية...

ولهذا اتفق كل من خبر مقالة هؤلاء المتفلسفة في العلم الإلهي ، أن غالبه ظنون كاذبة، وأقيسة فاسدة، وأن الذي فيه من العلم والحق قليل"[٣].

وقال: "الخلف – خصوصاً المتكلمين – تجد عندهم التأويل في مثل هذا [يعني آيات وأحاديث الصفات] با ازفة"[٤].

وموقف الشيخ مرعي من أهل الكلام هو موقف أهل السنة والجماعة – رحمهم الله – وإليك بعض أقوالهم:

قال الإمام أحمد – رحمه الله –: "لا تجالسوا أهل الكلام وإن ذبوا عن السنة"[٥].

وقال: "لا يفلح صاحب كلام أبداً، ولا تكاد ترى أحداً نظر في الكلام إلا وفي قلبه

---

(١)علم الكلام:هو العلم الذي يقوم على إثبات العقائد الدينية،أي المنسوبة إلى دين النبي صلّى اللّه عليه وسلم ،عن طريق الأدلة العقلية .

انظر: لوامع الأنوار البهية (١ / ٤) .

(٢) سورة الشورى، الآية: (١١).

(٣) أقاويل الثقات (ص١١٠).

(٤) المصدر السابق (ص١٨١).

(٥) مناقب الإمام أحمد (ص٢٠٥).

دغل[1]"[2].

وقال الإمام البربهاري[3] – رحمه الله –: "واعلم أنها لم تكن زندقة[4]، ولا كفر، ولا شكوك، ولا بدعة، ولا ضلالة، ولا حيرة في الدين إلا من الكلام، وأهل الكلام، والجدل والمراء والخصومة والعجب"[5].

وقال الحافظ ابن حجر[6] – رحمه الله –: "وقد توسع من تأخر عن القرون الثلاثة الفاضلة في غالب الأمور التي أنكرها أئمة التابعين وأتباعهم، ولم يقتنعوا بذلك حتى مزجوا مسائل الديانة بكلام اليونان، وجعلوا كلام الفلاسفة أصلاً يردون إليه من خالفه من الآثار بالتأويل، ولو كان مستكرهاً، ثم لم يكتفوا بذلك، حتى زعموا أن الذي رتبوه هو أشرف العلوم وأولاها بالتحصيل، وأن من لم يستعمل ما اصطلحوا عليه فهو عامي جاهل، فالسعيد من تمسك بما كان عليه السلف، واجتنب ما أحدثه الخلف"[7].

---

(1) الدغَل: محركة: دخل في الأمر مفسد، والشجر الكثيف الملتف، ودغل فيه كمنع: دخل دخول المريب، انظر: ترتيب القاموس (٥٦٢/٤).

(2) جامع بيان العلم وفضله (٩٥/٢).

(3) هو الحسن بن علي بن خلف البربهاري، أبو محمد، شيخ الحنابلة في وقته، كان عالماً زاهداً فقيهاً واعظاً، شديداً على أهل البدع والمعاصي، له مصنفات منها: شرح السنة، توفي سنة ٣٢٩هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء (٩٠/١٥)، شذرات الذهب (٣١٩/٢).

(4) الزنديق: من معانيه أنه الذي يبطن الكفر ويظهر الإيمان، انظر: ترتيب القاموس (٤٤٧/٢).

(5) شرح السنة (ص٣٨).

(6) هو أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، أبو الفضل، برع في الحديث، والتفسير، والفقه، والأصـول، والتاريخ، واللغة، وغيرها، له مصنفات كثيرة منها: فتح الباري، بلوغ المرام، توفي سنة ٨٥٢هـ.
انظر: الضوء اللامع (٤٠/٢)، الجواهر والدرر (١٠١/١، ٦٥٩/٢)، البدر الطالع (٦١/١).

(7) فتح الباري (٢٥٣/١٣).

٥ – موقفه من التأويل :

عرف الشيخ مرعي التأويل فقال: "التأويل: هو أن يراد باللفظ ما يخالف ظاهره، أو هو صرف اللفظ عن ظاهره لمعنى آخر"[١].

والتأويل لغة:

من الأوْل ، أي: الرجوع إلى الأصل.

ومن المؤْئل للموضع الذي يرجع إليه، وذلك هو رد الشيء إلى الغاية المرادة منه علماً كان أو فعلاً، ففي العلم نحو: ﴿ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ ﴾[٢]...

وفي الفعل كقوله تعالى: ﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ ﴾[٣] أي: بيانه الذي هو غايته[٤].

قال ابن فارس[٥]: "آل يؤول أولاً: رجع، وآل العسل وغيره إذا خثر... فأما التأويل فهو انتهاء الشيء ومصيره وعاقبته وآخره"[٦].

التأويل اصطلاحاً:

وأما التأويل اصطلاحاً فقد صار مستعملاً في ثلاث معاني:

الأول: هو اصطلاح كثير من المتأخرين من المتكلمين وهو: صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح بدليل يقترن به[٧].

---

(١) أقاويل الثقات (ص٤٨).

(٢) سورة آل عمران، الآية: (٧).

(٣) سورة الأعراف، الآية: (٥٣).

(٤) انظر: المفردات في غريب القرآن (ص٣١)، لسان العرب (٣٤/١١).

(٥) هو أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، المحدث اللغوي ، له تصانيف منها : معجم مقاييس اللغـة ، فقـه اللغة ، توفي سنة ٣٩٥هـ .

انظر : سير أعلام النبلاء (١٧ / ١٠٣) ، الوافي بالوفيات (٧ / ٢٧٨) .

(٦) معجم مقاييس اللغة (ص٨١).

(٧) انظر: التدمرية (ص١١٣)، مجموع الفتاوى (٤٠٨/١٦)، شرح العقيدة الطحاوية (٢٥٥/١)، إرشاد الفحول (ص١٧٦)، مذكرة في أصول الفقه (ص١٧٦).

الثاني: التأويل بمعنى التفسير، وهذا هو الغالب على اصطلاح المفسرين للقرآن[(١)].

الثالث: هو الحقيقة التي يؤول إليها الكلام كما في قوله تعالى: ﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّ ﴾[(٢)]، فتأويل ما في القرآن من أخبار المعاد هو ما أخبر الله به فيه مما يكون من القيامة والحساب والجزاء والجنة والنار ونحو ذلك[(٣)].

ونلاحظ أن تعريف الشيخ مرعي للتأويل هو على المعنى الأول الذي هو قول المتكلمين.

والتأويل بهذا المفهوم لم يكن معروفاً عند السلف، وإنما سماه تأويلاً طائفة من المتأخرين الخائضين في الفقه وأصوله والكلام، وأكثر ما يستعمل في أبواب العقيدة لتحريف الكلم عن مواضعه، والإلحاد في أسماء الله وآياته[(٤)].

والشيخ مرعي يرى التأويل ويقول به ويشهد لذلك نصوص وردت عنه، منها قوله في صفة المجيء لله تعالى: قال مسلمة بن القاسم[(٥)] في كتاب "غرائب الأصول"[(٦)]: حديث تجلي الله يوم القيامة ومجيئه في ظلل من الغمام محمول على أنه تعالى يغير أبصار خلقه حتى يروه كذلك، وهو على عرشه غير متغير عن عظمته، ولا منتقل عن ملكه[(٧)].

ثم عقب على هذا الكلام بقوله: "وهو تأويل حسن يطرد في كثير من المواضع"[(٨)].

فهذا النص فيه دلالة قاطعة على أن الشيخ مرعي ينهج طريق التأويل في باب الصفات.

---

(١) انظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن (٨٤/١)، مجموع الفتاوى (٦٦/٣)، مختصر الصواعق المرسلة (٤١/١)، شرح العقيدة الطحاوية (٢٥٣/١).

(٢) سورة الأعراف، الآية: (٣٥).

(٣) مجموع الفتاوى (٦٦/٣)، وانظر: مختصر الصواعق المرسلة (٤١/١)، شرح الطحاوية (٢٥٤/١).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (٦٩/٤)، درء تعارض العقل والنقل (٣٨٢/٥).

(٥) هو مسلمة بن القاسم بن إبراهيم المحدث الرحال، أبو القاسم الأندلسي القرطبي، كان ضعيف العقل، وحفظ عليه كلام سوء في التشبيه، له مصنفات منها: التاريخ الكبير، الخط في التراب، توفي سنة ٣٥٣هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء (١١٠/١٦)، لسان الميزان (٧١٦/٦).

(٦) مخطوط.

(٧) انظر : أقاويل الثقات (ص١٩٨).

(٨) المصدر السابق (ص١٩٨).

إلا أننا نجد نصوصاً أخرى يرفض فيها التأويل ويذمه، فمن هذه النصوص قوله: "اعلم أن من المتشا ات آيات الصفات التي التأويل فيها بعيد فلا تؤول ولا تفسر..." [١].

فهذه النصوص المتكافئة في قبول التأويل ورده، تظهر تردد الشيخ مرعي في هذه المسألة، وعدم سيره على منهج واحد،بل نراه أحياناً ينهج طريق التأويل، وأحياناً يخالفه.

وقد صور موقفه هذا نص له جمع فيه بين قبول التأويل ورده حيث قال: "ذكر الشيخ السهروردي[٢] في كتاب "العقائد"[٣] أخبر الله تعالى أنه استوى على العرش، وأخبر رسوله رسوله بالنـزول، وغير ذلك مما جاء في اليد والقدم والتعجب، فكل ما ورد من هذا القبيل دلائل التوحيد، فلا يتصرف فيه بتشبيه ولا تعطيل، فلولا إخبار الله تعالى وإخبار رسوله ما تجاسر عقل أن يحوم حول ذلك الحمى، وتلاشى دونه عقل العقلاء ولب الألباب.

قال الطيبي[٤] : هذا المذهب هو المعتمد عليه، وبه يقول السلف الصالح، ومن ذهب إلى إلى التأويل شرط فيه أن يكون مما يؤدي إلى تعظيم الله تعالى وجلاله وتنـزيهه وكبريائه، وما لا تعظيم فيه فلا يجوز الخوض فيه، فكيف بما يؤدي إلى التجسيم والتشبيه؟! انتهى.

وهو كلام في غاية التحقيق، إلا أن ترك التأويل مطلقاً، وتفويض العلم إلى الله أسلم"[٥].

والمأخوذ من هذا النص أن الشيخ مرعي يرى التأويل بشرط أن يكون يؤدي إلى تعظيم الله تعالى، إلا أن ترك التأويل عنده مطلقاً أسلم.

فهذا النص دليل على تردد الشيخ مرعي في هذه المسألة وعدم سيره على منهج واضح.

---

(١) أقاويل الثقات (ص٦٠).

(٢) هو أبو النجيب، عبد القاهر بن عبد الله بن محمد بن عمويه السـهروردي الشـافعي الصـوفي الواعظ،لـه مصنفات منها: آداب المريدين، شرح الأسماء الحسنى، العقائد، توفي سنة ٥٦٣هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء (٤٧٥/٢٠)، الأعلام (٤٩/٤).

(٣) مخطوط.

(٤) الحسين بن محمد بن عبدالله،شرف الدين الطيبي،من علماء الحديث والتفسير،حسن المعتقد،شديد الرد علـى المبتدعة،له مصنفات منها:شرح مشكاة المصابيح،شرح الكشاف،توفي سنة٧٤٣هـ.
انظر :الدرر الكامنة(٢ / ٣٩)، الأعلام (٢ / ٢٥٦) .

(٥) أقاويل الثقات (ص١٦٢).

الفصل الثاني

منهجه في الاستدلال

الفصل الثاني

منهجه في الاستدلال

يحسن قبل عرض آراء الشيخ مرعي – رحمه الله – الاعتقادية ودراستها، أن نبين منهجه في الاستدلال.

وفيما يلي بيان ذلك:

أولاً: القرآن الكريم:

يعتمد الشيخ مرعي كغيره من العلماء في الاستدلال على القرآن الكريم، وقد قرر – رحمه الله – أن الذي يجب الرجوع إليه عند النـزاع هو كتاب الله وسنته فقال: "اعلم أرشدني الله وإياك أن الذي يجب الرجوع إليه ويعول عند النـزاع عليه هو كتاب الله عز وجل وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال الله تعالى: ﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾[1]، فلا حجة في قول أحد مع قولهما"[2].

وقال وهو يوضح أن الشرف الحقيقي للإنسان هو شرف العلم والتقوى لا شرف النسب، مستدلاً على ذلك بالقرآن الكريم فقال: "اعلم أن الذي يرجع إليه ويعولُ في الفضل عليه هو... العلم والتقوى، ... لا مجرد شرف النسب بشهادة القرآن... قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ ﴾[3]"[4].

والشيخ مرعي عند كلامه على أغلب المسائل العقدية يستدل على ثبو ا بالكتاب أولاً ثم بالسنة والإجماع.

---

(١) سورة النساء، الآية: (٥٩).

(٢) شفاء الصدور في زيارة المشاهد والقبور (ص١٥٤).

(٣) سورة الحجرات، الآية: (١٣).

(٤) مسبوك الذهب في فضل العرب وشرف العلم على شرف النسب (ص٥١).

فمثلاً عند كلامه على نـزول عيسى عليه السلام يقول: "نزول عيسى عليه السلام ثابت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة.

أما الكتاب فقوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ ﴾[1]..."[2].

وقال في موضع آخر: "خروج يأجوج ومأجوج ثابت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة.

أما الكتاب فقوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ ﴾[3]..."[4].

ومن خلال دراسة آراء الشيخ مرعي الاعتقادية، يتضح لنا منهجه في الاستدلال بالقرآن الكريم، وفيما يلي بيان ذلك:

١ - استدلاله بالآيات في الموضع الواحد:

فمثلاً عند كلامه عن صفة العين لله سبحانه وتعالى استدل بعدة آيات فقال: "العين في قوله تعالى: ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴾[5]، وقوله: ﴿ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ ﴾[6]، وقوله: ﴿ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا ﴾[7]"[8].

وأيضاً عند كلامه عن الاستعداد للموت وذم الدنيا استدل بعدة آيات فقال: ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَـٰقُوهُ ۗ ﴾[9]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَـٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾[10]، وقال تعالى: ﴿ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ ﴾[11]،

---

(١) سورة النساء، الآية: (١٥٩).
(٢) جة الناظرين وآيات المستدلين (ص٥٢٧).
(٣) سورة الأنبياء، الآية: (٩٦).
(٤) جة الناظرين وآيات المستدلين (ص٥٣٧).
(٥) سورة طه، الآية: (٣٩).
(٦) سورة الطور، الآية: (٤٨).
(٧) سورة القمر، الآية: (١٤).
(٨) أقاويل الثقات (ص١٤٧).
(٩) سورة البقرة، الآية: (٢٢٣).
(١٠) سورة يونس، الآية: (٢٤).
(١١) سورة الحديد، الآية: (٢٠).

إلى غير ذلك من الآيات الدالة على ذمها"[1].

٢ - استدلاله بالآيات والأحاديث في الموضع الواحد:

قال الشيخ مرعي عند كلامه عن الحساب: "قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ ﴾[2]...

وفي البخاري مرفوعاً: **"ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان ولا حجاب يحجبه"**[3]...

قلت: وبالجملة فالأخبار في هذا الباب كثيرة والحاصل أن العبد يسأل عن كل شيء"[4].

٣ - سياقه أقوال السلف – رحمهم الله – في تفسيرالآيات:

قال الشيخ مرعي: "فصل: في الوقوف على المحشر.

قال الله تعالى: ﴿ وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾[5] وقال: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۗ ﴾[6]...

قال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴾[7] يحشر كل شيء حتى الذباب ليحشر[8]"[9].

---

(١) جة الناظرين وآيات المستدلين (ص٣٧٧).

(٢) سورة ا ادلة، الآية: (٦).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد – باب ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾، (ح٧٤٤٣)، (ص٦٢٠)، وأخرجه مسلم كتاب الزكاة – باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة وأ ا حجاب من النار، (ح٦٧)، (ص٨٣٨).

(٤) جة الناظرين وآيات المستدلين (ص٦٦٩)، وانظر: دفع الشبهة والغرر عمن يحتج على فعل المعاصي بالقدر (ص٧٠).

(٥) سورة الكهف، الآية: (٤٧).

(٦) سورة النساء، الآية: (٨٧).

(٧) سورة التكوير، الآية: (٥).

(٨) أخرجه ابن المنذر وابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (٥٢٧/٦).

(٩) جة الناظرين وآيات المستدلين (ص٦٠٧) .

ثانياً: السنة النبوية :

قرر الشيخ مرعي أن الذي يجب الرجوع إليه عند النـزاع ،كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وفي ذلك يقول: "اعلم أرشدني الله وإياك أن الذي يجب الرجوع إليه، ويعول عند النـزاع عليه ،هو كتاب الله عز وجل وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال الله تعالى: ﴿ فَإِن تَنَـٰزَعۡتُمۡ فِى شَىۡءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾[1]، فلا حجة في قول أحد مع قولهما"[2].

ووجه أيضاً إلى اتباع كلام الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فقال: "فيجب على كل مؤمن أن يفعل ما الله ورسوله به أمر، وأن ينتهي عما ى عنه وزجر، ولا يتبع الهوى والهذيان بعد إقامة الحجة والبيان، قال الله سبحانه: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ ﴾[3] فهذه الآية حجة قاطعة لكل منازع"[4].

ومن خلال دراسة آراء الشيخ مرعي الاعتقادية يتضح لنا منهجه في الاستدلال بالسنة النبوية، وفيما يلي بيان ذلك:

١ – استدلاله بالأحاديث في الموضع الواحد:

قال الشيخ مرعي عند حديثه عن أشراط الساعة الكبرى: "العلامة الأولى: طلوع الشمس من مغر ا، وهو ثابت بالسنة[5]... "[6]، ثم ذكر عدة أحاديث.

٢ - ذكره بعض الأحاديث الضعيفة والموضوعة، وعدم التنبيه عليها في الغالب:

فقد عقد في كتابه " جة الناظرين وآيات المستدلين" فصلاً سماه: فصل في النور

---

(١) سورة النساء، الآية: (٥٩).

(٢) شفاء الصدور (ص١٥٤).

(٣) سورة الحشر، الآية: (٧).

(٤) شفاء الصدور (ص١٥٦).

(٥) وأيضاً ثابت في القرآن، انظر : التذكرة(ص٥٨٣) ، النهاية (١٦٥/١) .

(٦) جة الناظرين وآيات المستدلين (ص٤٨٢)، وانظر: توقيف الفريقين على خلود أهل الدارين (ص٧١).

المحمدي، وليس له مادة علمية تدل عليه، وإنما مادته حديثين موضوعين وطريقة أهل الكشف الباطلة[1].

ومن الغريب أن الشيخ مرعي صرح بأن أحد الحديثين روي عن طريق أبي عصمة[2] وهو كذاب وضاع، ومع هذا ذكره الشيخ مرعي مستدلاً به.

وقد استدل الشيخ مرعي بعدة أحاديث ضعيفة وموضوعة، ولم ينبه على ذلك، بل إنه أحياناً يبين في أول الحديث أن هذا الحديث ضعيف، ومع ذلك يستدل به[3].

مع العلم أن الشيخ مرعي له مؤلف مستقل في الأحاديث الموضوعة وهو "الفوائد الموضوعة في الأحاديث الموضوعة"، لذا يعد الشيخ من أهل الحديث الذين لهم خبرة في علل الحديث وطرقه.

---

(١) انظر: جة الناظرين وآيات المستدلين (ص١١٩).

(٢) واسمه نوح بن أبي مريم، أبو عصمة. قال فيه ابن حجر: "كذبوه في الحديث"، وقال ابن المبارك: كان يضـع الحديث.

انظر: تقريب التهذيب (٣١٤/٢).

(٣) انظر: جة الناظرين وآيات المستدلين (ص٣٩٨، ٤٣٢، ٤٣٩).

ثالثاً: الإجماع :

بالنظر في تقريرات الشيخ مرعي – رحمه الله – في المسائل العقدية يتضح منهجه في الاستدلال بالإجماع، وفيما يلي بيان ذلك:

١ - استدلاله بالإجماع في بعض المسائل :

قال الشيخ مرعي: "نزول عيسى عليه السلام ثابت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة"[١].

وقال: "خروج يأجوج ومأجوج ثابت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة"[٢].

٢ - عدم اعتباره خلاف الفرق المخالفة خارقاً للإجماع، وعدم اعتداده بقولهم:

قال الشيخ مرعي: "نزول عيسى عليه السلام ثابت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة...

وأما الإجماع فقد أجمعت الأمة على نزوله، ولم يخالف فيه أحد من أهل الشريعة، وإنما أنكر ذلك الفلاسفة والملاحدة.

وأجمعوا على أنه متبع لهذه الشريعة المحمدية وليس بصاحب شريعة مستقلة عند نزوله من السماء..."[٣].

وقال أيضاً: "الصحيح عند أهل السنة والجماعة، أن المراد بالميزان: الميزان الحقيقي، لا أن المراد بالميزان: مجرد العدل... وإلى ذلك ذهبت المعتزلة[٤]..."[٥].

---

(١) جة الناظرين وآيات المستدلين (ص٥٢٧).

(٢) المصدر السابق (ص٥٣٧).

(٣) المصدر السابق (ص٥٢٧-٥٢٨).

(٤) المعتزلة: هي إحدى الفرق المنحرفة ، مؤسسها واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد، سموا معتزلة لاعتزالهم مجلس الحسن البصري، وقيل لاعتزالهم منهج أهل السنة والجماعة، وقيل غير ذلك، من عقائدهم إثبات الأسماء وإنكار الصفات، ومنها أن صاحب الكبيرة في م لة بين المنــزلتين في الدنيا، وفي الآخرة خالد مخلد في النار.
انظر: الفرق بين الفرق (ص١١٢)، البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان (ص٤٩)، وللاستزادة: المعتزلة وأصولهم الخمسة.

(٥) تحقيق البرهان في إثبات حقيقة الميزان (ص٢٤)، وانظر: جة الناظرين وآيات المستدلين (ص٦٥٠).

رابعاً: العقل:

العقل يعده أهل السنة والجماعة تابعاً للشرع لا مستقلا.

"... والعقل شرط في معرفة العلوم، وكمال وصلاح الأعمال، وبه يكمل العلم والعمل، لكنه ليس مستقلاً بذلك"[1].

وبالنظر في تقريرات الشيخ مرعي في المسائل يتضح منهجه في الاستدلال بالعقل، وفيما يلي بيان ذلك:

١ - جمعه بن الأدلة النقلية والعقلية:

وقد استدل الشيخ مرعي بالدليل النقلي والعقلي على من احتج بالقدر على فعل المعاصي فقال: "أصل الاحتجاج بالقدر هو قول المشركين كما حكى الله عنهم: ﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖۚ ﴾[2]، فإن هؤلاء المشركين يعلمون بفطر م وعقولهم أن هذه الحجة داحضة باطلة فإن أحدهم لو ظلم الآخر في ماله أو فجر بامرأته أو قتل ولده أو كان مصراً على الظلم فنهوه عن فعل ذلك فقال: لو شاء الله لم أفعل هذا، لم يقبلوا منه هذه الحجة ولا هو يقبلها من غيره وإنما يحتج به المحتج رفعاً للّوم بلا وجه...

ومن المستقر في فطر الناس وعقولهم، أنه من طُلب منه فعل من الأفعال الاختيارية، لم يكن له أن يحتج بمثل هذا، ومن طَلب دْيناً له على آخر، لم يكن له أن يقول لا أعطيك حتى يخلق الله فيّ الإعطاء، أو يقدره لي..." [3].

٢ - تقديمه الأدلة النقلية على الأدلة العقلية:

وقال وهو يستدل على فضل العرب على العجم: "والدليل على فضل العرب من

---

(١) مجموع الفتاوى (٣/٣٣٨).

(٢) سورة الأنعام، الآية: (١٤٨).

(٣) دفع الشبهة والغرر عمن يحتج على فعل المعاصي بالقدر (ص٨٧)، وانظر: إرشاد ذوي العرفان لما للعمر مـن الزيادة والنقصان (ص٥٣)، أقاويل الثقات (ص٥٩).

وجهين، من المنقول والمعقول"[1].

٣ - عدم اعتباره بالأدلة العقلية إذا لم تستند إلى الأدلة النقلية:

قال الشيخ مرعي وهو يتكلم عن الصفات: "والعقل – في هذا – بمجرده لا اعتبار به ما لم يستند إلى النقل الصريح"[2].

وقال: "واتفق الجميع على أن تحكم العقل والرأي بلا مستند شرعي، باطل"[3].

---

(١) مسبوك الذهب في فضل العرب وشرف العلم على شرف النسب (ص٣٥).

(٢) أقاويل الثقات (ص١٠٥).

(٣) تحقيق البرهان في شأن الدخان الذي يشربه الناس الآن (ص١٢٣).

الفصل الثالث

منهجه في الرد على المخالفين

الفصل الثالث

منهجه في الرد على المخالفين

لما كان من سنة الله سبحانه وتعالى الصراع بين الحق والباطل، وكان من حكمته تعالى الحذر والتحذير من سلوك الطرق ا ـانبة لطريق الحق كثرت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية في ذلك مرغبة في سلوك سبيل الحق، ومحذرة من سلوك طريق الضلال.

فمن هذه الآيات قوله سبحانه وتعالى: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾[1].

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي[2] – رحمه الله –: "﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾ أي: دلنا وأرشدنا، ووفقنا إلى الصراط المستقيم، وهو الطريق الواضح الموصل إلى الله، وإلى جنته، وهو معرفة الحق والعمل به، فاهدنا إلى الصراط واهدنا في الصراط، فالهداية إلى الصراط، لزوم دين الإسلام، وترك ما سواه من الأديان، والهداية في الصراط تشمل الهداية لجميع التفاصيل الدينية علماً وعملاً...

وهذا الصراط المستقيم هو: ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴾ من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، ﴿ غَيۡرِ ﴾ صراط ﴿ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ ﴾ الذين عرفوا الحق

---

(١) سورة الفاتحة، الآيات: (٦ – ٧) .

(٢) عبد الرحمن بن ناصر بن عبدالله آل سعدي ، علامة القصيم، له تصانيف منها : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، المختارات الجليلة ، توفي سنة ١٣٧٦هـ .

انظر : الأعلام (٣ / ٣٤٠) ، علماء نجد (٢ / ٤٢٢) ، علماء آل سليم (٢ / ٢٩٥) .

وتركوه كاليهود[1] ونحوهم، ﴿ وَلَا ﴾ صراط ﴿ ٱلضَّآلِّينَ ﴾ الذين تركوا الحق على جهل وضلال كالنصارى[2] ونحوهم"[3].

وقال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾[4].

قال ابن القيم[5] – رحمه الله – أثناء كلامه عن هذه الآية:

"والله تعالى قد بين في كتابه سبيل المؤمنين مفصلة، وسبيل ا رمين مفصلة، وعاقبة هؤلاء مفصلة، وعاقبة هؤلاء مفصلة، وأعمال هؤلاء وأعمال هؤلاء...

وكل ما خالف الرسول فهو من الجهل، فمن لم يعرف سبيل ا رمين ولم تستبن له أوشك أن يظن في بعض سبيلهم أ ا من سبيل المؤمنين، كما وقع في هذه الأمة من أمور كثيرة في باب الاعتقاد والعلم والعمل هي من سبيل ا رمين والكفار وأعداء الرسل أدخلها من لم يعرف أ ا من سبيلهم في سبيل المؤمنين، ودعا إليها وكفر من خالفها، واستحل منه ما حرمه الله ورسوله، كما وقع لأكثر أهل البدع...

والناس في هذا الموضع أربع فرق:

---

(١) اليهود: هم أمة موسى عليه السلام يقرون بنبوة موسى وهارون، وكتا م التوراة، ويزعم اليهود أن الشريعة لا تكون إلا واحدة، وأنه لا يجوز النسخ في الشرائع، لأن ذلك يلزم منه البداء على الله، لذا يقولون: إن الشريعة ختمت بموسى، فلا يجوز أن تكون شريعة أخرى، وقد وصفوا الله بصفات يتنـزه عنها، وشبهوه بخلقه مـن التعب والإعياء،...تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، وهم فرق شتى، منها: العنانية، والعيسوية، والسامره .
انظر: الملل والنحل (٢٥٠/٢)، البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان (ص٨٨).

(٢) النصارى: هم أمة المسيح عيسى بن مريم – عليهما السلام – بعث إليهم بعد موسى، وقد غلوا في عيسى حتى زعموا أنه ثالث ثلاثة، وأنه ابن الله، وكتا م الإنجيل.
وهم فرق شتى منها: الملكانية، واليعقوبية، والنسطورية، والفريسيون.
انظر: الملل والنحل (٢٦٢/٢)، البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان (ص٩١)، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص٨٤).

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص٢١).

(٤) سورة الأنعام، الآية: (٥٥).

(٥) هو محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرْعي، الدمشقي، أبو عبد الله، شمس الدين، المعروف بـابن القـيم الجوزية، تتلمذ على يد شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله – له مصنفات كثيرة منها: الصـواعق المرسـلة، إغاثة اللهفان، توفي سنة ٧٥١هـ.
انظر: شذرات الذهب (١٦٨/٦)، الدرر الكامنة (٢٤٢/٣).

الأولى: من استبان له سبيل المؤمنين وسبيل ا ـرمين على التفصيل علماً وعملاً، وهؤلاء أعلم الخلق.

الفرقة الثانية: من عميت عنه السبيلان من أشباه الأنعام، وهؤلاء بسبيل ا ـرمين أحضر، ولها أسلك.

الفرقة الثالثة: من صرف عنايته إلى معرفة سبيل المؤمنين دون ضدها، فهو يعرف ضدها من حيث الجملة والمخالفة، وأن كل ما خالف سبيل المؤمنين فهو باطل وإن لم يتصوره على التفصيل، بل إذا سمع شيئاً مما خالف سبيل المؤمنين صرف سمعه عنه ولم يشغل نفسه بفهمه ومعرفة وجه بطلانه، وهو بمنـزلة من سلمت نفسه من إرادة الشهوات فلم تخطر بقلبه ولم تدْعه إليها نفسه، بخلاف الفرقة الأولى فإ م يعرفو ا وتميل إليها نفوسهم ويجاهدو ا على تركها لله...

الفرقة الرابعة: فرقة عرفت سبيل الشر والبدع والكفر مفصلة، وسبيل المؤمنين مجملة، وهذا حال كثير ممن اعتنى بمقالات الأمم ومقالات أهل البدع، فعرفها على التفصيل ولم يعرف ما جاء به الرسول كذلك، بل عرفه معرفةً مجملةً وإن تفصلت له في بعض الأشياء، ومن تأمل كُتبهم رأى ذلك عياناً، وكذلك من كان عارفاً بطُرق الشر والظلم والفساد على التفصيل سالكاً لها إذا تاب ورجع عنها إلى سبيل الأبرار يكون علمه ا مجملاً، غير عارف ا على التفصيل معرفة من أفنى عمره في تصرفها وسلوكها"[(١)].

ومن الأحاديث قوله صلى الله عليه وسلم: **"لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه"**[(٢)].

إن الفرق التي سلكت طريق أهل الضلال قد شوهت معتقد أهل السنة والجماعة، فمنهم من نفى الصفات وعطلها بزعم التنـزيه ونفي التشبيه، ومنهم من أسقط التكاليف الشرعية، ومنهم من أوصل بعض أئمتهم إلى مرتبة الألوهية.

---

(١) الفوائد (ص١٦٠).

(٢) أخرجه البخاري كتاب الأنبياء – باب ما ذكر عن بني إسرائيل، (ح٣٤٥٦)، (ص٢٨٢)، ومسلم في كتاب العلم – باب اتباع سنن اليهود والنصارى، (ح٦)، (ص١١٤٢).

ولاشك أن كل ذلك هو نتيجة مجانبة سلوك طريق الخير واتباع الأهواء، ولما كان أهل السنة والجماعة هم أهل الصراط المستقيم، حفظ الله سبحانه وتعالى معتقدهم، بل ووقف علماؤهم سداً منيعاً أمام أهل الأهواء فبينوا فساد أقوال تلك الفرق المجانبة للكتاب والسنة.

وكان من أولئك العلماء الشيخ مرعي – رحمه الله – فقد كان له نصيب في الرد على من خالف الكتاب والسنة.

ويمكن بيان مسلكه في رده على المخالفين بما يلي:

١ - تصنيفه كتب مستقلة في الرد على المخالفين:

فقد ألف الشيخ مرعي كتابه "شفاء الصدور في زيارة المشاهد والقبور"، وكان الدافع له ما كان يعيشه مجتمعه من بدع عند القبور والأضرحة والمشاهد سواء من قِبل السلاطين والولاة، أو من قِبل بعض العلماء وعوام الناس.

ومما قاله الشيخ مرعي في مقدمة كتابه: "فقد أحببت أن أضع بعض فوائد لطيفة، وأجمع فوائد شريفة تتعلق بزيارة المشاهد والقبور، وبيان ما هو جائز من ذلك والمحظور، بحيث تكون شفاء لما في الصدور، وأشير إلى بعض بدع قد ارتكبت في الزيارة والزوار، مستدلاً على ذمها والنهي عنها بالحديث والآثار...

واعلم أن البدع في هذا الزمان صارت مألوفة والسنن بينهم غير معروفة... هذا وقد صارت البدع لا تنكر، والسنن لا تذكر، وصار كثير ممن ينتسب للعلم يحمل الناس على الهوى والأوزار، وأعرض كثير من علماء العصر الذين لهم القدرة عما وجب عليهم من الإنكار"[(١)].

وأيضاً ألف كتابه "دفع الشبهة والغرر عمن يحتج على فعل المعاصي بالقدر"، في رده على من احتج على فعل المعاصي بالقدر.

فقال في مقدمة كتابه: "فقد وقعت مذاكرة في بعض مسائل القدر في بعض المجالس، فذكر لي أن بعض متصوفة الفقراء الذين وقعوا في الإباحة والآثام، وطووا بساط الشرع ورفعوا قواعد الأحكام، وسووا بعقولهم بين الحلال والحرام، كان لا يصوم ولا يصلي منهمكاً على المحرمات كالخمور ونحوها من اللذات، فاعترض عليه في ذلك، فأجاب بما

---

(١) شفاء الصدور في زيارة المشاهد والقبور (ص١٤٣-١٤٨).

مضمونه أنه قد رفعت الأقلام وجفت الصحف وأن هذا مقدر علي وأنا لا أقدر على دفع ما قدره الله علي...

وقد أحببت أن أذكر في الجواب ما يفتح به الفتاح الوهاب وسميته: "دفع الشبهة والغرر عمن يحتج على فعل المعاصي بالقدر"[١].

٢ - رده على المخالفين بالكتاب والسنة والإجماع:

كقوله: "اعلم وفقك الله تعالى أن مذهب أهل الحق، أن الله تعالى قدر مقادير الخلق، وما يكون من الأشياء قبل أن تكون في الأزل، وعلم سبحانه أ ا ستقع في أوقات معلومة، عنده سبحانه، على صفات مخصوصة، فهي تقع على حسب ما قدرها.

وخالفت القدرية في ذلك، ومن ذهب إلى مذهبهم، فقالوا:

إنه سبحانه لم يقدر الأشياء، ولم يتقدم علمه ا، وإ ا مستأنفة العلم، أي: يعلمها سبحانه، بعد وقوعها.

وكذبوا على الله في قولهم ومذهبهم.

وهو مذهب باطل بالكتاب والسنة وإجماع الأمة"[٢].

٣ - رده على المخالفين بالشعر:

كقوله عن بعض ملاحدة الصوفية الذين يقولون بالحلول: "ويقولون أيضاً:

وما أنت غير الكون بل أنت عينـه ويفهم هذا السر مـن هـو ذائـق

فرد بقوله:

وما أنت عين الكون بل أنت غـيره ويفهم هذا القول من هو مسـلم"[٣]

٤ - سوقه أقوال السلف – رحمهم الله – في الرد على المخالفين:

كقوله: "وكره الإمام مالك إمام دار الهجرة وغيره من أهل العلم لأهل المدينة كلما دخل أحدهم المسجد الشريف أن يجيء فيسلم على قبر النبي صلى الله عليه وسلم

---

(١) دفع الشبهة والغرر عمن يحتج على فعل المعاصي بالقدر (ص٥٧).

(٢) إرشاد ذوي العرفان لما للعمر من الزيادة والنقصان (ص٢٦)، وانظر: جـة النـاظرين وآيـات المسـتدلين (ص١٣٤).

(٣) أقاويل الثقات (ص١٠٩).

وصاحبيه، قال: وإنما يكون ذلك لأحدهم إذا قدم من سفر أو أراد سفراً ونحو ذلك"[1].

٥ - تحذيره من مخالفة النصوص واتباع الآراء الباطلة:

كقوله: "فعليك وفقك الله باتباع ما قام عليه الدليل، وإياك وزخرف الأقاويل واتباع الأباطيل، والزم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإن أنكر عليك من أنكر، أو أبى قبوله الجاهل واستكبر، واحرص على التمسك بالسنة باطناً وظاهراً في خاصتك وخاصة من يطيعك، واعرف المعروف وأنكر المنكر وادع الناس إلى السنة بحسب الإمكان"[2].

وقال أيضاً: "فانظر رحمك الله إلى السلف وطريقتهم فكن على مثل ما عليه كانوا تربح، وإياك ومحدثات الأمور المخالفة لطريقتهم، فإنك إن ركبتها تضل وتخسر، ولا تغتر بما غلب على الطباع وألفته العادات الفاسدات، وإياك وموافقة أرباب الجهالة تقع في الضلالة"[3].

٦ - التبرؤ من أقوال المخالفين وبيان شناعة مذهبهم:

قال الشيخ مرعي: "اعلم أيدك الله أن كثيراً ممن ينتسب إلى التصوف قد صدرت منهم مقالات شنيعة، واعتقادات فظيعة، في هذا الزمان وقبل هذا الزمان، فمنهم من يقول: إن الله تعالى يحل في قلب العارف ويتكلم بلسانه كما يتكلم الجني على لسان المصروع..."[4].

وقال: "ومن العجب أني اجتمعت بأكابر محققي بعض المتصوفة، فحصلت المذاكرة، فطعن في الفقهاء والمتكلمين وقال: إ م يحرفون معاني كلام الله، ويخرجون كلام الله عن مراد الله، بحسب عقولهم، فقلت له: وكيف تقرأ قوله تعالى: ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ ﴾ إلى قوله: ﴿ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ ﴾[5] فقال: هي معية ذات، لا معية

(١) شفاء الصدور في زيارة المشاهد والقبور (ص٢٠٣).
(٢) المصدر السابق (ص١٤٥).
(٣) المصدر السابق (ص٢٧٨).
(٤) دفع الشبهة والغرر عمن يحتج على فعل المعاصي بالقدر (ص٦١).
(٥) سورة ا ادلة، الآية: (٧).

علم كما يقولون، ويدل لذلك قوله تعالى: ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴾[١]، فلو كانت معية علم، لما صح أن يقول: ولكن لا تبصرون، لأن العلم لا يبصر، وإنما تبصر الذوات، فتعجبت من مقالته وتصميمه عليها، وغفلته عن كلام الأئمة المحققين من الفقهاء والمفسرين فنسأل الله تعالى العافية والسلامة في الدين"[٢].

(١) سورة الواقعة، الآية: (٨٥).

(٢) أقاويل الثقات (ص١٠١).

الباب الثاني

آراؤه في التوحيد

وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول : آراؤه في توحيد الربوبية .

الفصل الثاني : آراؤه في توحيد الألوهية .

الفصل الثالث : آراؤه في توحيد الأسماء والصفات .

الفصل الأول

آراؤه في توحيد الربوبية

الفصل الأول

آراؤه في توحيد الربوبية

وفيه تمهيد ومبحثان :

- تمهيد في تعريف توحيد الربوبية .

المبحث الأول : الاستدلال على وجود الله .

المبحث الثاني : حكم إيمان المقلد .

الفصل الأول

آراؤه في توحيد الربوبية

تمهيد في تعريف توحيد الربوبية

قبل أن أعرف توحيد الربوبية أعرف أولاً التوحيد :

التوحيد لغـة :

مصدر وحد يوحد توحيداً أي جعله واحداً.

قال ابن فارس: "الواو والحاء والدال أصل واحد، يدل على الانفراد من ذلك الوحـدة، وهو واحد قبيلته، إذا لم يكن فيهم مثله"[(١)].

وقال الراغب الأصفهاني[(٢)]: "الوحدة الانفراد، والوحود في الحقيقة هو الشيء الـذي لا جزء له البتة، ثم يطلق على كل موجود حتى أنه ما من عدد إلا ويصح أنه يوصف به، فيقال عشرة واحدة، ومائة واحدة، والست واحد.

وقال: واحد مطلقاً لا يوصف به غير الله تعالى"[(٣)].

هذه هي أقوال بعض أهل اللغة التي تبين المعنى اللغوي لكلمة التوحيد.

ونخلص منها إلى أن المعنى يدور حول شيء واحد ألا وهو الوحدة والانفراد بالشيء، والله سبحانه واحد في ذاته وصفاته وأفعاله لا شريك ولا مثيل ولا ند له في ذلك كمـا قال

---

(١) معجم مقاييس اللغة (ص١٠٤٥).

(٢) هو الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الأصبهاني، المعروف بالراغب، اشتهر في عصره وكان من المتكلمين، له تصانيف منها: المفردات في غريب القرآن، توفي سنة ٥٠٢هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء (١٢٠/١٨)، الأعلام (٢٥٥/٢).

(٣) المفردات (ص٥١٤).

سبحانه: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾[١].

التوحيد شـرعاً :

مما سبق في التعريف اللغوي يتبين لنا أن الله سبحانه وتعالى واحد في ذاته وأسمائه وصفاته، وربوبيته وألوهيته.

فعلى هذا فالتوحيد هو: إفراد الله – تعالى – بما يختص به من الربوبية والألوهية والأسماء والصفات[٢].

قال الشيخ سليمان بن عبد الله[٣]- رحمه الله -: "سمي دين الإسلام توحيداً، لأن مبناه على أن الله واحد في ملكه وأفعاله لا شريك له، وواحد في ذاته وصفاته لا نظير له، وواحد في ألوهيته وعبادته لا ند له"[٤].

وقال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي - رحمه الله – في تعريف التوحيد: "العلم والاعتراف بتفرد الرب بصفات الكمال، والإقرار بتوحده بصفات العظمة والجلال، وإفراده وحده بالعبادة"[٥].

وقد دلّت الآيات الكثيرة في القرآن الكريم على هذه المعاني كلها، فقد دل قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ

---

(١) سورة الإخلاص.

(٢) انظر: لوامع الأنوار البهية (٥٧/١).

(٣) هو سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب الفقيه المحدث، من أئمة الدعوة، له تصانيف منها: تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد، قتل سنة ١٢٣٣هـ.
انظر: الأعلام (١٢٩/٣)، علماء نجد (٢٩٣/١).

(٤) تيسير العزيز الحميد (ص٢٦).

(٥) القول السديد في مقاصد التوحيد (ص١٣).

مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيۡءٖۚ ﴾[1]، على أن الله سبحانه وتعالى هو المنفرد بالخلق والرزق والإماتة والإحياء دون سواه ، فلا يتوجه إلى أحد سواه ، في جلب نفع أو دفع ضر، لأن من سوى الله عاجز عن فعل شيء من ذلك.

قال ابن كثير[2]- رحمه الله – في تفسير هذه الآية: "أي لا يقدر أحد منهم على فعل شيء من ذلك، بل الله سبحانه وتعالى هو المستقل بالخلق والرزق والإحياء والإماتة"[3].

ودلّ قوله تعالى: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴾[4] على إفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة وحده دون سواه.

قال ابن جرير الطبري[5]- رحمه الله – في تفسيره لهذه الآية: "قل يا محمد لأهل الكتاب، وهم أهل التوراة والإنجيل، تعالوا: هلموا إلى كلمة سواء، يعني إلى كلمة عدل بيننا وبينكم، بالكلمة العدل: هي أن نوحد الله فلا نعبد غيره، ونبرأ من كل معبود سواه فلا نشرك به شيئاً..."[6].

ودلّ قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ

---

(١) سورة الروم، الآية: (٤٠).

(٢) هو إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير القيسي، الدمشقي، عماد الدين، أبو الفداء، فقيه مفسر مؤرخ، له تصانيف منها: تفسير القرآن العظيم، البداية والنهاية، توفي سنة ٧٧٤.
انظر: الدرر الكامنة (١٠٢/١)، البدر الطالع (١٠٢/١)، الأعلام (٣٢٠/١).

(٣) تفسير القرآن العظيم (٤٧٩/٣).

(٤) سورة آل عمران، الآية: (٦٤).

(5) هو أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري، مفسر مؤرخ فقيه، له تصانيف منها: جـامع البيـان في تأويل آي القرآن، تاريخ الأمم والملوك، توفي سنة ٣١٠هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء (٢٦٧/١٤)، الأعلام (٦٩/٦).

(٦) جامع البيان في تأويل آي القرآن (٢٩٩/٣).

ﭐلۡمُهَيۡمِنُ ﭐلۡعَزِيزُ ﭐلۡجَبَّارُ ﭐلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ﭐللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ﭐللَّهُ ﭐلۡخَٰلِقُ ﭐلۡبَارِئُ ﭐلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ﭐلۡأَسۡمَآءُ ﭐلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ﭐلسَّمَٰوَٰتِ وَﭐلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ﭐلۡعَزِيزُ ﭐلۡحَكِيمُ ﴾[1] على تفرد الرب بذاته وأسمائه وصفاته فلا ند ولا نظير ولا شبيه ولا مثيل له فيها سبحانه، والآيات في القرآن الكريم الدالة على هذه المعاني التي أشرت إليها كثيرة، وسيأتي مزيد إيضاح لها إن شاء الله أثناء البحث.

تعريف توحيد الربوبية

الربوبيـة :

مصدر رب يُرب ربابةً ورُبوبية[2].

يقول ابن فارس: "الراء والباء يدل على أصول:

فالأول: إصلاح الشيء والقيام عليه ...

الآخر: لزوم الشيء والإقامة عليه ...

الثالث: ضم الشيء للشيء.

ومتى أمعن النظر كان الباب كله قياساً واحداً"[3].

"والرب يطلق في اللغة على المالك، والسيد، والمدبر، والمربي، والقيم، والمنعم"[4].

وجميع هذه المعاني ترجع إلى ثلاثة هي: المالك، والسيد، والمصلح وقد أشار إلى ذلك ابن الأنباري[5] حيث قال: "الرب ينقسم إلى ثلاثة أقسام: يكون الرب المالك، ويكون الرب

---

(١) سورة الحشر، الآيات: (٢٢، ٢٣، ٢٤).

(٢) انظر: اشتقاق أسماء الله تعالى (ص٣٢).

(٣) انظر: معجم مقاييس اللغة (ص٣٧٨).

(٤) لسان العرب (٣٩٩/١)، وانظر: القاموس المحيط (ص١١١).

(٥) هو محمد بن القاسم بن بشار، أبو بكر، المشهور بابن الأنباري، إمام مقرئ، ولغوي متفنن، من مؤلفاته: الزاهـر في اللغة، غريب الحديث، توفي سنة ٣٢٨هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء (٢٧٤/١٥)، شذرات الذهب (٣١٥/٢).

السيد المطاع... ويكون الرب المصلح"[١].

ويطلق الرب في الشرع ويراد به عين معناه في اللغة.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله -: "الرب سبحانه: هو المالك، المدبر، المعطي، المانع، الضار، النافع، الخافض، الرافع، المعز، المذل"[٢].

ويقول العلامة ابن القيم – رحمه الله -: "الرب هو السيد، والمالك، والمنعم، والمربي، والمصلح، والله هو الرب بهذه الاعتبارات كلها"[٣].

وقد عرف الشيخ مرعي – رحمه الله – توحيد الربوبية فقال: "هو أن الله رب كل شيء وخالقه"[٤].

كما بين أنّ هذا التوحيد كان يقر به المشركون فقال: "وهذا التوحيد كان يقر به المشركون الذين قال الله عنهم: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾[٥]"[٦].

وهذا المعنى الذي أشار إليه الشيخ مرعي عند تعريفه لتوحيد الربوبية هو الذي قرره أهل العلم.

وبناء على ما سبق فالمراد بتوحيد الربوبية:

هو إفراد الله تعالى بالخلق والملك[٧].

وإفراده سبحانه بالخلق يراد به: الإقرار والاعتراف بأنه تعالى وحده خالق كل شيء، لا شريك له في ذلك، قال تعالى: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾[٨].

---

(١) انظر: لسان العرب (١/٤٠٠-٤٠١).

(٢) مجموع الفتاوى (١/٩٢).

(٣) بدائع الفوائد (٤/١٣٢).

(٤) دفع الشبهة والغرر عمن يحتج على فعل المعاصي بالقدر (ص١٤١).

(٥) سورة لقمان، الآية: (٢٥).

(٦) دفع الشبهة والغرر (ص١٤١).

(٧) انظر: مجموع الفتاوى (١٠/٣٣١)، مدارج السالكين (١/٤٩)، لوامع الأنوار البهية (١/١٢٨-١٢٩)، شرح النونية لابن عيسى (٢/٢٦٩)، القول المفيد (١/٥).

(٨) سورة الأعراف، الآية: (٥٤).

وإفراده سبحانه بالملك يراد به أمران متلازمان:

الأول: الاعتراف بأنه تعالى المالك للكون أجمع بما فيه لا شريك له في ملكه، قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[1].

والثاني: أنه المدبر له والمتصرف فيه بما شاء لا شريك له في ذلك، قال تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾[2][3].

(١) سورة آل عمران، الآية: (١٨٩).

(٢) سورة يونس، الآية: (٣١).

(٣) انظر: القول المفيد (١/٥-٧)، وفتاوى ابن عثيمين (١/١٨-١٩).

المبحث الأول

الاستدلال على وجود الله

تبين لي من خلال التتبع لما ذكره الشيخ مرعي – رحمه الله – من استدلال على هذه القضية أنه يركز على طريقة القرآن الكريم وهي النظر في المخلوقات بنوعيها: الأفقية والنفسية، ويذكر أيضاً طريقة المتكلمين وهي طريقة الحدوث على أ ا طريقة صحيحة.

إذاً فالطرق التي سلكها الشيخ في الاستدلال على وجود الله تنحصر في طريقتين:

- طريقة النظر في المخلوقات.
- طريقة الحدوث.

الطريقة الأولى:

طريقة النظر في المخلوقات

وهذا النظر إما يتعلق بالكون وما فيه من مخلوقات وهو ما يسمى بدلائل الآفاق، وإما يتعلق بالإنسان نفسه وهو ما يسمى بدلائل الأنفس.

١ - النظر في الكون:

اهتم الشيخ مرعي – رحمه الله – ذه الطريقة فقد تكلم في معظم كتابه " جة الناظرين وآيات المستدلين" عليها .

وقد اشتمل هذا الكتاب على الاستدلال بالعالم العلوي وما فيه من مخلوقات عظيمة من سماوات[(١)]، وملائكة[(٢)]، وعرش[(٣)]، وكرسي[(٤)]، وشمس[(٥)]، وقمر[(٦)]،

---

(١) جة الناظرين وآيات المستدلين (ص١٧٢).
(٢) المصدر السابق (ص٢٠٢).
(٣) المصدر السابق (ص١٤٠).
(٤) المصدر السابق (ص١٥٣).
(٥) المصدر السابق (ص١٨٦).
(٦) المصدر السابق (ص١٩٤).

وكواكب[١]، ومطر[٢]، وسحاب[٣]، وبرق ورعد[٤]، ورياح[٥]، وغيرها، وبالعالم السفلي وما فيه من مخلوقات عظيمة من إنس وجن[٦]، وأرضين[٧]، وجبال[٨]، وبحار[٩]، وأ ار[١٠]، وأ ار[١٠]، وغيرها على وجود الله سبحانه وتعالى، وإثبات وحدانيته وربوبيته وألوهيته وعظمته وقدرته.

وبين – رحمه الله – الغاية من الكلام عن العالم العلوي والسفلي فقال: "اعلم أن من أجلّ العلم في القدر والشأن، وأعظمها في السر والبرهان، علم النظر والاستدلال والتفكر في قدرة الكبير المتعال، فبالنظر في مصنوعات الصانع يستدل عليه، والنظر في عجائب الملكوت يرشد إليه، فالناظر يطلع على الأسرار الإلهية والبدائع الربانية"[١١].

وقال أيضاً: "ونشهد بالربوبية لخالق الأرض والسماء، ومسخر السحاب ليحمل الماء، ومرسل الرياح لواقح للمزن والشجر والنبات والقوت"[١٢].

وقال أيضاً عند حديثه عن مناسبة آية ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ ﴾[١٣] لما قبلها: "أن الله سبحانه وتعالى مدح المؤمنين من أول السورة على قوله (المفلحون)، وذم الكافرين في آيتين، ثم ذم المنافقين في ثلاث عشرة آية، ثم لّما مدح المؤمنين وذم الكافرين والمنافقين، كأنه قيل هذا المدح والذم لا يستقيمان إلا بتقديم الدلائل على

---

(١) المصدر السابق (ص١٩٨).
(٢) المصدر السابق (ص٢١٩).
(٣) المصدر السابق (ص٢٢٤).
(٤) المصدر السابق (ص٢٢٧).
(٥) المصدر السابق (ص٢٣٣).
(٦) المصدر السابق (ص٢٨٩).
(٧) المصدر السابق (٢٤٥).
(٨) المصدر السابق (٢٥٤).
(٩) المصدر السابق (٢٦٣).
(١٠) المصدر السابق (ص٢٨١).
(١١) المصدر السابق (ص٧٨).
(١٢) المصدر السابق (ص٧٨).
(١٣) سورة البقرة، الآية: (٢٥).

إثبات التوحيد والنبوة والمعاد، فبدأ أولاً بإثبات الصانع وتوحيده، وبين ذلك بخمس مراتب من الدلائل"[١].

فذكر المرتبة الأولى والثانية وهي خاصة بالنظر في الأنفس، ثم قال: "ثم مرتبة ثالثة وهي معرفة الإنسان بأحوال الأرض التي هي مسكن الخلائق فإ ا مختلفة الأجزاء كما قال تعالى: ﴿ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ قِطَعٞ مُّتَجَٰوِرَٰتٞ ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلۡجِبَالِ جُدَدُۢ بِيضٞ وَحُمۡرٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٞ ﴾[٣]، ثم مرتبة رابعة وهي العلم بأحوال الأفلاك فإن بعضها يخالف البعض في العلو والسفل والصغر والكبر والبطء والسرعة وغير ذلك.

ثم مرتبة خامسة وهي الأحوال المنـزلة من السماء إلى الأرض وهي نزول القطر من صلب السماء ووقوعه في رحم الأرض، ثم بعد ذلك يحدث في الأرض الواحدة أنواع من النبات بحيث يخالف كل واحد منها صاحبه في اللون والشكل والطعم والطبع والخاصية وليس ذلك إلا بفعل قادر مختار يفعل بالعلم والقدرة"[٤].

٢ - النظر في الأنفس :

بين الشيخ مرعي – رحمه الله – عند حديثه عن مناسبة آية ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾[٥] لما قبلها، أن مدح المؤمنين وذم الكافرين والمنافقين لا يستقيم إلا بتقديم الدلائل على إثبات الصانع، وذلك بخمس مراتب عنده، فذكر المرتبة الأولى والثانية وهي خاصة بالنظر في الأنفس.

فقال – رحمه الله -: "أولها أنه استدل على التوحيد بأنفسهم وإليه الإشارة بقوله:

---

(١) الكلمات البينات في قوله تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾، بحث منشور في مجلة الأحمدية، تحقيق د. عبد الحكيم الأنيس، العدد السادس (ص٣٩).

(٢) سورة الرعد، الآية: (٤).

(٣) سورة فاطر، الآية: (٢٧).

(٤) الكلمات البينات، (ص٣٩).

(٥) سورة البقرة، الآية: (٢٥).

﴿ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ ﴾[1]، ثانيها بأحوال آبائهم وأجدادهم وإليه الإشارة بقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ ﴾[2]"[3].

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ ﴾[4]: "فجعل استدلال كل عاقل بنفسه مقدماً على جميع الاستدلالات، لأن اطلاع كل أحد على أحوال نفسه أتم من اطلاعه على أحوال غيره، فيجد بالضرورة من نفسه أنه تارة يكون مريضاً، وتارة صحيحاً، وتارة ملتذاً، وتارة متألماً، وتارة شاباً، وتارة شيخاً، والانتقال من بعض هذه الصفات إلى غيرها ليس باختياره ولا باختيار أحد، وأيضاً كثيراً ما يجتهد في طلب شيء فلا يجده، وكثيراً ما يكون غافلاً عنه فيحصل، وعند ذلك يعلم كل أحد أنه لابد له من مدبر يكون تدبيره فوق تدبير البشر"[5].

دراســة رأيه :

إن هذه الطريقة التي سلكها الشيخ مرعي – رحمه الله – في الاستدلال على وجود الله، أعني النظر في المخلوقات سواء ما يتعلق بالكون وهو ما يسمى بدلائل الآفاق، أو ما يتعلق بالإنسان نفسه، وهو ما يسمى بدلائل الأنفس، هي طريقة عقلية شرعية في نفس الوقت، والاستدلال بمثل هذا النوع من الأدلة هو منهج السلف، إذ من منهجهم قبول كل دليل اتفقت العقول على صحته، وكان شرعياً بمعنى أن الشارع قد أتى به، وأمر الناس أن يستدلوا به.

وبذلك تتضح موافقة الشيخ مرعي – رحمه الله – للسلف في هذا الاستدلال.

---

(١) سورة البقرة، بعض آية (٢١).

(٢) سورة البقرة، بعض آية (٢١).

(٣) الكلمات البينات (ص٣٩).

(٤) سورة البقرة، بعض آية (٢١).

(٥) الكلمات البينات (ص٤٠).

فهذا الإمام ابن منده[1] يعقد فصولاً كثيرة في كتابه التوحيد ذكر تحتها النصوص القرآنية والحديثية وأقوال السلف، للدلالة على وحدانية الله – عز وجل – بدليل خلق السماوات والأرض والشمس والقمر والنجوم والسحاب والرياح والجبال والهواء والماء، وخلق الإنسان وانتقاله من طور النطفة إلى العلقة ثم إلى المضغة ثم العظام ثم إنشائه خلقاً آخر[2].

وقد حثّ علماء أهل السنة والجماعة على النظر في الآيات الكونية والنفسية، لزيادة الإيمان وإزالة الوساوس.

يقول ابن القيم – رحمه الله -: "وإذا تأملت ما دعا الله سبحانه في كتابه عباده إلى الفكر أوقعك على العلم به سبحانه وتعالى وبوحدانيته وصفات كماله ونعوت جلاله، من عموم قدرته وعلمه وكمال حكمته ورحمته وإحسانه وبره ولطفه وعدله ورضاه وثوابه وعقابه، فبهذا تعرف إلى عباده وند م إلى التفكر في آياته"[3].

ويقول أيضاً: "لما كان أقرب الأشياء إلى الإنسان نفسه، دعاه خالقه وبارئه ومصوره وفاطره من ماء إلى التبصر والتفكر في نفسه، فإذا تفكر الإنسان في نفسه، استنارت له آيات الربوبية، وسطعت له أنوار اليقين، واضمحلت عنه غمرات الشك والريب"[4].

وقد بين شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – أن الاستدلال بالمخلوقات على خالقها دليل صحيح، وأنه يجمع بين دلالة الشرع ودلالة العقل فهو دليل شرعي عقلي يقول – رحمه الله -: "الاستدلال على الخالق بخلق الإنسان في غاية الحسن والاستقامة، وهي طريقة عقلية صحيحة، وهي شرعية دل القرآن عليها وهدى الناس إليها، وبينها وأرشد إليها، وهي عقلية، فإن كون الإنسان حادثاً بعد أن لم يكن، ومولوداً ومخلوقاً من نطفة، ثم من علقة، لم

---

(١) هو محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن منده، الأصبهاني، الإمام الحافظ أبو عبد الله، محدث الإسلام، كان من أوسع العلماء رحلة وأكثرهم حديثاً وشيوخاً، له تصانيف منها: التوحيد، الإيمان، توفي سنة ٣٩٥هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء (٢٨/١٧)، الأعلام (٢٩/٦).

(٢) انظر: التوحيد (ص١٠٤-٢٩٩).

(٣) مفتاح دار السعادة (٥/٢).

(٤) التبيان في أقسام القرآن (ص٣٠٣)، وفي هذين الكتابين عدة فصول ومباحث بديعة ومشوقة تتعلق ذا الموضوع يحسن الرجوع إليها.

يعلم بمجرد خبر الرسول، بل هذا يعلم الناس كلهم بعقولهم سواء أخبر به الرسول أو لم يخبر، لكن الرسول أمر أن يستدل به، ودلّ به وبينه واحتج به، فهو دليل شرعي لأنّ الشارع استدلّ به، وأمر أن يستدلّ به، وهو عقلي لأنه بالعقل تعلم صحته"[1].

الطريقة الثانية

طريقة الحدوث

تقدم استدلال الشيخ مرعي – رحمه الله – بطريقة النظر والاستدلال بالآيات وهو موافق لمذهب السلف في هذه الطريقة.

وهنا أعرض طريقة أخرى ضمها الشيخ إلى الطريقة السابقة، وهي طريقة المتكلمين على أ ا صحيحة، وهي ما تسمى بطريقة الحدوث.

وقد اعتمد المتكلمون في الاستدلال على وجود الله سبحانه وتعالى، على أساس حدوث هذا العالم، واحتياجه إلى محدث وهو الله تعالى، لهذا بذلوا جهداً كبيراً في إثبات حدوث العالم، والرد على من قال بقدمه.

ويشرح المتكلمون طريقة الحدوث فيقولون: "بأن العالم مركب من جواهر مفردة وأعراض[2]، وأن الأعراض لا تبقى زمانين متتاليين، وإنما يطرأ عليها التغير والتحول فهي حادثة، والجواهر لا تتعرى من الأعراض التي هي ملازمة لها، وما دامت الجواهر لا تنفك عن الأعراض فهي حادثة بحدوثها، لأن ما لا يخلو من الحوادث فهو حادث، ومادام أن العالم مكوناً من الجواهر والأعراض – وقد ثبت حدوثها – فالعالم حادث، وإذا ثبت أن العالم حادث كان لابد له من محدث وهو الله سبحانه وتعالى"[3].

ويلاحظ أ م يقدمون بكل هذه المقدمات ليدللوا على قضية اعتبرها القرآن الكريم قضية

---

(١) النبوات (ص٩٢).

(٢) الجوهر: هو المتحيز، وهو كل حجم متحيز، والعرض – بفتحتين – هو المعنى القائم بالجواهر كالألوان، والطعوم والروائح والحياة والموت والعلوم والإرادات والقدر القائمة بالجوهر.
انظر: الإرشاد (ص٣٩)، والتعريفات (ص١٠٨).

(٣) انظر: الإنصاف (ص١٦)، والعقيدة النظامية (ص١٦)، والتبصير في الدين (ص١٥٣)، والاقتصاد في الاعتقـاد للغزالي (ص١٩-٢٦).

نظرية في الإنسان.

ولا شك أن هذه الطريقة فيها من الخفاء واللبس والطول ما لا يخفى، فلا تصلح لأن تجعل سبيلاً لتحصيل أشرف المطالب وهو الإيمان بالله.

والشيخ مرعي – رحمه الله – استدل بطريقة الحدوث على وجود الله سبحانه وتعالى، وقد ذكر عند حديثه عن مناسبة آية ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾[(١)] لما قبلها، أن مدح المؤمنين، وذم الكافرين والمنافقين لا يستقيم إلا بتقديم خمسة دلائل على إثبات الصانع، وبعد أن ذكر تلك الدلائل قال: "ولما ذكر تعالى هذه الدلائل الخمسة رتب المطلوب عليها فقال: ﴿ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾[(٢)] فهو مشتمل على إثبات الإله وعلى إثبات كونه واحداً لأن تلك حوادث وكل حادث لابد له من محدث وذلك دليل على وجود الصانع"[(٣)].

وقال أيضاً: "واعلم أن العالم كله محدث، وقد أجمع أهل الحق على حدوثه إذ هو متغير وكل متغير حادث، وقد ثبت بالدلائل القطعية امتناع القول بوجود حوادث لا أول لها"[(٤)].

دراســة رأيه :

مما سبق ذكره يتضح مخالفة الشيخ مرعي – رحمه الله – لما عليه السلف في إبطالهم لهذه الطريقة كلية، والعدول عنها جملة لتحقق فسادها، وسقوط مدلولها، إذ هي طريقة باطلة، لأن من المعلوم بداهة أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لم يستدل بها، ولم يدع

---

(١) سورة البقرة، الآية: (٢٥).

(٢) سورة البقرة، الآية: (٢٢).

(٣) الكلمات البينات (ص٤٠).

(٤) حجة الناظرين وآيات المستدلين (ص١١١).



أحداً من أمته إلى الاستدلال ا على وجود الله سبحانه وتعالى، وقد اعترف كثير من المتكلمين بأ ا ليست طريقة الرسل عليهم السلام، ولا طريقة أتباعهم، وهي طريقة مخالفة للطرق التي دعا إليها الإسلام.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله -: "هذه الطريقة مما يعلم بالاضطرار أن محمداً صلّى الله عليه وسلّم لم يدع الناس ا إلى الإقرار بالخالق ونبوة أنبيائه، ولهذا قد اعترف حذاق أهل الكلام – كالأشعري[1] وغيره – بأ ا ليست طريقة الرسل وأتباعهم، ولا سلف الأمة وأئمتها، وذكر أ ا محرمة عندهم بل المحققون على أ ا طريقة باطلة، وأن مقدماتا فيها تفصيل وتقسيم يمنع ثبوت المدعى ا مطلقاً، ولهذا تجد من اعتمد عليها في أصول دينه فأحد الأمرين تابع له: إما أن يطلع على ضعفها، ويقابل بينها وبين أدلة القائلين بقدم العالم، فتتكافأ عنده الأدلة، أو يرجح هذا تارة وهذا تارة، كما هو حال طوائف منهم، وإما أن يلتزم لأجلها لوازم معلومة الفساد في الشرع والعقل، كما التزم جهم[2] لأجلها فناء الجنة والنار، والتزم لأجلها الهذيل[3] انقطاع حركات أهل الجنة، والتزم قوم لأجلها – وغيره – أن الماء والتراب له طعم ولون وريح وغير ذلك"[4].

---

(١) هو علي بن إسماعيل بن أبي بشر، ينتسب إلى أبي موسى الأشعري صاحب رسول الله صلّى الله عليـه وسـلّم، وكنيته أبو الحسن، كان له ثلاثة أحوال: كان في أولاها معتزلياً، وسلك في الثانية مذهب ابن كلاب، ورجـع أخيراً إلى معتقد السلف، له مصنفات منها: الإبانة، رسالة إلى أهل الثغر. توفي سنة ٣٢٤هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء (٨٥/١٥)، وفيات الأعيان (١٣٥/٢).

(٢) هو جهم بن صفوان، من أهل خراسان، أخذ الكلام عن الجعد بن درهم، قال بفناء الجنة والنار، ونفي الصفات، فهو رأس الجهمية، قتل سنة ١٢٨هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء (٢٦/٦)، ميزان الاعتدال (٤٢٦/١).

(٣) هو محمد بن الهذيل العلاف، شيخ المعتزلة، قال بانقطاع حركات أهل الدارين، وأ م يصيرون إلى سكون دائم، توفي سنة ٢٢٦ وقيل ٢٢٧هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء (٥٤٢/١٠)، الأعلام (١٣١/٧).

(٤) درء تعارض العقل والنقل (٣٩/١).

المبحث الثاني

حكم إيمان المقلد

ذكر الشيخ مرعي – رحمه الله – أنه وقع خلاف بين الأئمة في صحة إيمان المقلد، ورجح صحة إيمانه.

فقال: "وقع بين الأئمة في صحة إيمان المقلد نزاع كثير، وخلاف كبير، والراجح عند المحققين صحة إيمانه"(١).

دراسة رأيه :

التقليد في اللغة: مصدر قَلَّد، يُقَلِّد، تقليداً.

يقول ابن فارس: "القاف واللام والدال أصلان صحيحان، يدل أحدهما على تعليق شيء على شيء وليه به، والآخر على حظ ونصيب.

فالأول: التقليد: تقليد البدنه، وذلك أن يعلق عنقها بشيء ليعلم أ ا هدي ...

والآخر: القلد: الحظ من الماء، سقينا أرضنا قلدها، أي حظها"(٢).

ويطلق التقليد على معان عدة منها: اللزوم، والتعليق، والتحمل(٣).

وأما في الاصطلاح :

أخذ قول الغير من غير معرفة دليله، من حيث إفادته الحكم(٤).

ويتضح من كلام الشيخ مرعي – رحمه الله – في إيمان المقلد، أنه يرى صحة إيمانه، وهذا الرأي الذي اختاره هو مذهب السلف – رحمهم الله -.

---

(١) توضيح البرهان في الفرق بين الإسلام والإيمان، بحث منشور في مجلة الحكمة، تحقيق: د. محمد البريدي، العدد التاسع والعشرون، (ص٥٨٥).

(٢) معجم مقاييس اللغة (ص٨٢٩).

(٣) انظر: تذيب اللغة (٣٠٢٩/٣)، لسان العرب (٣٦٥/٣)، القاموس المحيط (ص٣٩٨).

(٤) انظر: البرهان في أصول الدين (١٣٥٧/٢)، المستصفى (٣٨٧/٢)، شرح الكوكب المنير (٥٢٩/٤).

لأن المطلوب من كل أحد هو التصديق الجازم الذي لا ريب معه بوجود الله سبحانه وتعالى، والإيمان برسله وبما جاءوا به كيفما يحصل، ولو كان عن تقليد محض، لأنه تواتر عن النبي صلّى الله عليه وسلّم ثم الصحابة أ م حكموا بإسلام من أسلم من جفاة العرب، فقبلوا منهم من غير التزام بتعلم الأدلة[1].

يقول ابن تيمية – رحمه الله -: "أما في المسائل الأصولية فكثير من المتكلمين والفقهاء ومن أصحابنا وغيرهم من يوجب النظر والاستدلال على كل أحد حتى على العامة والنساء، حتى يوجبوه في المسائل التي تنازع فيها فضلاء الأمة، قالوا لأن العلم ا واجب، ولا يحصل العلم إلا بالنظر الخاص.

وأما جمهور الأمة فعلى خلاف ذلك، فإن ما وجب علمه إنما يجب على من يقدر على تحصيل العلم، وكثير من الناس عاجز عن العلم ذه الدقائق، فكيف يكلف العلم ا، وأيضاً فالعلم قد يحصل بلا نظر خاص، بل بطرق أخر، من اضطرار وكشف وتقليد من يعلم أنه مصيب وغير ذلك.

وبإزاء هؤلاء قوم من المحدثة والفقهاء والعامة قد يحرمون النظر في دقيق العلم والاستدلال والكلام فيه، حتى ذوي المعرفة به، وأهل الحاجة إليه من أهله، ويوجبون التقليد في هذه المسائل أو الإعراض عن تفصيلها.

وهذا ليس بجيد أيضاً، فإن العلم النافع مستحب، وإنما يكره إذا كان كلاماً بغير علم، أو حيث يضر، فإذا كان كلاماً بعلم ولا مضرة فيه فلا بأس به، وإن كان نافعاً فهو مستحب، فلا إطلاق القول بالوجوب صحيحاً، ولا إطلاق القول بالتحريم صحيحاً"[2].

ويقول السفاريني – رحمه الله – مبيناً صحة إيمان المقلد: "والحق الذي لا محيد عنه ولا انفكاك لأحد منه صحة إيمان المقلد تقليداً جازماً صحيحاً، وأن النظر والاستدلال ليسا بواجبين، وأن التقليد الصحيح محصل للعلم والمعرفة، نعم يجب النظر على من لا يحصل له

---

(١) انظر: الدين الخالص (١٤٢/١).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٠٢/٢٠).

التصديق الجازم أول ما تبلغه الدعوة"[1].

ويقول الشوكاني[2]- رحمه الله -: "ومن أمعن النظر في أحوال العوام وجد إيما ا صحيحاً فإن كثيراً منهم نجد الإيمان في صدره كالجبال الرواسي، ونجد بعض المتعلقين بعلم الكلام المشتغلين الخائضين في معقولاته التي يتخبط فيها، لا يزال ينقص إيمانه وتنتقض فيه عروة عروة، فإن أدركته الألطاف الربانية نجا وإلا هلك، ولهذا تمنى كثير من الخائضين في هذه العلوم المتبحرين في أنواعها في آخر أمره أن يكون على دين العجائز"[3].

---

(١) لوامع الأنوار البهية (٢٦٩/١).

(٢) هو محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، كان على منهج السلف الصالح في العقيدة إلا في مسائل قليلة، له تصانيف منها: فتح القدير، نيل الأوطار، توفي سنة ١٢٥٠هـ.
انظر: البدر الطالع (١٠٦/٢)، الأعلام (٢٩٨/٦).

(٣) إرشاد الفحول (ص٢٦٦).

الفصل الثاني

آراؤه في توحيد الألوهية

وفيه تمهيد ومبحثان :

- تمهيد في تعريف توحيد الألوهية :

المبحث الأول : عناية مرعي الحنبلي بتقرير توحيد الألوهية .

المبحث الثاني : موقفه مما ينافي توحيد الألوهية :

- التنجيم .
- الاستغاثة بالأموات .
- المسائل المتعلقة بالقبور : وفيها خمس مسائل :

المسألة الأولى : بناء المساجد على القبور .

المسألة الثانية : الصلاة عند القبور .

المسألة الثالثة : الذبح عند القبور .

المسألة الرابعة : التمسح بالقبور وتقبيلها .

المسألة الخامسة : شد الرحال إلى القبور .

الفصل الثاني

آراؤه في توحيد الألوهية

الفصل الثاني

آراؤه في توحيد الألوهية

تمهيد في تعريف توحيد الألوهية

عرف الشيخ مرعي – رحمه الله – توحيد الألوهية، وذكر أنه التوحيد الذي أمر الله به العباد، ثم بين أنه متضمن لتوحيد الربوبية فقال: "وإنما التوحيد الذي أمر الله به العباد هو توحيد الألوهية المتضمن لتوحيد الربوبية بأن يعتقد إثبات الله وصفاته ويعبده ولا يشرك به شيئاً، والعبادة تجمع غاية الحب وغاية الذل له سبحانه"[1].

وهذا المعنى الذي أشار إليه الشيخ مرعي هو الموافق لكتاب الله وما قرره علماء السلف – رحمهم الله –.

قال ابن أبي العز – رحمه الله – مبيناً أن توحيد الألوهية هو الذي دعت إليه الرسل وهو متضمن لتوحيد الربوبية: "التوحيد الذي دعت إليه الرسل، ونزلت به الكتب: هو توحيد الإلهية المتضمن توحيد الربوبية، وهو عبادة الله وحده لا شريك له"[2].

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله – رحمه الله – مبيناً أيضاً أن توحيد الألوهية هو أول الدين وآخره، ولأجله خلقت الخليقة، وأرسلت الرسل: "وهذا التوحيد هو أول الدين وآخره، وباطنه وظاهر، وهو أول دعوة الرسل وآخرها، وهو معنى قول: لا إله إلا الله فإن الإله هو المألوه المعبود بالمحبة، والخشية ، والإجلال، والتعظيم، وجميع أنواع العبادة، ولأجل هذا التوحيد خلقت الخليقة، وأرسلت الرسل، وأنزلت الكتب"[3].

وقال: "وأنواع التوحيد ثلاثة متلازمة، كل نوع منها لا ينفك عن الآخر، فمن أتى

---

(١) دفع الشبهة والغرر عمن يحتج على فعل المعاصي بالقدر (ص١٤١).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية (٢٨/١).

(٣) تيسير العزيز الحميد (ص٢٨).

بنوع منها ولم يأت بالآخر، فما ذاك إلا أنه لم يأت به على وجه الكمال المطلوب"[١].

أول واجب على المكلف:

ذكر الشيخ مرعي عن جمع من أهل العلم أن النظر[٢] هو أول واجب على المكلف، ثم معرفة[٣] الله، واختار أن الإقرار بالشهادتين هي أول واجب على المكلف فقال: "والمختار كما قال الشيخ عبد القادر الجيلي[٤] وغيره: أن الإقرار بالشهادتين يتضمن المعرفة، خلافاً لمن أوجبها قبلهما"[٥].

وما اختاره الشيخ مرعي – رحمه الله – من أن أول واجب على المكلف هو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وأن الإقرار بالشهادتين يتضمن معرفة الله، هو الموافق للكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة.

فمن الكتاب:

قولـــه تعـــالى: ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ ﴾[٦].

وقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾[٧].

---

(١) تيسير العزيز الحميد (ص٢٦).

(٢) هو النظر في آيات الله. انظر: الإنصاف (ص١٣).

(٣) المعرفة هي: إدراك الشيء على ما هو عليه، وهي مسبوقة بجهل، بخلاف العلم. انظر: التعريفات (ص٢٨٣).

(٤) هو أبو محمد عبد القادر بن أبي صالح عبد الله بن جنكي دوست الجيلي الحنبلي، مؤسس الطريقة القادرية، من كبار الزهاد والمتصوفين، له عدة مصنفات منها: الغنية، فتوح الغيب، توفي سنة ٥٦١هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء (٤٣٩/٢٠)، والأعلام (٤٧/٤).

(٥) غاية المنتهى في الجمع بين الإقناع والمنتهى (٢٤٥/٣)، وانظر: الغنية (٢/١).

(٦) سورة النحل، الآية: (٣٦).

(٧) سورة الأنبياء، الآية: (٢٥).

فالرسل جميعاً أول ما يدعون أقوامهم إلى إخلاص العبادة لله وحده دون ما سواه، وهذا يدل على أنه أول واجب على المكلفين؛ لأن من تمام البلاغ أن يأمروا أقوامهم بأول ما أوجبه الله عليهم.

ومن السـنة:

قوله صلّى الله عليه وسلّم: في وصيته لمعاذ – رضي الله عنه – حين بعثه إلى الـيمن: **"إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله..."**[(١)] الحديث.

وأما الإجماع :

فقد أجمع أهل العلم على أن أول ما يؤمر به العبد إفراد الله بالعبـادة، لا النظـر ولا القصد إلى النظر.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: "ولهذا كان المحققون على أن الشهادتين أول واجبات الدين، كما عليه خلص أهل السنة"[(٢)].

وقال في موضع آخر: "السلف والأئمة متفقون على أن أول مـا يـؤمر بـه العبـاد الشهادتين، ومتفقون على أن من فعل ذلك قبل البلوغ لم يؤمر بتجديـد ذلـك عقـب البلوغ"[(٣)].

وقال ابن أبي العز – رحمه الله – مبيناً أن أول واجب على المكلف هو شهادة أن لا إله إلا الله، لا النظر، ولا القصد إلى النظر: "ولهذا كان الصحيح أن أول واجب يجب علـى المكلف شهادة أن لا إله إلا الله، لا النظر ولا القصد إلى النظر، ولا الشك[(٤)]، كما هـي أقوال لأرباب الكلام المذموم، بل أئمة السلف كلهم متفقون على أن أول ما يـؤمر بـه

---

(١) أخرجه البخاري كتاب الزكاة – باب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء حيث كانوا (ح1496)، (ص١٠٩)، وأخرجه مسلم كتاب الإيمان – باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام (ح٢٩)، (ص٦٨٤).

(٢) مجموع الفتاوى (٧٦/١).

(٣) درء تعارض العقل والنقل (١١/٨).

(٤) الشك: هو التردد بين النقيضين بلا ترجيح لأحدهما على الآخر عند الشاك. انظر: التعريفات (ص١٦٨).

العبد الشهادتان"[1].

وقد بين الشيخ سليمان بن عبد الله – رحمه الله – أن أول واجـب علـى المكلـف الشهادتان، لا النظر، ولا القصد إلى النظر، فقال: "وقال النبي صلّى الله عليه وسلّم لمعاذ: **"إنك تأتي قوماً أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله"**[2] وفي رواية **"أن يوحدوا الله"**، وهذا التوحيد هو أول واجب على المكلـف، لا النظـر، ولا القصد إلى النظر، ولا الشك في الله، كما هي أقوال لمن لم يدر ما بعث الله به رسوله صلّى الله عليه وسلّم من معاني الكتاب والحكمة، فهو أول واجب وآخر واجـب، وأول مـا يدخل به الإسلام، وآخر ما يخرج به من الدنيا"[3].

كما أجمعوا على أن الكافر إذا قال لا إله إلا الله محمداً رسول الله فقد دخل في الإسلام، وهذا يدل على أن ذلك أول واجب على المكلف.

يقول الإمام ابن المنذر[4] – رحمه الله –: "أجمع كل من أحفظ عنه من أهل العلـم أن الكافر إذا قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وأن كل ما جاء به حق، وأبرأ إلى الله من كل دين يخالف الإسلام، وهو بالغ صحيح يعقل أنه مسلم"[5].

فالقول بأن أول واجب على المكلف هو المعرفة والنظر أو القصد إليه، قول مبتدع.

يقول ابن حزم[6] – رحمه الله –: "ومن البرهان الموضح لبطلان هذه المقالة الخبيثة أنـه لا يشك أحد ممن يدري شيئاً من السير... في أن رسول الله صلّى الله عليه وسـلّم مـذ بعث، لم يزل يدعو الناس الجماء الغفير إلى الإيمان بالله تعالى، وبما أتى به ويقاتل من أهل

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية (٢٣/١).

(٢) سبق تخريجه (ص١١٠).

(٣) تيسير العزيز الحميد (ص٢٩).

(٤) هو محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري الشافعي، أبو بكر، إمام محدث فقيه، له مصنفات منها: الأوسـط، والإجماع، والإشراف على اختلاف العلماء، توفي سنة ٣١٨هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء (٤٩٠/١٤)، شذرات الذهب (٢٨٠/١).

(٥) الإجماع (ص١٥٤).

(٦) هو أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري ، الإمام المحدث الفقيه ، كان شافعياً ثم تركه إلى القول بالظاهر ، له مصنفات منها : الفصل في الملل والأهواء والنحل ، المحلى ، توفي سنة ٤٥٦هـ .
انظر : سير أعلام النبلاء (١٨ / ١٨٤) ، شذرات الذهب (٣ / ٢٩٩) .

الأرض من قاتله، ويقبل ممن آمن به ويحرم ماله ودمه وأهله وولده، ويحكم له بحكم الإسلام...فما منهم من أحد... قال له عليه السلام: إني لا أقبل إسلامك ولا يصح لك دين حتى تستدل على صحة ما أدعوك إليه... لسنا نقول: إنه لم يبلغنا أنه عليه السلام قال ذلك لأحد، بل نقطع نحن وجميع أهل الأرض قطعاً كقطعنا على ما شاهدناه أنه عليه السلام لم يقل قط هذا لأحد، ولا رد إسلام أحد حتى يستدل، ثم جرى على هذه الطريقة جميع الصحابة – رضي الله عنهم – أولهم عن آخرهم، ولا يختلف أحد في هذا الأمر، ثم جميع أهل الأرض إلى يومنا هذا...

فصح أن هذه المقالة خرق للإجماع، وخلاف لله تعالى ورسوله صلّى الله عليه وسلّم وجميع أهل الإسلام قاطبة"[1].

وعليه فما ذهب إليه الشيخ مرعي من أن أول واجب على المكلف هو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، هو الموافق للكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة – رحمهم الله –.

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٧٦/٤).

المبحث الأول

عناية مرعي الحنبلي بتقرير توحيد الألوهية:

إن توحيد الألوهية هو أهم أنواع التوحيد، وهو أول الدين وآخره، وهو معنى قول: "لا إله إلا الله".

فمن أتى به فقد وحد الله في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله وربوبيته، لأن الله استعبد خلقه بالألوهية الجامعة لصفات الكمال، فمن شهد أن لا إله إلا الله بصدق فقد وحد الله تعالى التوحيد كله.

ولا يكون العبد موحداً التوحيد الذي ينجي صاحبه في الدنيا من عذاب القتل والأسر، وفي الآخرة من عذاب النار، بمجرد اعتقاده أن الله هو رب كل شيء وخالقه ومليكه، وأنه المدبر للأمور جميعاً، فإن مثل هذا التوحيد كان يقر به المشركون الذين أمر الرسول صلّى الله عليه وسلّم بقتالهم، بل لابد مع ذلك من توحيد الألوهية الذي من أجل تحقيقه خلق الله الخلق، وأنزل الكتب، وأرسل الرسل عليهم الصلاة والسلام، وخلق الجنة والنار، وفرق الناس إلى شقي وسعيد[1].

وهذا مما جعل العلماء – رحمهم الله – يعتنون بهذا النوع عناية كبيرة، فيبينوه ويحذروا من الوقوع في ضده.

ومن هؤلاء العلماء الشيخ مرعي – رحمه الله – فقد اعتنى بهذا التوحيد عناية بالغة، وأولاه اهتماماً كبيراً، ويكفي ما يدل على اهتمامه وعنايته به، أنه ألف كتابين في ذلك وهما "شفاء الصدور في زيارة المشاهد والقبور" بين فيه تمسكه بالكتاب والسنة وترك البدعة، ومحاربة بدع القبور، وكل ما يفعل عندها، مما لم يأت به الشرع، ورد على

---

(١) انظر: مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب، القسم الخامس، (ص١٥١)، دعوة التوحيد (ص٣٩).

المخالفين بأدلة نقلية وعقلية، و"إرشاد من كان قصده لا إله إلا الله"، وقد تكلم في بعض كتبه الأخرى على توحيد الألوهية، وإليك بعض الأمثلة التي تدل على عنايته – رحمه الله – بهذا النوع من التوحيد:

قال – رحمه الله – وهو يعرف توحيد الألوهية ويذكر أنه التوحيد الذي أمر الله به عباده، وأنه هو المتضمن لتوحيد الربوبية: "وإنما التوحيد الذي أمر الله به العباد هو توحيد الألوهية المتضمن لتوحيد الربوبية بأن يعتقد إثبات الله وصفاته ويعبده ولا يشرك به شيئاً، والعبادة تجمع غاية الحب وغاية الذل له سبحانه"(1).

وقال – رحمه الله – محارباً للبدع، داعياً للتمسك بالكتاب والسنة، في مقدمة كتابه "شفاء الصدور": "اعلم وفقني الله تعالى وإياك في القول والعمل أني سأذكر في هذا الكتاب مسائل هي بحسب العادة غريبة، وباعتبار ما ألفه الناس من البدع عجيبة، فينكرها الجاهل ويعرفها الفاضل، والدليل على ذلك من الكتاب والسنة هو الفاصل، وإياك وزخرف الأقاويل واتباع الأباطيل، والزم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإن أنكر عليك من أنكر أو أبى قبوله الجاهل واستكبر، واحرص على التمسك بالسنة باطناً وظاهراً في خاصتك وخاصة من يطيعك، واعرف المعروف وأنكر المنكر وادع الناس إلى السنة بحسب الإمكان، ولا ترجع إلى قول من يخالف الفقهاء كائناً من كان، وإن عارضك معارض فأقم عليه الدليل بالأحاديث الصحيحة، وأقوال الأئمة الصريحة، وتمسك بطريقة السلف الصالحين، لاسيما الخلفاء الراشدين، ولا تغتر بما يفعله كثير من الجاهلين، وإن كانوا في نفس الأمر من الصالحين، فإنهم غير معصومين، ففي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: **"من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد"**(2)،

---

(1) دفع الشبهة والغرر عمن يحتج على فعل المعاصي بالقدر (ص141).

(2) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام – باب إذا اجتهد العامل أو الحاكم فأخطأ خلاف الرسول من غير علم فحكمه مردود، (ح7349)، (ص611)، وأخرجه مسلم في كتاب الأقضية- باب رد محدثات الأمور، (ح1718)، (ص983).

وفي لفظ في الصحيحين: "**من أحدث** في **أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**"[1]، واعلم أن البدع في هذا الزمان صارت مألوفة والسنة بينهم غير معروفة"[2].

وقد بين – رحمه الله – عند حديثه عن بدع القبور والمشاهد والأضرحة، من ذبح لها[3]، وصلاة عندها[4]، وتقبيل وتمسح[5]، واستغاثة[6]، وبناء المساجد عليها[7]، وشد الرحال إليها[8]، أن هذا كله مناف لتوحيد الألوهية.

وسوف أتحدث عن هذه المسائل في المبحث الثاني- إن شاء الله – تفصيلاً.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الصلح – باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود، (ح٢٦٩٧)، (ص٢١٤)، وأخرجه مسلم في كتاب الأقضية – باب رد محدثات الأمور، (ح١٧١٨)، (ص٩٨٢).

(٢) انظر: شفاء الصدور (ص١٤٥).

(٣) انظر: غاية المنتهى في الجمع بين الإقناع والمنتهى (٢٧٧/١).

(٤) انظر: شفاء الصدور (ص١٨٩).

(٥) انظر: المصدر السابق (ص١٧١).

(٦) انظر: المصدر السابق (ص٣٢٩).

(٧) انظر: المصدر السابق (ص١٨٣).

(٨) انظر: المصدر السابق (ص٢٨٠).

المبحث الثاني

موقفه مما ينافي توحيد الألوهية

إن بيان ما ينافي توحيد الألوهية من تمام توضيح وتحقيق التوحيد، ولذلك كان الكلام في هذا الموضوع من المطالب العالية، وقد أشار إلى هذه الأهمية الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب(١) – رحمهم الله – في مقدمة كتابه "الكلمات النافعة في المكفرات الواقعة"، حيث قال: "اعلم أن هذه المسائل من أهم ما ينبغي للمؤمن الاعتناء به، لئلا يقع في شيء منها وهو لا يشعر، وليتبين له الإسلام ولا يغتر بأهل الجهل والارتياب، وإن كانوا هم الأكثرين عدداً، فهم الأقلون عند الله وعند رسوله والمؤمنين قدراً، وقد اعتنى العلماء – رضي الله عنهم – بذلك في كتبهم، وبوبوا لذلك في كتب الفقه في كل مذهب من المذاهب الأربعة، وهو (باب حكم المرتد)، وهو المسلم الذي يكفر بعد إسلامه، وذكروا أنواعاً كثيرة كل نوع منها يكفر به المسلم، ويبيح دمه وماله..."(٢).

ومن العلماء الذين اعتنوا بهذا الموضوع الشيخ مرعي فقد تحدث عن مسألة التنجيم، والاستغاثة بالأموات، وبعض المسائل المتعلقة بالقبور، وتوضيح ذلك كما يأتي:

- التنجيم:

ذكر الشيخ مرعي أن كلام المنجمين في الإخبار عن الطاعون وغيره كذب و بهتان، ثم ذكر أنه لا يجوز تصديقهم، ثم أورد بعض الآيات الدالة على أن الله وحده هو الذي يعلم الغيب.

---

(١) عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، فقيه حنبلي، برع في التفسير والعقائد وعلوم العربية، له مصنفات منها: جواب أهل السنة النبوية، والكلمات النافعة في المكفرات الواقعة، توفي سنة ١٢٤٢هـ.
انظر: علماء نجد خلال ستة قرون (٤٨/١)، الأعلام (٢٣١/٤).

(٢) الكلمات النافعة في المكفرات الواقعة، ضمن كتاب الجامع الفريد (ص٣٢٩).

فقال: "اعلم أيدك الله أن كلام المنجمين في الإخبار بالطاعون وغيره من الحوادث كذب و تان، ولا يجوز تصديقهم في ذلك، والمصدق لهم أحمق، أو ذو تغفيل محقق، كيف لا والله سبحانه يقول: ﴿ عَـٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ ﴾[1]، ويقول: ﴿ قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ ﴾"[2][3].

ثم ذكر بعض الأحاديث في حكم من سأل المنجمين أو صدقهم فقال: "عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال: **"من أتى كاهناً أو عرافاً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد"**[4].

وروى مسلم عن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال: **"من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تقبل صلاته أربعين ليلة"**[5].

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: **"من اقتبس علماً من النجوم اقتبس شعبة من السحر"**[6].

ثم بين فساد قول المنجمين عندما تم بناء بغداد أنه لا يموت ا خليفة فقال: "ومما يدل على فساد قول المنجمين إجماعهم عندما تم بناء بغداد أنه لا يموت ا خليفة، وشاع ذلك

---

(١) سورة الجن، الآيتان: (٢٦، ٢٧).

(٢) سورة النمل، الآية: (٦٥).

(٣) ما يفعله الأطباء والداعون بدفع شر الطاعون (ص٥٠).

(٤) أخرجه الإمام أحمد في المسند، (ح٩٥٠٢)، (٢٤٠/٩) والحاكم في المستدرك (٨/١) وصححه، والبيهقي في السنن الكبرى (١٣٥/٨) وقال الهيثمي في ا مع (١١٨/٥) رواه البزار ورجاله رجال الصحيح خلا هبيرة بن مريم، وهو ثقة، والدارمي في سننه (ح١١٣٦)، (٢٧٦/١) وأبو يعلى في مسنده (ح٥٤٠٨)، (٢٨٠/٩) وقال الشيخ سليمان في "تيسير العزيز الحميد" (ص٣٣٧): "قال القرافي في "أماليه": حديث صحيح، وقال الذهبي: إسناده قوي، وصححه الألباني في الجامع (ح٥٩٣٩)، (١٠٣١/٢).

(٥) أخرجه مسلم في كتاب الإسلام – باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان، (ح٢٢٣٠)، (ص١٠٧٤).

(٦) أخرجه أبو داود في كتاب الكهانة والتطير – باب في النجوم، (ح٣٩٠٥)، (ص١٥١٠)، وابن ماجه في كتاب الأدب – باب تعلم النجوم، (ح٣٧٢٦)، (ص٢٦٩٩) وصححه الألباني في الجامع الصغير (١٠٤٩/٢).

الأمر حتى هنأ الشعراء الخليفة المنصور[1] بذلك، ثم قوي هذا الظن لما مات المنصور بطريق مكة، ثم قوي لما مات المهدي[2] خارجاً عنها، وكذلك الهادي[3]، والرشيد[4]، فلما قتـل ا الخليفة الأمين[5] انخرم هذا الحكم"[6].

وقال أيضاً: "فإن أوهم قوماً [يعني المنجم] أنه يعلم الغيـب فللإمـام قتلـه لسـعيه بالفساد"[7].

دراسـة رأيه :

التنجيم في **اللغة:** مصدر "نجم" المشتقة من النجم، وهو الكوكب.
والتنجيم، صنعة المنجم، وهو الذي ينظر في السماء يحسب مواقيتها وسيرها[8].

---

(١) عبد الله بن محمد بن علي أبو جعفر المنصور، الخليفة العباسي، بويع له بالخلافة عام (١٣٦هـ)، ودامت ولايته (٢٢) سنة، توفي سنة ١٥٨هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء (٧ / ٨٣)، الأعلام (١١٧/٤).

(٢) محمد بن أبي جعفر المنصور بن محمد بن علي الهاشمي العباسي، دامت ولايته (١٠سنين) توفي سنة ١٦٩هـ.
انظر سير أعلام النبلاء (٤٠٠/٧)، الأعلام (١١٩/٦).

(٣) موسى بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور بن محمد بن علي الهاشمي العباسي، تولى الخلافة سنة (١٦٩هـ)، ودامت خلافته سنة وشهراً، توفي سنة ١٧٠هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء (٤٤١/٧) والأعلام (٣٢٧/٧).

(٤) هارون الرشيد بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور بن محمد بن علي الهاشمي العباسي، أحد خلفـاء بـني العباس، بويع له بالخلافة سنة (١٧٠هـ) وعمره (٢٢سنة)، وكانت خلافته (٢٣سنة)، وفضائله ومكارمه كثيرة جداً، توفي سنة ١٩٣هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء (٢٨٦/٩)، الأعلام (٦٢/٨).

(٥) محمد الأمين بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور بن محمد بن علي الهاشمي العباسي ، أحد خلفاء بني العباس، كانت ولايته دون الخمس سنين، توفي سنة ١٩٨هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء (٣٣٤/٩)، الأعلام (١٢٧/٧).

(٦) ما يفعله الأطباء والداعون بدفع شر الطاعون (ص٥٠).

(٧) غاية المنتهى في الجمع بين الإقناع والمنتهى (٣٤٤/٣).

(٨) انظر: معجم مقاييس اللغة (ص٩٧٨)، لسان العرب (٥٧٠/١٢).

وأما في الاصطلاح:

فقد اختلفت عبارات أهل العلم في تعريفه، ويجمعها القول بأنه ادعاء معرفة ما يكـون في الأرض قبل كونه[1].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – في تعريف التنجيم: هو "الاستدلال علـى الحوادث الأرضية بالأحوال الفلكية،والتمزيج بين القوى الفلكية والقوابل الأرضية "[2].

وعرفه ابن الخلدون[3] في مقدمته فقال: "ما يزعم أصحاب الصناعة من أ م يعرفون ا ا الكائنات في عالم العناصر قبل حدوثها، من قبل معرفة قوى الكواكـب وتأثيرهـا في المولدات[4] العنصرية مفردة ومجتمعة، فتكون لذلك أوضاع الأفلاك والكواكب دالة على ما سيحدث من نوع من أنواع الكائنات الكلية والشخصية"[5][6].

ومن المعلوم أن علم النجوم ينقسم إلى قسمين:

١ – علم التأثير.

٢ – علم التسيير.

قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي – رحمه الله –: "التنجيم نوعان: نوع يسمى (علم التأثير): وهو الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الكونية، فهـذا باطـل،

---

(١) انظر: القول في علم النجوم (ص١٠٤)، التنجيم والمنجمون وحكمهم في الإسلام (ص٣١).

(٢) مجموع الفتاوى (١٩٢/٣٥).

(٣) هو عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر الحضرمي، المغربي، المالكي، المعروف بابن خلدون، العالم الاجتماعي المؤرخ الشهير، من مصنفاته: مقدمة ابن خلدون، شرح البردة، تـوفي سـنة ٨٠٨ هـ.

انظر: توشيح الديباج (ص١١٨)، جذوة الاقتباس (٤١٠/٢)، الأعلام (٣٣٠/٣).

(٤) المولّد: المحدث من كل شيء، انظر: لسان العرب (٤٧٠/٣).

(٥) يقصد بالأنواع الكلية: الحوادث التي تحدث للعالم أو الدول، وبالأنواع الشخصية: الحوادث التي تحدث مـن موت وحياة ونحوه، انظر: التنجيم والمنجمون (ص٣٥).

(٦) مقدمة ابن خلدون (٢١٦/٢).

ودعوى لمشاركة الله في علم الغيب الذي انفرد به أو تصديق لمن ادعى ذلك، وهذا ينافي التوحيد، لما فيه من هذه الدعوى الباطلة، ولما فيه من تعليق القلب بغير الله، ولما فيه من فساد العقل، لأن سلوك الطرق الباطلة وتصديقها من مفسدات العقول والأديان. النوع الثاني، (علم التسيير): وهو الاستدلال بالشمس والقمر والكواكب على القبلة والأوقات والجهات، فهذا النوع لا بأس به، بل كثير منه نافع قد حث عليه الشارع، إذا كان وسيلة إلى معرفة أوقات العبادات، أو إلى الاهتداء به في الجهات، فيجب التفريق بين ما نهى عنه الشارع وحرمه، وبين ما أباحه أو استحبه أو أوجبه، فالأول هو المنافي للتوحيد دون الثاني[1].

إذاً فالنوع الأول وهو علم التأثير هو الذي أشار إليه الشيخ مرعي في رده على المنجمين، وبين أن كلام المنجمين كذب وبهتان لادعائهم علم الغيب.

ويتضح جلياً أن موقف الشيخ من المنجمين ورده عليهم هو موقف السلف – رحمهم الله –.

ومما يؤكد ما سبق ما أورده بعض العلماء في ردهم على هذا النوع من أنواع التنجيم:

فهذا الخطابي[2] – رحمه الله – يقرر أن علم النجوم المنهي عنه هو ما يدعيه أهل التنجيم من علم الغيبيات كإخبارهم بأوقات هبوب الرياح، ومجيء المطر وغير ذلك فيقول: "علم النجوم المنهي عنه هو ما يدعيه أهل التنجيم من علم الكوائن والحوادث التي لم تقع وستقع في مستقبل الزمان، كإخبارهم بأوقات هبوب الرياح، ومجيء المطر، وظهور الحر والبرد وتغير الأسعار وما كان في معانيها من الأمور التي يزعمون أنهم يدركون معرفتها بسير الكواكب في مجاريها وباجتماعها وافتراقها، ويدعون لها تأثيراً في السفليات

---

(١) القول السديد في مقاصد التوحيد (ص١٠٥)، وانظر: القول المفيد على كتاب التوحيد (٥/٢).

(٢) أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب البستي الخطابي، الفقيه ، المحدث، اللغوي له مصنفات منها: معالم السنن، غريب الحديث، توفي سنة ٣٨٨هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء (٢٣/١٧)، شذرات الذهب (١٢٧/٢)، الأعلام (٨٩/٢).

وأ ا تتصرف على أحكامها وتجري على قضايا موجبا ا، وهذا منهم تحكم على الغيـب وتعاط لعلم استأثر الله سبحانه به لا يعلم الغيب أحد سواه"[1].

ويقول البغوي[2] – رحمه الله – وهو يقرر أيضاً أن المنهي من علم النجوم هو ما يدعيه أهل التنجيم من معرفة الحوادث التي ستقع في مستقبل الزمان: "والمنهي من علم النجوم ما يدعيه أهلها من معرفة الحوادث التي لم تقع في مستقبل الزمان مثل إخبارهم بوقت هبوب الرياح، ومجيء المطر ووقوع الثلج، وظهور الحر والبرد وتغير الأسعار ونحوها، يزعمـون أ م يستدركون معرفتها بسير الكواكب واجتماعها وافتراقها، وهذا علم استأثر الله عـز وجل به لا يعلمه أحد غيره"[3].

وقد بين شيخ الإسلام – رحمه الله – أن صناعة التنجيم التي مضمو ا الأحكام والتأثير صناعة محرمة بالكتاب والسنة والإجماع فقال: "صناعة التنجيم التي مضـمو ا الأحكـام والتأثير، وهو الاستدلال على الحوادث الأرضية بالأحوال الفلكيـة... صـناعة محرمـة بالكتاب والسنة وإجماع الأمة، بل هي محرمة على لسان جميع المرسلين في جميع الملل"[4].

---

(١) معالم السنن (٢١٢/٤).

(٢) أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد البغوي، فقيه، محدث، مفسر، قال الذهبي: كان على منهاج السلف، له مصنفات منها: معالم التنـزيل، وشرح السنة، توفي سنة ٥١٠هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء (٤٣٩/١٩)، الأعلام (٢٥٩/٢).

(٣) شرح السنة (١٨٣/١٢).

(٤) مجموع الفتاوى (١٩٢/٣٥).

- الاستغاثة بالأموات:

ذكر الشيخ مرعي – رحمه الله – نقلاً عن شيخ الإسلام – رحمه الله – أن الاستغاثة على ثلاث درجات فقال: "وتفصيل القول أن من يأتي إلى قبر نبي أو رجل صالح ويسأله ويستنجده فهذا على ثلاث درجات:

أحدها: أن يسأل الميت ما لا يقدر عليه إلا الله، مثل أن يسأله أن يزيل مرضه، أو مرض دوابه، أو يقضي دينه، ونحو ذلك فهذا شرك صريح يجب أن يستتاب صاحبه، فإن تاب وإلا قتل.

ثانيها: أن يقول أنْ أسأله لكونه أقرب إلى الله تعالى مني، ليشفع لي في هذه الأمور، فإني أسأله ليسأل لي ربه، كما يتوسل إلى السلطان بخواصه وأعوانه، فهذا من أفعال المشركين والنصارى فإنهم قالوا: ﴿ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ﴾[1].

ثم يقال لهذا المشرك، أنت إذا دعوت هذا فإن كنت تظن أنه أعلم بحالك، وأقدر على إعطائك سؤالك، أو أرحم بك من ربك، فهذا جهل وضلال وكفر، وإن كنت تعلم أن الله أعلم وأقدر، فلماذا عدلت عن سؤاله إلى سؤال غيره.

وهذه إنما هي طريقة النصارى، ولهذا لم يكن أحد من سلف الأمة لا في عصر الصحابة والتابعين ولا تابع التابعين من يفعل ذلك.

ثالثها: أن يقول أنا لا أسأله أن يفرج هو بنفسه كربتي، أو ينقذني من شدتي، وإنما أطلب منه الدعاء لي إلى الله تعالى، فإنه إذا دعا الله أجاب دعاه، أعظم مما يجيبه إذا دعوته أنا، فهذا حق وصدق، لكنه إنما هو مشروع في الحي دون الميت"[2].

---

(١) سورة الزمر، الآية: (٣).

(٢) شفاء الصدور في زيارة المشاهد والقبور (ص٣٢٩-٣٣١) وانظر: مجموع الفتاوى (72/٢٧).

دراســة رأيه:

الاستغاثة في اللغة:

قال ابن فارس: الغين والواو والثاء كلمة واحدة، وهي الغوث، من الإغاثة وهي الإعانة والنصرة عند الشدة[1].

وفي الاصطلاح:

هي طلب الغوث منه تعالى من جلب خير أو دفع شر[2].

وما قرره الشيخ مرعي من أن الاستغاثة بالأموات شرك، ولا يجوز العبد أن يستغيث إلا بربه سبحانه وتعالى، هو رأي السلف – رحمهم الله – ومعلوم أن خير الخلق وأكـرمهم على الله هو نبينا محمد صلّى الله عليه وسلّم، وأعلم الناس بحقه وقدره أصحابه، ولم يفعلوا شيئاً من ذلك لا في حياته، ولا بعد مماته، ولا أمر عليه السلام أحداً من أصحابه، أن يقول عند الشدائد يا سيدي يا رسول الله لا في حياته، ولا بعد مماته، وإنما أمرهم عند الشدائد أن يفزعوا إلى الله سبحانه وتعالى، فعن أبي موسى رضي الله عنه قال: خسفت الشـمس فقام النبي صلّى الله عليه وسلّم فزعاً يخشى أن تكون الساعة، فأتى المسجد فصلى بأطول قيام وركوع وسجود رأيته قط يفعله وقال: **"هذه الآيات التي يرسل الله لا تكون لموت أحد ولا لحياته، ولكن يخوف الله ا عباده، فإذا رأيتم شيئاً من ذلك فافزعوا إلى ذكر الله ودعائه واستغفاره"**[3].

والاستغاثة بالمخلوق على قسمين:

القسم الأول: الاستغاثة بالمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله سبحانه وتعالى، فهذه هي الشرك الأكبر، لأ ا صرف للعبادة لغير الله تعالى، كالاستغاثة بالأموات، والغائبين، وبالأضرحة والأولياء، وبالصالحين.

---

(١) معجم مقاييس اللغة (٧٧٨).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (١٠٣/١)، معارج القبول (٤٥٣/٢).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الكسوف - باب الذكر في الكسوف، (ح١٠٥٩)، (ص٨٣).

القسم الثاني: الاستغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه المخلوق، كاستغاثة الإنسان بغيره في حرب ليساعده، ويناصره على عدوه، فهذا جائز، كما قال تعالى عن موسى عليه السلام: ﴿ فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِي مِنۡ عَدُوِّهِۦ ﴾[1][2].

يقول ابن القيم – رحمه الله – وهو يتحدث عن الشرك وأنواعه: "ومن أنواعه طلب الحوائج من الموتى، والاستغاثة م، والتوجه إليهم، وهذا أصل شرك العالم، فإن الميت قد انقطع عمله، وهو لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً، فضلاً لمن استغاث به، وسأله قضاء حاجته، أو سأله أن يشفع له إلى الله فيها.

وهذا من جهله بالشافع والمشفوع له عنده، فإنه لا يقدر أن يشفع له عند الله إلا بإذنه، والله لم يجعل استغاثته وسؤاله سبباً لإذنه، وإنما السبب لإذنه كمال التوحيد، ... والميت محتاج إلى من يدعو له، ويترحم عليه، ويستغفر له... فعكس المشركون هذا، وزاروهم زيارة العبادة واستقضاء الحوائج والاستغاثة م"[3].

وبين الشوكاني – رحمه الله – أن الاستغاثة بالمخلوق على ما يقدر عليه جائز، وأما الاستغاثة به على ما لا يقدر عليه إلا الله فلا يجوز فقال: "ولا خلاف أن يستغاث بالمخلوق فيما يقدر على الغوث فيه من الأمور... كما قال تعالى: ﴿ فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِي مِنۡ عَدُوِّهِۦ ﴾[4]... وأما ما لا يقدر عليه إلا الله فلا يستغاث فيه إلا به، كغفران الذنوب، والهداية، وإنزال المطر، والرزق، ونحو ذلك"[5].

ويقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب[6] – رحمه الله –: "باب من الشرك أن يستغيث

---

(١) سورة القصص، الآية: (١٥).

(٢) انظر: الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد (ص ٩) ، إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (ص١٩٣).

(٣) مدارج السالكين (٣٤٣/١).

(٤) سورة القصص، الآية: (١٥).

(٥) الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد (ص٩).

(٦) هو شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن محمد المشرفي التميمي النجدي، الإمام ا دد، قام بالدعوة السلفية في الجزيرة العربية، في القرن الثاني عشر، له مصنفات منها: كتاب التوحيد، مسائل الجاهلية، توفي سنة ١٢٠٦هـ.
انظر: علماء نجد خلال ستة قرون (٢٥/١)، ومقدمة كتاب الجامع الفريد، ص(ص، ق، ر).

بغير الله أو يدعو غيره"[1]، ثم استدل ببعض الأدلة على ذلك.

وقد قام أئمة الدعوة ومن جاء بعدهم من العلماء – رحمهم الله – بشرح كتاب التوحيد[2] للشيخ محمد بن عبد الوهاب، وبينوا خلال شرحهم لهذا الباب أن الاستغاثة بالأموات شرك بالله، ولا يجوز أن يستغيث العبد إلا بربه سبحانه وتعالى.

وبهذا يتضح مما مضى أن الشيخ مرعي يرى أن الاستغاثة بالأموات شرك، وهذا الرأي الذي اختاره هو تأييد وتقرير لمذهب السلف – رحمهم الله –.

(١) كتاب التوحيد (ص٣٢).

(٢) انظر: تيسير العزيز الحميد (ص١٧١)، وفتح المجيد (٣٠١/١)، وقرة عيون الموحدين (ص١٣٢)، وإبطال التنديد (ص٧٥)، والقول السديد في مقاصد التوحيد (٥٧)، والقول المفيد (٢٠٦/١).

- المسائل المتعلقة بالقبور: وفيها خمس مسائل:

*** المسـألة الأولى:**

بناء المساجد على القبور:

أورد الشيخ مرعي – رحمه الله – أقوال العلماء في بناء المساجد على القبور واختـار القول بالتحريم فقال: "أما بناء المساجد على القبور، فقد صرح عامة علمـاء الطوائـف بالنهي عنه، متابعة للأحاديث، وصرح أصحابنا وغيرهم من أصحاب مالك والشـافعي وغيرهما بتحريمه(1)، ومن العلماء من أطلق لفظ الكراهة"(2)(3).

ثم نقل عن شيخ الإسلام نقلاً يقطع فيه بتحريم بناء المساجد على القبور فقـال: "ولا ريب في القطع بتحريمه لحديث مسلم عن جندب بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قبل أن يموت بخمس وهو يقول: "**إني أبرأ إلى الله أن يكون** لي **منكم خليل فإن الله قد اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً ولو كنـت متخذاً من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخـذون قبور أنبيائهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد إني أنهاكم عن ذلك**"(4)(5).

ثم أورد بعض الأدلة على تحريم بناء المساجد على القبـور فقـال: "وروى البخـاري ومسلم عن عائشة وعبد الله بن عباس رضي الله عنهما قالا: لما نزل برسول الله صلّى الله

---

(1) انظر: المغني (2/508)، وحاشية الروض المربع (3/131)، وذكره ابن حجر الهيتمي من الكبـائر: انظـر: الزواجر عن اقتراف الكبائر (1/320).

(2) كالشافعية، انظر: المجموع شرح المهذب (5/288)، ويعنون الكراهة التحريمية، وكذلك قال الحنفية. انظـر: تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد (ص33046) وتيسير العزيز الحميد (ص259).

(3) شفاء الصدور في زيارة المشاهد والقبور (ص183).

(4) أخرجه مسلم في كتاب المساجد - باب النهي عن بناء المسجد على القبور واتخاذ الصور فيها والنـهي عـن اتخاذ القبور مساجد، (ح1188)، (ص760).

(5) شفاء الصدور (ص182)، وانظر: اقتضاء الصراط المستقيم (ص329) وما بعدها.

عليه وسلّم طفق يطرح خميصة[1] له على وجهه، فإذا اغتم كشفها فقال وهو كـذلك: **"لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر ما صنعوا"**[2].

وروى البخاري ومسلم أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: **"قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد"**[3] فقد ى عليه السلام عـن اتخاذ القبور مساجد في آخر حياته ثم أنه لعن وهو في السياق من فعل ذلك مـن أهـل الكتاب ليحذر أمته أن يفعلوا ذلك.

وروى البخاري ومسلم قالت عائشة رضي الله عنها: قال رسول الله صلّى الله عليـه وسلّم في مرضه الذي مات فيه: "لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، لولا ذلك لأبرز قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً"[4].

فثبت ذه الأحاديث أن هذه المساجد المبنية على قبور الأنبياء، والصالحين، والملـوك، وغيرهم، يتعين إزالتها دم[5] أو غيره"[6].

ثم بين أن بناء المساجد على المقبرة المغصوبة أشد ياً فقال: "ثم يغلظ النهي إن كانـت مغصوبة، مثل ما بني على بعض العلماء الصالحين، أو غيرهم، ممن كان مدفوناً في مقـبرة

---

(١) ثوب خز أو صوف معلم، وقيل لا تسمى خميصة إلا أن تكون سوداء معلمة، وكانت من لباس الناس قـديماً وجمعها الخمائص، النهاية (٨١/٢).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل (ح٣٤٥٣)، (ص٢٨٢)، ومسلم كتـاب المساجد - باب النهي عن بناء المساجد على القبور، (ح١١٨٦)، (ص٧٦٠).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة - باب ٥٥ (ح٤٣٧)، (ص٣٧)، وأخرجه مسلم في كتاب المسـاجد – باب النهي عن بناء المساجد على القبور (ح١١٨٥)، (ص٧٦٠).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز - باب ما يكره من اتخاذ المساجد على القبـور (ح١٣٣٠)، (ص١٠٣)، ومسلم في كتاب المساجد، باب النهي عن بناء المسجد على القبور (ح٥٢٩)، (ص٧٦٠).

(٥) قال ابن القيم – رحمه الله – بعد أن ذكر أماكن المعصية ووجوب هدمها كما فعل بمسجد ضـرار: "وكـل مكان هذا شأنه فواجب على الإمام تعطيله إما بعدم وتحريق وإما بتغيير صورته وإخراجه عما وضع لـه وإذا كان هذا شأن مسجد الضرار فمشاهد الشرك التي تعدو سدنتها إلى اتخاذ من فيها أنداداً مـن دون الله أحـق بالعدم وأوجب" زاد المعاد (٣ / ٥٧١).

(٦) شفاء الصدور (ص١٨٣-١٨٥).

مسبلة على قبره مسجد أو مدرسة"[١].

ثم ذكر أن بناء المسجد على المقبرة المسبلة يشتمل على أنواع من المحرمات، وذكر أحد عشر نوعاً منها ثم قال: "وإذا كان البناء عليها يجر هذه المفاسد كان حراماً بلا ريب كاتخاذها أعياداً وأولى"[٢].

وقد صرح في موضع آخر من كتبه بتحريم بناء المساجد على القبور فقال: "وحرم جعل مسجد عليها [يعني القبور]"[٣].

دراسة رأيه :

من المعلوم من دين الإسلام، أن الشارع الحكيم إذا حرم شيئاً حرم أسبابه ووسائله، وإذا نهى عن شيء نهى عن كل ما يوصل إليه ويقرب منه.

ومن ذلك أن الإسلام لما جاء بالنهي عن الشرك، نهى عن أسبابه، وسد ذرائعه الموصلة إليه والمسببة له.

ولما كان الغلو في الصالحين من الأنبياء وغيرهم، وتعظيم قبورهم، واتخاذها مساجد، من الأسباب التي توقع في الشرك، جاء النهي من النبي صلّى الله عليه وسلّم عن ذلك، خوفاً على الأمة من الوقوع في الشرك[٤].

وقد قرر الشيخ مرعي- رحمه الله – هذا المعنى وبين حرمة البناء على القبور واتخاذها مساجد، وهذا الرأي الذي ذهب إليه الشيخ هو الذي قال به سلف الأمة – رحمهم الله – وإليك بعض أقوالهم:

يقول شيخ الإسلام – رحمه الله – وهو يقرر أن بناء المساجد على القبور منهي عنه وليس من دين المسلمين: "فإن بناء المساجد على القبور ليس من دين المسلمين، بل هو

---

(١) شفاء الصدور (ص١٨٥).

(٢) المصدر السابق (ص١٨٧).

(٣) غاية المنتهى في الجمع بين الإقناع والمنتهى (٢٧٠/١).

(٤) انظر: الدرر السنية (١٤٠/٥)، مجموعة الرسائل والمسائل النجدية (٢٤٦/١)، النبذة الشريفة (ص١٢٣) وما بعدها.

منهي عنه بالنصوص الثابتة عن النبي صلّى الله عليه وسلّم واتفاق أئمة الدين، بل لا يجوز اتخاذ القبور مساجد، سواء كان ذلك ببناء المساجد عليها، أو بقصد الصلاة عندها، بـل أئمة الدين متفقون على النهي عن ذلك"[1].

ويقول أيضاً: " ى صلّى الله عليه وسلّم عن اتخاذ القبور مساجد، وعن الصلاة إليهـا، ولعن اليهود والنصارى، لكو م اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، لأن هذا كـان هـو أول أسباب الشرك في قوم نوح... فهو صلّى الله عليه وسلّم لكمال نصحه لأمته حذرهم أن يقعوا فيما وقع فيه المشركون وأهل الكتاب، فنهاهم عن اتخاذ القبور مسـاجد، وعـن الصلاة إليها، لئلا يتشبهوا بالكفار"[2].

ويوضح ابن القيم – رحمه الله – أن النهي واللعن من النبي صلّى الله عليه وسلّم لمن بنى المساجد على القبور، ليس لأجل النجاسة، بل هو لأجل نجاسة الشرك فقال: "وبالجملـة: فمن له معرفة بالشرك وأسبابه وذرائعه، وفهم عن الرسول صلّى الله عليه وسلّم مقاصده، جزم جزماً لا يحتمل النقيض أن هذه المبالغة منه باللعن والنهي... ليس لأجل النجاسة، بل هي لأجل نجاسة الشرك الملاحقة بمن عصاه، وارتكب ما عنه اه، واتبع هواه، ولم يخش ربه ومولاه... فإن هذا وأمثاله من النبي صلّى الله عليه وسلّم صيانة لحمـى التوحيـد أن يلحق الشرك ويغشاه، وتجريداً له، وغضباً لربه أن يعدل به سواه"[3].

واتفق أهل العلم على النهي عن ذلك والتحذير منه.

يقول العلامة الشوكاني – رحمه الله – : "اعلم أنه اتفق الناس سابقهم ولاحقهم وأولهم وآخرهم من لدن الصحابة – رضي الله عنهم – إلى هذا الوقت أن رفع القبـور والبنـاء عليها بدعة من البدع التي ثبت النهي عنها، واشتد وعيد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لفاعلها، ولم يخالف في ذلك أحد من المسلمين أجمعين"[4].

---

(١) مجموع الفتاوى (٤٨٨/٢٧).

(٢) الجواب الباهر في زوار المقابر (ص١٦).

(٣) إغاثة اللهفان (٢٩٦/١).

(٤) شرح الصدور في تحريم رفع القبور (ص٢٠).

ويقول الشيخ سليمان بن عبد الله – رحمه الله –: "أجمع العلماء على النهي عن البنـاء على القبور، وتحريمه، ووجوب هدمه، لهذه الأحاديث الصحيحة التي لا مطعن فيها بوجه من الوجوه، ولا فرق في ذلك بين البناء في مقبرة مسبلة أو مملوكة، إلا أنه في المملوكـة أشد، ولا عبرة بمن شذ من المتأخرين فأباح ذلك إما مطلقاً، أو في المملوكة..." [(١)].

وعليه فما قرره الشيخ مرعي من النهي عن البناء على القبور ، هو معتقد السلف – رحمهم الله - .

(١) تيسير العزيز الحميد (ص٢٦٨).

* المسـألة الثانية :

الصلاة عند القبور:

يرى الشيخ مرعي – رحمه الله – أن الصلاة عند القبور منهي عنها مطلقاً فقال: "اعلم أن الصلاة عند القبور مطلقاً... قد تواترت النصوص عن النبي صلّى الله عليه وسلّم بالنهي عن ذلك والتغليظ فيه"[(١)].

ثم نقل عن شيخ الإسلام – رحمه الله – نقلاً يؤيد ما ذهب إليه فقال: "قال ابن تيمية: تكره الصلاة في المقابر من غير خلاف أعلمه، وتحرم في مذهب الإمام أحمد ولا تصـح في ظاهر المذهب وعليه جمهور الحنابلة وبه يفتى لما روى أبو سعيد الخدري – رضي الله عنه عن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال: **"الأرض كلها مسجد إلا المقبرة والحمام"**[(٢)(٣)].

ثم ذكر اختلاف الفقهاء في علة النهي عن الصلاة عند القبور، واختار أن العلـة لـئلا تتخذ ذريعة إلى نوع من الشرك فقال: "واختلف الفقهاء في علة النهي، فذهبت طائفة إلى أنه تعبدي، وذهب آخرون إلى أن سبب الكراهة في الصلاة في المقبرة ليس إلا كونها مظنة النجاسة... والمقصود الأكبر بالنهي عن الصلاة عند القبور ليس هذا، فإنه عليه السلام قد بين أن اليهود والنصارى كانوا إذا مات فيهم الرجل الصالح بنو على قبره مسجداً... فهذا يبين أن سبب النهي ليس هو مظنة النجاسة، وإنما هو مظنة اتخاذها أوثاناً، ولـئلا تتخـذ ذريعة إلى نوع من الشرك، بالعكوف عليها، وتعلق القلوب بها رغبة ورهبة"[(٤)].

ثم بين أن الشخص إذا قصد بصلاته عند القبور التبرك ببقعة معينة، فهذا بدعة، وهـو مخالف لله ولرسوله ولإجماع المسلمين فقال: "وأما إذا قصد الشخص الصلاة عند بعـض

---

(١) شفاء الصدور (١٨٩).

(٢) المصدر السابق (ص١٨٩)، انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (ص٣٣٠-٣٣٧).

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة – باب الأرض كلها مسجد إلا المقبرة والحمام، (ح٤٩٢)، (ص١٢٥٩)، بتقديم الحمام، والترمذي في كتاب الصلاة – باب الأرض كلها مسـجد إلا المقـبرة والحمـام، (ح٣١٧)، (ص١٦٧١)، وقال : هذا حديث فيه اضطراب ، وابن ماجه في كتاب المساجد – باب المواضع التي تكـره فيها الصلاة، (ح٧٤٥)، (ص٢٥٢١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٣٦/١) والإرواء (٣٢٠/١).

(٤) شفاء الصدور (ص١٨٩).

قبور الأنبياء والصالحين، متبركاً بالصلاة في تلك البقعة، أو أ ا أفضل، فهذا عين ابتـداع دين وتشريع ما لم يأذن به الله، فإن المسلمين قد أجمعوا على أن الصلاة عند القبر، أي قبر كان لا مزية فيها، ولا فضل فيها يزيد على الصلاة عند غير القبور، ولا للصلاة في تلـك البقعة مزية خير أصلاً بل مزية شر"[1].

دراسـة رأيه:

يتضح من كلام الشيخ مرعي – رحمه الله – حول الصلاة عند القبور، أنه يرى أن الصلاة عند القبور منهي عنها مطلقاً، وعلل ذلك بقوله لئلا تتخذ ذريعة إلى نوع مـن الشرك.

وهذا الرأي الذي اختاره الشيخ هو رأي السلف - رحمهم الله -.

فهذا شيخ الإسلام – رحمه الله – يبين أن أئمة الدين قد و عن قصد الصـلاة عنـد القبور، ولم يبيحوها فضلاً عن أن يستحبوها، بل من قال باستحبا ا في المقبرة، فقد مرق من دين الله، لأنه مخالف لشرع الله، ومخالف لإجماع المسلمين فقال: "بل أئمـة الـدين متفقون على النهي عن ذلك، وأنه ليس لأحد أن يقصد الصلاة عند قبر أحد، لا نبي ولا غير نبي، وكل من قال: إن قصد الصلاة عند قبر أحد، أو عند مسجد بني علـى قـبر أو مشهد أو غير ذلك، أمر مشروع بحيث يستحب ذلك، ويكون أفضل مـن الصـلاة في المسجد الذي لا قبر فيه، فقد مرق من الدين، وخالف إجماع المسـلمين، والواجـب أن يستتاب قائل هذا ومعتقده، فإن تاب وإلا قتل"[2].

ويقول أيضاً موضحاً أن الرجل إذا قصد الصلاة عند قبور الأنبياء والصالحين، متبركـاً فقد حاد الله ورسوله: "فإذا قصد الرجل الصلاة عند قبور الأنبياء والصـالحين، متبركـاً بالصلاة في تلك البقعة، فهذا عين المحادة لله ولرسوله، والمخالفة لدينه، وابتـداع ديـن لم يأذن به الله"[3].

---

(١) شفاء الصدور في زيارة المشاهد والقبور (ص١٩٥).

(٢) مجموع الفتاوى (٤٨٨/٢٧).

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم (٦٧٤/٢).

وكذا الشيخ سليمان بن عبد الله – رحمه الله – يوضح أن الصـلاة في المقـبرة، وإلى القبور حرام فقال: "إن الصلاة عند القبور وإليها، من اتخاذها مساجد، الملعون من فعلـه، وإن لم يبن مسجداً، فتحرم الصلاة في المقبرة وإلى القبور"(١).

وما اختاره الشيخ مرعي من أن علة النهي عن الصلاة عند القبور، هي لئلا يتخذ ذريعة إلى نوع من الشرك، هو الحق الذي تدل عليه النصوص الشرعية.

قال شيخ الإسلام – رحمه الله –: "فهذه المفسدة – التي هي مفسدة الشـرك كـبيرة وصغيرة – هي التي حسم النبي صلّى الله عليه وسلّم مادتها، حتى نهى عن الصلاة مطلقـاً، وإن لم يقصد المصلي بركة البقعة بصلاته، كما يقصد بصلاته بركة المساجد الثلاثة، كما نهى عن الصلاة وقت طلوع الشمس وغروبها(٢)، لأنها الأوقات التي يقصد المشركون بركة الصلاة للشمس فيها، فنهى المسلم عن الصلاة حينئذ وإن لم يقصد ذلك سداً للذريعة"(٣).

أما التعليل بمظنة النجاسة أو مجاورتها، فهو تعليل فاسد لا تدل عليه النصوص، وقد رد ابن القيم – رحمه الله – هذا التعليل من وجوه:

١ – أن الأحاديث كلها ليس فيها فرق بين المقبرة الحديثة والمنبوشـة، كمـا يقولـه المعللون بالنجاسة.

٢ – أنه صلّى الله عليه وسلّم لعن اليهود والنصارى على اتخـاذهم قبـور أنبيـائهم مساجد، ومعلوم قطعاً أن هذا ليس لأجل النجاسة، فإن ذلك لا يختص بقبـور الأنبيـاء، ولأن قبور الأنبياء من أطهر البقاع، وليس للنجاسة طريق عليها البتة، فإن الله حرم علـى الأرض أن تأكل أجسادهم.

---

(١) تيسير العزيز الحميد (ص٢٦٣).

(٢) في الحديث (نهى عن الصلاة بعد الصبح حتى تشرق الشمس وبعد العصر حتى تغرب) رواه البخاري في كتاب المواقيت – باب الصلاة بعد الفجر حتى ترتفع الشمس (ح٥٨١)، (ص٤٧)، وروى مسلم حديثاً آخر بلفظه (ثلاث ساعات كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ينهانا أن نصلي فيهن) الحديث. صحيح مسلم كتـاب صلاة المسافرين – باب الأوقات التي نهى عن الصلاة فيها، (ح٢٩٣)، (ص٨٠٨).

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم (٦٧٤/٢).

٣ – أن موضع مسجده صلّى الله عليه وسلّم كان مقبرة للمشركين، فنبش[١] قبورهم وسواها واتخذه مسجداً، ولم ينقل ذلك التراب، بل سوى الأرض ومهدها وصلى فيه[٢].

فبهذا نعلم أن النهي عن الصلاة في المقبرة، إنما هو لئلا يتخذ ذريعة إلى نوع من الشرك، واتخاذ القبور مساجد .

قال شيخ الإسلام – رحمه الله –: "والفعل إذا كان يفضي إلى مفسدة وليس فيه مصلحة راجحة، ينهى عنه، كما ي عن الصلاة في الأوقات الثلاثة، لما في ذلك من المفسدة الراجحة، وهو التشبه بالمشركين الذي يفضي إلى الشرك..." [٣].

أما عن صحة الصلاة في المقبرة أو بطلا ا ووجوب إعاد ا، فهذه مسألة فقهية مبناها على أن النهي في العبادة، راجع إلى أمر متعلق بذا ا، أو بأمر خارج عنها متعلق ا، وكل هذه المباحث موجودة في كتب الفقه وأصوله، وليست من مقاصد هذا البحث، ولكن تجدر الإشارة إلى أن شيخ الإسلام يرى أن الصلاة محرمة وغير صحيحة[٤].

كما أنه لا فرق بين الصلاة في مسجد بني على قبر، وبين الصلاة في مسجد أحدث داخله قبر، لتحقق علة النهي والتحريم في المسجدين.

غير أن القبر إن كان طارئاً على المسجد: وجب نبشه وإخراجه منه، وإن كان المسجد هو الطارئ على القبر وجب هدمه وإزالته[٥].

---

(١) الحديث رواه البخاري في كتاب الصلاة – باب هل تنبش قبور مشركي الجاهلية، (ح٤٢٨)، (ص٣٦)، ومسلم في كتاب المساجد – باب ابتناء مسجد النبي صلّى الله عليه وسلّم، (ح٩)، (ص٧٥٩).

(٢) انظر: إغاثة اللهفان (٢٩٤/١)، وانظر: اقتضاء الصراط المستقيم (٧٦٦/٢-٧٦٧).

(٣) مجموع الفتاوى (١٦٣/١-١٦٥).

(٤) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (٦٧٦/١).

(٥) انظر: زاد المعاد (٥٧٢/٣)، مجانبة أهل الثبور (ص٥٠).

* المسـألة الثالثة :

الذبح عند القبور:

يرى الشيخ مرعي – رحمه الله – كراهة الذبح عند القبور[١] فقـال: "وكـره ذبـح وأضحية عند قبر، وأكل منه"[٢].

وقال نقلاً عن شيخ الإسلام: "وأما الذبح هناك [يعني عند القبور] فمنهي عنه مطلقـاً ذكره أصحابنا وغيرهم لما روى أنس – رضي الله عنه – عن النبي صلّى الله عليه وسـلّم قال: **"لا عقر** في **الإسلام"**[٣]، قال عبد الرزاق[٤]: "كانوا يعقرون عند القـبر بقـرة أو شاة"[٥].

وقال أيضاً نقلاً عن شيخ الإسلام: "وليس في ذكر الله هناك، أو القراءة عند القـبر، أو الصيام، أو الذبح عنده، فضل عن غيره من البقاع"[٦].

دراسـة رأيه:

الذبح لغة: مصدر ذبح يذبح ذبحاً.

قال ابن فارس: "الذال والباء والحاء أصل واحد، وهو يدل على الشق.

فالذبح مصدر ذبحت الشاة ذبحاً"[٧].

---

(١) أطلق الشيخ مرعي هنا الكراهة وأراد ا التحريم، كإطلاق جماعات من الأئمة ذلك، وهم لا يريـدون بـه إلا ذلك، ووهم من ظنهم أرادوا كراهة التنـزيه. انظر: إعلام الموقعين (١ / ٣٩) ، تطهير الاعتقاد، ضمن الجامع الفريد (ص٦٠٦)، مجانبة أهل الثبور (ص١٨-١٩).

(٢) غاية المنتهى في الجمع بين الإقناع والمنتهى (٢٧٧/١).

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب الجنائز – باب كراهية الذبح عند القبور، (ح٣٢٢٢)، (ص١٤٦٥)، وصـححه الألباني في صحيح الجامع (١٢٥٢/٢).

(٤) هو عبد الرزاق بن همام بن نافع الصنعاني، له تصانيف منها: المصنف، تفسير القرآن، توفي سنة ٢١١هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٥٦٣/٩)، والأعلام (٣٢٢/٥).

(٥) شفاء الصدور (ص٢٤٠)، وانظر: اقتضاء الصراط المستقيم (ص٣٨١).

(٦) المصدر السابق (ص٣٢٩)، وانظر: اقتضاء الصراط المستقيم (ص٣٧٨).

(٧) معجم مقاييس اللغة (ص٣٧٢)، وانظر: ذيب اللغة (١٢٦٦/٢)، لسان العرب (٤٣٦/٢).

واصطلاحاً: ذبح حيوان مقدور عليه مباح أكله بقطع الحلقوم أو المريء[1].

وهو قسمان :

الأول: عبادة .

الثاني: عادة .

والذبح الذي يقصد به التقرب من أنواع العبادة، التي يجب صرفها لله عز وجل، ويحرم صرفها لغيره[2].

قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ﴾[3].

وقال سبحانه: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾[4].

يقول الحافظ ابن كثير – رحمه الله –: "يأمر الله رسوله صلّى الله عليه وسلّم أن يخبر المشركين الذين يعبدون غير الله ويذبحون لغير اسمه أنه مخالف لهم في ذلك، فإن صلاته ونسكه على اسمه وحده لا شريك له.

وهذا كقوله أي أخلص له صلاتك وذبحك، فإن المشركين كانوا يعبدون الأصنام ويذبحون لها، فأمره تعالى بمخالفتهم، والانحراف عما هم فيه، والإقبال بالقصد والنية والعزم على الإخلاص لله تعالى"[5].

والذبح عند القبر إن كان لصاحب القبر فهو شرك، سواء تلفظ وقال: هذه الذبيحة للقبر، أو نوى بقلبه، بل قد ورد في السنة لعن من ذبح لغير الله، يقول صلّى الله عليه

---

(١) انظر: بدائع الصنائع (٤١/٥)، مغني المحتاج (٢٦٥/٤) .

(٢) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (ص٢٥٥)، مجموع الفتاوى (٥٣١/١٦).

(٣) سورة الأنعام، الآيتان: (١٦٢، ١٦٣).

(٤) سورة الكوثر، الآية: (٢).

(٥) تفسير القرآن العظيم (٢٢٢/٢).

وسلّم: **"لعن الله من ذبح لغير الله"**[1].

وأما إن كان الذبح عند القبر لله فهو حرام، لأنه وسيلة إلى الشرك، وكذلك في الذبح في هذا المكان تعظيم لصاحب القبر، وقد ى النبي صلّى الله عليه وسلّم عـن الوسـائل المفضية إلى الشرك، مثل: يه عن الصلاة إلى القبور وإن كان الـداعي لا يـدعو إلا الله وحده، لكن هذا المكان لا يصلح التعبد فيه، لأنه وسيلة إلى الشرك[2].

حكم الأكل من الذبيحة التي تذبح عند القبور:

إذا كان الذبح لصاحب القبر فقد أجمع أهل العلم على تحريم ذبيحة من ذبح لغير الله، وذكر عليها غير اسمه، وأن ذلك كله داخل في قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ ﴾[3][4].

أما إذا كان ذبحاً لله عند القبر، فكذلك حكم الذبيحة حرام، لأن الذبح لا يمكن أن يقع عند القبر إلا لمعظم[5].

ولخبر أنس – رضي الله عنه – **(لا عقر** في **الإسلام)**، قال عبد الـرزاق: "كـانوا يعقرون عند القبر بقرة أو شاة".

قال الإمام أحمد – رحمه الله –: "قال النبي صلّى الله عليه وسلّم: **"لا عقر** في **الإسلام"** كانوا إذا مات لهم الميت نحروا جزوراً على قبره،فنهى النبي صلّى الله عليه وسـلّم عـن ذلك[6] " .

---

(١) أخرجه مسلم كتاب الأضاحي - باب تحريم الذبح لغير الله ولعن فاعله (ح١٩٧٨)، (ص١٠٣١) من حديث علي بن أبي طالب – رضي الله عنه -.

(٢) انظر: تيسير العزيز الحميد (ص١٥٤)، إعانة المستفيد (١٧٨/١).

(٣) سورة البقرة، الآية: (١٧٣).

(٤) انظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن (٨٩/٢).

(٥) انظر: تطهير الاعتقاد (ص٥٨١)، شرح الصدور بتحريم رفع القبور (ص٣٤)، الذبائح عند القبور (ص٤٤).

(٦) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (ص٤٨١).

وقال شيخ الإسلام رحمه الله –: يحرم الذبح والتضحية عند القبر، ولو نذره، ولو شرطه واقف كان شرطاً فاسداً[1].

يتضح مما سبق عرضه صحة ما ذهب إليه الشيخ مرعي من النهي عن الذبح عند القبور، وهذا الرأي الذي ذهب إليه الشيخ مرعي هو مذهب أهل الحق من سلف الأمة – رحمهم الله - لأن الذبح عند القبور إما أن يكون ذبح لغير الله تعالى، أو فيه تشبه بالمشركين، أو أنه يؤدي إلى الاغترار بهذا الفعل، لأن من رآك تذبح بمكان يذبح فيه المشركون ظن أن فعل المشركين جائز.

وإليك بعض أقوال أهل العلم التي تبين كراهة الذبح عند القبور:

قال النووي[2] – رحمه الله –: "وأما الذبح والعقر عند القبر فمذموم لحديث أنس"[3].

وقال البهوتي - رحمه الله – وهو يقرر كراهة الذبح عند القبور: "ويكره الذبح عند القبور، والأكل منه لخبر أنس **"لا عقر في الإسلام"**"[4].

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله – رحمه الله – عند شرحه لباب "لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله" من كتاب التوحيد: "وقول الله تعالى ﴿ لَا تَقُمۡ فِيهِ أَبَدٗاۚ لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٞ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ

---

(١) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (ص٣٨١)، حاشية الروض المربع (١٤٣/٣)، الإنصاف (٢٨٧/٦)، الفروع (٤١٠/٣).

(٢) يحيى بن شرف بن مري بن حسن بن حسين الحزامي، محيي الدين، أبو بكر زكريا النووي، له تصانيف كثيرة منها: شرح صحيح مسلم، رياض الصالحين، توفي سنة ٦٧٦هـ.
انظر: تذكرة الحفاظ (١٤٧٠/٤)، وطبقات الشافعية (٣٩٥/٨) والأعلام (٦٢/٨).

(٣) شرح المهذب (٣٢٠/٥).

(٤) الروض المربع شرح زاد المستقنع(ص١٩٣).

﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴾[1]، حاصل كلام المفسرين في الآية أن الله ى رسوله صلّى الله عليه وسلّم أن يقوم في مسجد الضرار في الصلاة فيه أبداً، والأمة تبع له في ذلك، ثم حثه على الصلاة في مسجد قباء الذي أسس من أول يوم بني فيه على التقوى، وهي طاعة الله ورسوله صلّى الله عليه وسلّم، وجمعاً لكلمته في الموضعين، ومعقلاً ومنـزلاً للإسلام وأهله بقوله: ﴿ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ ﴾[2] والسياق إنما هو في مسجد قباء... وهذا بخلاف مسجد الضرار الذي أسس على معصية الله تعالى كما قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾[3] فلهذه الأمور ى الله نبيه صلّى الله عليه وسلّم عن القيام فيه للصلاة... ووجه الدلالة من الآية على الترجمة من جهة القياس، لأنه إذا منع الله رسوله صلّى الله عليه وسلّم عن القيام لله تعالى في هذا المسجد المؤسس على هذه المقاصد الخبيثة مع أنه لا يقوم فيه إلا لله، فكذلك المواضع المعدة للذبح لغير الله لا يذبح فيها الموحد لله، لأ ا قد أسست على معصية الله والشرك به"[4].

وقال الشيخ محمد ناصر الدين الألباني[5] – رحمه الله – بعد أن ذكر بعض النقول عن أهل العلم التي تبين النهي عن الذبح عند القبور: "هذا إذا كان الذبح هناك لله تعالى: [أي أنه لا يجوز الذبح عند القبور وإن كانت لله] وأما إذا كان لصاحب القبر كما يفعله بعض

---

(١) سورة التوبة، الآية: (١٠٨).

(٢) سورة التوبة، بعض آية: (١٠٨).

(٣) سورة التوبة، الآية: (١٠٧).

(٤) تيسير العزيز الحميد (ص١٥٢).

(٥) محمد ناصر الدين بن نوح بن آدم بن نجاتي الألباني، له تصانيف كثيرة منها: إرواء الغليل في تخريج أحاديـث منار السبيل، تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد، توفي سنة ١٤٢٠هـ.
انظر: صفحات بيضاء من حياة محمد ناصر الدين الألباني (ص ١٠) وما بعدها، ومحمد ناصر الدين الألبـاني محدث العصر وناصر السنة (ص١١، ٥٢، ٥٥).

الجهال فهو شرك صريح، وأكله حرام وفسق كما قال تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ﴾[1] أي والحال أنه كذلك بأن ذبح لغير الله، إذ هو الفسق هنا كما ذكره الله بقوله تعالى: ﴿ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ﴾"[2][3].

(١) سورة الأنعام، الآية: (١٢١).
(٢) سورة الأنعام، الآية: (١٤٥).
(٣) أحكام الجنائز وبدعها (ص٢٥٩).

* المسـألة الرابعة :

التمسـح بالقبور وتقبيلها:

ذكر الشيخ مرعي – رحمه الله – عن أصحاب الإمام مالك – رحمه الله تعالى – أن زائر القبر لا يتمسح به ولا يمسه فقال: "وذكر أصحاب الإمام مالك – رحمه الله تعالى – أن الزائر لا يتمسح بقبر النبي صلّى الله عليه وسلّم ولا يمسه"[1].

ثم نقل عن شيخ الإسلام – رحمه الله – اتفاق العلماء على أن من زار قبر النبي صلّى الله عليه وسلّم أو قبر غيره من الأنبياء والصالحين أنه لا يتمسح به ولا يقبله فقال: "وقد اتفق العلماء على أن من زار قبر النبي صلّى الله عليه وسلّم، أو قبر غيره من الأنبياء والصالحين، أنه لا يتمسح به ولا يقبله"[2].

ثم ذكر أنه إذا كان تقبيل قبر النبي صلّى الله عليه وسلّم والتمسح به مكروه ، فكراهة غيره من باب أولى فقال: "فإذا كان تقبيل قبر النبي صلّى الله عليه وسلّم، والتمسح به مكروه، فكراهة غيره بالطريق الأولى من قبور الأولياء والأنبياء وأعتا م وأضرحتهم، وإن اعتقد فاعل ذلك أنه قربة كان حراماً لأن ذلك ليس من المشروع في الدين"[3].

ثم بين أن تقبيل القبور والتمسح ا بدعة باتفاق السلف فقال: "وأما تقبيل القبور والتمسح ا فهو بدعة باتفاق السلف فيشدد النكير على من فعل ذلك"[4].

وقال في موضع آخر من كتبه: "ولا يتمسح بالقبر ولا يقبله"[5][6].

وقد بين الشيخ – رحمه الله – الحكمة في كراهة تقبيل القبور والتمسح ا فقال: "وإنما شدد الأئمة في ذلك خوف اتخاذ ذلك من جملة العبادة والقربة كما قد يتوهمه كثير من العامة، وحينئذ فيتأكد النهي والزجر في حق العالم ومن يقتدي به، إذا فعل ذلك بين

---

(١) شفاء الصدور في زيارة المشاهد والقبور (ص١٧١).

(٢) المصدر السابق (ص١٧١)، وانظر: مجموع الفتاوى (٧٩/٢٧).

(٣) المصدر السابق (ص١٧٦).

(٤) المصدر السابق (١٧٩).

(٥) جة الناظرين وآيات المستدلين (ص٤٥١).

(٦) وقد أشار الشيخ مرعي في عدة مواضع من كتبه إلى كراهة تقبيل القبور والتمسح ا. انظر: دليـل الطالـب (ص٨٢)، وغاية المنتهى (٢٦٩/١)، تشويق الأنام في حج بيت الله الحرام (٣٤/ أ) مخطوط.

العامة، خوف أن يعتقدوا من فعله أن ذلك سنة"[1].

وقال نقلاً عن شيخ الإسلام – رحمه الله –: "وأما التمسح بقبر النبي صلّى الله عليه وسلّم وتقبيله، فكلهم كره ذلك، و ى عنه، وذلك أ م علموا ما قصده النبي صلّى الله عليه وسلّم من حسم مادة الشرك وتحقيق التوحيد"[2].

دراســة رأيه :

يتضح من كلام الشيخ – رحمه الله – أنه يرى كراهة التمسح بالقبور وتقبيلها، وقد نقل اتفاق السلف على ذلك، ونبه أن المنع من التمسح بالقبور وتقبيلها، لحسم مادة الشرك، وتحقيق التوحيد، وهذا الرأي الذي اختاره هو الموافق لما قاله أئمة السلف وعلماؤهم.

قال شيخ الإسلام – رحمه الله – مبيناً اتفاق المسلمين على النهي عن التمسح بالقبور وتقبيلها: "وأما التمسح بالقبر – أي قبر كان – وتقبيله، وتمريغ الخد عليه فمنهي عنه باتفاق المسلمين، ولو كان ذلك من قبور الأنبياء، ولم يفعل هذا أحد من سلف الأمة وأئمتها، بل هذا من الشرك"[3].

وقال أيضاً: "لم يأمر الله ولا رسوله ولا أئمة المسلمين بتقبيل شيء من قبور الأنبياء والصالحين، ولا التمسح به، لا قبر نبينا صلّى الله عليه وسلّم، ولا قبر الخليل صلّى الله عليه وسلّم، ولا قبر غيرهما"[4].

---

(١) شفاء الصدور (ص١٧٩).

(٢) المصدر السابق (ص١٧٢)، انظر: مجموع الفتاوى (٨٠/٢٧).

(٣) مجموع الفتاوى (٩١/٢٧).

(٤) المصدر السابق (١٠٧/٢٧).

* المســألة الخامسة :

شــد الرحال إلى القبور:

ذكر الشيخ مرعي – رحمه الله – أقوال العلماء في شد الرحال إلى القبور فقال: "وأما السفر لزيارة القبور فهي مسألة اختلف العلماء فيها، فذهب قوم إلى أن السفر لزيار ا جائز... وذهب قوم إلى أن السفر إليها مكروه، وذهب قوم إلى أن السفر إليها حرام... ومال إلى هذا القول شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية وقال: لأن هذا السفر بدعة لم يكن في عصر السلف"(١).

ثم ذكر عن شيخ الإسلام – رحمه الله – منشأ الخلاف في المسألة فقال: "والعمدة في هذه المسألة هو الحديث المتفق على صحته، ومنشأ الخلاف بين العلماء جاء من احتمال صيغة قوله صلّى الله عليه وسلّم: **"لا تشد الرحال"**(٢) ذات وجهين نفي و ي لاحتمالها لهما، فإن لحظ معنى النفي، فمعناه نفي فضيلة واستحباب السفر إلى غير المساجد الثلاثة، فهذا وجه متمسك من قال بإباحة هذا السفر بالنظر إلى أن هذه الصيغة صيغة نفي... وإن لحظ معنى النهي، فالمعنى حينئذ يحتمل التحريم أو الكراهة للسفر إلى غير المساجد الثلاثة، إذ المقرر عند عامة الأصوليين أن النهي عن الشيء قاضٍ بتحريمه، أو كراهته، على حسب الأدلة، واحتمال التحريم هو الأصل في النهي"(٣).

ثم نقل عن شيخ الإسلام – رحمه الله – قوله بتحريم شد الرحال إلى القبور وأيده وارتضاه ودافع عنه فقال: "فمن اعتقد أن السفر لزيارة قبور الأنبياء والصالحين، قربة وعبادة وطاعة فقد خالف الإجماع، وإذا سافر لاعتقاده أ ا طاعة كان ذلك محرماً بإجماع المسلمين، ومعلوم أن أحداً لا يسافر إليها إلا لذلك.

---

(١) شفاء الصدور في زيارة المشاهد والقبور (ص٢٨٠) وانظر: اقتضاء الصراط المستقيم (ص٣٢٨).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة – باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، (ح١١٨٩)، (ص٩٢)، وأخرجه مسلم في كتاب الحج – باب فضل المساجد الثلاثة، (ح٣٣٨٤)، (٩٠٩). والحديث تمامه قوله صلّى الله عليه وسلّم: **"لا تشد الرحال إلا لثلاثة مساجد: المسجد الحرام ومســجدي هذا والمسجد الأقصى"**.

(٣) شفاء الصدور في زيارة المشاهد والقبور (ص٢٨٤)، انظر: مجموع الفتاوى (٢٠١/٢٧).

هذا ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية، وهو في غاية التحقيق، ولقد أجاد في نقله كلام الأئمة على وجهه، وأحسن في بيان المذاهب في هذه المسألة، واختار القول بتحريم السفر إلى زيارة المشاهد والقبور تبعاً لطائفة من العلماء والمحققين، وعملاً بظاهر الحديث المتفق على صحته بين المحدثين"[1].

ثم قال الشيخ مرعي: "من المعلوم أن الصحابة السابقين الأولين والتابعين لهم بإحسان قد فتحوا البلاد بعد موت النبي صلّى الله عليه وسلّم وسكنوا الشام والعراق ومصر وغيرها، وهم كانوا أعلم بالدين واتبع له ممن بعدهم، ولم يكن أحد منهم يسافر ـرد زيارة القبور"[2].

دراسـة رأيه :

يتضح من كلام الشيخ مرعي – رحمه الله – حول شد الرحال إلى القبور، أنه يرى تحريم ذلك، وعلل بقوله أن الصحابة والتابعين سكنوا الشام ومصر وغيرها من البلدان بعد وفاة النبي صلّى الله عليه وسلّم ولم يكن أحد منهم يسافر ـرد زيارة القبور، وهذا الرأي الذي اختاره الشيخ هو تأييد ودفاع عن مذهب أهل الحق من سلف هذه الأمة – رحمهم الله-.

والناظر في حال السلف من الصحابة والتابعين يجد العمل الموافق والمطابق لما أوصى به النبي صلّى الله عليه وسلّم، فقد نزلت ـم نوازل جمة، ومحن كثيرة فلم يقصدوا قبر النبي صلّى الله عليه وسلّم للدعاء عنده، ولا قصدوا قبر أبي بكر وعمر – رضي الله عنهما – ولا غيرهما من الصحابة بل توجهوا لله السميع ا ـيب، فعلم من ذلك أن هذا العمل ليس مشروعاً، وليس من الدين في شيء.

يقول شيخ الإسلام – رحمه الله – وهو يشرح حديث **(لا تشد الرحال...)**[3]:

---

(١) شفاء الصدور في زيارة المشاهد والقبور (ص٢٩١)، وانظر: الرد على الأخنائي (ص٤٤) ومجموع الفتـاوى (١٨٧/٢٧-١٨٨).

(٢) المصدر السابق (ص٢٩٥)، انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (ص٤٣٨).

(٣) سبق تخريجه (ص١٤٣).

"وهذا النهي يعم السفر إلى المساجد والمشاهد، وكل مكان يقصد به السفر إلى عينه للتقرب"(1).

وقال – رحمه الله – مبيناً أن السفر إلى زيارة قبور الأنبياء والصالحين بدعة، ولم يفعله أحد من الصحابة والتابعين، ومن فعله فهو مخالف للسنة ولإجماع الأئمة: "السفر إلى زيارة قبور الأنبياء والصالحين بدعة، لم يفعلها أحد من الصحابة ولا التابعين، ولا أمر ا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ولا استحب ذلك أحد من أئمة المسلمين، فمن اعتقد ذلك عبادة وفعله، فهو مخالف للسنة ولإجماع الأئمة"(2).

وقال الشيخ ولي الله الدهلوي(3) – رحمه الله –: "كان أهل الجاهلية يقصدون مواضع معظمة يزورو ا ويتبركون ا، وفيه من التحريف والفساد ما لا يخفى، فسد صلّى الله عليه وسلّم الفساد، لئلا يلحق غير الشعائر بالشعائر، ولئلا يصير ذريعة لعبادة غير الله، والحق عندي أن القبر، ومحل عبادة ولي من الأولياء كل ذ لك سواء في النهي"(4).

وقال الشيخ محمد ناصر الدين الألباني – رحمه الله – مبيناً تحريم السفر إلى غير المساجد الثلاثة، ومشيراً إلى أن هذا القول هو الذي اختاره كبار العلماء المحققين أمثال شيخ الإسلام وتلميذه: "تحريم السفر إلى غير المساجد الثلاثة من المواضع الفاضلة، هو الذي يجب المصير إليه، فلا جرم اختاره كبار العلماء المحققين المعروفين باستقلالهم في الفهم، وتعمقهم في الفقه عن الله ورسوله أمثال شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم – رحمهما الله تعالى –"(5).

---

(1) اقتضاء الصراط المستقيم (182/2).

(2) مجموع الفتاوى (187/27).

(3) هو أحمد ولي الله بن عبد الرحيم الدهلوي،له مصنفات كثيرة منها: الزهراوين، وشرح تراجم أبواب البخاري، توفي سنة 1176هـ.
انظر: الأعلام (1 / 149) .

(4) حجة الله البالغة (601/1).

(5) أحكام الجنائز وبدعها (ص293).

الفصل الثالث

آراؤه في توحيد الأسماء والصفات

وفيه تمهيد وثلاثة مباحث :

- تمهيد في تعريف توحيد الأسماء والصفات .

المبحث الأول : آراؤه في توحيد الأسماء والصفات إجمالاً .

المبحث الثاني : الصفات الذاتية .

المبحث الثالث : الصفات الفعلية .

الفصل الثالث

آراؤه في توحيد الأسماء والصفات

الفصل الثالث

آراؤه في توحيد الأسماء والصفات

تمهيد في تعريف الأسماء والصفات

هو إفراد الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى التي وردت في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وذلك بإثبات ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم من الأسماء والصفات من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل إثباتاً يليق بجلاله وعظمته، ونفي ما نفاه – عز وجل – عن نفسه، أو نفاه عنه رسوله صلى الله عليه وسلم مما ينافي كماله وجلاله[1].

وقد بين الشيخ مرعي هذا المعنى فقال: "إن أئمتنا الحنابلة يقولون بمذهب السلف، ويصفون الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل"[2].

وما قرره الشيخ مرعي موافق للكتاب والسنة ومذهب السلف – رحمهم الله -.

قال الإمام أحمد – رحمه الله – موضحاً مذهب أهل السنة والجماعة في إثبات الأسماء والصفات: "ليس كمثله شيء في ذاته كما وصف به نفسه، قد أجمل الله الصفة لنفسه صفة ليس يشبهه شيء وصفاته غير محدودة ولا معلومة، إلاّ بما وصف به نفسه، فهو سميع بصير بلا حد ولا قدر، ولا يبلغ الواصفون صفته، ولا نتعدى القرآن والحديث فنقول كما قال، ونصفه بما وصفه به نفسه، ولا نتعدى ذلك"[3].

---

(١) انظر: عقيدة السلف وأصحاب الحديث (ص١٤)، الرسالة التدمرية (ص٦-٧)، مجمـوع الفتـاوى (٣/٣)، مدارج السالكين (٤٨/١)، لوامع الأنوار البهية (١٢٩/١).

(٢) أقاويل الثقات (ص٦٤).

(٣) اجتماع الجيوش الإسلامية (ص١٦٢).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله -: "فالأصل في هذا الباب أن يوصف الله بما وصف به نفسه، وبما وصفته به رسله نفياً وإثباتاً فيثبت لله ما أثبته لنفسه وينفي عنه ما نفاه عن نفسه، وقد علم أن طريقة سلف الأمة وأئمتها إثبات ما أثبته من الصفات من غير تكييف ولا تمثيل ومن غير تحريف ولا تعطيل وكذلك ينفون عنه ما نفاه عن نفسه مع إثبات ما أثبته من الصفات من غير إلحاد في أسمائه وآياته كما قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[1] وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[2]. فطريقتهم تتضمن إثبات الأسماء والصفات مع نفي مماثلة المخلوقات إثباتاً بلا تشبيه، وتنـزيهاً بلا تعطيل"[3].

---

(١) سورة الأعراف، الآية: (١٨٠).

(٢) سورة فصلت، الآية: (٤٠).

(٣) مجموع الفتاوى (٣/٣).

المبحث الأول

آراؤه في الأسماء والصفات إجمالاً

إن مذهب السلف – رحمهم الله – في توحيد الأسماء والصفات هو إثبات أسماء الله تعالى وصفاته التي ورد ا الكتاب والسنة والإيمان ا من غير تأويل ولا تحريف ولا تشبيه ولا تعطيل، وعدم البحث عن كيفيتها ولا كنهها، ونفي ما نفاه الكتاب والسنة من صفات لا يجوز ولا يليق أن يوصف ا سبحانه وتعالى.

وهم في ذلك يعتمدون على الأدلة الواردة في كتاب الله سبحانه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم على حد قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[1]، وقوله: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾[2].

وقد قرر الشيخ مرعي هذا المعنى فقال: "إن أئمتنا الحنابلة يقولون بمذهب السلف، ويصفون الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل"[3].

وقال في موضع آخر: "وأهل الإسلام قد اتفقوا على إثبات ما أثبته الله لنفسه من أوصافه، التي نطق ا القرآن من نحو: سميعٍ وبصيرٍ وعليمٍ وقديرٍ"[4].

وقال نقلاً عن شيخ الإسلام مقرراً قوله: "مذهب سلف الأمة وأئمتها: أن يصفوا الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله، من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل"[5].

فما ذكره الشيخ مرعي – هنا – ونسبه للسلف في نصوص الصفات حق وصدق.

---

(١) سورة الشورى، الآية: (١١).

(٢) سورة الإخلاص، الآية: (٤).

(٣) أقاويل الثقات (ص٦٤).

(٤) المصدر السابق (ص٦٧).

(٥) المصدر السابق (ص٧١)، وانظر: الرسالة التدمرية (ص٧).

ولقد حكى غير واحد من أهل العلم معتقد السلف بما يوافق كلام الشيخ مرعي – رحمه الله -.

يقول أبو عثمان الصابوني[(١)] – رحمه الله – مبيناً عقيدة أصحاب الحديث المتمسكين بالكتاب والسنة أ م "يثبتون له جل جلاله منها [أي الصفات] ما أثبته لنفسه في كتابه، وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، ولا يعتقدون تشبيهاً لصفاته بصفات خلقه، فيقولون: إنه خلق آدم بيده، كما نص سبحانه عليه في قوله عز من قائل: ﴿ قَالَ يَـٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ ﴾[(٢)]، ولا يحرفون الكلام عن مواضعه، بحمل اليدين على النعمتين أو القوتين، ولا يكيفو ا بكيف[(٣)]، ولا يشبهو ا بأيدي المخلوقين، وقد أعاذ الله تعالى أهل السنة من التحريف والتكييف والتشبيه"[(٤)].

وقال ابن قدامة المقدسي[(٥)] – رحمه الله -: "وكل ما جاء في القرآن، أو صح عن المصطفى صلى الله عليه وسلم من صفات الرحمن وجب الإيمان به، وتلقيه بالتسليم والقبول، وترك التعرض له بالرد والتأويل، والتشبيه والتمثيل... وعلى هذا درج السلف وأئمة الخلف رضي الله عنهم، كلهم متفقون على الإقرار، والإمرار، والإثبات لما ورد من

---

(١) هو إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد بن إسماعيل، أبو عثمان الصابوني، كان على منهج أهل السنة، ويلقـب بشيخ الإسلام، له مصنفات منها: الفصول في الأصول، عقيدة السلف وأصحاب الحديث، توفي سنة ٤٤٩هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء (٤٠/١٨)، الأعلام (٣١٧/١).

(٢) سورة ص، الآية: (٧٥).

(٣) مراده – رحمه الله -: أ م لا يكيفو ا بكيفية محدودة معلومة، وإلا فإن صفات الله تعالى لها كيفيات لكنـها غير معلومة.

(٤) عقيدة السلف وأصحاب الحديث (ص١٤).

(٥) هو أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي، كان عالم الشام في زمانه قال ابن النجار: وكـان إمام الحنابلة بجامع دمشق وكان ثقة حجة نبيلاً، ورعاً عابداً، على قانون السلف، لـه مصـنفات منـها: ذم التأويل، لمعة الاعتقاد، توفي سنة ٦٢٠هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء (١٦٥/٢٢)، وذيل طبقات الحنابلة (١٣٣/٤).

الصفات في كتاب الله وسنة رسوله، من غير تعرض لتأويله، وقد أمرنا بالاقتفاء لآثارهم، والاهتداء بمنارهم، وحذرنا المحدثات، وأخبرنا أ ا من الضلالات"[١].

والشيخ مرعي – رحمه الله – يحب السلف الصالح – رحمهم الله – ويعلن التزامه بمنهجهم وعقيد م ويحث على ذلك فقد قال: "ومن السلامة للمرء في دينه اقتفاء طريقة السلف الذي أُمر أن يقتدي م من جاء بعدهم من الخلف، فمذهب السلف أسلم، ودع ما قيل من أن مذهب الخلف أعلم، فإنه من زخرف الأقاويل، وتحسين الأباطيل، فإن أولئك قد شاهدوا الرسول والتنـزيل، وهم أدرى بما نزل به الأمين جبريل"[٢].

وقال: "وبالجملة: فالحق هو اتباع ما كان عليه السلف قولاً وفعلاً واعتقاداً، وما سواه فهو اتباع هوى"[٣].

وقال مصرحاً بأنه على مذهب السلف: "وبمذهب السلف أقول، وأدين الله تعالى به، وأسأله سبحانه الموت عليه مع حسن الخاتمة في خير وعافية"[٤].

ومذهب السلف – رحمهم الله – هو المذهب الصحيح الذي يجب على كل مسلم اتباعه والأخذ به ولا يجوز العدول عنه والأخذ بما سواه.

ومع هذا فالشيخ مرعي - عفا الله عنه - سلك مذهب السلف في باب الصفات إجمالاً لا تفصيلاً، لأن المتأمل في كتابه "أقاويل الثقات"، يجد أن كلامه على أغلب الصفات جاء مخالفاً لمذهب السلف، فالشيخ مرعي قد اضطرب في باب الصفات، ولم يتضح عنده رأي السلف في هذا الباب.

ومخالفته في باب الصفات تتضح في الأمور التالية:

أولاً: قوله إن التفويض في الصفات هو مذهب السلف – رحمهم الله -.

ثانياً: جعله آيات الصفات من المتشابه.

ثالثاً: تجويزه التأويل في الصفات.

---

(١) لمعة الاعتقاد (ص٣١).

(٢) أقاويل الثقات (ص٤٦).

(٣) المصدر السابق (ص١١٢).

(٤) المصدر السابق (ص٢٠٠).

رابعاً: اضطرابه في باب الصفات.

- وإليك بيان ما وقع فيه من مخالفة في هذا الباب:

أولاً: قوله إن التفويض في الصفات هو مذهب السلف – رحمهم الله -:

قرر الشيخ مرعي أن التفويض في الصفات هو مذهب السلف وفي ذلك يقول: "وجمهور أهل السنة منهم السلف وأهل الحديث، على الإيمان ا [أي الصفات] وتفويض معناها المراد منها إلى الله تعالى، ولا نفسرها، مع تنـزيهنا له عن حقيقتها"[١].

وعند كلامه عن صفة الميء يقول: "فمذهب السلف هو السكوت عن الخوض في معناه، وتفويض علمه إلى الله تعالى"[٢].

دراســة رأيه :

تبين **مما سبق عرضه من كلام الشيخ مرعي أنه** ينسب **التفويض** إلى **السلف، وهذه النسبة خاطئة** مخالفة **للصواب، ودعوى** مجردة **عن الدليل والبرهان.**

ويمكن مناقشة الشيخ مرعي في **ذلك من عدة وجوه:**

الوجه الأول: يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله -: "وقد علم أن طريقة سلف الأمة وأئمتها إثبات ما أثبته من الصفات من غير تكييف ولا تمثيل، ومن غير تحريف ولا تعطيل، وينفون عنه ما نفاه عن نفسه، مع إثبات ما أثبته من الصفات من غير إلحاد لا في أسمائه ولا في آياته"[٣].

إذاً فالسلف أثبتوا الصفة ومعناها، وأمسكوا عن طلب معرفة كيفيتها وكنهها، فتفويض السلف في الكيفية لا في المعنى.

الوجه الثاني: إن السلف من الصحابة والتابعين تكلموا في معاني القرآن الكريم، ولم يمتنع واحد منهم عن تفسير آية بحجة أ ا من المتشابه، بل قال عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه -: (والله الذي لا إله غيره ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين نزلت،

---

(١) أقاويل الثقات (ص٦٠).

(٢) المصدر السابق (ص١٩٧).

(٣) التدمرية (ص٧).

ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيم أنزلت)[1].

فهذا يبين أن السلف تكلموا في عامة القرآن الكريم، كيف وهو نزل بلسا م، وجرى على معهودهم في الكلام، وأسلو م في الخطاب[2].

الوجه الثالث: قول الإمام مالك وغيره من السلف حين سئل عن كيفية الاستواء فقال: (الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول)[3]، فالاستواء صفة من صفات الله تعالى وقد أثبتها السلف عن فهم وإدراك، وقوله: غير مجهول – أي معلوم المعنى – وإنما سكتوا عن الكيفية، وهذا مذهبهم في جميع الصفات، فالمنفي علم الكيفية لا حقيقة الصفة، ولو كان القوم قد آمنوا باللفظ ا لمرد من غير فهم لمعناه على ما يليق بالله تعالى، لما قالوا: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، لأن الاستواء حينئذ لا يكون معلوماً، بل مجهولاً بمنـزلة حروف المعجم.

وأيضاً فإنه لا يحتاج إلى نفي علم الكيفية إذا لم يفهم عن اللفظ معنى، وإنما يحتاج إلى ذلك إذا أثبتت الصفة[4].

الوجه الرابع: إن نسبة التفويض إلى السلف خطأ فاحش، ففيه ا ام للسلف بعدم الفهم، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم بلغ قرآناً لا يفهم معناه، بل تكلم بأحاديث الصفات وهو لا يفهم معناها، وأن جبريل كذلك، وأن الصحابة والتابعين كذلك، وهذا ضلال عظيم وهو أحد أنواع الضلال في كلام الله ورسوله صلى الله عليه وسلم[5].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن – باب القراء من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، (ح٥٠٠٢)، (ص٤٣٤).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٤١/٥).

(٣) رواه اللالكائي في شرح أصول أهل السنة والجماعة (٤٢٩/٣) رقم (٦٦٤) والبيهقي في الأسماء والصـفات (٣٠٤/٢)، والذهبي في العلو وقال: هذا ثابت عن مالك وتقدم نحوه عن ربيعة وهو قول أهل السـنة قاطبـة (ص١٤١).

(٤) انظر: علاقة الإثبات والتفويض بصفات رب العالمين (ص٥٣)، وموقف المتكلمين من الاستدلال بنصـوص الكتاب والسنة (٨٩٠/٢).

(٥) انظر: درء تعارض العقل والنقل (٢٠٤/١)، ومختصر الصواعق المرسلة (١١٢/١).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله -: "ويجب أن يعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم بين لأصحابه معاني القرآن كما بين لهم ألفاظه، فقوله تعالى: ﴿ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾[1] يتناول هذا وهذا ...

ومن المعلوم أن كل كلام فالمقصود منه فهم معانيه دون مجرد ألفاظه، فالقرآن أولى بذلك، وأيضاً فالعادة تمنع أن يقرأ قوم كتاباً في فن من العلم كالطب والحساب ولا يستشرحوه، فكيف بكلام الله الذي هو عصمتهم، وبه نجاتهم وسعادتهم وقيام دينهم ودنياهم، ولهذا كان النـزاع بين الصحابة في تفسير القرآن قليلاً جداً"[2].

الوجه الخامس: وقوع التناقض في مذهب التفويض، قال ابن القيم – رحمه الله -: "ثم تناقضوا أقبح تناقض فقالوا: تجرى على ظواهرها، وتأويلها بما يخالف الظاهر باطل، ومع ذلك، فلها تأويل لا يعلمه إلا الله، فكيف يثبتون لها تأويلاً، ويقولون تجري على ظواهرها، ويقولون الظاهر منها مراد، والرب منفرد بعلم تأويلها، وهل في التناقض أقبح من هذا؟!!"[3].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "ثم كثير من هؤلاء – المفوضة – يقولون تجرى على ظاهرها، فظاهرها مراد، مع قولهم: إن لها تأويلاً بهذا المعنى لا يعلمه إلا الله، وهذا تناقض وقع فيه كثير من هؤلاء[4] المنتسبين إلى السنة من أصحاب الأئمة الأربعة وغيرهم"[5].

وبهذا يتبين أن نسبة التفويض إلى السلف نسبة خاطئة، ودعوى مجردة عن الدليل والبرهان، وأن الصواب في ذلك هو أن السلف كانوا يعلمون معاني ما أُنزل إليهم من ربهم، ويثبتونها على الوجه اللائق به تعالى، وأنهم إنما كانوا يفوضون الكيفية، لأنها مجهولة لهم، ولا يحيط بها علمهم، ولا تدركها عقولهم.

---

(١) سورة النحل، الآية: (٤٤).

(٢) مجموع الفتاوى (٣٣١/١٣).

(٣) مختصر الصواعق المرسلة (١١٣/١).

(٤) يعني: المفوضة، المنتسبين إلى السنة إجمالاً.

(٥) مجموع الفتاوى (٣٥/٥).

ثانياً: جعله آيات الصفات من المتشابه:

قرر الشيخ مرعي – رحمه الله – أن آيات الصفات من المتشابه فقال: "ومن ذلك آيات الصفات المقدسة، وهي من الآيات المتشا ات"[1].

وقال في موضع آخر: "إن من المتشا ات، آيات الصفات التي التأويل فيها بعيد، فلا تؤول ولا تفسر"[2].

وقال أيضاً وهو يقرر أن الصفات من المتشابه: "اعلم أيدني الله وإياك بروح منه: أن من المتشابه صفات الله تعالى، فإنه يتعذر الوقوف على تحقيق معانيها، والإحاطة ا"[3].

فهذه ثلاثة أمثلة تدل على أن الشيخ مرعي يرى أن نصوص الصفات من المتشابه الذي يفوض علمه إلى الله تعالى.

دراسـة رأيه :

والقول بأن نصوص الصفات أو بعضها من المتشابه الذي يفوض علمه إلى الله قول باطل مجانب للصواب، لأن مقتضاه أن هذه النصوص ليست لها معاني معلومة للعباد، وهذا خلاف مذهب السلف كما تقدم.

والحق أنه لم يعرف أحد من الصحابة قط أنه جعل آيات الصفات متشا ات لا يعلم معناها إلا الله تعالى، بل المنقول عنهم يدل على خلاف ذلك.

وفي ذلك يقول شيخ الإسلام – رحمه الله –: "من قال أن هذا من المتشابه، وأنه لا يفهم معناه، فنقول: أما الدليل على بطلان ذلك: فإني ما أعلم عن أحد من سلف هذه الأمة، ولا من الأئمة، لا أحمد بن حنبل ولا غيره أنه جعل ذلك من المتشابه الداخل في هذه الآية ونفي أن يعلم أحد معناه، أو جعلوا أسماء الله وصفاته بمنـزلة الكلام الأعجمي الذي لا يفهم، ولا قالوا: إن الله ينـزل كلاماً لا يفهم أحد معناه، وإنما قالوا كلمات لها معان صحيحة"[4].

---

(١) أقاويل الثقات (ص٤٨).

(٢) المصدر السابق (ص٦٠).

(٣) المصدر السابق (ص٦٧).

(٤) الإكليل في المتشابه والتأويل، ضمن مجموع الفتاوى (٢٩٤/١٣).

وقال أيضاً بعد أن ذكر جملة من آيات الصفات: "فيقال لمن ادعى في هذا أنه متشابه لا يعلم معناه أتقول هذا في جميع ما سمى الله ووصف به نفسه، أم في البعض؟

فإن قلت: هذا في الجميع، كان هذا عناداً ظاهراً، وجحداً لما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام، بل كفر صريح، فإنا نفهم من قوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىۡءٍ عَلِيمٌ ﴾[1] معنى، ونفهم من قوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىۡءٍ قَدِيرٌ ﴾[2] معنى ليس هو الأول، ونفهم من قوله: ﴿ وَرَحۡمَتِى وَسِعَتۡ كُلَّ شَىۡءٍ ﴾[3] معنى، ونفهم من قوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴾[4] معنى، وصبيان المسلمين، بل وكل عاقل يفهم هذا"[5].

ويقول ابن القيم – رحمه الله –: "وهؤلاء غلطوا في المتشابه وفي جعل هذه النصوص من المتشابه... فتركوا التدبر المأمور به والتعقل لمعاني النصوص، وتعبدوا بالألفاظ المجردة التي أنزلت في ذلك، وظنوا أنها أنزلت للتلاوة والتعبد بها دون تعقل معانيها وتدبرها والتفكر فيها"[6].

والتحقيق في هذه المسائل بأن يقال:

لاشك أن في بعض نصوص الصفات تشابهاً واشتباهاً، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ﴾[7].

---

(1) سورة المجادلة، الآية: (٧).

(2) سورة النور، الآية: (٤٥).

(3) سورة الأعراف، الآية: (١٥٦).

(4) سورة إبراهيم، الآية: (٤٧).

(5) الإكليل في المتشابه والتأويل، ضمن مجموع الفتاوى (٢٩٧/١٣).

(6) مختصر الصواعق المرسلة (١١٣/١).

(7) سورة الأعراف، الآية: (٥٤).

فإنه قد قال: ﴿ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ ﴾[1]، وقال: ﴿ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ ﴾[2]، وقال: ﴿ فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ ﴾[3].

فهذا الاستواء كله يتضمن حاجة المستوي إلى المستوى عليه، وأنه لو عدم من تحته لخر، والله تعالى غني عن العرش، وعن كل شيء، بل هو سبحانه بقدرته يحمل العرش وحملة العرش.

فصار لفظ الاستواء متشا أ يلزمه في حق المخلوقين معاني ينـ ـزه الله عنها، فنحن نعلم معناه، وأنه العلو والاعتدال، لكن لا نعلم الكيفية التي اختص ا الرب التي يكون ا مستوياً من غير افتقار منه إلى العرض، بل مع حاجة العرش، وكل شيء محتاج إليه من كل وجه، وأنا لم نعهد في الموجودات ما يستوي على غيره مع غناه عنه، وحاجة ذلك المستوى عليه إلى المستوي، فصار متشا أ من هذا الوجه، فإن بين اللفظين والمعنيين قدراً مشتركاً وبينهما قدراً فارقاً، هو مراد في كل منهما[4].

ولكن وجود الاشتباه في لفظ الاستواء لا ينفي علمنا بمعناه المراد، وقطعنا بعدم مماثلته لاستواء المخلوقين الذي يلزم منه احتياج المستوي للمستوى عليه.

بل إن جميع الصفات التي يقال فيها أ ا من المتشابه لابد أن تكون معانيها معلومة لنا، وإن كنا نجهل حقائقها وكيفيا ا.

ومنشأ الإشكال والخطأ عند من جعل نصوص الصفات من المتشابه، أ م جعلوا المتشابه مجهول المعنى، فإذا قالوا إن نصوص الصفات من المتشابه، فإ م يعنون بذلك أ ا مجهولة المعنى، ولا يفهم منها شيء معين.

وهذا الزعم باطل بلا شك، فإن الله سبحانه وتعالى حثنا على تدبر كتابه، فقال: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾[5]، ولم يستثن من القرآن شيئاً لا لا

---

(١) سورة هود، الآية: (٤٤).

(٢) سورة الفتح، الآية: (٢٩).

(٣) سورة المؤمنون، الآية: (٢٨).

(٤) انظر: تفسير سورة الإخلاص، ضمن مجموع الفتاوى (٣٧٩/١٧).

(٥) سورة محمد، الآية: (٢٤).

آيات الصفات ولا غيرها، ولو لم تكن مفهومة المعنى لم يكن للتدبر فائدة.

وأيضاً فإن السلف من الصحابة والتابعين وسائر الأمة قد تكلموا في جميع نصوص القرآن، آيات الصفات وغيرها، وفسروها بما يوافق دلالتها وبيا ا، ولو لم تكن مفهومة المعنى لما تكلموا في معانيها، ولما فسروها، وهم أورع هذه الأمة أن يتكلموا في كتاب الله بغير علم[1].

وقد علق الشيخ الشنقيطي[2] – رحمه الله – على كلام لابن قدامة[3] – رحمه الله – جعل فيه آيات الصفات من المتشابه، فقال:

"آيات الصفات لا يطلق عليها اسم المتشابه ـذا المعنى من غير تفصيل، لأن معناها معلوم في اللغة العربية، وليس متشا ا، ولكن كيفية اتصافه جل وعلا ا ليست معلومة للخلق، وإذا فسرنا المتشابه بأنه استأثر الله بعلمه دون خلقه كانت كيفية الاتصاف داخلة فيه، لا نفس الصفة"[4].

و ـذا نعلم أنه لا ينبغي إطلاق القول بأن نصوص الصفات من المتشابه، لأن هذا القول أصبح محتملاً، وهذا اللفظ صار موهماً، ولأنه لم يطلقه السلف الصالح من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، فالأولى الابتعاد عنه، أو الاستفصال عن المعنى المراد به على ضوء ما سبق بيانه.

وعليه يتضح لنا أن قول الشيخ مرعي بأن آيات الصفات من المتشابه يحتمل أكثر من معنى ، فإن أراد أن كيفية الصفات من المتشابه فهذا حق وهو مذهب السلف – رحمهم اللّه – وإن أراد أن معناها من المتشابه فهذا باطل .

---

(١) انظر: الإكليل في المتشابه والتأويل، ضمن مجموع الفتاوى (٣٠٦/١٣).

(٢) هو محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجنكي الشنقيطي، ولد سنة ١٣٢٥هـ بشنقيط (موريتانيا)، له مؤلفات كثيرة منها: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، والأسماء والصفات نقلاً وعقلاً، توفي سـنة ١٣٩٣هـ في مكة المكرمة.

انظر: علماء ومفكرون عرفتهم (١٧١/١)، وترجمة تلميذه الشيخ عطية محمد سالم – رحمه الله – مع مقدمة أضواء البيان (١/ز).

(٣) انظر: روضة الناظر وجنة المناظر (٢٧٩/١).

(٤) مذكرة في أصول الفقه (ص٧٧)، وانظر: منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات (ص٣٨)، والقواعد المثلى (ص٧٦).

ثالثاً: تجويزه التأويل في الصفات:

عرف الشيخ مرعي التأويل، وذكر أنه في القرآن كثير، ومن ذلك آيات الصفات فقال: "والتأويل: هو أن يراد باللفظ ما يخالف ظاهره، أو هو صرف اللفظ عن ظاهره لمعنى آخر، وهو في القرآن كثير، ومن ذلك آيات الصفات المقدسة"(١).

وقال في موضع آخر: "واعلم أن هذه الأحاديث [أي أحاديث الصفات] ونحوها تروى كما جاءت، ويفوض معناها إلى الله، أو تؤول بما يليق بجلاله سبحانه ولا ترد بمجرد العناد والمكابرة"(٢).

والقول: بجواز التأويل في الصفات قول باطل مجانب للصواب.

ويمكن مناقشة الشيخ مرعي في ذلك من عدة وجوه:

الوجه الأول: أن التأويل – بمعنى: صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل يقترن بذلك، وهذا اصطلاح متأخر بعد عصر السلف، فلم يكن يعرف عند الصحابة والتابعين التأويل بهذا الاصطلاح المتأخر، بل كان لفظ التأويل في عرفهم يراد به معنيان:

الأول: التأويل بمعنى تفسير الكلام، سواء وافق ظاهره أم لم يوافق.

الثاني: التأويل بمعنى الحقيقة التي يؤول الكلام إليها(٣).

الوجه الثاني: أن التأويل بهذا المعنى المتأخر مبني على أساس فاسد، وهو أن ظاهر النصوص باطل لا يليق بالله، وهذا جناية على النصوص حيث جعلوها دالة على معنى باطل غير لائق بالله تعالى، ولا مراد له(٤).

---

(١) أقاويل الثقات (ص٤٨).

(٢) المصدر السابق (ص١١٧).

(٣) انظر: الفتوى الحموية الكبرى (ص٢٨٧).

(٤) انظر: القواعد المثلى (٨٢).

الوجه الثالث: أن المتأولين للصفات في أمر مريج[1]، ليس لواحد منهم قاعدة مستمرة فيما يحيله العقل، بل منهم من يزعم أن العقل جوز أو أوجب ما يدعي الآخر أن العقل أحاله[2].

الوجه الرابع: أن المتأول ليس جازماً بالمعنى الذي عينه، وصرف اللفظ إليه، فيكون ممن يقول على الله بلا علم، وهو محرم لقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[3][4].

الوجه الخامس: أنه يلزم من التأويل محذوران عظيمان:

"**أحدهما:** أن لا نقر بشيء من معاني الكتاب والسنة حتى نبحث قبل ذلك بحوثاً طويلة عريضة في إمكان ذلك بالعقل، وكل طائفة من المختلفين في الكتاب يدعون أن العقل يدل على ما ذهبوا إليه، فيؤول الأمر إلى الحيرة.

والثاني: أن القلوب تنحلّ عن الجزم بشيء تعتقده مما أخبر به الرسول، إذ لا يوثق بأن الظاهر هو المراد، والتأويلات مضطربة، فيلزم عزل الكتاب والسنة عن الدلالة والإرشاد إلى ما أنبأ الله به العباد، وخاصة النبي هي الإنباء، والقرآن: هو النبأ العظيم.

ولهذا نجد أهل التأويل إنما يذكرون نصوص الكتاب والسنة للاعتضاد لا للاعتماد، إن

---

(١) أي مختلط، انظر: القاموس المحيط، مادة "مرج"، (٣١٦/١).

(٢) انظر: الفتوى الحموية الكبرى (ص٢٧٢).

(٣) سورة الأعراف، الآية: (٣٣).

(٤) انظر: القواعد المثلى (ص٨٣).

وافقت ما ادعوا أنّ العقل دلّ عليه، وإن خالفته أولوه! وهذا فتح باب الزندقة[1] والانحلال، نسأل الله العافية"[2].

وبذلك يتضح أن التأويل في الصفات منهج باطل مجانب للحق، مخالف لمذهب السلف الموافق للكتاب والسنة والعقل الصريح.

وعليه نعلم خطأ الشيخ مرعي – عفا الله عنه – في تجويزه التأويل في الصفات والله تعالى أعلم.

---

(١) الزندقة :لفظ أعجمي معرب أخذ من كلام الفرس بعد ظهور الإسلام،وكانت تطلق على من يؤمن بكتاب المجوس المقدس الزندافست،ثم أطلقت على كل من أنكر أصل من أصول العقيدة،أويرى رأياً يؤدي إلى ذلك،أو استهزأ بالدين أوشك في ثوابته،ويرى الإمام أحمد أن الجهمية والمعتزلة الذين يقولون أن القرآن مخلوق : هـم الزنادقة.

أنظر : لسان العرب (١٤٧/١٠)،الرد على الجهمية والزنادقة(ص٥١)،الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة (١٠٧٥/٢).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية (٢٥٨/١).

رابعاً: اضطرابه في باب الصفات:

الشيخ مرعي – عفا الله عنه – مضطرب في باب الصفات، فهو أحياناً يحدد أن مذهب السلف هو أن يصفوا الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله، من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، وأحياناً يحدد بأن مذهبهم هو تفويض معناها المراد منها إلى الله تعالى، وأحياناً ينقل أقوالاً لعدد من أئمة السلف تبين مذهبهم ومع ذلك يقرر ما يخالف مذهبهم.

وأحياناً يرى في بعض الصفات التفويض كصفتي المجيء والنـزول، ثم في آخر كلامه يستحسن التأويل مع اختياره مذهب التفويض.

وأحياناً يرى التأويل في الصفات، وأحياناً يصرح بعدم التأويل وأن عدم التأويل هو مذهب السلف[1].

وبذا يتبين أن الشيخ مرعي – عفا الله عنه وغفر له – كان على منهج غير واضح في باب الصفات.

---

(١) انظر: أقاويل الثقات (ص٤٨، ٦٠، ٦١، ٦٣، ٧١، ١١٧، ١٢٠)، (١٩٧ – ٢٠٥).

المبحث الثاني

الصفات الذاتية

صفات الله سبحانه وتعالى الواردة في القرآن الكريم وسنة النبي صلى الله عليه وسلم كثيرة، لكني سأقتصر على جملة من الصفات التي تكلم عنها الشيخ مرعي – رحمه الله –.

وقبل أن أبين الصفات التي تكلم عنها الشيخ مرعي أمهد بذكر المنهج الذي سار عليه السلف في تقسيم صفات الله تعالى،وهو أ م يقسمون الصفات التي وردت في الكتاب والسنة إلى قسمين:

١ – الصفات الذاتية.

٢ – الصفات الفعلية.

١ - الصفات الذاتية: وهي الصفات المتعلقة بذاته ولا يزال متصفاً ا، وهي لا تنفك عنه سبحانه بل هي لازمة أزلاً وأبداً كالعلم والقدرة والحياة والسمع والبصر، وهي لا تتعلق ا مشيئته وقدرته.

٢ – الصفات الفعلية: وهي الصفات المتعلقة بمشيئته وقدرته إن شاء فعلها وإن شاء لم يفعلها عز وجل كالاستواء،على العرش والمجيء والنـزول والضحك والرضى والعجب...

وقد تكون الصفة ذاتية فعلية باعتبارين كصفة الكلام، فإنه باعتبار أصل الصفة صفة ذاتية لأنه تبارك وتعالى لم يزل ولا يزال متكلماً.

وباعتبار آحاد الكلام صفة فعلية، لأن الكلام متعلق بمشيئته عز وجل يتكلم متى شاء بما شاء كيف شاء[1].

وفيما يلي سأذكر جملة من الصفات الذاتية التي تكلم عنها الشيخ مرعي:

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٢١٧/٦، ٢٣٣)، وشرح العقيدة الواسطية لهراس (ص١٥٩)، والقواعد المثلى في صفات الله وأسماءه الحسنى (١٥)، وأسماء الله وصفاته وموقف أهل السنة منها (ص١٥).

- صفة الحياء:

عد الشيخ مرعي – رحمه الله – صفة الحياء من المتشابه، ثم استدل عليها من القرآن الكريم، ثم ذكر أن مذهب السلف في هذه الصفة أنها تمر كما جاءت فقال: "ومن المتشابه: صفة الحياء... قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ ﴾[1]... فمذهب السلف في هذا ونحوه أنهم يقولون: صفات الله تعالى لا يطلع لها على ماهية، وإنما تمر كما جاءت"[2].

دراســة رأيه:

مما سبق عرضه من كلام الشيخ مرعي يتبين لنا ما يلي:

أولاً: قوله بأن صفة الحياء من المتشابه[3]، يحتمل أكثر من معنى فإن أراد أن كيفية الصفة من المتشابه فهذا حق وهو مذهب السلف – رحمهم اللّه – وإن أراد أن معناها من المتشابه فهذا باطل .

ثانياً: كلام الشيخ مرعي يحتمل أكثر من معنى، فإن أراد أن مذهب السلف هو أن صفة الحياء لا يطلع لها على كيفية فهذا حق، وإن أراد أن مذهبهم تفويض[4] المعنى فهذا باطل،فالسلف – رحمهم الله – أثبتوا أن الله سبحانه وتعالى يوصف بالحياء الذي يليق به، ولا يشابه فيه خلقه كسائر الصفات.

والحياء صفة ثابتة لله عز وجل بالكتاب والسنة.

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: (٥٣).

(٢) أقاويل الثقات (ص٧٠).

(٣) قد ناقشت مسألة: هل الصفات من المتشابه؟ في المبحث السابق، وبينت أن الصحيح والذي عليه السـلف – رحمهم الله – أن الصفات ليست من المتشابه. انظر: (ص١٥٦).
ولن أشير عند حديثي عن باقي الصفات أني ناقشت المسألة، لأنه من التكرار، إلا أني سوف أشير عند كـل صفة يذكر الشيخ مرعي أنها من المتشابه بأن كلامه يحتمل أكثر من معنى ، فإن أراد أن كيفية الصـفة مـن المتشابه فهذا حق ، وإن أراد أن معناها من المتشابه فهذا باطل .

(٤) قد ناقشت مسألة: هل التفويض في الصفات هو مذهب السلف؟ في المبحث السابق، وبينت أن التفـويض في الصفات ليس هو مذهب السلف – رحمهم الله – وناقشت ذلك من عدة وجـوه. انظـر: (ص١٥٣)، ولا داعي لذكر هذه الوجوه وتكرارها عند كل صفة يرى الشيخ مرعي أن مذهب السلف فيها التفويض.

فمن الكتاب:

قولـه تعالـى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ ﴾[1].

وقوله: ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ ﴾[2].

ومن السنة:

قوله صلى الله عليه وسلم: "... وأما الآخر فاستحيا، فاستحيا الله منه، وأما الآخر فأعرض، فأعرض الله عنه"[3].

قال ابن القيم – رحمه الله –:

"وهو الحيي فليس يفضح عبده عند التجاهر منه بالعصيان

لكنه يلقي عليه ستره فهو الستير وصاحب الغفران

قال الهراس[4] – رحمه الله –: "وحياؤه وصف يليق به، ليس كحياء المخلوقين، الذي هو تغير وانكسار يعتري الشخص عند خوف ما يعاب أو يذم، بل هو ترك ما ليس

---

(1) سورة البقرة، الآية: (٢٦).

(2) سورة الأحزاب، الآية: (٥٣).

(3) أخرجه البخاري كتاب العلم – باب من قعد حيث ينتهي به المجلس، (ح٦٦)، (ص٧)، ومسلم كتاب السلام – باب من أتى مجلساً فوجد فرجة فجلس فيها، (ح٢١٧٦)، (ص١٠٦٥)، من حديث أبي واقد الليثي .

(4) هو الشيخ محمد خليل هراس، كان سلفي المعتقد، له مصنفات منها: شرح العقيدة الواسطية، شرح الكافيـة الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، توفي سنة (١٩٧٥م).
انظر: مقدمة شرح العقيدة الواسطية (ص٤١).

يتناسب مع سعة رحمته وكمال جوده وكرمه وعظيم عفوه وحلمه، فالعبد يجاهره بالمعصية مع أنه أفقر شيء إليه وأضعفه لديه، ويستعين بنعمه على معصيته، ولكن الرب سبحانه مع كمال غناه وكمال قدرته عليه يستحي من هتك ستره وفضيحته، فيستره بما يهيؤه له من أسباب الستر، ثم بعد ذلك يعفو عنه ويغفر"[١].

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية (٨٦/٢).

- **صفة الوجه :**

عد الشيخ مرعي – رحمه الله – صفة الوجه من المتشابه، ثم أورد بعض الأدلة في إثبات صفة الوجه لله تبارك وتعالى فقال: "فمن المتشابه الوجه في قوله تعالى: ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ﴾[(1)]، وقوله: ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾[(2)]، وفي الحديث: **"أعوذ بوجهك"**"[(3)][(4)].

ثم أعقبها بذكر مذاهب الناس في هذه الصفة، فذكر مذهب أهل التأويل ومذهب السلف واحتج لمذهب السلف راداً على من خالفهم في تأويلها فقال: "وتأويله عند أهل التأويل: أن المراد بالوجه الذات المقدسة، فأما صفة زائدة على الذات فلا، ومذهب السلف: أن الوجه صفة ثابتة لله ورد ا السمع فتتلقى بالقبول، ويبطل مذهب أهل التأويل ما قاله البيهقي[(5)] والخطابي في قوله تعالى: ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾[(6)] فأضاف الوجه إلى الذات وأضاف النعت إلى الوجه فقال: ﴿ ذُو الْجَلَالِ ﴾ ولو كان ذكر الوجه صلة، ولم يكن للذات، لقال: ﴿ ذِي الْجَلَالِ ﴾، فلما قال: ﴿ ذُو الْجَلَالِ ﴾، علمنا أنه نعت للوجه، وأن الوجه صفة للذات"[(7)].

دراســة رأيه:

أولاً: قوله بأن صفة الوجه من المتشابه يحتمل أكثر من معنى ، فإن أراد أن كيفية الصفة من المتشابه فهذا حق وهو مذهب السلف –رحمهم اللّه – وإن أراد أن معناها من المتشابه

---

(1) سورة الرحمن، الآية: (٢٧).

(2) سورة البقرة، الآية: (١١٥).

(3) أخرجه البخاري كتاب التوحيد – باب ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾، (ح٧٤٠٦)، (ص٦١٦).

(4) أقاويل الثقات (ص١٤١).

(5) هو أبوبكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي ، الإمام الحافظ ، كتب الحديث وحفظه من صباه ، له مصنفات كثيرة منها : الأسماء والصفات ، شعب الإيمان ، توفي سنة ٤٥٨هـ.
انظر : سير أعلام النبلاء (١٨ / ١٦٣) شذرات الذهب (٢ / ٣٠٤) .

(6) سورة الرحمن، الآية: (٢٧).

(7) أقاويل الثقات (ص١٤١-١٤٦)، وانظر: الاعتقاد للبيهقي (ص٨٩)، أعلام الحديث للخطابي (٢٤٤٧/٤).

فهذا باطل .

ثانياً: موافقته لمذهب السلف في إثبات صفة الوجه لله تعالى على الوجه اللائق به سبحانه،وصفة الوجه صفة ذاتية خبرية لله عز وجل ثابتة بالكتاب والسنة والإجماع .

فمن الكتاب:

قوله تعالى: ﴿ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ ﴾[1].

وقوله سبحانه: ﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ ﴾[2].

ومن السنة:

حديث ابن عمر رضي الله عنهما في الثلاثة الذين حبسوا في الغار، فقال كل واحد منهم: **"اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك؛ ففرج عنا ما نحن فيه..."**[3].

وحديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: **"... إنك لن تخلف فتعمل عملاً تبتغي به وجه الله؛ إلا ازددت به درجة ورفعة..."**[4].

ومما يقرر ما سبق ما أورده بعض علماء السلف في إثبا م لصفة الوجه:

قال ابن خزيمة[5] – رحمه الله – بعد أن أورد جملة من الآيات تثبت صفة الوجه لله تعالى: "فنحن وجميع علمائنا ... مذهبنا: أنا نثبت لله ما أثبته الله لنفسه، نقر بذلك

---

(١) سورة البقرة، الآية: (٢٧٢).

(٢) سورة الرعد، الآية: (٢٢).

(٣) أخرجه البخاري كتاب الإجارة – باب من استأجر أجيراً فنـزل أجره فعمل فيه المستأجر فزاد، (ح٢٢٧٢)، (ص١٧٦)، ومسلم كتاب الرقاق – باب قصة أصحاب الغار الثلاثة، (ح٢٧٤٣)، (ص١١٥٣).

(٤) أخرجه البخاري كتاب الفرائض – باب ميراث البنات، (ح٦٧٣٣)، (ص٥٦٢)، ومسلم كتاب الوصـية – باب الوصية بالثلث، (ح١٦٢٨)، (ص٩٦٢).

(٥) هو أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة السلمي النيسابوري الشافعي، الحافظ الحجة، كان سلفي العقيدة على طريقة أهل الحديث، له مصنفات منها: التوحيد، صحيح ابن خزيمة، توفي سنة ٣١١هـ.
انظر: الجرح والتعديل (١٩٦/٧)، سير أعلام النبلاء (٣٦٥/١٤).

بألسنتنا،ونصدق ذلك بقلوبنا، من غير أن نشبه وجه خالقنا بوجه أحد من المخلوقين، عز ربنا أن يشبه المخلوقين"[١].

وقال: "نحن نقول: وعلماؤنا جميعاً في جميع الأقطار:إن لمعبودنا – عز وجل – وجهاً كما أعلمنا الله في محكم تنـزيله، فذواه بالجلال والإكرام، وحكم له بالبقاء، ونفى عنه الهلاك"[٢].

وقال الحافظ ابن منده – رحمه الله –: "ومن صفات الله عز وجل التي وصف ا نفسه قوله: ﴿ كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ ﴾[٣]، وقال: ﴿ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴾[٤]، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يستعيذ بوجه الله من النار والفتن كلها، ويسأل به..."، ثم سرد أحاديث بسنده، ثم قال: "بيان آخر يدل على أن العباد ينظرون إلى وجه ر م عز وجل"، وسرد بسنده ما يدل على ذلك[٥].

ثالثاً: ما ذكره الشيخ مرعي – رحمه الله – في رده على أهل التأويل نقلاً عن البيهقي والخطابي، حيث تأولوا صفة الوجه وفسروها بالذات، موافق لما ذكره السلف.

قال ابن خزيمة – رحمه الله -: "قد بين الله – عز وجل – في محكم تنـزيله الذي هو مثبت بين الدفتين: أن له وجهاً، وصفه بالجلال والإكرام والبقاء، فقال – جل وعلا –: ﴿ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴾[٦]، ونفى ربنا – جل وعلا – عن وجهه الهلاك في قوله تعالى: ﴿ كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ ﴾[٧]، وزعم بعض الجهمية[١] : أنّ أنّ

---

(١) كتاب التوحيد (٢٦/١).

(٢) التوحيد (٥٣/١).

(٣) سورة القصص، الآية: (٨٨).

(٤) سورة الرحمن، الآية: (٢٧).

(٥) كتاب التوحيد (٣٦/٣).

(٦) سورة الرحمن، الآية: (٢٧).

(٧) سورة القصص، الآية: (٨٨).

الله - عز وجل - إنما وصف في هذه الآية نفسه، التي أضاف إليها الجلال، بقوله: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِى ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴾[٢]، وزعمت أن الرب هو: ذو الجلال والإكرام، لا الوجه.

قال أبو بكر: أقول وبالله توفيقي: هذه دعوى يدعيها جاهل بلغة العرب، لأن الله – عز وجل – قال: ﴿ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴾[٣] فذكر الوجه مضموناً في هذا الموضع، وذكر الرب بخفض الباء بإضافة الوجه ولو كان قوله ﴿ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴾ مردوداً إلى ذكر الرب في هذا الموضع لكانت القراءة ذي الجلال والإكرام مخفوضاً، في ذكر الرب – جل وعلا –"[٤].

ويقول الإمام ابن القيم – رحمه الله –: "فتأمل رفع قوله ﴿ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴾ عند ذكر الوجه وجره في قوله: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِى ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴾ فذو الوجه المضاف بالجلال لما كان الإخبار عنه، وذي المضاف إليه بالجلال والإكرام في آخر السورة لما كان المقصود عين المسمى دون الاسم"[٥].

---

(١) الجهمية:فرقة ضالة،وهم أتباع جهم بن صفوان،تلميذ الجعدبن درهم،قتله سلم بن أحوز،قال بفناء الجنة والنار ،وأنكر الأسماء والصفات،واسم الجهمية عموماً أخذ طابع التعطيل، فكل من عطل ولو يسيراً قيل فيه تجهم . انظر : مقالات الإسلاميين (١ / ٣٣٨) ، الملل والنحل (١ / ٩٧) .

(٢) سورة الرحمن، الآية: (٧٨).

(٣) سورة الرحمن، الآية: (٢٧).

(٤) كتاب التوحيد (٥١/١).

(٥) مختصر الصواعق المرسلة (٥٣٢/٢).

- صفة العين :

عد الشيخ مرعي صفة العين من المتشابه، ثم أورد بعض الآيات الدالة عليها، فقال: "ومن المتشابه العين، في قوله تعالى: ﴿ وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ﴾[1]، وقوله: ﴿ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَا ﴾[2][3]".

ثم ذكر قول أهل التأويل، وذكر بعده قول السلف -رحمهم الله- في المسألة، مؤيداً قول السلف بقول للقرطبي[4] - رحمه الله - فقال: "وتأويله: أن المراد ﴿ تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا ﴾[5]، ﴾[5]، أي: بمرأى منا، أي: ونحن نراها، أو أن المراد بأعيننا: أي بحفظنا وكلاءتنا، أو أن المراد به: أعين الماء، أي تجري بأعين خلقناها وفجرناها...

ومذهب السلف: إثبات ذلك صفة له تعالى، لحديث البخاري ومسلم وغيرهما، حيث ذكر الدجال عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال: **"إن الله لا يخفى عليكم، إن الله ليس بأعور، وأشار بيده إلى عينه"**[6] الحديث.

قال القرطبي: قال العلماء ومنهم البيهقي: وفي هذا نفي نقص العور عن الله تعالى وإثبات العين له صفة، وعرفنا بقوله تعالى: ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٌ ﴾[7] أ ا ليست بحدقة، بحدقة، وأن الوجه ليس بصورة، وأ ا صفة ذات"[8].

---

(١) سورة طه، الآية: (٣٩).

(٢) سورة الطور، الآية: (٤٨).

(٣) أقاويل الثقات (ص١٤٧).

(٤) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي القرطبي،له تصانيف كثيرة منها : الجامع لأحكام القرآن ، التذكرة ، توفي سنة ٦٧١هـ .
انظر : الوافي بالوفيات (٢ / ١٢٢) ، الديباج المذهب (ص ٤٠٦) .

(٥) سورة القمر، الآية: (١٤).

(٦) أخرجه البخاري كتاب التوحيد – باب قوله تعالى: ﴿ وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ﴾، (ح٧٤٠٧)، (ص٦١٦)، وأخرجه مسلم كتاب الإيمان – باب ذكر المسيح الدجال، (ح٢٧٤)، (ص٧٠٨).

(٧) سورة الشورى، الآية: (١١).

(٨) أقاويل الثقات (ص١٤٧-١٤٨)، وانظر: الأسماء والصفات للبيهقي (١١٦/٢).

دراســة رأيه:

مما سبق عرضه من كلام الشيخ مرعي يتبين لنا ما يلي:

أولاً: قوله بأن صفة العين من المتشابه يحتمل أكثر من معنى ، فإن أراد أن كيفية الصفة من المتشابه فهذا حق وهو مذهب السلف – رحمهم اللّه - ، وإن أراد أن معناها من المتشابه فهذا باطل .

ثانياً: موافقته لمذهب السلف – رحمهم الله – في إثبات صفة العين لله تعالى.

وهي صفة ذاتية خبرية ثابتة لله عز وجل بالكتاب والسنة، وهو قول أهل السنة والجماعة.

فمن الكتاب:

قوله تعالى: ﴿ وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿ وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ﴾[2].

وقوله جل وعلا: ﴿ وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ ﴾[3].

ومن السنة:

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"ما بعث الله من** نبي **إلا أنذر قومه الأعور الكذاب، إنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور، مكتوب** بين **عينيه كافر"**[4].

ومما يقرر ما سبق ما أورده علماء السلف في **إثبات صفة العين:**

قال ابن خزيمة– رحمه الله – بعد أن ذكر جملة من الآيات تثبت صفة العين: "فواجب على كل مؤمن أن يثبت لخالقه وبارئه ما ثبت الخالق البارئ لنفسه من العين،

---

(١) سورة هود، الآية: (٣٧).

(٢) سورة طه، الآية: (٣٩).

(٣) سورة الطور، الآية: (٤٨).

(٤) أخرجه البخاري كتاب التوحيد – باب قول الله تعالى: ﴿ وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ﴾، (ح٧٤٠٨)، (ص٦١٦).

وغير مؤمن من ينفي عن الله تبارك وتعالى ما قد أثبته الله في محكم تنـزيله ببيان النبي

صلى الله عليه وسلم الذي جعله الله مبينا عنه عز وجل في قوله: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾[1]، فبين النبي صلى الله عليه وسلم أن لله عينين، فكان بيانه موافقاً لبيان محكم التنـزيل، الذي هو مسطور بين الدفتين، مقروء في المحاريب والكتاتيب"[2].

وقال: "نحن نقول: لربنا الخالق عينان يبصر بهما ما تحت الثرى وتحت الأرض السابعة السفلى، وما في السماوات العلى..."[3].

وبوب اللالكائي[4] في أصول الاعتقاد بقوله: "سياق ما دل من كتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم على أن من صفات الله عز وجل الوجه والعينين واليدين"[5].

وقال الشيخ ابن عثيمين[6] – رحمه الله –: "وأجمع أهل السنة على أن العينين اثنتان، ويؤيده قول النبي صلى الله عليه وسلم في الدجال: **"إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور"**[7][8].

---

(1) سورة النحل، الآية: (٤٤).

(2) كتاب التوحيد (٩٦/١).

(3) المصدر السابق (١١٤/١).

(4) هو أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي الشافعي اللالكائي، الإمام الحافظ المجود، من فقهاء الشافعية ،له مصنفات منها : شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ، أسماء رجال الصحيحين ، توفي سنة ٤١٨هـ .
انظر : سير أعلام النبلاء (١٧ / ٤١٩) ، شذرات الذهب (٣ / ٢١١) .

(5) أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٤٥٧/٣).

(6) هو محمد بن صالح بن محمد بن عثيمين المقبل الوهيبي التميمي، برع في التوحيد والفقه والتفسير والنحو،له مصنفات كثيرة منها: شرح العقيدة الواسطية، القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، توفي سنة ١٤٢١هـ.
انظر: ابن عثيمين الإمام الزاهد.

(7) أخرجه البخاري في كتاب الفتن – باب ذكر الدجال، (ح٧١٣١)، (ص٥٩٤).

(8) عقيدة أهل السنة والجماعة (ص١٩).

ثالثاً: نقله عن البيهقي دون تعقيب منه على قوله:

فالبيهقي – رحمه الله – كلامه موافق لقول السلف – رحمهم الله – إلا أنه استعمل عبارة يقصد ا نفي المشا ة بين الله وبين خلقه في حالة الإثبات وهي قوله: "إ ا ليست بحدقة، وأن الوجه ليس بصورة وأ ا صفة ذات"[1].

فهذه العبارة مبتدعة لم يستعملها السلف من أجل التنـزيه، فيكفي في هذا الباب أن نعلم قطعاً أن كل صفة ثابتة لله جل وعلا فإ ا لا تشبه صفات خلقه ولا تشبهها صفا م، لأن صفات الله تليق بجلاله وعظمته وصفات المخلوقين تليق بضعفهم، فنفصل في الإثبات ونجمل في النفي.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: "والله سبحانه وتعالى بعث رسله بإثبات مفصل، ونفي مجمل، فأثبتوا له الصفات على وجه التفصيل، ونفوا عنه ما لا يصلح له من التشبيه والتمثيل"[2].

وقال أيضاً: "وما تنازع فيه المتأخرون، نفياً وإثباتاً، فليس على أحد بل ولا له أن يوافق أحداً على إثبات لفظ أو نفيه، حتى يعرف مراده فإن أراد حقاً قبل، وإن أراد باطلاً رد، وإن اشتمل كلامه على حق وباطل لم يقبل منه مطلقاً ولم يرد جميع معناه، بل يوقف اللفظ ويفسر المعنى"[3].

---

(١) أقاويل الثقات (ص١٤٧)، وانظر: الأسماء والصفات للبيهقي (١١٦/٢).

(٢) التدمرية (ص٨).

(٣) المصدر السابق (ص٦٥-٦٦).

- صفة اليد:

عد الشيخ مرعي - رحمه الله - صفة اليد من المتشابه، ثم أورد بعض الآيات الدالة على هذه الصفة فقال: "ومن المتشابه اليد، في قوله تعالى: ﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾[1]، ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾[2]، ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾[3]، ﴿ مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ ﴾[4]، ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ ﴾[5]"[6].

ثم ذكر قول أهل التأويل، وذكر بعده قول السلف - رحمهم الله - في هذه الصفة، مؤيداً قول السلف بقول للبغوي والبيهقي - رحمهم الله - فقال: "وتأويله: أن المراد باليد: القدرة...

وذهبت المعتزلة وطائفة من الأشعرية[7]: أن المراد باليدين في قوله: ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾، معنى النعمتين، وطائفة من الأشعرية: أن المراد باليدين هنا: القدرة، لأن اليد في اللغة عبارة عن القدرة...

وقوله: ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ ثنى اليد مبالغة في الرد على اليهود، ونفي البخل عنه، وإثباتاً لغاية الجود، فإن غاية ما يبذله السخي من ماله أن يعطيه بيديه، وتنبيهاً على منح الدنيا والآخرة.

أو المراد بالتثنية باعتبار نعمة الدنيا ونعمة الآخرة.

---

(١) سورة الفتح، الآية: (١٠).

(٢) سورة ص، الآية: (٧٥).

(٣) سورة المائدة، الآية: (٦٤).

(٤) سورة يس، الآية: (٧١).

(٥) سورة آل عمران، الآية: (٧٣).

(٦) أقاويل الثقات (ص١٤٩).

(٧) الأشاعرة: هم ينتسبون إلى أبي الحسن الأشعري في مذهبه الثاني بعد رجوعه عن الاعتزال، وعامتهم يثبتـون سبع صفات فقط، وينفون عن الله علو الذات، ويقولون إن الإيمان هو التصديق.
انظر: الملل والنحل (١/١٠٦-١١٨)، مذاهب الإسلاميين (١/٤٨٧) وما بعدها.

أو باعتبار قوة الثواب وقوة العقاب.

ومذهب السلف: أن المراد إثبات صفتين ذاتيتين تسميان يدين يزيدان على النعمة والقدرة، محتجين بأن الله تعالى أثبت لآدم من المزية والاختصاص ما لم يثبت مثله لإبليس: ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾[1] وإلا فكان إبليس يقول: وأنا أيضاً خلقتني بيديك، فلا مزية لآدم ولا تشريف...

ولو أراد باليد: النعمة، لقال: لما خلقت ليدي، لأنه لنعمة لا بنعمة.

وأيضاً فقدرة الله واحدة لا تدخلها التثنية والجمع.

وقال البغوي في قوله ﴿ بِيَدَيَّ ﴾: في تحقيق الله التثنية في اليد دليل على أ ا ليست بمعنى القدرة والقوة والنعمة، وأ ما صفتان من صفات ذاته.

وقال البيهقي: باب ما جاء في إثبات اليدين صفتين لا من حيث الجارحة، قال الله: ﴿ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّ ﴾، وقال: ﴿ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ ﴾[2]، وذكر الأحاديث الصحاح في ذلك، كحديث: **"يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده"**[3]، وحديث: **"أنت موسى اصطفاك الله بكلامه، وخط لك الألواح بيده"**[4]، وفي لفظ: **"وكتب لك التوراة بيده"**، وذكر أحاديث كثيرة، مثل: **"والخير بيديك"**[5]"[6].

---

(١) سورة ص، الآية: (٧٥).

(٢) سورة المائدة، الآية: (٦٤).

(٣) أخرجه البخاري كتاب أحاديث الأنبياء – باب قوله: ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ ﴾، (ح٣٣٤٠)، (ص٢٦٩)، ومسلم، كتاب الإيمان – باب أدنى أهل الجنة منـزلة فيها، (ح١٩٤)، (ص٧١٤).

(٤) أخرجه البخاري كتاب القدر – باب تحاج آدم وموسى عند الله، (ح٦٦١٤)، (ص٥٥٣)، ومسلم كتـاب القدر – باب حجاج آدم وموسى صلى الله عليهما وسلم، (ح٢٦٥٢)، (ح١١٤٠).

(٥) أخرجه مسلم كتاب صلاة المسافرين – باب صلاة النبي صلى الله عليه وسلم ودعائه بالليل، (ح٧٧١)، (ص٨٠٠).

(٦) أقاويل الثقات (ح١٤٩-١٥٢)، وانظر : الأسماء والصفات (٢ / ١١٨) .

دراســة رأيه:

مما سبق عرضه من كلام الشيخ مرعي يتبين لنا ما يلي:

أولاً: قوله بأن صفة اليد من المتشابه يحتمل أكثر من معنى ، فإن أراد أن كيفية الصفة من المتشابه فهذا حق وهو مذهب السلف – رحمهم اللّه - ، وإن أراد أن معناها من المتشابه فهذا باطل .

ثانياً: موافقته لمذهب السلف في إثبات صفة اليد لله تعالى.

وهي صفة ثابتة لله سبحانه وتعالى بالكتاب والسنة والإجماع .

وقد أورد الشيخ مرعي الآيات والأحاديث الدالة على ذلك.

ومما يقرر ما سبق ما أورده علماء السلف في إثبات صفة اليد لله سبحانه وتعالى:

قال ابن خزيمة – رحمه الله –: "باب ذكر إثبات اليد للخالق البارئ – جل وعلا – والبيان: أن الله تعالى له يدان، كما أعلمنا في محكم تنـزيله"، وسرد جملة من الآيات تدل على ذلك، ثم قال: "باب ذكر البيان من سنة النبي صلى الله عليه وسلم على إثبات يد الله جل وعلا موافقاً لما تلونا من تنـزيل ربنا لا مخالفاً، قد نزه الله نبيه وأعلى درجته ورفع قدره عن أن يقول إلا ما هو موافق لما أنزل الله عليه من وحيه"(١).

وقال أبو الحسن الأشعري – رحمه الله –: "وأجمعوا على أنه عز وجل يسمع ويرى، وأن له تعالى يدين مبسوطتين"(٢).

وقال قوام السنة الأصبهاني – رحمه الله –: "فصل: في إثبات اليد لله تعالى صفة له"، ثم أورد بعض الآيات التي تدل على ذلك، ثم قال: "ذكر البيان من سنة النبي صلى الله عليه وسلم على إثبات اليد موافقاً للتنـزيل"(٣)، ثم أورد أحاديث بسنده تدل على ذلك.

قال شيخ الإسلام – رحمه الله –: "إن لله تعالى يدين مختصتان به ذاتيتان له كما يليق بجلاله"(٤).

---

(١) كتاب التوحيد (١/١١٨-١١٩).

(٢) رسالة إلى أهل الثغر (ص٦٩)، وانظر: الإبانة (ص١٠٦).

(٣) الحجة في بيان المحجة (١/١٨٥).

(٤) مجموع الفتاوى (٦/٢٦٣).

وقال أيضاً في العقيدة الواسطية مستدلاً على صفة اليد: "وقوله: ﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّ ﴾[1]، ﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ ﴾[2]"[3].

قال الهراس – رحمه الله –: "قوله: ﴿ مَا مَنَعَكَ ﴾ الخ. تضمنت هاتان الآيتان إثبات اليدين صفة حقيقية له سبحانه على ما يليق به، فهو في الآية الأولى يوبخ إبليس على امتناعه عن السجود لآدم الذي خلقه بيديه.

ولا يمكن حمل اليدين هنا على القدرة، فإن الأشياء جميعاً حتى إبليس خلقها الله بقدرته، فلا يبقى لآدم خصوصية يتميز ا...

ولفظ اليدين بالتثنية لم يعرف استعماله إلا في اليد الحقيقية، ولم يرد قط بمعنى القدرة أو النعمة؛ فإنه لا يسوغ أن يقال: خلقه الله بقدرتين أو بنعمتين...

وكيف يتأتى حمل اليد على القدرة أو النعمة، مع ما ورد من إثبات الكف والأصابع واليمين والقبض والبسط وغير ذلك مما لا يكون إلا لليد الحقيقية؟!

وفي الآية الثانية يحكي الله سبحانه مقالة اليهود قبحهم الله في ر م، ووصفهم إياه – حاشاه – بأن يده مغلولة؛ أي: ممسكة عن الإنفاق.

ثم أثبت لنفسه سبحانه عكس ما قالوه، وهو أن يديه مبسوطتين بالعطاء، ينفق كيف يشاء؛ كما جاء في الحديث:

"إن يمين الله **ملأى سحاء الليل والنهار، لا تغيضها نفقة"**[4].

---

(١) سورة ص، الآية: (٧٥).

(٢) سورة المائدة، الآية: (٦٤).

(٣) شرح العقيدة الواسطية (ص١١٥).

(٤) أخرجه البخاري كتاب التوحيد – باب قوله: ﴿ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّ ﴾، (ح٧٤١١)، (ص٦١٧)، ومسلم كتاب الزكاة – باب الحث على النفقة، (ح٩٩٣)، (ص٨٣٥).

ترى لو لم يكن لله يدان على الحقيقة، هل كان يحسن هذا التعبير ببسط اليدين؟! ألا شاهت وجوه المتأولين!!" [١].

ثالثاً: نقله عن البيهقي دون تعقيب منه على قوله:

فالبيهقي – رحمه الله – كلامه موافق لقول السلف – رحمهم الله – إلا أنه استعمل عبارة يقصد ا نفي المشا ة بين الله وبين خلقه في حالة الإثبات وهي قوله: "لا من حيث الجارحة"[٢].

فكلامه وإن كان صحيح من حيث المعنى، إلا أنه استخدم عبارة مبتدعة لم يستعملها السلف من أجل التنـزيه، فيكفي في هذا الباب أن نعلم قطعاً أن كل صفة ثابتة لله جل وعلا فإ ا لا تشبه صفات خلقه ولا تشبهها صفا م، لأن صفات الله تليق بجلاله وعظمته وصفات المخلوقين تليق بضعفهم، فنفصل في الإثبات ونجمل في النفي.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: "والله سبحانه وتعالى بعث رسله بإثبات مفصل، ونفي مجمل، فأثبتوا له الصفات على وجه التفصيل، ونفوا عنه ما لا يصلح له من التشبيه والتمثيل"[٣].

وقال أيضاً: "وما تنازع فيه المتأخرون، نفياً وإثباتاً، فليس على أحد بل ولا له أن يوافق أحداً على إثبات لفظ أو نفيه، حتى يعرف مراده فإن أراد حقاً قبل، وإن أراد باطلاً رد، وإن اشتمل كلامه على حق وباطل لم يقبل منه مطلقاً ولم يرد جميع معناه، بل يوقف اللفظ ويفسر المعنى"[٤].

---

(١) شرح العقيدة الواسطية (ص١١٥-١١٧).
(٢) أقاويل الثقات (ص١٥١)
(٣) التدمرية (ص٨).
(٤) المصدر السابق (ص٦٥-٦٦).

- **صفة الأصابع:**

استدل الشيخ مرعي على صفة الأصابع ببعض الأدلة فقال: "روى البخاري ومسلم عن ابن مسعود، قال: جاء حبْر إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد، أو يا أبا القاسم، إن الله يمسك السماوات يوم القيامة على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلائق على إصبع، ثم يهزهن فيقول: أنا الملك، أنا الملك، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجباً مما قال الحبْر، وتصديقاً له، ثم قرأ: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ ﴾(1)...(2).

قال صلى الله عليه وسلم: "**إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد، يصرفها كيف يشاء**"، ثم قال عليه السلام: "**اللهم يا مصرف القلوب، صرف قلوبنا إلى طاعتك**"(3)"(4).

ثم نقل عن الخطابي أن ذكر الأصابع لم يرد في الكتاب والسنة المقطوع بصحتها، وعقب عليه بأن ذكر الأصابع ثابت في السنة، ثم صرح بنفي التأويل والتمثيل عن صفة الأصابع، وأن تمر كما جاءت فقال: "قال الخطابي: وذكر الأصابع لم يوجد في شيء من الكتاب والسنة المقطوع بصحتها، واعترض بأن ذلك ثابت في صحيح السنة، لكن الواجب في هذا أن تمر كما جاءت، ولا يقال فيها: إن معناها النعم، لا أن يقال: إصبع أو أصابع كأصابعنا، ولا يد كأيدينا، ولا قبضة كقبضتنا"(5).

ثم نقل عن بعض من أول صفة الأصابع بمعنى القدرة وغيرها، واستحسنه، مع أنه صرح بنفي التأويل قبل ذلك، مما يدل على اضطرابه – عفا الله عنه – في هذا الباب فقال:

---

(1) سورة الزمر، الآية: (67).

(2) أخرجه البخاري كتاب التفسير – باب قوله: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ ﴾، (ح4811)، (ص409)، ومسلم كتاب صفات المنافقين – باب صفة القيامة، (ح2786)، (ص1163).

(3) أخرجه مسلم كتاب القدر – باب تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء، (ح2654)، (ص1140).

(4) أقاويل الثقات (ص158).

(5) المصدر السابق (ص159)، وانظر: أعلام الحديث (3 / 898).

"وقال القرطبي وغيره: والإصبع قد تكون بمعنى القدرة على الشيء وسهولة تقليبه، كما يقول من استسهل شيئاً واستخفه مخاطباً لمن استثقله: أنا أحمله على إصبعي، وأرفعه بإصبعي، وأمسكه بخنصري، فهذا مما يراد به الاستظهار في القدرة على الشيء، فلما كانت السماوات أعظم الموجودات، وكان إمساكها على الله كالشيء الحقير الذي نجعله بين أصابعنا، و نهزه بأيدينا، ونتصرف فيه كيف شئنا، دل ذلك على قوته القاهرة، وعظمته الباهرة، لا إله إلا هو سبحانه...وقال الطيبي: ... ومن ذهب إلى التأويل شرط فيه أن يكون مما يؤدي إلى تعظيم الله تعالى وجلاله وتنزيهه وكبريائه،وما لا تعظيم فيه فلا يجوز الخوض فيه،فكيف بما يؤدي إلى التجسيم والتشبيه ! ؟ . انتهى وهو كلام في غاية التحقيق، إلا أن ترك التأويل مطلقاً، وتفويض العلم إلى الله أسلم"[١].

دراســة رأيه:

مما سبق عرضه من كلام الشيخ مرعي يتبين لنا ما يلي:

أولاً: أن كلام الشيخ مرعي يحتمل أكثر من معنى، فإن كان مراده أن صفة الأصابع تمر كما جاءت بلا كيف فهذا حق وهو مذهب السلف – رحمهم الله -، وإن أراد تفويض المعنى فهذا باطل، لأن السلف – رحمهم الله – أثبتوا أثبتوا صفة الأصابع لله سبحانه وتعالى على الوجه الذي يليق به سبحانه من غير تمثيل ولا تكييف، ولا تحريف ولا تعطيل، فهم أثبتوا صفة الأصابع وفهموا معناها، وأمسكوا عن الكيفية والكنه.

وصفة الأصابع صفة ذاتية ثابتة لله سبحانه وتعالى بالسنة الصحيحة.

ومما يقرر ما سبق ما أورده بعض علماء السلف في **بيان مذهبهم** في **صفة الأصابع:**

قال أبو بكر ابن خزيمة – رحمه الله –: "باب إثبات الأصابع لله عز وجل"[٢]، وذكر بأسانيده ما يثبت ذلك.

وقال الآجري[٣] – رحمه الله –: "باب الإيمان بأن قلوب الخلائق بين إصبعين من

---

(١) أقاويل الثقات (ص١٥٨).

(٢) كتاب التوحيد (١٨٧/١).

(٣) هو أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجري، قال الذهبي: كان عالماً صاحب سنة واتباع، له مصـنفات منها: الشريعة، أخلاق العلماء، توفي سنة ٣٦٠هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء (١٣٣/١٦)، وشذرات الذهب (٣٥/٢).

أصابع الرب عز وجل، بلا كيف"[1].

وقال البغوي – رحمه الله –: "والإصبع المذكورة في الحديث صفة من صفات الله عز وجل، وكذلك كل ما جاء به الكتاب أو السنة من هذا القبيل من صفات الله تعالى"[2].

ثانياً: رده على الخطابي عند قوله إن ذكر الأصابع لم يوجد في شيء من الكتاب والسنة المقطوع بصحتها، بأن ذلك ثابت في صحيح السنة، وهذا فيه دلالة على أن الشيخ مرعي يرى الأخذ بأخبار الآحاد في العقائد إن صحت[3].

فالخطابي – عفا الله عنه – يريد بهذا القول أن صفات الله تعالى لا تقبل إلا إذا وقع ذكرها في القرآن، أو في حديث متواتر، ومقتضاه رد جميع الصفات التي ثبتت بأخبار الآحاد ولو صحت أسانيدها.

والخطابي وغيره ممن يقول بقوله موافق في هذا لأهل الكلام المبتدع المذموم، لأنهم الذين عرفوا برد الأحاديث الصحيحة في باب العقيدة بزعم أنها لا تفيد القطع واليقين.

وأما أئمة الإسلام أهل السنة والجماعة فإنهم جميعهم على الأخذ بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صح، سواء كان ذلك في العمليات أو في الاعتقاديات[4].

ثالثاً: تهاونه في ذكر قول أهل التأويل واستحسانه له مع أنه صرح بنفي التأويل قبل ذلك، مما يدل على اضطرابه في هذا الباب – عفا الله عنه –.

وتأويل الأصابع بالقدرة، أو غيرها من التأويلات، مبني على الظن بأن إثباتها على ظاهرها يستلزم أن تكون من جنس أصابع المخلوقين، ولذلك صرفوها عن ظاهرها، وهذا ظن سيئ بالله، وبكلامه، وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم، وقع فيه هؤلاء العلماء بسبب تأثرهم بالمنهج الكلامي الفاسد[5]، ولو أنهم اتبعوا في هذه الصفة وغيرها من الصفات المنهج السلفي القويم، لسلمت لهم عقيدتهم وأصولهم.

---

(١) الشريعة (ص٢٦٢).

(٢) شرح السنة (١٦٨/١).

(٣) أقاويل الثقات (ص١٥٨).

(٤) انظر: مختصر الصواعق المرسلة (٧٧٢/٢)، ورسالة وجوب الأخذ بحديث الآحاد في العقيدة والرد على شبه المخالفين، للألباني.

(٥) قد ناقش شيخ الإسلام ابن تيمية هؤلاء الذين يثبتون بعض الصفات وينفون بعضها بزعم أنها تستلزم التشبيه، وبين ما في مذهبهم من التناقض، وما يلزم منه من المحاذير.
انظر: التدمرية (ص٧-٣٠)، الفتوى الحموية الكبرى (ص٢٦٥-٢٦٧).

وهذا ابن قتيبة[1] - رحمه الله - يقول في كتابه "تأويل مختلف الحديث": "قالوا: حديث في التشبيه يكذبه القرآن وحجة العقل.

قالوا: رويتم أن قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الله عز وجل، فإن كنتم أردتم بالأصابع هاهنا النعم، وكان الحديث صحيحاً فهو مذهب، وإن كنتم أردتم الأصابع بعينها، فإن ذلك يستحيل، لأن الله تعالى لا يوصف بالأعضاء، ولا يشبه بالمخلوقين...".

هذا قول النفاة ينقله ابن قتيبة، ثم يقول:

"قال أبو محمد: ونحن نقول: إن هذا الحديث صحيح، وإن الذين ذهبوا إليه في تأويل الإصبع لا يشبه الحديث، لأنه عليه الصلاة والسلام قال في دعائه: **"يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك"**. فقالت له إحدى أزواجه: أو تخاف - يا رسول الله - على نفسك؟ فقال: **"إن قلب المؤمن** بين **إصبعين من أصابع الله عز وجل"**[2]. فإن كان القلب عندهم بين نعمتين من نعم الله تعالى، فهو محفوظ بتينك النعمتين، فلأي شيء دعا بالتثبيت؟ ولم احتج على المرأة التي قالت له: أتخاف على نفسك بما يؤكد قولها؟ وكان ينبغي ألا يخاف إذا كان القلب محروساً بنعمتين.

فإن قال لنا: ما الإصبع هاهنا؟ قلنا: هو مثل قوله في الحديث الآخر: "يحمل الأرض على إصبع، وكذا على إصبعين"، ولا يجوز أن تكون الإصبع هاهنا نعمة، وكقوله تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ ﴾[3]، ولم يجز ذلك.

ولا نقول: إصبع كأصابعنا، ولا يد كأيدينا، ولا قبضة كقبضتنا، لأن كل شيء منه عز وجل لا يشبه شيئاً منا"[4].

فهذا هو القول الحق، وهو مذهب أهل السنة والجماعة.

---

(١) هو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، كان ثقة ديناً فاضلاً، على مذهب السلف - رحمهم الله - له مصنفات منها: تأويل مختلف الحديث، مشكل الحديث، توفي سنة ٢٧٦هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء (٢٩٦/١٣)، شذرات الذهب (١٦٩/٢).

(٢) سبق تخريجه (ص١٨١).

(٣) سورة الزمر، الآية: (٦٧).

(٤) تأويل مختلف الحديث (ص١٩٥-١٩٦).

- **صفة الرجل والقدم:**

استدل الشيخ مرعي على صفة القدم بحديث في البخاري ومسلم فقال: "ففي صحيح البخاري ومسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: **"لا تزال جهنم تقول: هل من مزيد، حتى يضع رب العزة فيها قدمه، فتقول: قط قط[١]، وعزتك، وتزوي بعضها إلى بعض"** وفي بعض الطرق: **"حتى يضع الجبار فيها قدمه"**[٢]"[٣].

ثم نقل عن الخطابي قوله بالتفويض في هذه الصفة فقال: "قال الخطابي: كان أبو عبيد القاسم بن سلام[٤] وهو أحد أئمة أهل العلم يقول: نحن نروي هذه الأحاديث، ولا نريغ[٥] لها المعاني...

قال الخطابي: ونحن أحرى أن لا نتقدم فيما تأخر عنه من هو أكثر منا علماً، وأقدم زماناً، وسناً"[٦].

ثم نقل قول أهل التأويل في صفة القدم فقال: "قال أهل التأويل: القدم هاهنا يحتمل أن يكون المراد به: من قدمه الله للنار من أهلها، وكل شيء قدمته، فهو قدم، والعرب تطلق القدم على السابقة في الأمر...

وقال بعضهم: القدم خلق من خلق الله، يخلقه يوم القيامة فيسميه قدماً، ويضيفه إليه من طريق الفعل: يضعه في النار فتمتلئ منه.

---

(١) قط قط: بمعنى حسب، وتكرارها للتوكيد، وهي ساكنة الطاء مخففة. انظر: النهاية لابن الأثير (٧٨/٤).

(٢) أخرجه البخاري كتاب التفسير – باب قوله: ﴿ وَتَقُولُ هَلۡ مِن مَّزِيدٍ ﴾، (ح٤٨٤٨)، (ص٤١٤)، ومسلم كتاب الجنة – باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء، (ح٢٨٤٨)، (ص١١٧٢).

(٣) أقاويل الثقات (ص١٧٦).

(٤) القاسم بن سلام الهروي الأزدي الخزاعي البغدادي، كان ثقة مأمون، ذا فضل، ودين، وستر، ومذهب حسن، له مصنفات كثيرة منها: كتاب الإيمان، وكتاب الأموال، توفي سنة ٢٢٤هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء (٤٩٠/١٠)، وشذرات الذهب (٥٤/٢).

(٥) أي لا نطلب معانيها، مأخوذ من قولهم أرغت الصيد إذا طلبته وأردته، انظر: المصباح المنير، مادة روغ (ص٩٤).

(٦) أقاويل الثقات (ص١٧٧)، وانظر: أعلام الحديث للخطابي (١٩٠٧/٣)، وقد بحثت عن قول أبو عبيدة بن سلام في مظانه من كتبه فلم أجده.

ثم تكلم عن صفة الرجل، وذكر قول أهل التأويل فيها، ثم رد عليهم، إلا أنه اختار بعد ذلك التفويض ونسب هذا القول إلى السلف فقال: "العرب تسمي جماعة الجراد: رجلاً، كما سموا جماعة الظباء: سرباً، ويستعمل في جماعة الناس على سبيل التشبيه...

وأما الجبار، فقال بعضهم: يحتمل أن يكون أريد به: الموصوف بالتجبر من الخلق، كقوله تعالى: ﴿ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾[1]، وقال بعضهم: الجبار هنا: إبليس وشيعته، فإنه أول من استكبر، والتكبر والتجبر بمعنى واحد...

وقال بعضهم: الجبار ليس من الأسماء الخاصة بالله تعالى، والمراد به: جبار يعلم الله عتوه واستكباره، كإبليس وأتباعه مثلاً، والنمرود وجنوده.

وقال القرطبي: وقيل إن هؤلاء قوم تأخر دخولهم في النار، وهم جماعات، لأن أهلها يلقون فيها فوجاً فوجاً، كما قال تعالى: ﴿ كُلَّمَآ أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ ﴾[2]، فالخزنة تنتظر أولئك المتأخرين، إذ قد علموهم بأسمائهم وأوصافهم، فإذا استوفى كل واحد منهم ما أمر به، ولم يبق أحد، قالت الخزنة: قط قط، أي: حسبنا حسبنا، أي: اكتفينا اكتفينا، وحينئذ تنـزوي جهنم على من فيها، وتنطبق إذ لم يبق أحد ينتظر، فعبر عن ذلك الجمع المنتظر بالرجل والقدم، لا أن الله جسم من الأجسام تعالى الله عن ذلك"...

قلت: وربما يرد هذا التأويل حديث: "**حتى يضع الله رجله**"، وحديث: "**فيضع الرب قدمه**"، فيكون تعالى هو المراد بالجبار في الحديث، لكن الخلف – خصوصاً المتكلمين- تجد عندهم التأويل في مثل هذا بالمجازفة، ولا يراعون ألفاظ الحديث، إما لعدم معرفة ألفاظ طرقه كلها، أو لمسارعتهم للباب بلا تأمل، ولا ريب أن السلف قد تصوروا في نفوسهم مثل هذه الأجوبة، فرأوها متناقضة متهافتة، فسكتوا عنها، ولم يتفوهوا بها، لعلمهم بفسادها، وفوضوا العلم فيها إلى الله تعالى، مع أنهم أكثر علماً منا بيقين"[3].

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: (١٥).

(٢) سورة الملك، الآية: (٨).

(٣) أقاويل الثقات (ص١٧٩-١٨١).

دراســة رأيه:

مما سبق عرضه من كلام الشيخ مرعي يتضح لنا خطؤه في نسبة التفويض إلى السلف في هذه الصفة، وصفة الرجل والقدم ثابتة لله سبحانه وتعالى بصحيح السنة، والسلف – رحمهم الله – أثبتوا هذه الصفة لله سبحانه وتعالى على الوجه اللائق به، إيماناً واعتقاداً وتسليماً، مع تبرئتها من التعطيل والتشبيه والتكييف والتحريف.

ومما يقرر ما سبق ما أورده علماء السلف في **بيان مذهبهم:**

قال ابن خزيمة – رحمه الله –: "باب ذكر إثبات الرجل لله عز وجل، وإن رغمت أنوف المعطلة الجهمية، الذين يكفرون بصفات خالقنا – عز وجل – التي أثبتها لنفسه في محكم تنـزيله، وعلى لسان نبيه المصطفى – صلى الله عليه وسلم -، قال الله – عز وجل – يذكر ما يدعو بعض الكفار من دون الله: ﴿ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ قُلِ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ ﴾[(١)]، فأعلمنا ربنا – جل وعلا – أن من لا رجل له، ولا يد، ولا عين، ولا سمع؛ فهو كالأنعام بل هو أضل، فالمعطلة الجهمية الذين هم شر من اليهود والنصارى والمجوس كالأنعام بل أضل"[(٢)].

وفند القاضي أبو يعلى[(٣)] – رحمه الله – ما ذكر من تأويلات لصفة القدم مبيناً وجه بطلانها، فقال: "فإن قيل: معنى القدم هاهنا المتقدم من المشركين يضعه في النار، لأن العرب تقول للشيء المتقدم: قدم... قيل: هذا غلط لوجهين:

---

(١) سورة الأعراف، الآية: (١٩٥).

(٢) كتاب التوحيد (٢٠٢/١).

(٣) هو محمد بن الحسين بن محمد الفراء البغدادي الحنبلي، شيخ الحنابلة، ولّي القضاء، وكان ذا عبادة مع الجلالة والورع، له مصنفات منها: أحكام القرآن، مسائل الإيمان، توفي سنة ٤٥٨هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء (٨٩/١٨)، طبقات الحنابلة (١٩٣/٢).

أحدهما: أن قوله "**يضع قدمه**" هاء كناية، وهاء الكناية ترجع إلى المذكور، والمذكور في الخبر الله سبحانه، وفي لفظ آخر: "**الجبار**"، وفي لفظ آخر: "**رب العزة**"، فوجب أن يرجع إليه، فأما المتقدم من الكفار فلم يتقدم ذكرهم، فلا يجب رجوع الهاء إليهم.

والثاني: أن هذا يسقط فائدة التخصيص بالنار؛ لأن المتقدم بفعل الخير يضعه في الجنة، فلو كان المراد بالقدم المتقدم لم يكن لتخصيصه بالنار فائدة، فوجب حمله على ظاهره ليفيد فائدة..." (1).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – بعد ذكره حديث: "**احتجت الجنة والنار**"(2): "وقد غلط في هذا الحديث المعطلة الذين أولوا "**قدمه**" بنوع من الخلق، كما قالوا: الذين تقدم في علمه أ م أهل النار، حتى قالوا في قوله: "**رجله**": كما يقال: رجل من جراد، وغلطهم من وجوه:

فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "**حتى يضع**"، ولم يقل: حتى يلقي، كما قال في قوله: "**لا يزال يلقي فيها**".

الثاني: أن قوله: "**قدمه**" لا يفهم منه هذا، لا حقيقة ولا مجازاً كما تدل عليه الإضافة.

الثالث: أن أولئك المؤخرين إن كانوا من أصاغر المعذبين فلا وجه لانزوائها واكتفائها م، فإن ذلك إنما يكون بأمر عظيم، وإن كانوا من أكابر ا لرمين فهم في الدرك الأسفل، وفي أول المعذبين لا في أواخرهم.

الرابع: أن قوله: "**فينـ ـزوي بعضها إلى بعض**" دليل على أ ا تنضم على من فيها، فتضيق م من غير أن يلقى فيها شيء.

الخامس: أن قوله: "**لا يزال يلقى فيها وتقول: هل من مزيد؟ حتى يضع فيها قدمه**" جعل الوضع الغاية التي إليها ينتهي الإلقاء، ويكون عندها الانزواء، فيقتضي ذلك أن تكون الغاية أعظم مما قبلها.

---

(1) إبطال التأويلات (198/1)، وانظر: رد الإمام الدارمي (ص195).

(2) سبق تخريجه (ص185).

وليس في قول المعطلة معنى للفظ **"قدمه"** إلا وقد اشترك فيه الأول والآخر، والأول أحق به من الآخر.

وقد يغلط في الحديث قوم آخرون – ممثلة أو غيرهم – فيتوهمون أن "قدم الرب" تدخل جهنم، وقد توهم ذلك على أهل الإثبات قوم من المعطلة حتى قالوا: كيف يدخل بعض الرب النار، والله تعالى يقول: ﴿ لَوْ كَانَ هَٰؤُلَاءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ﴾[(1)].

وهذا جهل ممن توهمه أو نقله عن أهل السنة والحديث، فإن الحديث **"حتى يضع رب العزة عليها – وفي رواية: فيها – فينـزوي بعضها إلى بعض وتقول: قط قط وعزتك"** فدل ذلك على أ ا تضايقت على ما كان فيها وامتلأت م، كما أقسم على نفسه أنه ليملأ ا من الجنة والناس أجمعين.

فكيف تمتلئ بشيء غير ذلك من خالق أو مخلوق؟

وإنما المعنى أنه توضع القدم المضاف إلى الرب تعالى فتنـزوي وتضيق بمن فيها، والواحد من الخلق قد يركض متحركاً من الأجسام فيسكن، أو ساكناً فيتحرك، ويركض جبلاً فيتفجر منه ماء، كما قال تعالى: ﴿ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴾[(2)]، وقد يضع يده على المريض فيبرأ وعلى الغضبان فيرضى"[(3)] - وله المثل الأعلى-.

وبهذه النقول السلفية المبنية على ما مضى من نصوص شرعية صحيحة صريحة، تبين أن هذه الصفة ثابتة لله – جل وعلا – على ما يليق بجلاله وكماله، وعظيم صفاته ونعوته.

وأن ما اختاره الشيخ مرعي مخالف لمذهب السلف – رحمهم الله -.

---

(1) سورة الأنبياء، بعض آية (٩٩).

(2) سورة ص، الآية: (٤٢).

(3) مختصر الفتاوى المصرية (ص٦٤٧-٦٤٨)، وانظر: العقيدة الواسطية مع شرحها (ص١٧١-١٧٢)، وشـرح كتاب التوحيد للشيخ الغنيمان (١/١٥٥-١٦٢).

المبحث الثالث
الصفـات الفعليـة

تحدث الشيخ مرعي عن بعض الصفات الفعلية، وفيما يلي سأذكر جملة منها مع دراسة رأيه فيها:

- صفة الرحمة :

عد الشيخ مرعي صفة الرحمة من المتشابه، ثم استدل عليها من القرآن الكريم، ثم بين أن مذهب السلف هو أ ا تمر كما جاءت فقال: "ومن المتشابه صفة الرحمة، في قوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحۡمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾[1]، فمذهب السلف أ ا تمر كما جاءت"[2].

دراسـة رأيه:

مما سبق عرضه من كلام الشيخ مرعي يتبين لنا ما يلي:

أولاً: قوله بأن صفة الرحمة من المتشابه يحتمل أكثر من معنى ، فإن أراد أن كيفية الصفة من المتشابه فهذا حق ، وإن أراد أن معناها من المتشابه فهذا باطل .

ثانياً: كلامه يحتمل أكثر من معنى، فإن أراد أن صفة الرحمة تمر كما جاءت بلا كيف فهذا حق وهو مذهب السلف – رحمهم الله – وإن أراد تفويض المعنى فهذا باطل، لأن السلف – رحمهم الله – أثبتوا أن الله سبحانه وتعالى يوصف ذه الصفة، على الوجه الذي يليق به سبحانه.

والرحمة صفة ثابتة لله سبحانه وتعالى بالكتاب والسنة وإجماع السلف.

أما الكتاب:

قوله تعالى: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَـٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحۡمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾[4]

وأما السنة:

قوله صلى الله عليه وسلم: "**لما خلق الله الخلق؛ كتب في كتاب؛ فهو عنده فوق**

---

(١) سورة الفاتحة، الآية: (٢).

(٢) أقاويل الثقات (ص٧٠).

(٣) سورة الفاتحة، الآيتان: (١، ٢).

(٤) سورة البقرة، الآية: (٢١٨).

العرش: إن رحمتي تغلب غضبي"[1].

وأما الإجماع:

"فقد أجمع المسلمون على حسن إطلاق الرحمة على الله، من غير قرينة تشعر بالتأويل، ولا توقف على عبارة التنـزيل"[2].

والرحمة المضافة إلى الله سبحانه وتعالى نوعان:

أحدهما: مضاف إليه إضافة صفة إلى الموصوف ا، كقوله تعالى: ﴿ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿ وَرَبُّكَ ٱلۡغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۚ ﴾[4].

والثاني: مضاف إليه إضافة مفعول إلى فاعله، كقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦۚ ﴾[5]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَئِنۡ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةٗ ثُمَّ نَزَعۡنَٰهَا مِنۡهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٞ كَفُورٞ ﴾[6].

وهذه الرحمة ليست صفة لله تعالى، بل هي من أثر رحمته التي هي صفته، وتسمية الأشاعرة هذا النوع صفة غلط، لأن الله عز وجل لا يوصف بما خلقه منفصلاً عن ذاته[7]

إذا فالسلف – رحمهم الله – أثبتوا لله سبحانه صفة الرحمة على الوجه اللائق به سبحانه، من غير تمثيل ولا تكييف ولا تحريف ولا تعطيل.

---

(١) أخرجه البخاري كتاب بدء الخلق – باب قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ ﴾، (ح٣١٩٤)، (ص٢٥٨)، ومسلم كتاب التوبة – باب في سعة رحمة الله، (ح٢٧٥١)، (ص١١٥٥).

(٢) إيثار الحق على الخلق (ص١٢٧).

(٣) سورة الأعراف، الآية: (١٥٦).

(٤) سورة الأنعام، الآية: (١٣٣).

(٥) سورة الفرقان، الآية: (٤٨).

(٦) سورة هود، الآية: (٩).

(٧) انظر: الروضة الندية شرح العقيدة الواسطية (ص٩٣)، التنبيهات السنية على العقيـدة الواسـطية (ص٧٧)، شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري (١٨٥/٢).

- صفة الغضب :

عد الشيخ مرعي صفة الغضب من المتشابه، ثم استدل عليها من القرآن الكريم، ثم بين أن مذهب السلف أ ا تمر كما جاءت فقال: "ومن المتشابه صفة الغضب، في قوله تعالى: ﴿ غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم ﴾[١]، فمذهب السلف أ ا تمر كما جاءت"[٢].

دراســة رأيه:

مما سبق عرضه من كلام الشيخ مرعي يتبين لنا ما يلي:

أولاً: قوله بأن صفة الغضب من المتشابه يحتمل أكثر من معنى ، فإن أراد أن كيفية الصفة من المتشابه فهذا حق ، وإن أراد أن معناها من المتشابه فهذا باطل .

ثانياً: كلام الشيخ مرعي يحتمل أكثر من معنى، فإن أراد أن صفة الغضب تمر كما جاءت بلا كيف فهذا حق، وإن أراد تفويض المعنى فهذا باطل لأن السلف – رحمهم الله – أثبتوا صفة الغضب وفهموا معناها، وأمسكوا عن الكيفية والكنه فتفويض السلف في كيفية الصفة لا في معناها.

والغضب صفة فعلية خبرية ثابتة لله عز وجل بالكتاب والسنة.

أما الكتاب:

قوله تعالى: ﴿ وَٱلۡخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾[٣].

وقوله سبحانه: ﴿ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَلَا تَطۡغَوۡاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبِيۖ ﴾[٤].

وقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ ﴾[٥].

---

(١) سورة المجادلة، الآية: (١٤).

(٢) أقاويل الثقات (ص٧٠).

(٣) سورة النور، الآية: (٩).

(٤) سورة طه، الآية: (٨١).

(٥) سورة الممتحنة، الآية: (١٣).

وأما السـنة:

قوله صلى الله عليه وسلم: "**لما خلق الله الخلق؛ كتب في كتاب، فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي تغلب غضبي**"[1].

ومما يقرر ما سبق ما أورده علماء أهل السنة في بيان مذهب السلف في صفة الغضب:

قال الطحاوي[2] – رحمه الله – في عقيدته: "والله يغضب ويرضى لا كأحد من الورى"[3].

وقال الشارح العلامة ابن أبي العز – رحمه الله –: "ومذهب السلف وسائر الأئمة إثبات صفة الغضب والرضى والعداوة والولاية والحب والبغض ونحو ذلك من الصفات التي ورد ا الكتاب والسنة"[4].

فتبين بذلك أن السلف أثبتوا هذه الصفة لله سبحانه على الوجه الذي يليق به من غير تمثيل ولا تعطيل ولا تكييف ولا تحريف.

---

(١) سبق تخريجه (ص١٩٠).

(٢) هو أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة بن عبد الملك الأزدي، الحجري المصري الطحاوي، الحنفي، برز في علم الحديث والفقه، وكان ثقة ثبتاً عادلاً، له مصنفات منها: العقيدة الطحاوية، شرح مشكل الآثـار، توفي سنة ٣٢١هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء (٢٧/١٥)، الأعلام (٢٠٦/١).

(٣) العقيدة الطحاوية (ص١٥).

(٤) شرح العقيدة الطجاوية (٦٨٤/٢).

- **صفة الرضى:**

عد الشيخ مرعي صفة الرضى من المتشابه، ثم استدل عليها من القرآن الكريم، ثم بين أن مذهب السف فيها هو أن تمر كما جاءت فقال: "ومن المتشابه صفة الرضى، قال تعالى: ﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ ﴾[1]، ومذهب السلف أ ا تمر كما جاءت"[2].

دراسـة رأيه:

مما سبق عرضه من كلام الشيخ مرعي يتضح لنا ما يلي:

أولاً: قوله بأن صفة الرضى من المتشابه يحتمل أكثر من معنى ، فإن أراد أن كيفية الصفة من المتشابه فهذا حق ، وإن أراد أن معناها من المتشابه فهذا باطل .

ثانياً: كلام الشيخ مرعي يحتمل أكثر من معنى، فإن أراد أن صفة الرضى تمر كما جاءت بلا كيف فهذا حق، وإن أراد تفويض المعنى فهذا باطل، لأن السلف – رحمهم الله – أثبتوا صفة الرضى وفهموا معناها وأمسكوا عن الكيفية والكنه فتفويض السلف في كيفية الصفة لا في معناها.

والرضى صفة من صفات الله عز وجل الفعلية الثابتة بالكتاب والسنة.

فمن الكتاب:

قوله تعالى:﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ﴾[3].

وقوله سبحانه: ﴿ لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾[4].

ومن السنة:

قوله صلى الله عليه وسلم: **"اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك..."** [5].

---

(١) سورة المائدة، الآية: (١١٩).

(٢) أقاويل الثقات (ص٧٠).

(٣) سورة المائدة، الآية: (١١٩).

(٤) سورة الفتح، الآية: (١٨).

(٥) أخرجه مسلم كتاب الصلاة – باب ما يقال في الركوع والسجود، (ح٤٨٦)، (ص٧٥٤).

وقوله صلى الله عليه وسلم: "**إن الله يرضى لكم ثلاثاً ويكره لكم ثلاثاً...**"[1].

ومما يقرر ما سبق ما أورده أهل السنة والجماعة في بيان مذهب السلف، وإليك بعض أقوالهم - رحمهم الله -:

قال الإمام أبو إسماعيل الصابوني وهو يذكر ما أقر به أهل السنة: "وكذلك يقولون [أي بالإثبات] في جميع الصفات التي نزل بذكرها القرآن، ووردت ا الأخبار الصحاح، من السمع، والبصر، والعين... والرضى..." [2].

وقال الإمام ابن أبي العز – رحمه الله –: "ومذهب السلف وسائر الأئمة إثبات صفة الغضب والرضى..." [3].

فتبين بذلك أن السلف - رحمهم الله - أثبتوا هذه الصفة لله سبحانه وتعالى على الوجه الذي يليق به من غير تمثيل ولا تعطيل ولا تكييف ولا تحريف.

---

(١) أخرجه مسلم كتاب الأقضية – باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة، (ج١٧١٥)، (ص٩٨٢).

(٢) عقيدة السلف أصحاب الحديث (ص٥).

(٣) شرح العقيدة الطحاوية (٦٨٤/٢).

– صفة الاستهزاء:

عد الشيخ مرعي صفة الاستهزاء من المتشابه، ثم استدل عليها من القرآن الكريم، ثم بين أن مذهب السلف أ ا تمر كما جاءت فقال: "ومن المتشابه صفة الاستهزاء، في قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾[1]، فمذهب السلف أ ا تمر كما جاءت"[2].

دراسـة رأيه:

مما سبق عرضه من كلام الشيخ مرعي يتبين لنا ما يلي:

أولاً: قوله بأن صفة الاستهزاء من المتشابه يحتمل أكثر من معنى ، فإن أراد أن كيفية الصفة من المتشابه فهذا حق ، وإن أراد أن معناها من المتشابه فهذا باطل .

ثانياً: كلام الشيخ مرعي يحتمل أكثر من معنى، فإن أراد أن صفة الاستهزاء تمر كما جاءت بلا كيف فهذا حق، وإن أراد تفويض المعنى فهذا باطل، لأن السلف – رحمهم الله – أثبتوا صفة الاستهزاء على سبيل الحقيقة.

وصفة الاستهزاء بالكافرين صفة فعلية ثابتة لله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز.

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَـٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾[3].

والاستهزاء من صفات الله الفعلية التي لا يوصف ا سبحانه على سبيل الإطلاق؛ لأ ا تكون مدحاً في حال وذماً في حال، فيوصف ا حين تكون مدحاً؛ ولا يوصف ا إذا لم تكن مدحاً؛ فلا يصح أن نخبر عن الله بأنه مستهزئ على الإطلاق؛ لأن الاستهزاء نوع من اللعب، وهو منفي عن الله؛ قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَـٰعِبِينَ ﴾[4]، لكن في مقابلة من يستهزئ به يكون كمالاً، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا لَقُوا۟

(١) سورة البقرة، الآية: (١٥).

(٢) أقاويل الثقات (ص٧٠).

(٣) سورة البقرة، الآيتان: (١٤، ١٥).

(٤) سورة الدخان، الآية: (٣٨).

ﭐلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ﴾[1]؛ قال الله: ﴿ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ ﴾[2][3].

قال قوام السنة الأصبهاني – رحمه الله –: "وتولى الذب عنهم [أي: عن المؤمنين] حين قالوا: ﴿ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ﴾[4] فقال: ﴿ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ ﴾[5]، وقال: ﴿ فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ ﴾[6]، وأجاب عنهم فقال: ﴿ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ ﴾[7]؛ فأجل أقدارهم أن يوصفوا بصفة عيب، وتولى المجازاة لهم، لأن هاتين الصفتين إذا كانتا من الله؛ لم تكن سفهاً؛ لأن الله حكيم، والحكيم لا يفعل السفه، بل ما يكون منه صواباً وحكمة"[8].

فتبين بذلك أن السلف - رحمهم الله - أثبتوا هذه الصفة لله سبحانه على الوجه الذي يليق به من غير تمثيل ولا تعطيل ولا تكييف ولا تحريف.

---

(١) سورة البقرة، الآية: (١٤).

(٢) سورة البقرة، الآية: (١٥).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (١١١/٧)، وشرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (٣٣٦/١).

(٤) سورة البقرة، الآية: (١٤).

(٥) سورة البقرة، الآية: (١٥).

(٦) سورة التوبة، الآية: (٧٩).

(٧) سورة البقرة، الآية: (١٣).

(٨) الحجة في بيان المحجة (١٦٨/١).

- صفة المكر:

عد الشيخ مرعي صفة المكر من المتشابه، ثم استدل عليها من القرآن الكريم، ثم بين أن مذهب السلف أ ا تمر كما جاءت فقال: "ومن المتشابه صفة المكر، في قوله تعالى: ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ﴾(1) فمذهب السلف أ ا تمر كما جاءت"(2).

دراسـة رأيه:

مما سبق عرضه من كلام الشيخ مرعي يتضح لنا ما يلي:

أولاً: قوله بأن صفة المكر من المتشابه يحتمل أكثر من معنى ، فإن أراد أن كيفية الصفة من المتشابه فهذا حق ، وإن أراد أن معناها من المتشابه فهذا باطل .

ثانياً: كلام الشيخ مرعي يحتمل أكثر من معنى، فإن أراد أن صفة المكر تمر كما جاءت بلا كيف فهذا حق، وإن أراد تفويض المعنى فهذا باطل، لأن السلف – رحمهم الله - أثبتوا لله سبحانه وتعالى هذه الصفة.

وصفة المكر من صفات الله الفعلية التي لا يوصف ا وصفاً مطلقاً، فلا يقال: إن الله ماكر! لا على سبيل الخبر، ولا على سبيل التسمية، ذلك لأن هذا المعنى يكون مدحاً في حال ويكون ذماً في حال؛ لهذا لم يصف الله نفسه به إلا على سبيل المقابلة والتقييد؛ كما قال تعالى: ﴿ وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا وَمَكَرۡنَا مَكۡرٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴾(3)، وقوله: ﴿ وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُ ﴾(4)(5).

(1) سورة آل عمران، الآية: (54).
(2) أقاويل الثقات (ص70).
(3) سورة النمل، الآية: (50).
(4) سورة الأنفال، الآية: (30).
(5) انظر: شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (1/332).

قال شيخ الإسلام – رحمه الله –: "وهكذا وصف نفسه [يعني: الله] بالمكر والكيد، كما وصف عبده بذلك، فقال: ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ ﴾[1]، وقال: ﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴾[2]، وليس المكر كالمكر، ولا الكيد كالكيد"[3].

---

(1) سورة الأنفال، الآية: (٣٠).

(2) سورة الطارق، الآيتان: (١٥، ١٦).

(3) التدمرية (ص٢٦).

- **صفة العجب:**

عد الشيخ مرعي صفة العجب من المتشابه، ثم استدل عليها من القرآن الكريم، ثم بين أن مذهب السلف أ ا تمر كما جاءت فقال: "ومن المتشابه صفة العجب، في قوله تعالى: ﴿ بَلۡ عَجِبۡتَ بضم التاء وَيَسۡخَرُونَ ﴾[1]، فمذهب السلف أ ا تمر كما جاءت"[2].

دراســة رأيه:

مما سبق عرضه من كلام الشيخ مرعي يتبين ما يلي:

أولاً: قوله بأن صفة العجب من المتشابه يحتمل أكثر من معنى ، فإن أراد أن كيفية الصفة من المتشابه فهذا حق ، وإن أراد أن معناها من المتشابه فهذا باطل .

ثانياً: كلام الشيخ مرعي يحتمل أكثر من معنى، فإن أراد أن صفة العجب تمر كما جاءت بلا كيف فهذا حق، وإن أراد تفويض المعنى فهذا باطل، لأن السلف – رحمهم الله- أثبتوا صفة العجب وفهموا معناها، وأمسكوا عن الكيفية والكنه، فتفويض السلف في الكيفية والكنه لا في المعنى.

وصفة العجب صفة فعلية خبرية، وقد وصف سبحانه نفسه ا في كتابه العزيز، وكذا وصفه ا رسوله، وأثبت ذلك سلف الأمة وخيارها عملاً بالنصوص ومقتضى الأخبار.

فمن الكتاب:

قوله تعالى: ﴿ بَلۡ عَجِبۡتَ وَيَسۡخَرُونَ ﴾[3]، على قراءة الضم كما أشار إلى ذلك الشيخ مرعي.

قال ابن جرير-رحمه الله- اختلف القراء في قراءة ذلك،فقرأته عامة قراء الكوفة بضم التاء،بمعنى:بل عظم عندي وكبر اتخاذهم لي شريكاً وتكذيبهم ت يلي وهم يسخرون[4] .

---

(١) سورة الصافات، الآية: (١٢).

(٢) أقاويل الثقات (ص٧٠).

(٣) سورة الصافات، الآية: (١٢).

(٤) انظر:جامع البيان في تأويل آي القرآن (١٠/ ٤٧٦)، حجة القراءات (ص ٦٠٦) .

ومن السـنة :

قوله صلى الله عليه وسلم: **"لقد عجب الله عز وجل من فلان وفلانة..."** [(1)].

وقوله صلى الله عليه وسلم: **"عجب الله من قوم يدخلون الجنة بالسلاسل"**[(2)].

والسلف – رحمهم الله – أثبتوا صفة العجب لله سبحانه وتعالى وأثبتوا معناها بدون أن يتوهموا في ذلك تشبيهاً أو تمثيلاً؛ إذ ذلك منتف أصلاً بينه تعالى وبين خلقه.

قال الشيخ ابن عثيمين – رحمه الله –" والعجب: هو استغراب الشيء، ويكون ذلك لسببين:

السبب الأول: خفاء الأسباب على هذا المستغرب للشيء المتعجب منه؛ بحيث يأتيه بغتة بدون توقع، وهذا مستحيل على الله تعالى؛ لأن الله بكل شيء عليم، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء.

الثاني: أن يكون السبب فيه خروج هذا الشيء عن نظائره وعما ينبغي أن يكون عليه؛ بدون قصور من المتعجب؛ بحيث يعمل عملاً مستغرباً لا ينبغي أن يقع من مثله.

وهذا ثابت لله تعالى؛ لأنه ليس عن نقص من المتعجب، ولكنه عجب بالنظر إلى حال المتعجب منه" [(3)].

قال أبو يعلى الفراء بعد أن ذكر ثلاثة أحاديث في إثبات صفة العجب: "اعلم أن الكلام في هذا الحديث كالكلام في الذي قبله، وأنه لا يمتنع إطلاق ذلك عليه وحمله على ظاهره؛ إذ ليس في ذلك ما يحيل صفاته، ولا يخرجها عما تستحقه لأنا لا نثبت عجباً هو تعظيم لأمر دهمه استعظمه لم يكن عالماً به، لأنه لا يليق بصفاته،

---

(1) أخرجه البخاري كتاب التفسير – باب قوله: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ﴾، (ح٤٨٧٩)، (ص٤١٨)، ومسلم كتاب الأشربة – باب إكرام الضيف وفضل إيثاره، (ح٢٠٥٤)، (ص١٠٤٥)، بلفظ: **"قد عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة"**.

(2) أخرجه البخاري كتاب الجهاد – باب الأسارى في السلاسل، (ح٣٠١٠)، (ص٢٤٢).

(3) شرح العقيدة الواسطية (٢٧/٢).

بل نثبت ذلك صفة كما أثبتنا غيرها من صفاته"[1].

فالقول السليم المحكم هو الإثبات الحقيقي لهذه الصفة المصاحب لكمال التنـزيه، المبرأ من التعطيل والتشبيه.

---

(١) إبطال التأويلات (٢٤٥/١).

- **صفة الاستواء:**

عد الشيخ مرعي صفة الاستواء من المتشابه، ثم استدل عليها ببعض الآيات، ثم بين أن مذهب السلف هو التفويض في هذه الصفة وعدم الخوض فيها، فقال: "ومن المتشابه الاستواء، في قوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحۡمَـٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾[1]، وقوله: ﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ﴾[2]، وهو مذكور في سبع آيات من القرآن، فأما مذهب السلف، فإ م لم يتكلموا في ذلك بشيء، جرياً على عاد م في المتشابه من عدم الخوض فيه، مع تفويض علمه إلى الله تعالى والإيمان به"[3].

دراسـة رأيه:

مما سبق عرضه من كلام الشيخ مرعي يتضح لنا ما يلي:

أولاً: قوله بأن صفة الاستواء من المتشابه يحتمل أكثر من معنى ، فإن أراد أن كيفية الصفة من المتشابه فهذا حق ، وإن أراد أن معناها من المتشابه فهذا باطل .

ثانياً: خطؤه في نسبة التفويض إلى السلف في صفة الاستواء، لأن السلف أثبتوا صفة الاستواء لله سبحانه وتعالى على الوجه الذي يليق به سبحانه.

ومعنى الاستواء: العلو، والارتفاع، والاستقرار، والصعود.

قال ابن القيم – رحمه الله – مبيناً معنى الاستواء:

"فلهم عبـارات عليهـا أربـع قد حصلت للفارس الطّعان
وهي استقر وقد علا وكذلك ار تفع الذي ما فيه من نكران
وكذلك قد صعد الذي هو رابع"[4].

وصفة الاستواء صفة فعلية ثابتة لله عز وجل بالكتاب والسنة وإجماع الأمة.

---

(١) سورة طه، الآية: (٥).

(٢) سورة الأعراف، الآية: (٥٤).

(٣) أقاويل الثقات (ص١٢٠).

(٤) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية (٢٣٣/١).

فمن الكتاب:

قوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحۡمَـٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾[١].

وقوله سبحانه: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ﴾[٢].

ومن السنة:

حديث قتادة بن النعمان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "**لما فرغ الله من خلقه؛ استوى على عرشه**"[٣].

وأما الإجماع:

قال ابن عبد البر – رحمه الله -"فالذي عليه جماعة أهل السنة أنه لم يزل بصفاته وأسماءه ليس لأوليته ابتداء ولا لآخريته انقضاء، وهو على العرش استوى"[٤].

قال ابن خزيمة – رحمه الله –: "فنحن نؤمن بخبر الله جل وعلا، وأن خالقنا مستوٍ على عرشه، لا نبدل كلام الله ولا نقول قولاً غير الذي قيل لنا"[٥].

والسلف – رحمهم الله – أجمعوا على أن الله سبحانه وتعالى مستوٍ على عرشه استواء حقيقياً يليق بجلاله، والآثار في ذلك عن السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن بعدهم كثيرة جداً[٦].

---

(١) سورة طه، الآية: (٥).

(٢) سورة الأعراف، الآية: (٥٤).

(٣) قال الذهبي: "رواته ثقات رواه أبو بكر الخلال في كتاب السنة له..." مختصر العلو (ص٦٨)، وقال ابن القيم: "إسناده صحيح على شرط البخاري"، اجتماع الجيوش الإسلامية (ص١٠٨) ، وسكت عنه الألباني في مختصر العلو (ص ٦٨) .

(٤) جامع بيان العلم وفضله (١٠/١).

(٥) كتاب التوحيد (٢٣٣/١).

(٦) ذكر كثيراً منها الإمام ابن القيم في كتابه اجتماع الجيوش الإسلامية، والذهبي في العلو.

قال شيخ الإسلام – رحمه الله –: "وهكذا سائر الأئمة قولهم يوافق قول مالك: في أنا لا نعلم كيفية استوائه كما لا نعلم كيفية ذاته، ولكن نعلم المعنى الذي دل عليه الخطاب، فنعلم معنى الاستواء ولا نعلم كيفيته"[1].

وبناءً على ما سبق فما قرره الشيخ مرعي مخالف لمذهب السلف، وموافق لمنهج أهل التفويض.

(١) مجموع الفتاوى (٣٦٥/٥).

- **صفة المجيء:**

عد الشيخ مرعي صفة المجيء من المتشابه، ثم أورد بعض الآيات الدالة عليها، فقال: "ومن المتشابه المجيء في قوله تعالى: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ﴾[1]، وقوله: ﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ ﴾[2]"[3].

ثم ذكر بعد ذلك أن مذهب السلف في هذه الصفة هو التفويض فقال: "فمذهب السلف في هذا وأمثاله: السكوت عن الخوض في معناه، وتفويض علمه إلى الله تعالى"[4].

ثم ذكر رأي أهل التأويل واستحسنه فقال: "ومذهب أهل التأويل قالوا: ﴿ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ ﴾[5]، أي: أمره وبأسه، وجعل ذلك مجيئاً له تعالى على سبيل التفخيم والتهويل... وقال مسلمة بن القاسم في كتاب " غرائب الأصول " حديث تجلي الله يوم القيامة، ومجيئه في الظلل، محمول على أنه تعالى يغير أبصار خلقه حتى يرونه كذلك وهو على عرشه غير متغير عن عظمته... وهو تأويل حسن يطرد في كثير من المواضع"[6].

دراســة رأيه:

مما سبق عرضه من كلام الشيخ مرعي يتبين لنا ما يلي:

أولاً: قوله بأن صفة المجيء من المتشابه يحتمل أكثر من معنى ، فإن أراد أن كيفية الصفة من المتشابه فهذا حق ، وإن أراد أن معناها من المتشابه فهذا باطل .

ثانياً: خطؤه في نسبة التفويض إلى السلف في هذه الصفة، لأن السلف – رحمهم الله – أثبتوا صفة المجيء وفهموا معناها، وأمسكوا عن الكيفية والكنه، فتفويض السلف في كيفية الصفة لا في معناها.

---

(١) سورة الفجر، الآية: (٢٢).

(٢) سورة البقرة، الآية: (٢١٠).

(٣) أقاويل الثقات (ص١٩٧).

(٤) المصدر السابق (ص١٩٧).

(٥) سورة البقرة، الآية: (٢١٠).

(٦) أقاويل الثقات (ص١٩٨).

وصفة الـيء صفة فعلية ثابتة لله سبحانه وتعالى على الوجه اللائق به، قال تعالى: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ﴾[1]، فنثبت لله صفة الـيء من غير تمثيل ولا تكييف ولا تحريف ولا تعطيل.

ومما يقرر ما سبق ما أورده أهل السنة والجماعة في بيان مذهبهم في صفة الـيء:

قال ابن جرير – رحمه الله –: "اختلف في صفة إتيان الرب تبارك وتعالى الذي ذكره في قوله: ﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ ﴾[2]: فقال بعضهم: لا صفة لذلك غير الذي وصف به نفسه عز وجل من الـيء والإتيان والنـزول، وغير جائز تكلف القول في ذلك لأحد إلا بخبر من الله جل جلاله أو من رسول مرسل، فأما القول في صفات الله وأسمائه، فغير جائز لأحد من جهة الاستخراج، إلا بما ذكرنا، وقال آخرون..." [3] ثم رجح القول الأول.

وقال أبو الحسن الأشعري – رحمه الله –: "وأجمعوا على أنه عز وجل يجيء يوم القيامة والملك صفاً صفا..." [4].

وقال ابن القيم – رحمه الله –: "وقد دل القرآن والسنة والإجماع على أنه سبحانه يجيء يوم القيامة"[5].

وقال الهراس – رحمه الله – بعد أن ذكر الآيات التي استدل ا شيخ الإسلام على صفة الـيء: "في هذه الآيات إثبات صفتين من صفات الفعل، وهما صفتا الإتيان والـيء، والذي عليه أهل السنة والجماعة الإيمان بذلك على حقيقته، والابتعاد عن التأويل الذي هو في الحقيقة إلحاد وتعطيل"[6].

---

(١) سورة الفجر، الآية: (٢٢).

(٢) سورة البقرة، الآية: (٢١٠).

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٣٣٩/٢).

(٤) رسالة إلى أهل الثغر (ص٧٠).

(٥) مختصر الصواعق المرسلة (٤٦٩/٢).

(٦) شرح العقيدة الواسطية (ص١١٢).

ثالثاً: ااونه في ذكر قول أهل التأويل واستحسانه له، مع اختياره قبل ذلك التفويض، مما يدل على اضطرابه – عفا الله عنه –.

ويرد على ما ذكره الشيخ مرعي عن أهل التأويل بما يلي:

أولاً: أن الله أضاف الإتيان إلى نفسه، فقال: ﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ﴾[1]، كما أنه سبحانه أضاف الميء إلى نفسه، فقال: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا ﴾[2].

والأصل في الإضافة الحقيقة، وليس في العقل ولا النقل ما يمنع من وصف الله بالإتيان والميء على ما يليق بجلاله وعظمته، فهو كسائر صفاته الفعلية التي يفعلها متى شاء وكيف شاء.

ثانياً: أن اطراد نسبة الميء والإتيان إليه سبحانه دليل الحقيقة.

ثالثاً: قال تعالى: ﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ أَوۡ يَأۡتِيَ بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَۗ ﴾[3]، فهذه الآية لا يمكن تأويل الإتيان فيها بأنه إتيان الأمر أو العذاب، لأنه ردد فيها بين إتيان الملائكة وإتيان الرب، وإتيان بعض آيات الرب سبحانه.

رابعاً: قال تعالى: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا ﴾[4]، فعطف سبحانه مجيء الملك على مجيئه، يدل على تغاير الميئين، وأن مجيئه سبحانه حقيقي، كما أن مجيء الملك حقيقة، ولا يمكن حملها على مجيء العذاب، لأن المراد مجيئه سبحانه يوم القيامة لفصل القضاء، والملائكة صفوف، إجلالاً له وتعظيماً له.

خامساً: يقال لمن تأول الإتيان والميء بالأمر: ماذا تريد بالأمر؟ أتريد بالأمر الصفة القائمة بالله تعالى؟ أم تريد بالأمر المأمور المخلوق؟

---

(١) سورة البقرة، الآية: (٢١٠).

(٢) سورة الفجر، الآية: (٢٢).

(٣) سورة الأنعام، الآية: (١٥٨).

(٤) سورة الفجر، الآية: (٢٢).

وإن كان الأمر هو المخلوق، فيلزم أن الذي يأتي ويجيء يوم القيامة لفصل القضاء مخلوق محدث لرب العالمين! وهذا معلوم البطلان[1].

فهو سبحانه يجيء ويأتي وينـزل ويدنو وهو فوق عرشه بائن من خلقه.

فهذه كلها أفعال له سبحانه على الحقيقة، ودعوى المجاز فيها تعطيل له عن فعله، واعتقاد أن ذلك المجيء والإتيان من جنس مجيء المخلوقين وإتيانهم نزوع إلى التشبيه يفضي إلى الإنكار والتعطيل.

وبهذا - إن شاء الله - يتضح الحق الذي يجب اعتقاده في صفة المجيء، كما ذهب إليه السلف أهل السنة والجماعة، وأما ما ذهب إليه الشيخ مرعي وهو التفويض، فهو مردود لمخالفته مذهب السلف - رحمهم الله -.

---

(1) انظر: هذه الردود في: مختصر الصواعق المرسلة (٤٦٩/٢)، وشرح العقيدة الواسطية لمحمد هراس (ص١١١)، وللاستزادة انظر: دفع إيهام التشبيه عن أحاديث الصفات (ص١٣٣).

- **صفة النـزول :**

عد الشيخ مرعي – رحمه الله – صفة النـزول من المتشابه، ثم أورد بعض الأحاديث الدالة عليها، فقال: "ومن المتشابه النـزول، عن أبي سعيد وأبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم: **"أن الله تعالى يمهل، حتى إذا كان ثلث الليل الأخير نزل إلى السماء الدنيا: فنادى: هل من مستغفر؟ هل من تائب؟ هل من سائل؟ هل من داع؟ حتى ينفجر الفجر"**[1] وفي رواية البخاري: **"ينـزل ربنا عز وجل إلى السماء الدنيا..."**[2]"[3].

ثم أورد بعد ذلك كلام الحافظ ابن حجر – رحمه الله – في مذاهب الناس فيها حيث ذكر أن مذهب السلف هو إجراؤها على ما ورد ا مؤمناً به على طريقة الإجمال، منـزهاً لله تعالى عن الكيفية والتشبيه، ثم نقل عن البيهقي – رحمه الله – نصاً يؤيد كلام الحافظ ابن حجر: "وقال الحافظ ابن حجر: وقد اختلف في معنى النـزول على أقوال: فمنهم من حمله على ظاهره وحقيقته، ومنهم من أنكر صحة الأحاديث، ومنهم من أجراه على ما ورد مؤمناً به على طريق الإجمال، منـزهاً لله عن الكيفية والتشبيه...

قال البيهقي: وأسلمها الإيمان بلا كيف، والسكوت عن المراد إلا أن يرد ذلك عن الصادق، فيصار إليه، ومن الدليل على ذلك اتفاقهم على أن التأويل المعين غير واجب، فحينئذ التفويض أسلم"[4].

ثم ذكر أن أهل التأويل تأولوا هذه الصفة على وجهين فقال: "والحاصل أن تأويله بوجهين: إما بأن المراد ينـزل أمره أو الملك بأمره، وإما بمعنى أنه استعارة بمعنى التلطف بالداعين والإجابة ونحو ذلك"[5].

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب المسافرين – باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه، (ح٧٥٨)، (ص٧٩٧).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التهجد – باب الدعاء والصلاة من آخر الليل، (ح١١٤٥)، (ص٨٩).

(٣) أقاويل الثقات (ص١٩٨).

(٤) المصدر السابق (ص١٩٩)، وانظر: فتح الباري (٣٧/٣)، والأسماء والصفات للبيهقي (٣٧٨/٢).

(٥) المصدر السابق (ص٢٠٤).

ثم أورد قولاً لابن فورك[1]، وقواه بحديث للنسائي فقال: "وقد حكى ابن فورك: أن بعض المشايخ ضبط رواية البخاري بضم أوله على حذف المفعول، أي يُنْـزِلُ ملكاً. ويقويه بما رواه النسائي وغيره عن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما، قالا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"إن الله عز وجل يمهل حتى يمضي شطر الليل الأول، ثم يأمر منادياً يقول: هل من داع يستجاب له، هل من مستغفر يغفر له، هل من سائل يعطى"**[2][3].

ثم ختم البحث في هذه الصفة بذكر كونها من الصفات الفعلية، فقال: "فالنـزول والاستواء من صفات الأفعال، والله تعالى أعلم"[4].

دراسـة رأيه:

مما سبق عرضه من كلام الشيخ مرعي يتبين لنا ما يلي:

أولاً: قوله بأن صفة النزول من المتشابه يحتمل أكثر من معنى ، فإن أراد أن كيفية الصفة من المتشابه فهذا حق ، وإن أراد أن معناها من المتشابه فهذا باطل .

ثانياً: خطؤه في نسبة التفويض إلى السلف في هذه الصفة، لأن السلف – رحمهم الله – أثبتوا صفة النـزول وفهموا معناها، وأمسكوا عن الكيفية والكنه فتفويض السلف في كيفية الصفة لا في معناها.

وصفة النـزول صفة فعلية ثابتة لله عز وجل بالسنة المتواترة الصحيحة.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **"ينـزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني**

---

(١) هو أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك بضم الفاء وفتح الراء، فقيه شافعي، برع في الأصول والكلام والنحو، أشعري العقيدة، له تصانيف منها: مشكل الحديث وغريبه، توفي سنة ٤٠٦هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء (٢١٤/١٧)، وفيات الأعيان (٣٦٠/٢)، وشذرات الذهب (١٨١/٢).

(٢) أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة، رقم (٤٨٢)، وضمن السنن الكبرى برقم (١٠٣١٦)، وأخرجه أبـو يعلى في المسند (٣٤٢/١٠) برقم (٥٩٣٦)، وقال محقق مسند أبو يعلى: "إسناده حسن من أجل أبي هاشـم الرفاعي"، وقال عند تعليقه على حديث (٥٠٨٨): "هو من رجال مسلم فلا يقلّ حديثه عن رتبة الحسن".

(٣) أقاويل الثقات (ص٢٠٤).

(٤) انظر: المصدر السابق (ص٢٠٥).

فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟"[1].

ومما يقرر ما سبق ما أورده بعض علماء السلف في بيان مذهبهم في صفة النـزول:

يقول ابن خزيمة – رحمه الله –: "نشهد شهادة مقر بلسانه مصدق بقلبه مستيقن بما في هذه الأخبار من ذكر نزول الرب من غير أن نصف الكيفية، لأن نبينا المصطفى لم يصف لنا كيفية نزول خالقنا إلى سماء الدنيا، وأعلمنا أنه ينـزل..." [2].

وكذا يقول ابن عبد البر[3] – رحمه الله –: "والذي عليه جمهور أهل السنة أنهم يقولون: ينـزل كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويصدقون بهذا الحديث ولا يكيفون، والقول في كيفية النـزول كالقول في كيفية الاستواء والمجيء والحجة في ذلك واحدة"[4].

ويقرر الآجري – رحمه الله – هذا المعتقد فيقول: "الإيمان به واجب بلا كيف، لأن الأخبار قد صحت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: أن الله عز وجل ينـزل إلى السماء الدنيا كل ليلة"[5].

أما ما نقله الشيخ مرعي عن الحافظ ابن حجر والحافظ البيهقي من أن مذهب السلف هو التفويض[6]، إنما هو خطأ منهم وتبعهم في ذلك الشيخ مرعي.

---

(1) أخرجه البخاري كتاب التوحيد – باب قوله: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ﴾، (ح٧٤٩٤)، (ص٦٢٤)، ومسلم كتاب صلاة المسافرين – باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه، (ح٧٥٨)، (ص٧٩٧).

(2) التوحيد (٢٨٩/١).

(3) هو أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي، حافظ المغرب، قال الذهبي: كـان في أصول الديانة على مذهب السلف، ولم يدخل في علم الكلام، له مصنفات منها: الاسـتذكار، الاسـتيعاب، توفي سنة ٤٦٣هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء (١٥٣/١٨)، الصلة (ص٦٧٧)، وشذرات الذهب (٣١٥/٢).

(4) التمهيد (١٣٤/٢).

(5) الشريعة (ص٢٥٤).

(6) انظر: منهج الحافظ ابن حجر في العقيدة (٧٨٩/٢)، والبيهقي وموقفه من الإلهيات (ص٢٧٨).

فتبين بذلك أن نسبة مذهب التفويض إلى السلف نسبة خاطئة، ودعوى مجردة عن الدليل والبرهان.

ثالثاً: ‌اونه في ذكر قول أهل التأويل دون بيان بطلانه، وتقويته له مع اختياره قبل ذلك التفويض مما يدل على اضطرابه – رحمه الله –.

ويردّ على الوجهين التأويليين الذين ذكرهما الشيخ مرعي بما يلي:

أولاً: أن نزول أمره ورحمته ليس قاصراً على ثلث الليل الأخير فحسب، بل لا يختص بوقت، فإنه سبحانه إذا أراد أمراً فإنما يقول له كن فيكون، في أي وقت كان.

ثانياً: أن الأمر والرحمة إما أن يراد ‌ا أعيان قائمة بنفسها كالملائكة، وإما أن يراد ‌ا صفات وأعراض؛ فإن أريد ‌ا الأول، فالملائكة تنـزل إلى الأرض في كل وقت، وهذا خص النـزول بجوف الليل، وجعل منتهاه سماء الدنيا، والملائكة لا يختص نزولهم لا ‌ذا الزمان ولا ‌ذا المكان، وإن أريد صفات وأعراض مثل ما يحصل في قلوب العابدين في وقت السحر من الرقة والتضرع، وحلاوة العبادة ونحو ذلك، فهذا حاصل في الأرض ليس منتهاه السماء الدنيا.

ثالثاً: أن في نص الحديث أن الله ينـزل فيقول: **"من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له"** ومعلوم أنه لا يجيب الدعاء، ويغفر الذنوب، ويعطي كل سائل سؤله إلا الله، وأمره ورحمته لا تفعل شيئاً من ذلك.

رابعاً: أنه قد روي في عدة أحاديث: "ثم **يعرج**"، وفي لفظ: "ثم **يصعد**" والملائكة تصعد في كل وقت لا يختص صعودها بطلوع الفجر[1].

كل هذا مما يبين أن الحديث لا يصح تأويله على معنى نزول الأمر، أو الملك، أو التلطف بالداعين والإجابة لهم، لأن ذلك خلاف ظاهر الحديث، وليس عليه دليل صحيح.

---

(١) انظر هذه الردود في: مجموع الفتاوى (٤١٥/٥)، ومختصر الصواعق المرسلة (٥٧٧/٢)، وصـفة النـزول الإلهي (ص٥٧٨).

وأما ما نقله الشيخ مرعي عن ابن فورك وقواه بحديث للنسائي، فإنه لم يحفظ عن أحد من أصحاب الحديث، أنه روى ذلك بالضم أي: ينـزل ملكاً[1].

قال أبو يعلى – رحمه الله –: "هذا غلط لا يحفظ هذا عن أحد من أصحاب الحديث أنه روى ذلك بالضم، فلا يجوز دعوى ذلك، والذي يبين بطلان ذلك قوله: **"ألا من يسألني فأعطيه"**، وهذه صفة تختص ا الذات دون الأفعال، وما هذه الزيادة إلا من تحريف المبطلين لأخبار الصفات"[2].

وأما ما ذكره الشيخ مرعي من أن رواية النسائي تقوي ما ذهب إليه ابن فورك فهو مما نقله عن ابن حجر ولم يصرح بنسبته إليه[3]، ويمكن أن يرد على ذلك بوجهين:

الأول: أن الرواية المذكورة أخرجها النسائي من طريق الأعمش[4]، عن أبي إسحاق السبيعي[5]، عن الأغر[6].

وأبو إسحاق هو عمر بن عبد الله الهمداني، وهو ثقة، اختلط بآخره ولا يعلم أكانت رواية الأعمش عنه قبل الاختلاط أم بعده.

وقد ضعف الحديث بعض أهل العلم: قال الحافظ أبو عبد الله ابن منده: "وليس في هذه الأحاديث ولا روا ا ما يصح"[7].

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٤١٦/٥).

(٢) إبطال التأويلات (٢٦٥/١).

(٣) ذكر محقق أقاويل الثقات الشيخ شعيب الأرنؤوط أن قول الشيخ مرعي "يقويه" من كلامه، والصحيح أنه مما نقله عن ابن حجر ولم يصرح الشيخ مرعي بذلك، انظر: فتح الباري (٣٠/٣).

(٤) هو سليمان بن مهران الأسدي الكاهلي، أبو محمد الكوفي الأعمش، ثقة حافظ، عارف بالقراءة ولكنه يدلس، توفي سنة ١٤٧ أو ١٤٨هـ.
انظر: تقريب التهذيب (٣١٩/١).

(٥) هو عمر بن عبد الله الهمداني، ثقة اختلط بآخره.
انظر: الكواكب النيرات في معرفة من اختلط من الرواة الثقات، لابن الكيال (ص٣٤١).

(٦) هو أبو أسلم المديني، نزيل الكوفة، ثقة، من الطبقة الثالثة عند ابن حجر، وهم الطبقة الوسطى من التـابعين، توفي بعد المائة من الهجرة.
انظر: تقريب التهذيب (٨٢/١).

(٧) شرح حديث النـزول (ص١٧٧).

وقال الألباني: "ورواه النسائي بلفظ منكر ليس فيه ذكر النـزول ولا نسبة للقول المذكور إلى الله تعالى"[1].

الثاني: أن الرواية المذكورة لا تعارض ما تواترت به الأحاديث من نزول الرب ومناداته، إذ هو سبحانه ينـزل وينادي، وينـزل ملكاً ينادي أيضاً، ولا تعارض بينهما في ذلك.

قال شيخ الإسلام: "فإن ما رواه النسائي في بعض طرق الحديث أنه يأمر منادياً ينادي، فإن هذا إن كان ثابتاً عن النبي صلى الله عليه وسلم، فإن الرب يقول ذلك، ويأمر منادياً بذلك"[2].

وعلى هذا فلا تعارض بين الروايات.

رابعاً: موافقته لمذهب السلف في عده صفة النـزول من صفات الفعل.

وقد تبين الحق – إن شاء الله – في صفة النـزول، فيجب إثباتها له من غير تمثيل ولا تكييف ولا تعطيل ولا تأويل، كما هو مذهب السلف أهل السنة والجماعة.

وأما ما ذهب إليه الشيخ مرعي فهو مردود لمخالفته مذهب السلف – رحمهم الله -.

---

(١) إرواء الغليل (١٩٨/٢)، وأحال على الضعيفة (٣٨٩٧).

(٢) شرح حديث النـزول (ص١٤٣).

الفصل الثاني

آراؤه في الإيمان بالرسل

وفيه تمهيد وأربعة مباحث :

- تمهيد في تعريف النبي والرسول والفرق بينهما :

المبحث الأول : الحكمة من إرسال الرسل .

المبحث الثاني : معنى الإيمان بالأنبياء والرسل وما يتضمنه .

المبحث الثالث : عصمة الأنبياء .

المبحث الرابع : الإيمان بنبوة النبي – صلّى الله عليه وسلّم - .

الفصل الثاني

آراؤه في الإيمان بالرسل

تمهيد

في تعريف النبي والرسول والفرق بينهما

النبي لغة: مشتق من النبأ وهو الخبر، كما في قوله تعالى: ﴿ عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ﴾(١).

وقيل: أن النبي مأخوذ من النبوء وهو ما ارتفع من الأرض، وسمي النبي بذلك لأنه مفضل على سائر الخلق، بمكانته ورتبته العالية، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾(٢).

وقيل: النبي هو الطريق الواضح، لأن العرب تطلق لفظ النبي على علم من أعلام الأرض التي يهتدى ا، وسمي النبي بذلك لأنه علم يهتدي به الخلق، إلى الله تبارك وتعالى(٣).

أما الرسول لغة: فهو مشتق من الإرسال ومعناه البعث والتوجيه، فإذا بعثت شخصاً في القيام بمهمة ما فهو رسولك، قال تعالى حكاية عن ملكة سبأ: ﴿ وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾(٤) وعلى ذلك فالرسل إنما سموا بذلك لأن الله أرسلهم وبعثهم بالرسالات إلى أممهم وكلفهم بحملها وتبليغها قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ۖ ﴾(٥).

---

(١) سورة النبأ، الآيتان: (١، ٢).

(٢) سورة مريم، الآية: (٥٧).

(٣) انظر: الصحاح (٧٤/١، ٢٥٠٠/٦)، ولسان العرب (٣٠٢/١)، والقاموس المحيط (ص١٧٥١).

(٤) سورة النمل، الآية: (٣٥).

(٥) سورة المؤمنون، الآية: (٤٤).

ويجمع الرسل على أرسل ورسل ورسلاء، وسموا الرسل بذلك لأ م مبعوثون وموجهون من قبل الله عز وجل، لتبليغ الخلق أمر الله ووحيه[١].

وقد اختلف الناس في **تعريف النبي والرسول، والفرق** بينهما **على** قولين:

1): لا فرق بين النبي والرسول [٢].

2): بينهما فرق [٣].

والقول بأن بينهما فرق هو الراجح - والله أعلم - .

يقول العلامة الشنقيطي – رحمه الله -: "آية الحج تبين أن ما اشتهر على ألسنة أهل العلم من أن النبي هو من أوحي إليه وحي ولم يؤمر بتبليغه، وأن الرسول هو النبي الذي أوحي إليه وأمر بتبليغ ما أوحي إليه غير صحيح، لأن قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ ﴾[٤]، يدل على أن كلاً منهما مرسل، وأ ما في ذلك بينهما تغاير"[٥].

تغاير"[٥].

ولهذا فإن أصح التعاريف وأسلمها من الاعتراضات تعريف شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – حيث يقول: "النبي هو الذي ينبئه الله، وهو ينبئ بما أنبأ الله به، فإن أرسل مع ذلك إلى من خالف أمر الله ليبلغه رسالة من الله إليه فهو رسول، وأما إذا كان إنما يعمل بالشريعة قبله ولم يرسل هو إلى أحد يبلغه عن الله رسالة، فهو نبي وليس برسول..." [٦].

---

(١) انظر: الصحاح (١٧٠٩/٤)، ولسان العرب (٢٨٣/١١).

(٢) انظر: أعلام النبوة (٧٠)، غاية المرام (ص٣١٧)، المواقف (ص٣٣٧).

(٣) انظر: أعلام الحديث (٢٩٨/١)، والنبوات (ص١٨١)، وشرح العقيدة الطحاوية (١٥٥/١)، وأضواء البيان (٧٣٥/٥).

(٤) سورة الحج، الآية: (٥٢).

(٥) أضواء البيان (٧٣٥/٥).

(٦) النبوات (ص١٨١).

وعليه فالنبي والرسول بينهما عموم وخصوص مطلق، وكذا النبوة والرسالة، فالرسالة أعم من جهة نفسها؛ إذ النبوة داخلة في الرسالة، كما أ ا أخص من جهة أهلها؛ إذ كل رسول نبي، وليس كل نبي رسول، والرسالة أفضل من النبوة، والرسول أفضل من النبي[1].

(١) انظر: الإيمان لابن تيمية (ص٦-٧)، شرح العقيدة الطحاوية (١٥٥/١)، لوامع الأنوار البهية (٤٩/١-٥٠).

المبحث الأول

الحكمة من إرسال الرسل

الرسل سفراء الله إلى عباده، وحملة وحيه، ومهمتهم الأولى هي إبلاغ هذه الأمانة التي تحملوها إلى عباد الله، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ ﴾(1). والبلاغ يكون بتلاوة النصوص التي أوحاها الله من غير زيادة ولا نقصان.

ولا تقف مهمة الرسل عند بيان الحق وإبلاغه، بل عليهم دعوة الناس إلى الأخذ بدعو م، والاستجابة لها، وتحقيقها في أنفسهم اعتقاداً وقولاً وعملاً، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ ﴾(2)، وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾(3) وكل رسول قال لقومه: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾(4)(5).

فالله سبحانه وتعالى أرسل جميع الرسل بتحصيل المصالح، وتعطيل المفاسد، وذلك بأن يدعو إلى عبادة الله وحده، وينهون عن عبادة ما سواه.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ ﴾(6) قال ابن كثير – رحمه الله –: "فلم يزل تعالى يرسل إلى الناس الرسل

---

(1) سورة المائدة، الآية: (٦٧).

(2) سورة النحل، الآية: (٣٦).

(3) سورة الأنبياء، الآية: (٢٥).

(4) سورة الشعراء، الآيات: (١٠٨)، (١٣٦)، (١٤٤)، (١٥٠)، (١٦٣)، (١٧٩).

(5) انظر: تفسير القرآن العظيم (٦٢٦/٢)، زاد المعاد (١٥/١)،وللاستزادة انظر : الرسل والرسالات (ص٤٥).

(6) سورة النحل، الآية: (٣٦).

بذلك منذ حدث الشرك في بني آدم في قوم نوح الذين أرسل إليهم نوح، وكان أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض إلى أن ختمهم بمحمد صلّى الله عليه وسلّم، الذي طبقت دعوته الإنس والجن، في المشارق والمغارب"[1].

والله سبحانه وتعالى أرسل الرسل كي لا يبقى للناس حجة في يوم القيامة، قال تعالى: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴾[2].

وفي يوم القيامة، عندما يجمع الله الأولين والآخرين، يأتي الله لكل أمة برسولها ليشهد عليها بأنه بلغها رسالة ربه، وأقام عليها الحجة، قال تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴾[3]، وقال في آية أخرى: ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾[4].

وقد أشار الشيخ مرعي – رحمه الله – إلى الحكمة من إرسال الرسل، وطاعتهم واتباع أمرهم، وأ م حجة الله على خلقه، وأ م أرسلوا إلى الناس قاطبة لتحصيل المصالح وتعطيل المفاسد.

فقال: "وبالجملة فالباري سبحانه قد أرسل الرسل قاطبة بتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها"[5].

فها هو نوح عليه السلام ينكر على قومه عبادة الأصنام، وكذلك إبراهيم ومحمد عليهم الصلاة والسلام، وهود أنكر على قومه الاستعلاء في الأرض والتجبر فيها، وصالح أنكر عليهم الإفساد في الأرض واتباع المفسدين، وشعيب قاوم في قومه جريمة التطفيف في

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٦٢٦/٢).

(٢) سورة النساء، الآية: (١٦٥).

(٣) سورة النساء، الآيتان: (٤١-٤٢).

(٤) سورة النحل، الآية: (٨٩).

(٥) دفع الشبهة والغرر عمن يحتج على فعل المعاصي بالقدر، (ص٩٢).

المكيال والميزان، وهكذا، فكل هذه الجرائم وغيرها التي ارتكبتها الأمم خروج عن الصراط المستقيم وانحراف عنه، والرسل يبنون هذا الصراط ويبنون المصالح المترتبة عليه، ويحاربون الخروج عنه ويبنون المفاسد المترتبة عليه.

وقال الشيخ مرعي وهو يبين أن الرسل حجة على الخلق: "وقد قال سبحانه: ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ﴾[1] بإرسال الرسل وإنزال الكتب فلا حجة عليه لأحد بعد ذلك"[2].

وقال أيضاً وهو يدعو الناس إلى اتباع الرسل والانقياد لهم: "اعلم أن الواجب على الخلق قاطبة اتباع ما بعث الله به المرسلين، والانقياد لما أمروا به أو نهوا عنه، وإن خالف طباعهم وعاداتهم، فإن في اتباعهم خير الدنيا والآخرة"[3].

دراســة رأيه:

يتضح من كلام الشيخ مرعي – رحمه الله – حول الحكمة من إرسال الرسل، أنه يرى أن الله سبحانه وتعالى أرسل الرسل لتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها، وأن الرسل حجة الله على الخلق، ويجب انقياد الخلق لما أمروا به ونهوا عنه، وهذا الرأي موافق للكتاب والسنة وما قرره السلف – رحمهم الله -.

قال تعالى: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴾[4]، قال ابن كثير – رحمه الله –: "وقوله ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾ أي يبشرون من أطاع الله واتبع رضوانه بالخيرات، وينذرون من خالف أمره وكذب رسله بالعقاب والعذاب، وقوله: ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ أي أنه تعالى أنزل كتبه وأرسل رسله بالبشارة والنذارة، وبين ما يحبه

---

(١) سورة الأنعام، الآية: (١٤٩).

(٢) دفع الشبه والغرر عمن يحتج على فعل المعاصي بالقدر (ص٩٠).

(٣) شفاء الصدور في زيارة المشاهد والقبور (ص١٩٩).

(٤) سورة النساء، الآية: (١٦٥).

ويرضاه مما يكرهه ويأباه، لئلا يبقى لمعتذر عذر، كما قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَـٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ ءَايَـٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴾(1)"(2).

قال ابن القيم – رحمه الله –: "ومن هنا تعلم اضطرار العباد فوق كل ضرورة إلى معرفة الرسول، وما جاء به، وتصديقه فيما أخبر به، وطاعته فيما أمر، فإنه لا سبيل إلى السعادة والفلاح لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا على أيدي الرسل، ولا سبيل إلى معرفة الطيب والخبيث على التفصيل إلا من جهتهم، ولا ينال رضا الله البتة إلا على أيديهم، فالطيب من الأعمال والأقوال والأخلاق ليس إلا هديهم وما جاءوا به، فهم الميزان الراجح، الذي على أقوالهم وأخلاقهم توزن الأخلاق والأعمال، وبمتابعتهم يتميز أهل الضلال، فالضرورة إليهم أعظم من ضرورة البدن إلى روحه، والعين إلى نورها، والروح إلى حيا ا..."(3).

وقال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي – رحمه الله –: "الأنبياء جميعهم بعثوا بالإصلاح والصلاح، و وا عن الشرور والفساد، فكل صلاح وإصلاح ديني ودنيوي فهو من دين الأنبياء، وخصوصاً إمامهم وخاتمهم، فإنه أبدى وأعاد في هذا الأصل، ووضح للخلق الأصول النافعة التي يجرون عليها في الأمور العادية والدنيوية، كما وضع لهم الأصول في الأمور الدينية"(4).

---

(1) سورة طه، الآية: (١٣٤).

(2) تفسير القرآن العظيم (٦٥١/١).

(3) زاد المعاد (١٥/١).

(4) تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن (ص١٢٨).

المبحث الثاني

معنى الإيمان بالأنبياء والرسل وما يتضمنه

يرى الشيخ مرعي – رحمه الله – أن الإيمان بالرسل، يعني الإيمان بأن الله أرسلهم إلى الناس ، لهدايتهم، وتحصيل المصالح، وتعطيل المفاسد، وأيدهم بالمعجزات الدالة على صدقهم، فيجب الانقياد لما أمروا، والكف عما وا[1].

دراسـة رأيه:

الإيمان بالرسل هو الركن الرابع من أركان الإيمان التي لا يصح إيمان إلا ا.

قال تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾[2].

قال ابن كثير – رحمه الله – في تفسير هذه الآية: "فالمؤمنون يؤمنون بأن الله واحد أحد، فرد صمد لا إله غيره ولا رب سواه، ويصدقون بجميع الأنبياء والرسل والكتب المنـزلة من السماء على عباد الله المرسلين، والأنبياء لا يفرقون بين أحد منهم، لا يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض، بل الجميع عندهم صادقون بارون راشدون مهديون هادون إلى سبيل الخير، وإن كان بعضهم ينسخ من شريعة بعض بإذن الله، حتى نسخ الجميع بشرع محمد صلّى الله عليه وسلّم، خاتم الأنبياء والمرسلين، الذي تقوم الساعة على شريعته، ولا تزال طائفة من أمته على الحق ظاهرين"[3].

---

(١) انظر: دفع الشبهة والغرر عمن يحتج على فعل المعاصي بالقدر (ص٩٠-٩٢)، وشـفاء الصـدور في زيـارة المشاهد والقبور (ص١٥٤)، تلخيص أوصاف المصطفى وذكر من بعده من الخلفاء (مخطوط)، (٣/ب).

(٢) سورة البقرة، الآية: (٢٨٥).

(٣) تفسير القرآن العظيم (٣٦٧/١).

والإيمان بالرسل يتضمن أربعة أمور:

الأول: الإيمان بأن رسالتهم حق من الله تعالى.

الثاني: الإيمان بمن علمنا اسمه باسمه مثل: محمد، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ونوح – عليهم الصلاة والسلام -.

وأما من لم نعلم اسمه فنؤمن به إجمالاً.

فيجب الإيمان بكل نبي ورسول، سمى الله منهم في كتابه على التفصيل، والإيمان جملة بأن له رسلاً غيرهم، وأنبياء لا يعلمهم إلا هو سبحانه وتعالى.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾[1].

والرسل الذين ذكروا في القرآن الكريم خمسة وعشرون نبياً ورسولاً، يجب الإيمان م على التفصيل، بمعنى أنه يتعين التصديق برسالا م، بأشخاصهم وأسمائهم، لأ م ذكروا في القرآن.

منهم ثمانية عشرة قد ذكروا في قوله تعالى: ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلاًّ هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلاًّ فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[2].

وذكر السبعة الباقون مفرقين في عدة سور من القرآن الكريم، وهم آدم قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ ﴾[3]، وهود في قوله تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ ﴾[4]،

---

(١) سورة غافر، الآية: (٧٨).

(٢) سورة الأنعام، الآية: (٨٣-٨٦).

(٣) سورة آل عمران، الآية: (٣٣).

(٤) سورة هود، الآية: (٥٠).

وإدريس في قوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴾[1]، وصالح في قوله تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ ﴾[2]، وشعيب في قوله تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ ﴾[3]، وذو الكفل في قوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴾[4]، وخاتمهم محمد عليه الصلاة والسلام في قوله تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾[5].

ويجب الإيمان بجميع الأنبياء والرسل دون تفريق بينهم، فمن آمن بالبعض وكفر بالبعض الآخر فقد كفر بالجميع، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾[6].

قال ابن كثير – رحمه الله – في تفسير هذه الآية: "يتوعد تبارك وتعالى الكافرين به وبرسله من اليهود والنصارى، حيث فرقوا بين الله ورسله في الإيمان، فآمنوا ببعض الأنبياء، وكفروا ببعض، بمجرد التشهي والعادة، وما ألفوا عليه آبائهم لا عن دليل قادهم إلى ذلك، فإن لا سبيل لهم إلى ذلك، بل بمجرد الهوى والعصبية، فاليهود عليهم لعائن الله آمنوا بالأنبياء إلا عيسى ومحمداً عليه الصلاة والسلام، والنصارى آمنوا بالأنبياء وكفروا

(١) سورة مريم، الآية: (٥٦).
(٢) سورة هود، الآية: (٦١).
(٣) سورة هود، الآية: (٨٤).
(٤) سورة ص، الآية: (٤٨).
(٥) سورة الأحزاب، الآية: (٤٠).
(٦) سورة النساء، الآيتان: (١٥٠-١٥١).

بخاتمهم وأشرفهم محمد صلّى الله عليه وسلّم... والمقصود أن من كفر بنبي من الأنبياء فقد كفر بسائر الأنبياء، فإن الإيمان واجب بكل نبي بعثه الله إلى أهل الأرض..." [١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: "والمسلمون آمنوا م كلهم، ولم يفرقوا بين أحد منهم، فإن الإيمان بجميع الأنبياء فرض واجب، ومن كفر بواحد منهم فقد كفر م كلهم" [٢].

الثالث: تصديق ما صح عنهم من أخبار.

الرابع: العمل بشريعة من أرسل إلينا منهم، وهو خاتمهم محمد صلّى الله عليه وسلّم المرسل إلى جميع الناس [٣].

يقول الإمام محمد بن نصر المروزي [٤] – رحمه الله –: "الإيمان بالرسل: أن تؤمن بمن سمى الله في كتابه من رسله، وتؤمن بأن لله سواهم رسلاً وأنبياء لا يعلم أسمائهم إلا الذي أرسلهم، وتؤمن بمحمد صلّى الله عليه وسلّم، وإيمانك به غير إيمانك بسائر الرسل، إيمانك بسائر الرسل: إقرارك م، وإيمانك بمحمد صلّى الله عليه وسلّم إقرارك به، وتصديقك إياه، واتباعك ما جاء به" [٥].

وبناء على ما سبق فما قرره الشيخ مرعي – رحمه الله – في معنى الإيمان بالرسل، وما يتضمنه، موافق لما قرره أهل السنة والجماعة.

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٦٣١/١).

(٢) الصفدية (٣١١/٢).

(٣) انظر: شعب الإيمان (٣٧١/١)، فتح الباري (١١٨/١)، فتاوى ابن عثيمين (١٢٤/١).

(٤) هو محمد بن نصر بن الحجاج المروزي، أبو عبد الله، من أئمة السلف وأعلامهم، من مؤلفاته: تعظـيم قـدر الصلاة، واختلاف الفقهاء، وقيام الليل، توفي سنة ٢٩٤هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء (٣٣/١٤)، شذرات الذهب (٢١٦/١).

(٥) تعظيم قدر الصلاة (٣٩٣/١).

المبحث الثالث

عصمة الأنبياء

فرق الشيخ مرعي – رحمه الله – في عصمة الأنبياء بين ما يتعلق بالتبليغ، وبين ما يتعلق بالاجتهاد والفتوى، وبين ما يتعلق بأفعالهم وسيرهم.

فأما ما يتعلق بعصمة الأنبياء في التبليغ، فقد نقل عن الفخر أنه لا يجوز ذلك منهم عمداً ولا سهواً فقال: "قال الفخر: أجمعت الأمة على أ م معصومون من الكذب والتحريف والتبديل، وقد اتفقوا أيضاً على أن ذلك لا يجوز وقوعه منهم عمداً ولا سهواً"[1].

وأما ما يتعلق بالاجتهاد والفتوى فقد نقل عن الفخر أنه لا يجوز خطؤهم عمداً، وأما سهواً فجوزه قوم وأباه آخرون، فقال: "وأما ما يتعلق بالاجتهاد والفتوى، قال الفخر: أجمعوا على أنه لا يجوز خطؤهم فيه على سبيل العمد، وأما على سبيل السهو فجوزه قوم وأباه آخرون"[2].

وأما ما يتعلق بأفعالهم وسيرهم، فقد نقل عن الفخر خمسة أقوال، واختار الشيخ مرعي القول الخامس وهو أنه لا يقع منهم ذنب، لا صغيرة ولا كبيرة، لا عمداً ولا سهواً، فقال: "وأما ما يتعلق بأفعالهم وسير م فحكى الفخر فيه خمسة أقوال:

فقيل: يجوز عليهم الكبائر وهذا قول باطل بالبديهة.

وقيل: لا يجوز عليهم الكبائر ويجوز عليهم الصغائر إلا ما فيه الخسة كالكذب...

وقيل: لا يجوز عليهم كبيرة ولا صغيرة عمداً ولا تأويلاً...

وقيل: لا يقع منهم الذنب سهواً ولا خطأ، لكنهم مؤاخذون ذه الجهة، وإن وضع ذلك عن أمتهم لأن معرفتهم أقوى، وبلائهم أتم، وأ م يقدرون على التحفظ ما لا يقدر عليه غيرهم.

---

(١) جة الناظرين وآيات المستدلين (٣٠١)، وانظر كلام الرازي في تفسيره (٧/٣) ، وعصمة الأنبياء (ص٢٦)

(٢) المصدر السابق (ص٣٠١).

وقيل: لا يقع منهم ذنب، لا صغيرة ولا كبيرة، لا عمداً ولا سهواً، وهذا مذهب الرافضة[1].

قلت: وإلى هذا المذهب في هذه المسألة أذهب، وليعترض من يعترض"[2].

دراســة رأيه:

العصمة لغة: اسم مصدر من مادة "عصم".

قال ابن فارس: "العين والصاد والميم: أصل واحد صحيح، يدل على إمساك ومنع وملازمة، والمعنى في ذلك كله معنى واحد"[3].

وأصل العصمة: الحبل، وكل من أمسك شيئاً فقد عصمه.

يقال: عصمه يعصمه عصماً، بمعنى منعه ووقاه، ومنه قوله تعالى: ﴿ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعۡصِمُنِى مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ ﴾[4]، أي: لا معصوم إلا المرحوم.

وقد سمت العرب الحبل الذي تربط به القربة: عصام القربة، لأنه يمنع الماء من الخروج منها.

وهذا طعام يعصم: أي يمنع من الجوع، واعتصم به واستعصم، أي امتنع وأبى[5].

---

(١) الرافضة: فرقة من فرق الشيعة، وقد قسمهم الأشعري إلى ثلاثة فرق: الغالية، الروافض، الزيديـة، وقيـل إن أصل تسميتهم بالرافضة مأخوذ من قول زيد بن علي بن الحسين عندما سئل عن أبي بكر وعمر فترحم عليهم، فرفضه جماعة من أتباعه فقال: رفضتموني فسموا بالرافضة، وقيل غير ذلك من أسباب التسمية، ويزعمون أن النبي صلى الله عليه وسلم نص على استخلاف علي بن أبي طالب باسمه، وتبرؤوا من أبي بكر وعمر، وأن أكثر الصحابة ضلوا بتركهم الاقتداء بعلي بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، وأن جل الأمة ارتدت بتركها إمامته، وادعى كثير منهم العصمة لأئمتهم.

انظر: مقالات الإسلاميين (٨٨/١، ٨٩، ١٠٤)، والملل والنحل (١٦٩/١)، ودراسة عن الفـرق في تـاريخ المسلمين والخوارج والشيعة (ص١٥١ وما بعدها).

(٢) جة الناظرين وآيات المستدلين (ص٣٠١).

(٣) معجم مقاييس اللغة (٣٣١/٤).

(٤) سورة هود، الآية: (٤٣).

(٥) انظر: لسان العرب (٤٠٣/١٢)، القاموس المحيط (١٤٩٨/٢).

العصمة اصطلاحاً: "لطف من الله يحمل النبي على فعل الخير، ويزجره عن الشر، مع بقاء الاختيار تحقيقاً للابتلاء"[(١)].

وبناء على ما سبق فما قرره الشيخ مرعي في **مسألة عصمة الأنبياء فيما يتعلق بالتبليغ، وما يتعلق بالاجتهاد والفتوى، وأفعالهم وسيرهم، منه ما هو حق ومنه ما هو باطل.**

فأما ما يتعلق بالتبليغ، وقوله أ م معصومون من الكذب والتحريف والتبديل، فهو موافق للكتاب والسنة والإجماع:

فمن الكتاب:

قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾[(٢)].

قال ابن كثير – رحمه الله –: "أي ما يقول قولاً عن هوى، إنما يقول ما أمر به، يبلغه إلى الناس كاملاً موفوراً من غير زيادة ولا نقصان"[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ۝٤٤ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ۝٤٥ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ۝٤٦ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴾[(٤)].

قال ابن كثير بعد أن فسر هذه الآيات: "والمعنى في هذا: بل هو صادق راشد، لأن الله عز وجل مقر له ما يبلغه عنه، ومؤيد له بالمعجزات الباهرات، والدلالات القاطعات"[(٥)].

ومن السـنة:

عن طلحة بن عبيد الله - رضي الله عنه – أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال:

---

(١) نسيم الرياض في شرح الشفا (٣٩/٤).
(٢) سورة النجم، الآيتان: (٣، ٤).
(٣) تفسير القرآن العظيم (٢٦٠/٤).
(٤) سورة الحاقة، الآيات: (٤٤-٤٧).
(٥) تفسير القرآن العظيم (٤٤١/٤).

"ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئاً فخذوا به، فإني لن أكذب على الله"[(١)].

"وهذا الحديث نص على عصمته صلّى الله عليه وسلّم، من الكذب فيما يخبر به عن الله"[(٢)].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما – قال: كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أريد حفظه، فنهتني قريش، فقالوا: إنك تكتب كل شيء سمعته من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ورسول الله صلّى الله عليه وسلّم بشر، يتكلم في الغضب والرضا، فأمسكت عن الكتاب، فذكرت ذلك لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقال: **"اكتب، فوالذي نفسي بيده، ما خرج مني إلا الحق"**[(٣)].

وأما الإجماع:

قال القاضي عياض[(٤)] – رحمه الله –: "وأجمعت الأمة فيما كان طريق البلاغ، أنه معصوم فيه من الإخبار عن شيء منها بخلاف ما هو به، لا قصداً ولا عمداً ولا سهواً ولا غلطاً"[(٥)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: "إن الأنبياء صلوات الله عليهم، معصومون فيما يخبرون به عن الله سبحانه وتعالى، وفي تبليغ رسالاته، باتفاق الأمة، ولهذا وجب الإيمان بكل ما أوتوه... والعصمة فيما يبلغونه عن الله ثابت، فلا يستقر في ذلك خطأ باتفاق المسلمين"[(٦)].

---

(١) أخرجه مسلم كتاب الفضائل – باب وجوب امتثال ما قاله شرعاً، (ح٢٣٦١)، (ص١٠٩٣).

(٢) حقوق النبي صلى الله عليه وسلم (١٣٢/١).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١٦٢/٢، ١٩٢)، وأبو داود في سننه، كتاب العلم – باب كتابة العلم (ح٣٦٤٦)، (ص١٤٩٣)، والحاكم في المستدرك (١٠٤/١-١٠٥) وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٦٩٥/٢)، وفي السلسلة الصحيحة (٤٥/٤)، رقم (١٥٣٢).

(٤) هو عياض بن موسى بن عياض البستي المالكي، أبو الفضل، عالم المغرب، وإمام أهل الحديث في وقته، شديد التعصب للسنة والتمسك بها، له مصنفات منها: الشفا بتعريف حقوق المصطفى، الغنية، توفي سنة ٥٤٤هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٢١٢/٢٠)، شذرات الذهب (١٣٨/٢).

(٥) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٧٤٦/٢).

(٦) مجموع الفتاوى (٢٨٩/١٠).

وأما كلامه فيما يتعلق بالاجتهاد والفتوى، وقوله بأنه لا يجوز خطؤهم عمداً، وأما على سبيل السهو، فجوزه قوم وأباه آخرون:

موافق للكتاب والسنة وهو مذهب السلف – رحمهم الله –:

فمن الكتاب:

قوله تعالى:﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعۡلَمَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴾[(١)].

وقوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٦٧ لَّوۡلَا كِتَٰبٞ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمۡ فِيمَآ أَخَذۡتُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾[(٢)].

قال قتادة[(٣)]: "ثنتان فعلهما النبي صلى الله عليه وسلم ولم يؤمر بهما، إذنه لطائفة من المنافقين في التخلف عنه، ولم يكن له أن يمضي شيئاً إلا بوحي، وأخذه من الأسارى الفدية، فعاتبه الله كما تسمعون"[(٤)].

قال ابن كثير – رحمه الله – في تفسير قوله تعالى: ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ ... ﴾[(٥)]: يقول تعالى: هلا تركتهم لما استأذنوك [أي المنافقين استأذنوا النبي صلى الله عليه وسلم في القعود وعدم الجهاد] فلم تأذن لأحد منهم في العقود، لتعلم الصادق منهم في إظهار طاعتك من الكاذب، فإنهم كانوا مصرين على القعود عن الغزو، وإن لم تأذن لهم فيه"[(٦)].

فيه"[(٦)].

(١) سورة التوبة، الآية: (٤٣).

(٢) سورة الأنفال، الآيتان: (٦٧، ٦٨).

(٣) هو قتادة بن دعامة بن قتادة السدوسي، أبو الخطاب البصري، ثقة ثبت حافظ، لكنه مدلس، ورمي بالقـدر، توفي سنة ١١٨هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء (٥/٢٦٩).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (٨/١٤٠).

(٥) سورة التوبة، الآية: (٤٣).

(٦) تفسير القرآن العظيم (٢/٣٩٧).

وقال ابن سعدي – رحمه الله - في تفسير قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ ...﴾[1]: "هذه معاتبة من الله لرسوله وللمؤمنين يوم بدر إذ أسروا المشركين، وأبقوهم لأجل الفداء، وكان رأي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في هذه الحال، قتلهم واستئصالهم. فقال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ أي: ما ينبغي، ولا يليق به إذا قاتل الكفار الذين يريدون أن يطفئوا نور الله ويسعون لإخماد دينه، وأن لا يبقى على وجه الأرض من يعبد الله، أن يتسرع إلى أسرهم وإبقائهم، لأجل الفداء، الذي يحصل منهم، وهو عرض قليل، بالنسبة إلى المصلحة المقتضية لإباد م، وإبطال شرهم، فمادام لهم شر وصولة، فالأوفق أن لا يؤسروا، فإذا أثخن في الأرض، وبطل شر المشركين، واضمحل أمرهم، فحينئذ لا بأس بأخذ الأسرى منهم، وإبقائهم."[2].

ومن السـنة:

قوله صلى الله عليه وسلم: **"إنكم تختصمون إليّ، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، فأقضي له على نحو ما أسمع منه، فمن قطعت له من حق أخيه شيئاً، فلا يأخذه، فإنما أقطع له قطعة من نار"**[3].

وعن رافع بن خديج رضي الله عنه قال: قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة، وهم يأبرون النخل، يقولون يلَقحون النخل، فقال: **"ما تصنعون"؟** قالوا: كنا نصنعه، قال: **"لعلكم لو لم تفعلوا كان خيراً"**. فتركوه، فنقصت قال: فذكروا ذلك له، فقال: **"إنما أنا بشر، إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به، وإذا أمرتكم بشيء من رأيي، فإنما أنا بشر"**[4].

---

(١) سورة الأنفال، الآيتان: (٦٧، ٦٨).

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص٣٢٩).

(٣) أخرجه البخاري كتاب الشهادات – باب من أقام البينة مع اليمين، (ح٢٦٨٠)، (ص٢١٢)، وأخرجه مسلم كتاب الأقضية – باب بيان أن حكم الحاكم لا يغير الباطن، (ح١٧١٣)، (ص٩٨١).

(٤) أخرجه مسلم كتاب الفضائل – باب وجوب امتثال ما قاله شرعاً دون ما ذكره صلى الله عليه وسـلم مـن معايش الدنيا على سبيل الرأي (ح٢٣٦٣)، (ص١٠٩٣).

وفي رواية أنس: **"أنتم أعلم بأمر دنياكم"**[(١)].

وفي رواية طلحة: **"إن كان ينفعهم ذلك فليصنعوه، فإني إنما ظننت ظناً فلا تؤاخذوني بالظن، ولكن إذا حدثتم عن الله شيئاً فخذوا به فإني لا أكذب على الله عز وجل"**[(٢)].

قال القاضي عياض – رحمه الله –: "وتجري أحكامه صلى الله عليه وسلم على الظاهر وموجب غلبات الظن بشاهدة الشاهد، ويمين الحالف، ومراعاة الأشبه"[(٣)].

"فاقتضت حكمته تعالى أن لا يكون معصوماً في هذا الجانب، وذلك حتى تقتدي به الأمة من بعده في النظر في القضايا والأحكام على ما كان يقضي به بين الناس، لأنه قد استوى في ذلك هو وغيره من الناس"[(٤)].

وأما كلامه عما يتعلق بأفعالهم وسيرهم، وقوله بأنه لا يقع منهم ذنب لا صغيرة ولا كبيرة، لا عمداً ولا سهواً:

فهو مخالف لمذهب أهل السنة والجماعة، وهو قول لبعض الرافضة[(٥)].

---

(١) أخرجه مسلم (ح٢٣٦٣)، (ص١٠٩٣).

(٢) أخرجه مسلم (ح٢٣٦١)، (ص١٠٩٢).

(٣) الشفا (٨٧٥/٢).

(٤) حقوق النبي صلى الله عليه وسلم (١٥٩/١).

(٥) انظر: شرح ج البلاغة (٢١٢٨/٧)، تنـزيه الأنبياء (ص١٥-١٦).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: "إنما نقل ذلك القول في العصر المتقدم عن الرافضة، ثم عن بعض المعتزلة، ثم وافقهم عليه طائفة من المتأخرين.

وعامة ما ينقل عن جمهور العلماء أ م غير معصومين عن الإقرار عن الصغائر، ولا يقرون مطلقاً، وأعظمهم قولاً لذلك الرافضة؛ فإ م يقولون بالعصمة حتى ما يقع على سبيل النسيان والسهو والتأويل"[1].

ولاشك أن دلائل القرآن والسنة متضافرة على نقض هذا القول، وبيان بطلانه.

وقد انتقد الإمام ابن قتيبة – رحمه الله – هذا القول، ورد على أصحابه فقال: "يستوحش كثير من الناس من أن يلحقوا بالأنبياء ذنوباً، ويحملهم الت يه لهم – صلوات الله عليهم – على مخالفة كتاب الله جل ذكره، واستكراه التأويل، وعلى أن يلتمسوا لألفاظه المخارج البعيدة بالحيل الضعيفة"[2].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – في معرض رده عليهم: "نصوص الكتاب والسنة في هذا الباب كثيرة متضافرة، والآثار في ذلك عن الصحابة والتابعين وعلماء المسلمين كثيرة.

لكن المتنازعون يتأولون هذه النصوص من جنس تأويلات الجهمية، والباطنية[3]، كما فعل من صنف في هذا الباب، وتأويلا م تبين لمن تدبرها أ ا فاسدة من باب تحريف الكلم عن مواضعه..."[4].

---

(١) مجموع الفتاوى (٣٢٠/٤).

(٢) تأويل مشكل الحديث (ص٤٠٢).

(٣) الباطنية: اسم عام يجمع كل من يدعي أن للنصوص ظاهراً وباطناً، وهذا الاسم يدخل تحته طوائـف كـثيرة كغلاة الصوفية، وغلاة الرافضة، وغلاة الفلاسفة.

انظر: التبصير في الدين (ص١١٨)، الفرق بين الفرق (ص٢٥١)، عقائد الثلاث والسبعين فرقة (٤٧٧/١).

(٤) مجموع الفتاوى (١١٣/١٠-١١٤).

والصحيح في **عصمة الأنبياء، والذي ذهب إليه أكثر علماء الإسلام، أن الأنبياء معصومون عن الكبائر دون الصغائر، لكن مع تنبيه الله تعالى لهم على ذلك، وأ م لابد أن يتوبوا إلى الله.**

قال شيخ الإسلام – رحمه الله –: "فإن القول بأن الأنبياء معصومون عن الكبائر دون الصغائر، هو قول أكثر علماء الإسلام، وجميع الطوائف...

وهو قول أكثر أهل التفسير والحديث والفقهاء، بل هو لم ينقل عن السلف والأئمة والصحابة والتابعين وتابعيهم إلا ما يوافق هذا القول"[1].

وقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي – رحمه الله –: "الذي يظهر لنا أن الصواب في هذه المسألة، أن الأنبياء – صلوات الله وسلامه عليهم – لم يقع منهم ما يزري بمراتبهم العلية، ومناصبهم السامية، ولا يستوجب خطأً منهم ولا نقصاً – صلوات الله وسلامه عليهم -.

ولو فرضنا أنه وقع منهم بعض الذنوب، فإ م يتداركون ما وقع منهم، بالتوبة والإخلاص، وصدق الإنابة إلى الله، حتى ينالوا بذلك أعلى الدرجات، فتكون بذلك درجا م أعلى من درجة من لم يرتكب شيئاً من ذلك.

ومما يوضح هذا قوله تعالى: ﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴾[2] فانظر أي أثر يبقى للعصيان والغي بعد توبة الله عليه واجتبائه، أي اصطفائه إياه وهدايته له، ولاشك أن بعض الزلات ينال أصحا ا بالتوبة منها، درجة أعلى من درجته قبل ارتكاب تلك الزلة، والعلم عند الله تعالى"[3].

وقد استدل أصحاب هذا القول بأدلة منها[4]:

١ – الاستدلال بما ورد في القرآن الكريم، من نسبة الظلم إلى بعض الأنبياء، وكذا

---

(١) مجموع الفتاوى (٣١٩/٤).

(٢) سورة طه، الآيتان: (١٢١-١٢٢).

(٣) أضواء البيان (٥٣٨/٤).

(٤) انظر: القول الفصل شرح الفقه الأكبر (ص٢٩٠)، المواقف في علم الكلام (ص٣٦٤)، عصمة الأنبياء ليوسف السعيد (ص٤٠)، الرسل والرسالات (ص١٠٧).

العصيان، كقوله تعالى عن آدم وحواء: ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا ﴾[1]، وقوله تعالى عن يونس: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴾[3].

٢ – ما ورد في القرآن الكريم من إضافة الذنوب إلى بعض الأنبياء[4]، كقوله تعالى في شأن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾[5]، وقوله تعالى: ﴿ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴾[6].

٣ – ما جاء في القرآن الكريم من عتاب الله تعالى لنبيه[7] صلى الله عليه وسلم، كقوله تعالى: ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾[8]، وقوله: ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴾[9]، وقوله تعالى في شأن نبي الله داود – عليه السلام -: ﴿ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴾[10].

---

(١) سورة الأعراف، الآية: (٢٣).

(٢) سورة الأنبياء، الآية: (٨٧).

(٣) سورة طه، الآيتان: (١٢١-١٢٢).

(٤) انظر: المواقف في علم الكلام (ص٣٦٥)، القول الفصل شرح الفقه الأكبر (ص٢٩٠).

(٥) سورة الفتح، الآية: (٢).

(٦) سورة الشرح، الآيتان: (٢-٣).

(٧) انظر: المواقف في علم الكلام (ص٣٦٤).

(٨) سورة التوبة، الآية: (٤٣).

(٩) سورة عبس، الآيتان: (١-٢).

(١٠) سورة ص، الآية: (٢٤).

٤ – تحذير الله أنبياءه من الوقوع في المعصية، كقوله تعالى لنوح – عليه السلام -: ﴿ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾[(١)].

٥ – ما ثبت في السنة من نسبة الذنوب لبعض الأنبياء – عليهم السلام – ومنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فقالت عائشة: لم تصنع هذا يا رسول الله، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، قال: "**أفلا أكون عبداً شكوراً**"[(٢)].

وحديث الشفاعة الطويل، وفيه: "فيأتون محمداً صلى الله عليه وسلم فيقولون: يا محمد أنت رسول الله، وخاتم الأنبياء، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر"[(٣)].

وغير ذلك من الأحاديث التي تدل على نسبة الذنوب لبعض الأنبياء -عليهم السلام-.

وبناء على ما سبق، يتضح لنا مخالفة الشيخ مرعي لمذهب السلف – رحمهم الله – في **هذه المسألة.**

---

(١) سورة هود، الآية: (٤٦).

(٢) أخرجه البخاري كتاب التفسير – باب قوله تعالى: ﴿ إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا ﴾، (ح٤٨٣٧)، (ص ٤١٣).

(٣) أخرجه البخاري كتاب التفسير – باب قوله تعالى:﴿ ذُرِّيَّةَ مَنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٍۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا شَكُورٗا ﴾(ح٤٧١٢)، (ص٣٩٣)، وأخرجه مسلم كتاب الإيمان – باب أدنى أهل الجنة منـزلة فيها، (ح١٩٣)، (ص٧١٢).

المبحث الرابع

الإيمان بنبوة النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم –

الإيمان بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وأن الله أرسله إلى الثقلين بشيراً ونذيراً، وأنه عبد الله وصفيه من خلقه، أصل عظيم من أصول الإيمان، إذ لا يحصل لأحد الإيمان الصحيح، حتى يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم، رسول رب العالمين، وسيد الأولين والآخرين، وخاتم النبيين.

فيجب على كل مسلم، الإيمان الجازم بأنه عليه الصلاة والسلام إمام المتقين الذي يقتدى به في الخير كله، وأنه وحده الذي تجب طاعته، والاقتداء به دون سواه، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(١).

ويجب الإيمان بأنه عليه الصلاة والسلام مبعوث إلى عامة الجن والإنس، بالحق والهدى والنور.

قال تعالى: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾(٣).

كما أن الإيمان برسالته صلى الله عليه وسلم، توجب طاعته واتباعه، فقد أمر الله بطاعته في كثير من الآيات القرآنية، مثل قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾(٤)، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ

---

(١) سورة آل عمران، الآية: (٣١).
(٢) سورة الأعراف، الآية: (١٥٨).
(٣) سورة سبأ، الآية: (٢٨).
(٤) سورة النساء، الآية: (٦٤).

﴿ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[1].

ومن السنة قوله صلى الله عليه وسلم: **"كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى"** قالوا يا رسول الله ومن يأبى؟ قال: **"من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى"**[2].

ويجب الإيمان بأن الله عز وجل قد أيده بالمعجزات الباهرات، والآيات البينات، الدالة على صدقه في كل ما جاء به صلى الله عليه وسلم.

وذكر الشيخ مرعي في عدة مواضع، بعض المسائل التي تدخل في الإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلم، وفيما يلي عرض آراؤه مع دراستها:

أولاً : وجوب طاعته صلى الله عليه وسلم واتباعه:

ذكر الشيخ مرعي أنه يجب على كل مؤمن أن يفعل ما الله ورسوله به أمر، وينتهي عما نهى عنه وزجر، فقال: "يجب على كل مؤمن أن يفعل ما الله ورسوله به أمر، وينتهي عما نهى عنه وزجر، ولا يتبع الهوى والهذيان، بعد إقامة الحجة والبيان، قال الله سبحانه: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[3] فهذه الآية حجة قاطعة لكل منازع"[4].

وذكر أن المرجع عند النـزاع، كتاب الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فقال: "فاعلم أرشدني الله وإياك أن الذي يجب الرجوع إليه، ويعول عند النـزاع عليه، هو كتاب الله عز وجل وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال الله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾[5]، فلا حجة في قول أحد مع قولهما"[6].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: (٣٢).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام – باب الاقتداء بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، (ح٧٢٨٠)، (ص٦٠٦) .

(٣) سورة الحشر، الآية: (٧).

(٤) شفاء الصدور في زيارة المشاهد والقبور (ص١٥٦).

(٥) سورة النساء، الآية: (٥٩).

(٦) شفاء الصدور في زيارة المشاهد والقبور (ص١٥٤).

دراســة رأيه:

ما ذكره الشيخ مرعي من وجوب طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم، واتباع أمره، واجتناب نهيه، والرجوع عند النـزاع إلى كتاب الله سبحانه وتعالى، وسنته صلى الله عليه وسلم، موافق لما جاء في الكتاب والسنة، وهو مذهب السلف – رحمهم الله -.

فمن الكتاب:

قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٣١ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[4].

ومن الســنة:

قوله صلى الله عليه وسلم: "**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى**"، قالوا: يا رسول الله ومن يأبى؟ قال: "**من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى**"[5].

وعن جابر بن عبد الله – رضي الله عنه – قال: "جاءت ملائكة إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو نائم، فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إن العين نائمة وإن القلب يقظان، فقالوا: إن لصاحبكم هذا مثلاً، فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إن العين نائمة وإن

(١) سورة آل عمران، الآيتان: (٣١، ٣٢).

(٢) سورة النساء، الآية: (٦٩).

(٣) سورة النساء، الآية: (٦٥).

(٤) سورة النور، الآية: بعض آية (٦٣).

(٥) سبق تخريجه (ص ٢٧١) .

القلب يقظان، فقالوا: مثله كمثل رجل بنى داراً وجعل فيها مأدبة، وبعث داعياً، فمن أجاب الداعي دخل الدار، وأكل من مأدبة، ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار، ولم يأكل من المأدبة، فقالوا: أولوها له يفقهها، فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إن العين نائمة وإن القلب يقظان، فقالوا: فالدار جنة، والداعي محمد صلى الله عليه وسلم، فمن أطاع محمداً صلى الله عليه وسلم، فقد أطاع الله، ومن عصى محمداً صلى الله عليه وسلم، فقد عصى الله، ومحمد فرق بين الناس"[(١)].

قال العلامة ابن القيم – رحمه الله – بعد كلام له في الموضوع: "والمقصود أن بحسب متابعة الرسول، تكون العزة والكفاية والنصرة، كما أن بحسب متابعته، تكون الهداية والفلاح والنجاة، فالله سبحانه علق سعادة الدارين بمتابعته، وجعل شقاوة الدارين في مخالفته، فلأتباعه الهدى والأمن والفلاح والعزة والكفاية والنصرة والولاية والتأييد وطيب العيش في الدنيا والآخرة، ولمخالفيه الذلة والصغار والخوف والضلال والخذلان والشقاء في الدنيا والآخرة، وقد أقسم – صلى الله عليه وسلم – بأن **"لا يؤمن أحدكم، حتى يكون هو أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين"**[(٢)]، وأقسم الله سبحانه، بأن لا يؤمن من لا يحكمه في كل ما تنازع فيه هو وغيره، ثم يرضى بحكمه، ولا يجد في نفسه حرجاً مما حكم به، ثم يسلم تسليماً وينقاد له انقياداً.

وقال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ ﴾[(٣)]، فقطع سبحانه وتعالى التخيير بعد أمره وأمر رسوله، فليس لمؤمن أن يختار شيئاً بعد أمره – صلى الله عليه وسلم -، بل إذا أمر، فأمره حتم، وإنما الخيرة في قول غيره إذا خفي أمره، وكان ذلك الغير من أهل العلم به وبسنته، فبهذه الشروط يكون قول غيره سائغ الاتباع لا واجب الاتباع.

---

(١) أخرجه البخاري كتاب الاعتصام – باب٢ (ح٧٢٨١)، (ص٦٠٦).

(٢) أخرجه البخاري كتاب الإيمان – باب حب الرسول صلى الله عليه وسلم من الإيمان (ح١٥)، (ص٢)، ومسلم كتاب الإيمان – باب ٧٠ (ح١٦٩)، (ص٦٨٨)، جميعهم من حديث أنس بن مالك – رضي الله عنه -.

(٣) سورة الأحزاب، بعض آية (٣٦).

فلا يجب على أحد اتباع قول أحد سواه، بل غايته أنه يسوغ له اتباعه، ولو ترك الأخذ بقول غيره، لم يكن عاصياً لله ورسوله، فأين هذا ممن يجب على جميع المكلفين اتباعه، ويحرم عليهم مخالفته، ويجب عليهم ترك كل قول لقوله؟ فلا حكم لأحد معه، ولا قول لأحد معه، كما لا تشريع لأحد معه، وكل من سواه فإنما يجب اتباعه، على قوله إذا أمر بما أمر به، و ى عما ى عنه، فكان مبلغاً محضاً، ومخبراً لا منشئاً ومؤسساً، فمن أنشأ أقوالاً، وأسس قواعد، بحسب فهمه وتأويله، لم يجب على الأمة اتباعها، ولا التحاكم إليها، حتى تعرض على ما جاء به الرسول، فإن طابقته ووافقته وشهد لها بالصحة قبلت حينئذ، وإن خالفته وجب ردها وإطراحها، فإن لم يتبين فيها أحد الأمرين، جعلت موقوفة، وكان أحسن أحوالها أن يجوز الحكم والإفتاء ا وتركه، وأما أنه يجب ويتعين، فكلا ولما"[١].

---

(١) زاد المعاد (١/٣٧-٣٨).

ثانياً: آيات الرسول صلى الله عليه وسلم ودلائل نبوته:

اقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى، أن يرسل الرسل مبشرين ومنذرين، وهؤلاء الرسل وهم يخبرون عن أنفسهم، بأ م رسل من عند الله، ويطلبون من الناس فعل ما أمر الله، وترك ما حرمه، مما تدعوا إليه الأنفس والأهواء، يحتاجون إلى أدلة وبراهين، تبين للناس صدقهم، لذا أيد الله رسله بالآيات الدالة على صدقهم.

ورسولنا صلى الله عليه وسلم، أمره الله سبحانه وتعالى بالعديد من الآيات والدلائل، ما فاق ا جميع الأنبياء قبله.

والآيات التي أجراها الله على يدي نبينا صلى الله عليه وسلم كثيرة، أورد الشيخ مرعي بعضاً منها وهي كما يلي:

١ – القرآن الكريم:

قال الشيخ مرعي وهو يذكر ما أعطيه الرسول صلى الله عليه وسلم، من الآيات، ومنها القرآن الكريم: "قال أهل العلم، معجزات النبي صلى الله عليه وسلم أكثر من أن تحصى، فمنها القرآن المعجزة المستمرة الذي عجز الإنس والجن عن الإتيان بمثله"[(١)].

القرآن الكريم هو المعجزة الكبرى، التي تحدى ا الله الثقلين بقوله سبحانه: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ﴾[(٢)]، تلك الآية الباقية ما بقي الليل والنهار.

ووجوه الإعجاز في القرآن الكريم لا حصر لها.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: "وكون القرآن إنه معجز ليس من جهة فصاحته وبلاغته فقط، أو نظمه وأسلوبه فقط، ولا من جهة إخباره بالغيب فقط، ولا من جهة صرف الدواعي عن معارضته فقط، ولا من جهة سلب قدر م عن معارضته فقط،

---

(١) تلخيص أوصاف المصطفى وذكر من بعده من الخلفاء (مخطوط)، (٣/ب) وانظر: الكلمات البينات (ص٤١).

(٢) سورة الإسراء، الآية: (٨٨).

بل هو آية بينة معجزة من وجوه متعددة، من جهة اللفظ، ومن جهة النظم، ومن جهة البلاغة في دلالة اللفظ على المعنى، ومن جهة معانيه، التي أمر ا، ومعانيه التي أخبر ا عن الغيب الماضي، وعن الغيب المستقبل، وغير ذلك من جهة ما أخبر به عن المعاد، ومن جهة ما بين فيه من الدلائل اليقينية، والأقيسة العقلية، التي هي الأمثال المضروبة، كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾[3]، وكل ما ذكره الناس من الوجوه في إعجاز القرآن، هو حجة على إعجازه، ولا يناقض ذلك بل كل قوم تنبهوا لما تنبهوا له"[4].

ويقول ابن حجر – رحمه الله –: "ووجوه إعجاز القرآن، من جهة حسن تأليفه، والتئام كلماته، وفصاحته وإيجازه في مقام الإيجاز، وبلاغته ظاهرة جداً، مع ما انضم إلى ذلك من حسن نظمه، وغرابة أسلوبه، مع كونه على خلاف قواعد النظم والنثر، هذا إلى ما اشتمل عليه من الإخبار بالمغيبات، مما وقع من أخبار الأمم الماضية، مما كان لا يعلمه إلا أفراد من أهل الكتاب، ولم يعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم اجتمع بأحد منهم ولا أخذ عنهم، وبما سيقع فوقع، وفق ما أخبر به في زمنه صلى الله عليه وسلم وبعده، هذا مع الهيبة التي تقع عند تلاوته، والخشية التي تلحق سامعه، وعدم دخول الملال والسآمة على قارئه وسامعه، مع تيسير حفظه لمتعلميه، وتسهيل سرده لتاليه، ولا ينكر شيئاً من ذلك إلا جاهل أو معاند.

ولهذا أطلق الأئمة، أن أعظم معجزات النبي صلى الله عليه وسلم القرآن، ومن أظهـر معجزات القرآن، إبقاؤه مع استمرار الإعجاز، وأشهر ذلك تحديه اليهود أن يتمنوا الموت،

---

(١) سورة الكهف، الآية: (٥٤).
(٢) سورة الإسراء، الآية: (٨٩).
(٣) سورة الزمر، الآيتان: (٢٧، ٢٨).
(٤) التفسير الكبير (١٥٤/٢).

فلم يقع من سلف منهم ولا خلف من تصدى لذلك، ولا أقدم مع شدة عـداوتهم لهـذا الدين، وحرصهم على إفساده، والصد عنه، فكان في ذلك أوضح معجزة"[١].

ومما يدل على أن القرآن الكريم أكبر معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم، اشتماله علـى أعظم تشريع، ينظم حياة البشرية، في جميع مجالات الحياة، بشكل يجعل الإنسان يجزم بأن هذا القرآن ليس من كلام ولا تنظيم البشر.

وخلاصة القول أن القرآن أعظم آية أوتيها أكرم رسول صلوات الله وسلامه عليه، وهو آية باقية بقاء الدهر، والتي لا تزال الأيام تظهر إعجازه، وعجائبه، فهو الحجة الدائمة إلى يوم القيامة، الذي تكفل الله بحفظه، قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[٢].

٣ – انشقاق القمر :

من الآيات التي ذكرها الشيخ مرعي انشقاق القمر فقال: "ومنها انشقاق القمر"[٣].

وهذه الآية جاءت بعد سؤال أهل مكة الرسول صلى الله عليه وسلم، أن يأتيهم بآية تدل على نبوته، فانشق القمر شقين، حتى رأوا حراء بينهما، وقد كان القمر عند انشقاقه بدراً، وقد سجل الله ذكر هذه الآية في القرآن الكريم.

قال تعالى: ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ۝٣ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ۝٤ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ﴾[٤].

قال ابن كثير – رحمه الله –: "وهذا أمر متفق عليه بين العلماء، أن انشقاق القمر قد وقع في زمان النبي صلى الله عليه وسلم، وأنه كان إحدى المعجزات الباهرات"[٥].

---

(١) فتح الباري (٦٧٣/٦).

(٢) سورة الحجر، الآية: (٩).

(٣) تلخيص أوصاف المصطفى، (٣/ب).

(٤) سورة القمر، الآيات: (١-٥).

(٥) تفسير القرآن العظيم (٢٧٦/٤).

ثم ساق العديد من الأحاديث نذكر منها:

١ – ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه قال: إن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر[١].

٢ – ما رواه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم شقين، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**اشهدوا**"[٢][٣].

٣ – شق صدر النبي صلَّى الله عليه وسلَّم:

من الآيات التي أشار إليها الشيخ "شق الصدر"[٤].

فعن أنس بن مالك – رضي الله عنه – أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أتاه جبريل – عليه السلام – وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه فشق عن قلبه، فاستخرج القلب، فاستخرج منه علقة، فقال: هذا حظ الشيطان منك، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم لامه، ثم أعاده في مكانه، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه فقالوا: إن محمداً قد قتل، فاستقبلوه وهو منتقع اللون، قال أنس: وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره[٥].

٤ – فتح بيت المقدس وإخباره عما يجري لأمته بعده:

---

(١) أخرجه البخاري كتاب المناقب – باب سؤال المشركين أن يريهم النبي صلى الله عليه وسلم آيـة، فـأراهم انشقاق القمر، (ح٣٦٣٧)، (ص٢٩٦)، ومسلم كتاب صفات المنافقين – باب انشقاق القمر، (ح٢٨٠٢)، (ص١١٦٦).

(٢) أخرجه البخاري كتاب المناقب – باب سؤال المشركين أن يريهم النبي صلى الله عليه وسلم آيـة، فـأراهم انشقاق القمر، (ح٣٦٣٦)، (ص٢٩٦)، ومسلم، كتاب صفات المنافقين – باب انشقاق القمر، (ح٢٨٠٠)، (ص١١٦٦).

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم (٢٧٦/٤-٢٧٧).

(٤) تلخيص أوصاف المصطفى، (٣/ب).

(٥) أخرجه مسلم كتاب الإيمان – باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماوات وفرض الصلوات، (ح٢٦١)، (ص٧٠٦).

من الآيات التي ذكرها الشيخ مرعي قوله: "وأخباره عن بيت المقدس، وعما يجري لأمته بعده"[(١)].

فعن عوف بن مالك – رضي الله عنه –، قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك وهو في قبة أدم، فقال: "**اعدد ستاً** بين **يدي الساعة: موتي،** ثم **فتح بيت المقدس،** ثم **موتان يأخذ فيكم كقعاص الغنم**[(٢)]**،** ثم **استفاضة المال، حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطاً،** ثم فتنة **لا** يبقى **بيت من العرب إلا دخلته،** ثم **هدنة تكون بينكم** وبين بني **الأصفر**[(٣)]**، فيغدرون فيأتونكم تحت** ثمانين **غاية**[(٤)]**،** تحت **كل غاية إثنا عشر ألفاً"**[(٥)].

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**لا تقوم الساعة** حتى **تقتتل فئتان عظيمتان تكون بينهما مقتلة عظيمة، دعوتما واحدة، و**حتى **يبعث دجالون كذابون** قريباً **من ثلاثين، كلهم يزعم أنه رسول الله، و**حتى **يقبض العلم، وتكثر الزلازل، ويتقارب الزمان، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج وهو القتل، و**حتى **يكثر فيكم المال،** فيفيض **حتى يهم رب المال من يقبل صدقته، و**حتى **يعرضه، فيقول الذي يعرض عليه: لا أرب** لي **به، و**حتى **يتطاول الناس** في **البنيان، و**حتى يمر **الرجل** بقبر **الرجل،** فيقول: **يا** ليتني **كنت مكانه، و**حتى **تطلع الشمس من مغر ا، فإذا طلعت، ورآها الناس آمنوا** أجمعين**، فذلك** حين **لا ينفع نفساً** إيما ا لم **تكن آمنت من قبل، أو كسبت** في **إيما ا خيراً"**[(٦)].

٥ – دعاؤه لعلي بن أبي طالب :

---

(١) تلخيص أوصاف المصطفى (٣/ب).

(٢) الموتان بضم الميم: موت يقع في الماشية فيهلكها، والقُعاص: داء يأخذ الغنم، لا يلبثها أن تموت، انظر: فـتح الباري (٣٢١/٦).

(٣) الروم، انظر: فتح الباري (٣٢١/٦).

(٤) الغاية: الراية، انظر: فتح الباري (٣٢١/٦).

(٥) أخرجه البخاري كتاب الجزية – باب ما يحذر من الغدر، (ح٣١٧٦)، (ص٢٥٧).

(٦) أخرجه البخاري كتاب الفتن – باب٢٥، (ح٧١٢١)، (ص٥٩٣).

من الآيات التي ذكرها الشيخ مرعي: "تفله في عين علي، وهو أرمد فعوفي من ساعته، فلم يرمد بعد ذلك"[1].

وهو يشير إلى ما رواه سهل بن سعد – رضي الله عنه –: "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **"لأعطين الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه"** قال: فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها، فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجون أن يعطاها، فقال: **"أين علي بن أبي طالب؟"** فقالوا: يشتكي عينيه يا رسول الله، قال: **"فأرسلوا إليه فأتوني به"**، فلما جاء بصق في عينيه فدعا له، فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية، قال علي: يا رسول الله، أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ فقال: **"انفذ على رسلك حتى تنـزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيهم، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيراً لك من أن يكون لك حمر النعم"**[2].

٦ – دعاؤه لعبد الله بن عباس :

يذكر الشيخ مرعي ضمن آياته: "دعاؤه لعبد الله بن عباس، بالتأويل، والفقه في الدين"[3].

قال ابن عباس – رضي الله عنهما –: ضمني النبي صلى الله عليه وسلم إلى صدره وقال: **"اللهم علمه الحكمة"**[4].

٧ – دعاؤه لجمل جابر :

---

(١) تلخيص أوصاف المصطفى (٣/ب).

(٢) أخرجه البخاري كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم – باب مناقب علـي بـن أبي طالـب، (ح٣٧٠١)، (ص٣٠٢)، ومسلم كتاب فضائل الصحابة – باب فضائل علي بن أبي طالـب (ح ٢٤٠٦)، (ص١١٠١).

(٣) تلخيص أوصاف المصطفى (٣/ب).

(٤) أخرجه البخاري كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم – باب ذكر ابـن عبـاس، (ح٣٧٥٦)، (ص٣٠٦)، ومسلم كتاب فضائل الصحابة – باب من فضائل عبد الله بن عباس، (ح٢٤٧٧)، (ص١١١٣).

يذكر الشيخ مرعي هذه الآية ضمن دلائل نبوته فيقول: "دعاؤه لجمل جابر، فصار سابقاً بعد أن كان مسبوقاً"[١].

قال جابر – رضي الله عنه – وهو يروي هذه القصة: أنه كان يسير على جمل له قد أعيا، فأراد أن يسيبه قال: فلحقني النبي صلى الله عليه وسلم، فدعا لي وضربه، فسار سيراً لم يسر مثله، قال: "**بعنيه بوقية**" قلت: لا، ثم قال: "**بعنيه**" فبعته بوقية، واستثنيت عليه حملانه إلى أهلي، فلما بلغت أتيته بالجمل، فنقدني ثمنه، ثم رجعت، فأرسل في إثري، فقال: "**أتراني ماكستك لآخذ جملك؟ خذ جملك ودراهمك، فهو لك**"[٢].

٨ – رميه صلَّى الله عليه وسلَّم يوم حنين بقبضة من تراب في وجوه المشركين فهزمهم الله :

يذكر الشيخ مرعي ضمن آياته: "رميه يوم حنين بقبضة من تراب في وجوه القوم فهزمهم الله"[٣].

عن ابن الأكوع قال: حدثني أبي قال: غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حنيناً، فلما واجهنا العدو تقدمت، فاعلو ثنية، فاستقبلني رجل من العدو، فأرميه بسهم فتوارى عن عيني، فما دريت ما صنع، ونظرت إلى القوم، فإذا هم قد طلعوا من ثنية أخرى، فالتقوا، هم وصحابة النبي صلى الله عليه وسلم، فولى صحابة النبي صلى الله عليه وسلم، وأرجع منهزماً، وعلي بردتان، متزراً بإحداهما، مرتدياً بالأخرى، فاستطلق إزاري، فجمعتهما جميعاً ومررت على رسول الله صلى الله عليه وسلم، منهزماً وهو على بغلته الشهباء، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**لقد رجع ابن الأكوع فزعاً**" فلما غشوا رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل عن البغلة، ثم قبض قبضة من تراب من الأرض، ثم استقبل به وجوههم فقال: "**شاهت الوجوه**" فما خلق الله منهم إنساناً إلا ملأ عينيه تراباً

---

(١) تلخيص أوصاف المصطفى (٣/ب).

(٢) أخرجه مسلم كتاب المساقاة – باب بيع البعير واستثناء ركوبه، (ح١٠٩)، (ص٩٥٥).

(٣) تلخيص أوصاف المصطفى (٣/ب).

بتلك القبضة، فولوا مدبرين، فهزمهم الله عز وجل بذلك، وقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم غنائمهم بين المسلمين[1].

٩ – تسليم الحجر والشجر عليه صلّى الله عليه وسلَّم:

ذكر الشيخ مرعي من آيات النبي صلى الله عليه وسلم أنه: "سلم عليه الحجر والشجر"[2]، وهي من الآيات الثابتة له صلى الله عليه وسلم، ففي صحيح مسلم من حديث جابر بن سمرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث، إني لأعرفه الآن"**[3].

"ولم يثبت لواحد من الأنبياء مثل ذلك"[4].

١٠ – حنين الجذع:

ذكر الشيخ مرعي من آياته أنه "حن إليه الجذع"[5]، وهي من الآيات الثابتة.

ففي صحيح البخاري من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقوم يوم الجمعة إلى شجرة أو نخلة، فقالت امرأة من الأنصار أو رجل: يا رسول الله ألا نجعل لك منبراً، قال: **"إن شئتم"**. فجعلوا له منبراً، فلما كان يوم الجمعة، دفع إلى المنبر فصاحت النخلة صياح الصبي، ثم نزل النبي صلى الله عليه وسلم فضمه إليه يئن أنين الصبي الذي يسكن قال: **"كانت تبكي على ما تسمع من الذكر عندها"**[6].

---

(١) أخرجه مسلم كتاب الجهاد – باب غزوة حنين، (ح١٧٧٧)، (ص٩٩٤).

(٢) تلخيص أوصاف المصطفى (٣/ب).

(٣) أخرجه مسلم كتاب الفضائل – باب نسب النبي صلى الله عليه وسلم وتسليم الحجر عليه، (ح٢٢٧٧)، (ص١٠٨١).

(٤) بداية السول في تفضيل الرسول (ص٣٩).

(٥) تلخيص أوصاف المصطفى (٣/ب).

(٦) أخرجه البخاري كتاب المناقب – باب علامات النبوة في الإسلام، (ح٣٥٨٤)، (ص٢٩٢).

١١ – إخبار الشاة إياه أنها مسمومة :

من الآيات التي ذكرها الشيخ مرعي كلام الشاة المسمومة له وقوله: "أعلمته الشاة بسمها"[(١)].

وهذه الآية يذكرها ابن القيم – رحمه الله – في زاد المعاد عند الحديث عن غزوة خيبر

فيقول: وفي هذه الغزاة سم رسول الله صلى الله عليه وسلم، أهدت له زينب بنت الحارث اليهودية امرأة سلام بن مشكم شاة مشوية قد سمتها وسألت أي اللحم أحب إليه: فقالوا: الذراع، فأكثرت من السم في الذراع، فلما انتهش من ذراعها أخبره الذراع بأنه مسموم فلفظ الأكلة ثم قال: **"اجمعوا** لي **من كان هاهنا من اليهود"**، فجمعوا له، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"من أبوكم؟"** فقالوا: أبونا فلان، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"كذبتم، بل أبوكم فلان"**. فقالوا: صدقت وبررت، فقال: **"هل أنتم صادقوني عن شيء إن سألتكم عنه؟"** فقالوا: نعم يا أبا القاسم، وإن كذبناك عرفت كذبنا كما عرفته في أبينا، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"من أهل النار؟"** فقالوا: نكون فيها يسيراً ثم تخلفونا فيها، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"اخسئوا فيها، والله لا نخلفكم فيها أبداً"**، ثم قال: لهم: **"هل أنتم صادقوني عن شيء إن سألتكم عنه؟"**، فقالوا: نعم، فقال: **"هل جعلتم** في **هذه الشاة** سماً**؟"** فقالوا: نعم، فقال: **"ما حملكم على ذلك؟"** فقالوا: أردنا إن كنت كاذباً نستريح منك، وإن كنت نبياً لم يضرك[(٢)].

١٢ – كلام البعير :

شكوى البعير على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكلامه له، آية ظاهرة من آياته صلى الله عليه وسلم التي ذكرها الشيخ مرعي فيقول: "وشكى إليه البعير قلة العلف، وكثرة الحمل"[(٣)].

---

(١) تلخيص أوصاف المصطفى (٣/ب).

(٢) زاد المعاد ٣٣٥/٣، والحديث أخرجه البخاري كتاب الطب – باب ما يذكر في سم النبي صلى الله عليه وسلم، (ح٥٧٧٧)، (ص٤٩٣).

(٣) تلخيص أوصاف المصطفى (٣/ب).

وهذه الآية من رواية عبد الله بن جعفر قال: أردفني رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه ذات يوم، فأسر إلى حديثاً لا أحدث به أحداً من الناس، وكان أحب ما استتر به رسول الله صلى الله عليه وسلم بحاجته هدف أو حائش نخل، فدخل حائطاً لرجل من الأنصار، فإذا جمل، فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم حن وذرفت عيناه، فأتاه النبي

صلى الله عليه وسلم فمسح سراته إلى سنامه وذفراه[١] فسكن، فقال: **"من رب هذا الجمل؟ لمن هذا الجمل؟"** فجاءه فتى من الأنصار فقال: لي يا رسول الله، فقال: **"ألا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها، فإنه شكا إليّ أنك تجيعه وتدئبه"**[٢].

١٣ – انقياد الشجر له صلوات الله وسلامه عليه:

ذكر الشيخ مرعي من آياته صلى الله عليه وسلم أنه "أمر شجرتين فاجتمعتا ثم افترقتا"[٣].

وهي من الآيات الثابتة له صلى الله عليه وسلم ففي صحيح مسلم من حديث جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما – قال: سرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلنا وادياً أفيح[٤]، فذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضي حاجته فأتبعته بإداوة[٥] من ماء، فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ير شيئاً يستتر به، فإذا شجرتان بشاطئ الوادي فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى إحداهما، فأخذ بغصن من أغصا ا فقال: **"انقادي علي بإذن الله"** فانقادت معه كالبعير المخشوش الذي يصانع قائده حتى أتى الشجرة الأخرى فأخذ بغصن من أغصا ا فقال: **"انقادي علي بإذن الله"** فانقادت معه كذلك، حتى إذا كان بالمنصف مما بينهما لأم بينهما يعني جمعهما فقال: **"التئما علي بإذن الله"**.

---

(١) ذفري البعير أصل أذنه، لسان العرب ٣٠٧/٤.

(٢) أخرجه أبو داود كتاب الجهاد – باب ما يؤمر به من القيام على الدواب والبهائم (ح٢٥٤٩)، (ص١٤١٢)، والحديث صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٨/١).

(٣) تلخيص أوصاف المصطفى (٣/ب).

(٤) أي: واسع، انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم (٣٣٩/١٨).

(٥) الأداوة: المطهرة، مختار الصحاح (ص٥).

قال جابر: فخرجت أحضر مخافة أن يحس رسول الله بقربي فيبتعد، فجلست أحدث نفسي فحانت مني لفتة، فإذا أنا برسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلاً وإذا الشجرتان قد افترقتا، فقامت كل واحدة منهما على ساق، فرأيت رسول الله وقف وقفة فقال: برأسه هكذا وأشار أبو اسماعيل برأسه يميناً وشمالاً ثم أقبل فلما انتهى إليّ قال: **"يا جابر هل رأيت مقامي"** قلت: نعم يا رسول الله قال: **"فانطلق إلى الشجرتين فاقطع من كل واحدة منهما غصناً فأقبل بهما حتى إذا قمت مقامي فأرسل غصناً عن يمينك وغصناً عن يسارك"** قال جابر: فقمت فأخذت حجراً فكسرته وحسرته[1] فانذلق[2] لي فأتيت الشجرتين فقطعت من كل واحدة منهما غصناً، ثم أقبلت أجرهما حتى قمت مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم، أرسلت غصناً عن يميني وغصناً عن يساري ثم لحقته فقلت: قد فعلت يا رسول الله فعم ذاك قال: **"إني مررت بقبرين يعذبان فأحببت بشفاعتي أن يرفه[3] عنهما ما دام الغصنان رطبين"**[4].

١٤ – تكثير الطعام القليل :

يشير الشيخ مرعي إلى نوع آخر من آياته وهي أنه صلى الله عليه وسلم "أطعم ألفاً من صاع بالخندق، فشبعوا والطعام أكثر مما كان"[5].

ففي صحيح البخاري من حديث جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما – قال: انكفأت إلي امرأتي في يوم الخندق، فقلت هل عندك شيء، فقد رأيت بالنبي صلى الله عليه وسلم خمصاً[6] شديداً فأخرجت جراباً فيه صاع من شعير، ولنا بهيمة داجن فذبحتها، وطحنت الشعير حتى جعلنا اللحم في البرمة[7]، ثم جئت النبي صلى الله عليه وسلم

---

(١) أي: حددته، انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم (٣٤٠/١٨).

(٢) أي: صار حاداً، انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم (٣٤٠/١٨).

(٣) أي: يخفف عنهما، انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم (٣٤٠/١٨).

(٤) أخرجه مسلم كتاب الزهد – باب حديث جابر الطويل، (ح٣٠١٢)، (ص١١٩٨).

(٥) تلخيص أوصاف المصطفى (٣/ب).

(٦) الخَمصة بالفتح الجوعة والمخمص المجاعة، مختار الصحاح، (ص٨٠).

(٧) البرمة: القدر، مختار الصحاح، (ص٢٠).

فساررته، فقلت: يا رسول الله ذبحنا بهيمة لنا وطحنا صاعاً من شعير فتعال أنت ونفر معك، فصاح النبي صلى الله عليه وسلم: **"يا أهل الخندق إن جابراً صنع سؤراً[1] فحي هلا بكم"** فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"لا تنـزلن برمتكم ولا تخبزن عجينكم حتى أجيء"** وجاء فأخرجت له عجيناً فبصق فيه، ثم عمد إلى برمتنا فبصق وبارك ثم قال **"ادعي خابزة فلتخبز معك، واقدحي من برمتكم ولا تنـزلوها"** وهم ألف، فأقسم بالله لأكلوا حتى تركوا وانحرفوا، وإن برمتنا لتغط كما هي، وإن عجيننا ليخبز كما هو[2].

١٥ – نبع الماء من بين أصابعه صلَّى الله عليه وسلَّم:

وهذه من الآيات التي أشار إليها الشيخ فقال: "ونبع الماء من بين أصابعه"[3].

وهو يشير بهذا إلى ما حدث كثيراً لرسول الله صلى الله عليه وسلم، منها ما رواه جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما – قال: عطش الناس يوم الحديبية ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه ركوة[4]، فتوضأ منها ثم أقبل الناس نحوه، وقالوا: ليس عندنا ماء نتوضأ به ونشرب إلا ما في ركوتك، فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده في الركوة، فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون، قال: فشربنا وتوضأنا، قيل لجابر: كم كنتم؟ قال: لو كنا مائة ألف لكفانا، كنا خمس عشرة مائة[5].

ومن ذلك أيضاً ما رواه عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – قال: كنا نعد الآيات بركة وأنتم تعدونها تخويفاً، كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فقلّ الماء فقال: **"اطلبوا فضلة من ماء"**. فجاءوا بإناء فيه قليل من ماء، فأدخل يده في الإناء ثم قال: **"حي**

---

(١) أسأر فلان من طعامه وشرابه سؤراً، وذلك إذا بقي بقية وبقية وكل شيء سؤر، لسان العرب (٣٤٠/٤).

(٢) أخرجه البخاري كتاب المغازي – باب غزوة الخندق، (ح٤١٠٢)، (ص٣٣٦).

(٣) تلخيص أوصاف المصطفى (٣/ب).

(٤) الركوة: إناء للماء وجمعها ركوات، مختار الصحاح (ص١٠٧).

(٥) أخرجه البخاري كتاب المناقب – باب علامات النبوة في الإسلام، (ح٣٥٧٦)، (ص٢٩١).

على الطهور المبارك، والبركة من الله". ولقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يأكل[1].

ثم ختم الشيخ مرعي كلامه عن آياته صلى الله عليه وسلم بقوله: "وبالجملة فمعجزاته عليه السلام كثيرة جداً، لا يحصرها كتاب، جعلنا الله من الذين إذا تليت عليهم آياته

زاد م إيماناً، ومن الذين إذا ذكّروا بآيات ر م لم يخروا عليها صماً وعمياناً"[2].

وما ذكره الشيخ مرعي من الآيات التي وقعت للنبي صلى الله عليه وسلم، مما تضافرت الأدلة على إثباته، وأفرده أهل العلم في كتب خاصة ومستقلة[3].

وكل هذه الآيات التي تعرض لها الشيخ مرعي وغيرها، إنما وقعت للنبي صلى الله عليه وسلم للدلالة على أنه رسول من عند الله، تجب طاعته، ومتابعته، وهذه الآيات لا يقبلها ويؤمن ا إلا من شرح الله صدره، ونور بصيرته، أما المعاندون الضالون فهؤلاء لا تنفعهم الحجج، لأ م قد صمموا وأصروا على العناد والمكابرة، كما قال الله فيهم: ﴿ سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ﴾[4].

(١) أخرجه البخاري كتاب المناقب – باب علامات النبوة في الإسلام، (ح٣٥٧٩)، (ص٢٩١).

(٢) تلخيص أوصاف المصطفى (٣/ب).

(٣) انظر: دلائل النبوة للفريابي، ودلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني، وأعلام النبوة للماوردي، ودلائل النبوة للبيهقي، ودلائل النبوة لقوام السنة.

(٤) سورة الأعراف، الآية: (١٤٦).

ثالثاً: خصائص النبي صلى الله عليه وسلم:

١ – تعريف الخصائص وأقسامها:

يرى الشيخ مرعي أن للنبي صلى الله عليه وسلم خصائص كثيرة فقال: "خص النبي صلى الله عليه وسلم بواجبات ومحظورات ومباحات وكرامات"[(١)].

دراســة رأيه:

الخصائص: جمع خصيصة، يقال: "خصه بالشيء يخُصه خصاً وخصوصية وخصوصية، والفتح أفصح، واختصه: أي أفرده دون غيره"[(٢)].

"خصه: فضله"[(٣)].

وفي المعجم الوسيط: "خصوصية الشيء خاصيته، والخصيصة الصفة التي تميز الشيء وتحدده، والجمع خصائص"[(٤)].

فمن التعريفات السابقة يستنتج أن معنى الخصيصة يدور حول الآتي:

١ – الانفراد.

٢ – الفضل.

٣ – التميز.

وعليه فالخصائص النبوية: "هي الفضائل والأمور التي انفرد ا النبي صلى الله عليه وسلم وامتاز ا، إما عن إخوانه الأنبياء، وإما عن سائر البشر"[(٥)].

---

(١) غاية المنتهى في الجمع بين الإقناع والمنتهى (١٠/٣).

(٢) لسان العرب (٢٤/٧).

(٣) القاموس المحيط (٨٣٨/١).

(٤) المعجم الوسيط (٢٣٨/١).

(٥) خصائص المصطفى صلى الله عليه وسلم بين الغلو والجفاء (ص٢٤).

أقسام الخصائص النبوية:

للخصائص النبوية قسمان رئيسان:

القسم الأول: خصائص تشريعية: وهي ما اختص به النبي صلى الله عليه وسلم من التشريعات الإلهية، وهي على ضربين:

الضرب الأول: تشريعات اختص ا النبي صلى الله عليه وسلم دون السابقين.

فمن ذلك: أن الأرض جعلت له مسجداً وطهوراً، وأحلت له الغنائم، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "**أعطيت** خم**ساً** لم **يعطهن أحد قبلي، نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت** لي **الأرض مسجداً وطهوراً،** فأيما **رجل من** أمتي **أدركته الصلاة فليصل، وأحلت** لي **الغنائم و**لم تح**ل لأحد قبلي...**"(١).

الضرب الثاني: ما اختص به النبي صلى الله عليه وسلم دون أمته، وقد يشاركه فيها أنبياء آخرون.

فمن ذلك: تزوجه بأكثر من أربع نسوة فعن قتادة أن أنس بن مالك حدثهم "أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يطوف على نسائه في الليلة الواحدة وله يومئذ تسع نسوة"(٢)، وكان يصح عقد نكاحه بلفظ الهبة، قال تعالى: ﴿ إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗ ﴾(٣).

القسم الثاني: خصائص تفضيلية: وهي الفضائل والتشريفات التي كرم الله ا نبينا صلى الله عليه وسلم دون غيره، وهي أيضاً على ضربين:

الضرب الأول: ما اختص به صلى الله عليه وسلم دون غيره من الأنبياء عليهم السلام. وينقسم هذا الضرب إلى قسمين:

الأول: ما اختص به النبي صلى الله عليه وسلم دون غيره من الأنبياء في الحياة الدنيا.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التيمم – الباب١، (ح٣٢٥)، (ص٢٩).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب النكاح – باب من طاف على نسائه في غسل واحد، (ح٥٢١٥)، (ص٤٥١).

(٣) سورة الأحزاب، الآية: (٥٠).

فمن ذلك: اختصاصه صلى الله عليه وسلم بختم النبوة، قال تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾[1].

الثاني: ما اختص به صلى الله عليه وسلم دون غيره من الأنبياء عليهم السلام، في الحياة الآخرة.

فمن ذلك: اختصاصه صلى الله عليه وسلم بأن الله تعالى يبعثه يوم القيامة مقاماً محموداً، قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾[2].

الضرب الثاني: ما اختص به صلى الله عليه وسلم دون أمته، وقد يشاركه فيها أنبياء آخرون.

فمن ذلك: اختصاصه صلى الله عليه وسلم دون أمته بأن الله عصمه من الناس، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾[3][4].

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: (٤٠).

(٢) سورة الإسراء، الآية: (٧٩).

(٣) سورة المائدة، الآية: (٦٧).

(٤) انظر: خصائص المصطفى صلى الله عليه وسلم بين الغلو والجفاء (ص٢٤).

٢ - ما ذكره الشيخ مرعي من خصائصه صلى الله عليه وسلم:

إن المتأمل في الكتاب والسنة يجد الكثير من الأدلة التي تبين مكانة النبي صلى الله عليه وسلم، وعظم قدره عند ربه عز وجل، فقد حباه الله وامتن عليه وأكرمه بخصائص في الدنيا والآخرة، دلت على علو قدره، ورفعة مكانته، وسمو منـزلته عند الله سبحانه وتعالى.

فقد قال تعالى في محكم التنـزيل: ﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا ﴾[1]، ففي هذه الآية يمتن الله على نبيه صلى الله عليه وسلم بما أسبغ عليه من الفضائل، التي هي المناقب والمراتب، التي أعطاه الله إياها، وميزه بها، عن بقية أنبياءه ورسله وسائر خلقه.

فالله سبحانه وتعالى فضل بعض الرسل على بعض، فقال تعالى: ﴿ تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۘ مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ وَرَفَعَ بَعۡضَهُمۡ دَرَجَٰتٖۚ ﴾[2].

فكان لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم النصيب الأوفر من هذا الفضل، فقد خصه الله وميزه بخصائص ومناقب دنيوية وأخروية، فُضل بها على سائر الأنبياء، ومن سواهم من البشر.

وقد أورد الشيخ مرعي – رحمه الله – بعضاً من هذه الخصائص فقال: **"خص النبي صلى الله عليه وسلم، بواجبات ومحظورات ومباحات وكرامات، فوجب عليه قيام الليل..."**[3].

قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴾[4].

قال ابن كثير – رحمه الله –: "أمر له بقيام الليل بعد المكتوبة"[5].

---

(١) سورة النساء، الآية: (١١٣).

(٢) سورة البقرة، الآية: (٢٥٣).

(٣) غاية المنتهى في الجمع بين الإقناع والمنتهى (١٠/٣).

(٤) سورة الإسراء، الآية: (٧٩).

(٥) تفسير القرآن العظيم (٦١/٣).

"وتخيير نسائه بين فراقه والإقامة معه..."[١].

قالت عائشة – رضي الله عنها -: لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتخيير نسائه بدأ بي فقال: **"إني ذاكر لك أمراً فلا عليك أن لا تعجلي حتى تستأمري أبويك"**، قالت: وقد علم أن أبوي لم يكونا يأمراني بفراقه، ثم قال: **"إن الله جل ثناؤه قال:** ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا ﴾ إلى ﴿ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[٢]" قالت: فقلت: ففي أي هذا أستأمر أبوي؟ فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة، قالت: ثم فعل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم مثل ما فعلت[٣].

"ومشاورة في الأمر مع أهله وأصحابه"[٤].

قال تعالى: ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ﴾[٥].

قال ابن كثير – رحمه الله –: "ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشاور أصحابه في الأمر، إذا حدث تطييباً لقلوبهم ليكون أنشط لهم فيما يفعلونه، كما شاورهم في أحد في أن يقعد في المدينة، أو يخرج إلى العدو، فأشار جمهورهم بالخروج إليهم، فخرج إليهم، وشاورهم يوم الخندق، في مصالحة الأحزاب بثلث ثمار المدينة عامئذ، فأبى عليه السعدان، سعد بن معاذ وسعد بن عبادة، فترك ذلك، وشاورهم يوم الحديبية في أن يميل على ذراري المشركين، فقال له الصديق: إنا لم نجيء لقتال أحد، وإنما جئنا معتمرين؛ فأجابه إلى ما قال"[٦].

---

(١) غاية المنتهى في الجمع بين الإقناع والمنتهى (١٠/٣).

(٢) سورة الأحزاب، الآيتان: (٢٨-٢٩).

(٣) أخرجه البخاري كتاب التفسير – باب قوله: ﴿ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَـٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾، (٤٧٨٦)، (ص٤٠٦).

(٤) غاية المنتهى في الجمع بين الإقناع والمنتهى (١٠/٣).

(٥) سورة آل عمران، الآية: (١٥٩).

(٦) تفسير القرآن العظيم (٤٥٣/١).

"ومنع إمساك من كرهت نكاحه"[١].

فعن عائشة – رضي الله عنها – أن ابنة الجون لما دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ودنا منها قالت: أعوذ بالله منك، فقال لها: **"لقد عذت بعظيم، الحقي بأهلك"**[٢].

"ومن شعر وخط"[٣].

قال تعالى: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذٗا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴾[٤].

قال ابن كثير – رحمه الله –: "أي لقد لبثت في قومك يا محمد من قبل أن تأتي بهذا القرآن عمراً لا تقرأ كتاباً ولا تحسن الكتابة، بل كل أحد من قومك وغيرهم يعرف أنك رجل أمي لا تقرأ ولا تكتب، وهكذا صفته في الكتب المتقدمة، كما قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ ﴾[٥]، وهكذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم دائماً إلى يوم الدين، لا يحسن الكتابة ولا يخط سطراً ولا حرفاً بيده، بل كان له كتاب، يكتبون بين يده الوحي والرسائل إلى الأقاليم"[٦].

وقال تعالى: ﴿ وَمَا عَلَّمۡنَٰهُ ٱلشِّعۡرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓۚ ﴾[٧].

قال ابن سعدي – رحمه الله –: "ينـزه الله تعالى نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم عما رماه به المشركون، من أنه شاعر، وأن الذي جاء به شعر فقال: ﴿ وَمَا عَلَّمۡنَٰهُ ٱلشِّعۡرَ وَمَا

---

(١) غاية المنتهى في الجمع بين الإقناع والمنتهى (١٠/٣).
(٢) أخرجه البخاري كتاب الطلاق – باب هل يواجه الرجل امرأته في الطلاق، (ح٥٢٥٤)، (ص٤٥٤).
(٣) غاية المنتهى في الجمع بين الإقناع والمنتهى (١٠/٣).
(٤) سورة العنكبوت، الآية: (٤٨).
(٥) سورة الأعراف، الآية: (١٥٧).
(٦) تفسير القرآن العظيم (٤٥٩/٣).
(٧) سورة يس، الآية: (٦٩).

﴿ يَنۢبَغِي لَهُۥٓۚ ﴾ أن يكون شاعراً، أي: هذا من جنس المحال، أن يكون شاعراً؛ لأنه رشيد مهتد، والشعراء غاوون يتبعهم الغاوون، ولأن الله تعالى حسم جميع الشبه التي يتعلق ا الضالون عن رسوله، فحسم أن يكون يكتب أو يقرأ، وأخبر أنه ما علمه الشعر، وما ينبغي له"(١).

"وصدقة وزكاة على أقاربه"(٢).

فعن المطلب بن ربيعة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **"إن هذه الصدقات إنما هي أوساخ الناس، وإ ا لا تحل لمحمد ولا لآل محمد"**(٣).

"وكان لا يصلي على مدين لا وفاء له بلا ضامن، ثم نسخ فكان يصلي عليه ويوفي من عنده"(٤).

فعن أبي هريرة – رضي الله عنه –: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يؤتى بالرجل المتوفى عليه الدين فيسأل: **"هل ترك لدينه فضلاً؟"** فإن حدث أنه ترك لدينه وفاء صلى عليه، وإلا قال للمسلمين: **"صلوا على صاحبكم"** فلما فتح الله عليه الفتوح قال: **"أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فمن توفي من المؤمنين فترك ديناً فعلي قضاؤه، ومن ترك مالاً فلورثته"**(٥).

وعن عائشة – رضي الله عنها – أ ا قالت: إن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم حين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم، أردن أن يبعثن عثمان بن عفان إلى أبي بكر، فيسألنه ميراثهن من النبي صلى الله عليه وسلم قالت عائشة لهن: أليس قد قال رسول الله صلى الله

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص٧٤٨).
(٢) غاية المنتهى في الجمع بين الإقناع والمنتهى (١٠/٣).
(٣) أخرجه مسلم كتاب الزكاة – باب ترك استعمال آل النبي على الصدقة، (ح١٦٨)، (ص٨٤٩).
(٤) غاية المنتهى في الجمع بين الإقناع والمنتهى (١٠/٣).
(٥) أخرجه البخاري كتاب الكفالة – باب الدين (ح٢٢٩٨)، (ص١٧٩)، ومسلم كتاب الفرائض – باب من ترك مالاً فلورثته، (ح١٤)، (ص٩٥٩).

عليه وسلم: **"لا نورث، ما تركناه صدقة"**[(١)].

"وأبيح له التزوج بلا ولي **ولا شهود"[(٢)].**

فعن أنس – رضي الله عنه – قال: أقام النبي صلى الله عليه وسلم بين خيبر والمدينة ثلاثاً يبنى عليه بصفية بنت حيي، فدعوت المسلمين على وليمته، فما كان فيها من خبز ولحم، أمر بالأنطاع فألقي فيها من التمر والإقط والسمن، فكانت وليمته، فقال المسلمون: إحدى أمهات المؤمنين، أو مما ملكت يمينه؟ فقالوا: إن حجبها فهي من أمهات المؤمنين، وإن لم يحجبها فهي مما ملكت يمينه، فلما ارتحل وطأ لها خلفه، ومد الحجاب بينها وبين الناس[(٣)].

قال ابن حجر – رحمه الله –: "واستدل به على صحة النكاح بغير شهود، لأنه لو حضر في تزويج صفية شهود لما خفي عن الصحابة حتى يترددوا... وذلك من خصائصه صلى الله عليه وسلم أنه يتزوج بلا ولي ولا شهود"[(٤)].

"ووصال صوم"[(٥)].

فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"إياكم والوصال"** مرتين قيل: إنك تواصل، قال: **"إني أبيت يطعمني ربي ويسقين، فاكلفوا من العمل ما تطيقون"**[(٦)].

---

(١) أخرجه البخاري كتاب فرض الخمس – باب فرض الخمس، (ح٣٠٩٤)، (ص٢٤٩)، ومسلم كتاب الجهاد – باب حكم الفيء، (ح1758)، (ص٩٨٩).

(٢) غاية المنتهى في الجمع بين الإقناع والمنتهى (١٠/٣).

(٣) أخرجه البخاري كتاب النكاح – باب البناء في السفر، (ح٥١٥٩)، (ص٤٤٦)، ومسلم كتاب النكـاح – باب فضيلة اعتاقه أمته ثم يتزوجها، (ح٨٧)، (ص٩١٦).

(٤) فتح الباري (٣١/٩).

(٥) غاية المنتهى في الجمع بين الإقناع والمنتهى (١٠/٣).

(٦) أخرجه البخاري كتاب الصوم – باب التنكيل لمن أكثر الوصال، (ح١٩٦٦)، (ص١٥٣)، ومسلم كتـاب الصيام – باب النهي عن الوصال، (ح٥٨)، (ص٨٥٤).

"وأبيح له القتال فيها ساعة"[1]، [يعني مكة].

وهذا من خصائص النبي صلى الله عليه وسلم بأن أحل الله تعالى له مكة ساعة من ار.

أخرج مسلم من حديث ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة: **"لا هجرة ولكن جهاد ونية، وإذا استنفرتم فانفروا"**، وقال يوم الفتح فتح مكة: **"إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السماوات والأرض، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، وإنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلي، ولم يحل لي إلا ساعة من ار"**[2] الحديث.

"وأكرم بأن جعل خاتم الأنبياء"[3].

قال تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾[4].

قال ابن كثير – رحمه الله –: "فهذه الآية نص في أنه لا نبي بعده، وإذا كان لا نبي بعده فلا رسول بطريق الأولى والأحرى، لأن مقام الرسالة أخص من مقام النبوة؛ فإن كل رسول نبي ولا ينعكس"[5].

بل قد نص النبي صلى الله عليه وسلم على ختم النبوة به، وذلك في المتفق عليه من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **"مثلي ومثل الأنبياء من قبلي، كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية،**

---

(١) غاية المنتهى في الجمع بين الإقناع والمنتهى (١٠/٣).

(٢) أخرجه مسلم كتاب الحج، باب تحريم مكة، (ح٤٤٥)، (ص٩٠٣).

(٣) غاية المنتهى في الجمع بين الإقناع والمنتهى (١٠/٣).

(٤) سورة الأحزاب، الآية: (٤٠).

(٥) تفسير القرآن العظيم (٥٤٢/٣).

فجعل الناس يطوفون بالبيت ويعجبون له ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة؟! قال: أنا اللبنة وأنا خاتم النبيين"[١].

"وسيد ولد آدم، وأول من تنشق عنه الأرض، وأول شافع ومشفع"[٢].

فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع وأول مشفع"**[٣].

"السيد من اتصف بالصفات العلية والأخلاق السنية، وهذا مشعر بأنه أفضل منهم في الدارين، أما في الدنيا فلما اتصف به من الأخلاق العظيمة.

وأما في الآخرة فلأن الجزاء مرتب على الأخلاق والأوصاف، فإذا فضلهم في الدنيا في المناقب والصفات، فضلهم في الآخرة في المراتب والدرجات.

وإنما قال صلى الله عليه وسلم: **"أنا سيد ولد آدم"** لتعرف أمته منـزلته من ربه عز وجل "[٤].

وسيادة النبي صلى الله عليه وسلم للناس يوم القيامة، تظهر واضحة جلية، بما سيناله من الشرف العظيم يوم القيامة، وعلى رأس ذلك الشرف، شفاعته في أهل الموقف واختصاصه بذلك من بين الأنبياء والرسل.

فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في دعوة، فرفعت إليه الذراع [وكانت تعجبه] فنهس منها نهسة وقال: **"أنا سيد الناس يوم القيامة، هل تدرون بمن يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد، فيبصرهم الناظر، ويسمعهم الداعي، وتدنو منهم الشمس، فيقول بعض الناس: ألا ترون إلى ما أنتم فيه**

---

(١) أخرجه البخاري كتاب المناقب – باب خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم، (ح٣٥٣٥)، (٢٨٨)، ومسلم كتاب الفضائل – باب كونه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين (ح٢٢)، (ص١٠٨٣).

(٢) غاية المنتهى في الجمع بين الإقناع والمنتهى (١٠/٣).

(٣) أخرجه مسلم كتاب الفضائل – باب تفضيل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم على جميع الخلائق (ح٣)، (ص١٠٨١).

(٤) بداية السول في تفضيل الرسول (ص٣٤).

إلى ما بلغكم؟ ألا ترون إلى من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس: أبوكم آدم، فيأتونه فيقولون: يا آدم أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك، وأسكنك الجنة ألا تشفع لنا عند ربك؟ ألا ترى إلى ما نحن فيه وما بلغنا؟

فيقول: ربي غضب غضباً لم يغضب قبله مثله، ولا يغضب بعده مثله، و نهاني عن الشجرة فعصيت، نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح.

فيأتون نوحاً فيقولون: يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض، وسماك الله عبداً شكوراً، أما ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما بلغنا؟ ألا تشفع لنا إلى ربك؟ فيقول: ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب مثله، ولا يغضب بعده مثله، نفسي نفسي ائتوا محمداً النبي صلى الله عليه وسلم فيأتوني، فأسجد تحت العرش، فيقال: يا محمد ارفع رأسك، واشفع تشفع، وسل تعطه"[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: "وقد اتفق المسلمون، على أنه صلى الله عليه وسلم أعظم الخلق جاهاً عند الله، ولا جاه لمخلوق عند الله أعظم من جاهه، ولا شفاعة أعظم من شفاعته"[2].

"وقارع باب الجنة، وأكثر الأنبياء تبعاً"[3].

فعن أنس – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"أنا أكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة، وأنا أول من يقرع باب الجنة"**[4].

---

(١) أخرجه البخاري كتاب الأنبياء – باب قول الله عز وجل: ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ ﴾، (ح٣٣٤٠)، (ص٢٦٩)، ومسلم كتاب الإيمان – باب أدنى أهل الجنة منـزلة فيها (ح٣٢٢)، (ص٧١٣).

(٢) مجموع الفتاوى (١٤٥/١).

(٣) غاية المنتهى في الجمع بين الإقناع والمنتهى (١٠/٣).

(٤) أخرجه مسلم كتاب الإيمان – باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: **"أنا أول النـاس يشـفع في الجنـة"**، (ح٣٣١)، (ص٧١٥).

وعن أنس – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح فيقول الخازن من أنت؟ فأقول محمد، فيقول بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك"**[(1)].

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **"يدخل الجنة من أمتي زمرة هم سبعون ألفاً تضيء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر"** قال أبو هريرة: فقام عكاشة بن محصن الأسدي يجر نمرة عليه فقال: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"اللهم اجعله منهم"** ثم قام رجل آخر من الأنصار فقال: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"سبقك ا عكاشة"**[(2)].

"من خصائصه صلى الله عليه وسلم، أنه يدخل إلى الجنة من أمته سبعون ألفاً بغير حساب، ولم يثبت ذلك لغيره صلى الله عليه وسلم"[(3)].

"وجعل أولى بالمؤمنين من أنفسهم، ويلزم كل أحد أن يحبه أكثر من نفسه وماله وولده والناس أجمعين".

قال تعالى: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ ﴾[(4)].

يبين ابن القيم أن هذه الآية دليل على أن من لم يكن الرسول صلى الله عليه وسلم أولى به من نفسه، فليس من المؤمنين، ثم يوضح أن هذه الأولوية تتضمن أمرين، فقال: "منها أن يكون أحب إلى العبد من نفسه، لأن الأولوية أصلها الحب، ونفس العبد أحب إليه من غيره، ومع هذا يجب أن يكون الرسول أولى به منها، وأحب إليه منها، فبذلك يحصل له اسم الإيمان.

---

(1) أخرجه مسلم كتاب الإيمان – باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: **"أنا أول النـاس يشـفع في الجنـة"**، (ح٣٣٣)، (ص٧١٥).

(2) أخرجه مسلم كتاب الإيمان – باب دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب، (ح٣٦٧)، (ص٧١٧).

(3) بداية السول في تفضيل الرسول (ص٥٢).

(4) سورة الأحزاب، الآية: (٦).

ويلزم من هذه الأولوية والمحبة كمال الانقياد والطاعة والرضا والتسليم، وسائر لوازم المحبة، من الرضا بحكمه، والتسليم لأمره، وإيثاره على ما سواه.

ومنها: أن لا يكون للعبد حكم على نفسه أصلاً، بل الحكم على نفسه للرسول صلى الله عليه وسلم، يحكم عليها أعظم من حكم السيد على عبده، أو الوالد على ولده، فليس له في نفسه تصرف قط، إلا ما تصرف فيه الرسول الذي هو أولى به منها"[١].

فتبين من هذا أنه يجب على كل مؤمن، أن يكون الرسول أولى به من نفسه، في كل شيء، وأن يكون حكمه صلى الله عليه وسلم في أي شيء مقدماً على رغبات النفس.

فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **"فوالذي نفسي بيده، لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده"**[٢].

وعن أنس – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"لا يؤمن أحدكم، حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين"**[٣].

"وحرم نكاح زوجاته بعده"[٤].

قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ ﴾[٥] الآية.

ولأ ن أمهات المؤمنين لقوله تعالى: ﴿ ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ ...﴾[٦].

---

(١) الرسالة التبوكية (٥٣).

(٢) أخرجه البخاري كتاب الإيمان – باب حب الرسول صلى الله عليه وسلم من الإيمان، (ح١٤)، (ص٣).

(٣) أخرجه البخاري كتاب الإيمان – باب حب الرسول صلى الله عليه وسلم من الإيمان، (ح١٥)، (ص٣).

(٤) غاية المنتهى في الجمع بين الإقناع والمنتهى (١٠/٣).

(٥) سورة الأحزاب، الآية: (٥٣).

(٦) سورة الأحزاب، الآية: (٦).

قال ابن الملقن[(١)]: "أي مثل أمها م في وجوب احترامهن، وطاعتهن وتحريم نكاحهن، لما في إحلالهن لغيره من النقص لمنصبه صلى الله عليه وسلم"[(٢)].

"وجعلت له ولأمته الأرض مسجداً، وترا ا طهوراً، ونصر بالرعب مسيرة شهر، وبعث للناس كافة"[(٣)].

فعن جابر – رضي الله عنهما – أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"أعطيت** خمساً لم **يعطهن أحد** قبلي، **نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت** لي **الأرض مسجداً وطهوراً** فأيما **رجل من** أمتي **أدركته الصلاة فليصل، وأحلت** لي **الغنائم** ولم تحل **لأحدٍ** قبلي، **وأعطيت الشفاعة، وكان النبي** يبعث إلى **قومه خاصة، وبعثت** إلى **الناس عامة"**[(٤)].

"وأعطي المقام المحمود"[(٥)].

قال تعالى مخاطباً النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا ﴾[(٦)].

قال ابن كثير – رحمه الله –: "أي افعل هذا الذي أمرتك به، لنقيمك يوم القيامة مقاماً محموداً، يحمدك في الخلائق كلهم وخالقهم تبارك وتعالى"[(٧)].

وقال الطبري – رحمه الله -: "قال أكثر أهل التأويل: ذلك هو المقام المحمود الذي يقومه محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة للشفاعة، ليريحهم ر م من عظيم ما هم فيه

---

(١) عمر بن علي بن أحمد الأنصاري الشافعي، سراج الدين، أبو حفص ابن النحوي، المعروف بابن الملقن، مـن أكابر العلماء في الحديث والفقه وتاريخ الرجال، له مصنفات كثيرة منها: إكمال ذيب الكمـال في أسمـاء الرجال، التذكرة في علوم الحديث، توفي سنة ٨٠٤هـ.
انظر: البدر الطالع (٣٤٦/١)، الأعلام (٥٧/٥).

(٢) خصائص أفضل المخلوقين (ص٣٤٣).

(٣) غاية المنتهى في الجمع بين الإقناع والمنتهى (١١/٣).

(٤) سبق تخريجه (ص٢٨٩).

(٥) غاية المنتهى في الجمع بين الإقناع والمنتهى (١١/٣).

(٦) سورة الإسراء، الآية: (٧٩).

(٧) تفسير القرآن العظيم (٦٢/٣).

من شدة ذلك اليوم"[١].

أخرج البخاري – رحمه الله – في تفسير هذه الآية من حديث ابن عمر – رضي الله عنهما – أنه يقول: "إن الناس يصيرون يوم القيامة جثاً[٢] كل أمة تتبع نبيها، يقولون: يا فلان اشفع، حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود"[٣].

وذكر البخاري – رحمه الله – طريقاً آخر فيه زيادة: " فيشفع ليقضي بين الخلق، فيمشي حتى يأخذ بحلقة الباب، فيومئذ يبعثه الله مقاماً محموداً يحمده أهل الجمع كلهم"[٤].

"ولا يحل لأحدٍ رفع صوته فوق صوته، ولا أن يناديه من وراء الحجرات، أو باسمه كيا "محمد"، بل "يا رسول الله"، "يا نبي الله"."[٥].

إن الله سبحانه وتعالى ى أن يرفع أحد صوته فوق صوت النبي صلى الله عليه وسلم، فقال سبحانه: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَـٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴾[٦].

فعن أنس بن مالك – رضي الله عنه – أن النبي صلى الله عليه وسلم افتقد ثابت بن قيس فقال رجل يا رسول الله، أنا أعلم لك علمه، فأتاه فوجده جالساً في بيته منكساً رأسه، فقال له ما شأنك؟ فقال: شر، كان يرفع صوته فوق صوت النبي صلى الله عليه

---

(١) جامع البيان في تأويل آي القرآن (٣١/٨).

(٢) جمع جاث: هو الذي يجلس على ركبتيه. فتح الباري (٤٠٠/٨).

(٣) أخرجه البخاري كتاب التفسير – باب قوله تعالى ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا ﴾ ،(ح٤٧١٨)،(ص٣٩٤).

(٤) أخرجه البخاري كتاب الزكاة – باب من سأل الناس تكثراً، (ح١٤٧٥)، (ص١١٦).

(٥) غاية المنتهى في الجمع بين الإقناع والمنتهى (١١/٣).

(٦) سورة الحجرات، الآية: (٢).

وسلم فقد حبط عمله وهو من أهل النار، فأتى الرجل النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره أنه قال كذا وكذا، ... فرجع إليه المرة الآخرة، ببشارة عظيمة، فقال: اذهب إليه فقل له: **"إنك لست من أهل النار، ولكنك من أهل الجنة"**(١).

وقد أمر الله سبحانه وتعالى الأمة، بأن لا ينادونه باسمه بل ينادونه: يا رسول الله يا نبي الله، فقال سبحانه: ﴿ لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾(٢).

"ومن رآه في المنام رآه حقاً(٣)، لأن الشيطان لا يتمثل"(٤).

أخرجه البخاري من حديث أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"من رآني في المنام فقد رآني، فإن الشيطان لا يتمثل بي، ورؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة"**(٥).

ولمسلم من رواية أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"من رآني في المنام فقد رآني، ولا يتمثل الشيطان بي"**(٦).

---

(١) أخرجه البخاري كتاب التفسير –باب لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي، (ح٤٨٤٦)، (ص٤١٤).

(٢) سورة النور، الآية: (٦٣).

(٣) لابد هنا من تنبيه مهم جداً، وهو أن من رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام (على صفته المعروفة) فقد رآه حقاً، وأن الشيطان لا يتمثل به، ولكن قد يتمثل الشيطان بصورة رجل ما ويدعي أنه النبي صلى الله عليه وسلم، فمتى رؤي بغير صفاته فهو شيطان. انظر: خصائص المصطفى (ص٧١).

(٤) غاية المنتهى في الجمع بين الإقناع والمنتهى (١١/٣).

(٥) أخرجه البخاري كتاب التعبير – باب من رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام، (ح٦٩٩٤)، (ص٥٨٤).

(٦) أخرجه مسلم كتاب الرؤيا – باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: **"من رآني في المنام فقد رآني"**، (ح١٠)، (ص١٠٨٠).

"والكذب عليه ليس ككذب على غيره، ومن تعمده فليتبوأ مقعده من النار"[1].

فعن أنس - رضي الله عنه - قال: إنه ليمنعني أن أحدثكم حديثاً كثيراً أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"من تعمد علي كذباً فليتبوأ مقعده من النار"**[2].

وعن المغيرة رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: **"إن كذباً علي ليس ككذب على أحد، من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار"**[3].

"وتنام عيناه ولا ينام قلبه"[4].

روى البخاري من حديث أبي سلمة بن عبد الرحمن أنه سأل عائشة رضي الله عنها: كيف كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان؟ قالت: ما كان يزيد في رمضان ولا غيره على إحدى عشرة ركعة، يصلي أربع ركعات فلا تسأل عن حسنهن وطولهن، ثم أربعاً فلا تسأل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي ثلاثاً، فقلت: يا رسول الله تنام قبل أن توتر؟ قال: **"تنام عيني ولا ينام قلبي"**[5].

"ويرى من خلفه كأمامه"[6].

أخرج الشيخان من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"أتموا الركوع والسجود، فوالله إني أراكم من بعد ظهري، إذا ما ركعتم، وإذا ما سجدتم"**[7] واللفظ لمسلم.

---

(1) غاية المنتهى في الجمع بين الإقناع والمنتهى (11/3).

(2) أخرجه البخاري كتاب العلم – باب إثم من كذب على النبي صلى الله عليه وسلم، (ح108)، (ص12).

(3) أخرجه البخاري كتاب الجنائز – باب ما يكره من النياحة على الميت، (ح1291)، (ص100).

(4) غاية المنتهى في الجمع بين الإقناع والمنتهى (11/3).

(5) أخرجه البخاري كتاب المناقب – باب كان النبي صلى الله عليه وسلم تنام عينه ولا ينام قلبه، (ح3569)، (ص290).

(6) غاية المنتهى في الجمع بين الإقناع والمنتهى (11/3).

(7) أخرجه البخاري كتاب الأذان – باب إقبال الإمام على الناس عند تسوية الصفوف، (ح719)، (ص57)، ومسلم كتاب الصلاة – باب الأمر بتحسين الصلاة وإتمامها والخشوع فيها، (ح111)، (ص746).

ولمسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً ثم انصرف، فقال: **"يا فلان ألا تحسن صلاتك؟ ألا ينظر المصلي إذا صلى كيف يصلي، فإنما يصلي لنفسه، إني والله لأبصر من ورائي، كما أبصر من بين يدي"**[(١)].

قال النووي – رحمه الله –: "قال العلماء: معناه أن الله تعالى خلق له صلى الله عليه وسلم إدراكاً في قفاه يبصر به من ورائه، وقد انخرقت العادة له صلى الله عليه وسلم بأكثر من هذا، وليس يمنع من هذا عقل ولا شرع، بل ورد الشرع بظاهره، فوجب القول به"[(٢)].

والخصائص الثابتة لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم كثيرة، وقد ذكر الشيخ مرعي طرفاً منها، وما أورده من هذه الخصائص هو مما تضافرت الأدلة على إثباته كما بينت.

وقد أفرد أهل العلم خصائص النبي صلى الله عليه وسلم في كتب مستقلة[(٣)].

---

(١) أخرجه مسلم كتاب الصلاة – باب الأمر بتحسين الصلاة وإتمامها والخشوع فيها، (ح١٠٨)، (ص٧٤٦).

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم (٣٧٠/٤).

(٣) انظر: الخصائص الكبرى، غاية السول في خصائص الرسول صلى الله عليه وسلم، وللاستزادة: خصائص المصطفى صلى الله عليه وسلم بين الغلو والجفاء.

رابعاً: النور المحمدي:

عقد الشيخ مرعي في كتابه " جة الناظرين وآيات المستدلين" فصلاً عنونه بـ "النور المحمدي صلى الله عليه وسلم" ثم نقل عن صاحب المواهب القسطلانية[1]، حديث النور المنسوب لمصنف عبد الرزاق، ونقل عنه أيضاً قول لبعض علماء الصوفية، ليقوي به قوله فقال: "قال في المواهب القسطلانية[2]: روى عبد الرزاق بإسناده، عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: قلت: يا رسول الله بأبي أنت وأمي، أخبرني عن أول شيء خلقه الله تعالى قبل الأشياء؟ قال: "يا جابر إن الله خلق قبل الأشياء نور نبيك، من نوره، فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله تعالى، ولم يكن في ذلك الوقت لوح ولا قلم ولا جنة ولا نار ولا ملك ولا سماء ولا أرض ولا شمس ولا قمر ولا جني ولا إنسي، فلما أراد الله أن يخلق الخلق قسم ذلك النور أربعة أجزاء:

١ – فخلق من الجزء الأول: القلم.

٢ – ومن الثاني: اللوح.

٣ – ومن الثالث: العرش.

٤ – ثم قسم الرابع أربعة أجزاء:

فخلق من الأول: حملة العرش.

ومن الثاني: الكرسي.

ومن الثالث: باقي الملائكة.

ثم قسم القسم الرابع أربعة أجزاء:

فخلق من الأول: السماوات.

ومن الثاني: الأرضين.

ومن الثالث: الجنة والنار.

---

(١) هو أحمد بن محمد بن أبي بكر القسطلاني المصري الشافعي، له مصنفات: المواهب اللدنية في المنح المحمديـة، إرشاد الساري على صحيح البخاري، توفي سنة ٩٢٣هـ.
انظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (١٠٩/٢)، شذرات الذهب (١٢١/٤)، البدر الطالع (٧٠/١).

(٢) المواهب اللدنية (٤٦/١).

ثم قسم الرابع أربعة أجزاء:

فخلق من الأول: نور أبصار المؤمنين.

ومن الثاني: نور قلو م وهي المعرفة بالله.

ومن الثالث: نور أنسهم وهو التوحيد، لا إله إلا الله محمد رسول الله...."[1] إذا تقرر ذلك فاعلم ما قاله بعض علماء الصوفية، أنه لما تعلقت إرادة الخلق سبحانه بإيجاد خلقه وتقدير رزقه، برزت الحقيقة المحمدية من الأنوار الصمدية... فهو عليه السلام أصل الموجودات، ونور الكائنات، وهو أصل الوجود، وسيده، ومبدأ العالم، ومدده هو صلى الله عليه وسلم"[2].

دراسـة رأيه:

مما سبق عرضه من كلام الشيخ مرعي، يتبين لنا مخالفته لمذهب السلف – رحمهم الله – في هذه المسألة ، مع ما حوته من مسائل لا أصل لها.

ويمكن مناقشته في ذلك من وجهين:

الوجه الأول:

ما ذكره الشيخ مرعي – غفر الله له – من كون نبينا محمد صلى الله عليه وسلم خلق من نور، منقول عن جماعة من غلاة الصوفية[3]، وهو قول باطل من وجوه:

١ – إن هذا القول ينافي بشرية النبي صلى الله عليه وسلم، فإن البشر مخلوقون من التراب لا من النور، قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴾[4]. وقال صلى الله عليه وسلم: **"خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من**

---

(١) ذكره العجلوني في كشف الخفاء ومزيل الإلباس فيما اشتهر من الأحاديث على ألسنة النـاس (١١٣/١) ولم يعقب عليه بشيء.

(٢) جة الناظرين وآيات المستدلين (ص١١٩).

(٣) انظر: الفتوحات المكية (١١٩/١)، الإنسان الكامل (٤٦/٢) .

(٤) سورة الروم، الآية: (٢٠).

مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم"[1].

فهذا خبر عام في جميع البشر، فتخصيص نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بأنه خلق من نور يحتاج إلى مخصص، ولا مخصص[2].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: "والنبي صلى الله عليه وسلم خلق مما يخلق منه البشر، ولم يخلق أحد من البشر من نور، بل قد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: **"إن الله خلق الملائكة من نور، وخلق إبليس من نار، وخلق آدم مما وصف لكم"**[3]"[4].

٢ – أن القول بذلك يفضي إلى بعض العقائد الفاسدة، كاعتقاد أن النبي صلى الله عليه وسلم مخلوق من نور الله تعالى، وأن العالم كله خلق من نوره، وأنه أول المخلوقات، وأن خلقه متقدم على العرش والقلم، وقد التزم جماعة من القائلين بذلك بهذه العقائد[5]، ومنهم الشيخ مرعي – عفا الله عنه –.

٣ – أن ما استدل به القائلون بذلك – ومنهم الشيخ مرعي – وهو حديث النور المنسوب لمصنف عبدالرزاق لا يصح .

لأن حديث جابر لا أصل له ولا سند، وهو حديث باطل، ولم يخرجه أحد من أئمة الحديث .

---

(١) سبق تخريجه (ص٢٢٠).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (١١/٩٤-٩٥)، فتاوى اللجنة الدائمة (١/٣٠٩) .

(٣) سبق تخريجه (ص٢٢٠).

(٤) مجموع الفتاوى (١١/٩٤).

(٥) انظر: الفتوحات المكية (١/١١٩)، الإنسان الكامل (٢/٤٦) .

قال السيوطي[1] – رحمه الله – عن هذا الحديث: "إنه غير ثابت"[2].

وقال الشيخ الألباني – رحمه الله – في السلسلة الصحيحة عند كلامه على حديث "إن أول شيء خلقه الله القلم".

"وفي الحديث إشارة إلى ما يتناقله الناس، حتى صار ذلك عقيدة راسخة في قلوب كثير منهم:

وهو أن النور المحمدي هو أول ما خلق الله تبارك وتعالى، وليس لذلك أساس من الصحة، وحديث عبد الرزاق غير معروف إسناده"[3].

وقال الشيخ عبد العزيز بن عبد الله ابن باز[4] – رحمه الله –: "وكل من تأمل الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة علم يقيناً أن هذا الخبر من جملة الأباطيل، التي لا أساس لها من الصحة، وقد أغنى الله نبيه صلى الله عليه وسلم عن مثل هذا، بما أقام من الدلائل القاطعة، والبراهين الساطعة، والمعجزات الباهرة، على صحة نبوته ورسالته عليه الصلاة والسلام، كما أغناه عن هذا الخبر المكذوب وأشباهه، بما وهبه من الشمائل العظيمة، والصفات الكريمة، والأخلاق الرفيعة، التي لا يشاركه فيها أحد من قبله ولا ممن بعده، هو سيد ولد آدم، وخاتم المرسلين، ورسول الله إلى جميع الثقلين، وصاحب الشفاعة العظمى، والمقام المحمود يوم القيامة"[5].

---

(١) هو عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد، المشهور بجلال الدين السيوطي، أشعري المعتقد، شافعي المذهب، مكثر من التصنيف، من مصنفاته: الخصائص الكبرى، شرح الصدور بأحوال الموتى والقبور وغيرها، تـوفي سـنة ٩١١هـ.

انظر: الضوء اللامع (٥١/٤)، شذرات الذهب (٥١/٨).

(٢) الحاوي (٥٠٠/١).

(٣) السلسلة الصحيحة للألباني (٢٥٧/١)، برقم (١٣٣).

(٤) هو عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن ابن باز، له مصنفات منها: مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، العقيدة الصحيحة وما يضادها، توفي سنة ١٤٢٠هـ.

انظر: سيرة وحياة الشيخ العلامة عبد العزيز بن عبد الله ابن باز (ص١٣، ٥٧)، جوانب من سيرة الإمام عبد العزيز ابن باز (ص٣٣، ٥١).

(٥) تنبيه الحذاق على بطلان ما شاع بين الأنام من حديث النور المنسوب لمصنف عبد الرزاق (ص٤).

و بهذا يتبين أن عزو الشيخ مرعي الحديث لعبد الرزاق غير صحيح، إذ هو ليس في شيء من كتبه[1].

الوجه الثاني:

ما ذكره الشيخ مرعي – عفا الله عنه – من كون النبي هو المقصود من الخلق، وهو أول الموجودات، ونور الكائنات، منقول عن جماعة من غلاة المتصوفة[2]، وهو قول باطل من وجوه:

١ – إن المقصود من الخلق هو العبادة والابتلاء ، وهذا القول معارض للكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ ﴾[4]، وأن الله تعالى هو الممد للمخلوقات، والمتصرف فيها كيف يشاء، كما قال سبحانه: ﴿ لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ ﴾[5]، وقال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[6].

٢ – إن هذا القول ينافي بشرية النبي صلى الله عليه وسلم وما أخبر الله به عنه وأخبر هو عن نفسه، كقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾[7]، وقوله تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ

---

(١) انظر تنبيه الحذاق (ص٧ وما بعدها)، النور المحمدي (ص٥٠)، ملحق عن قصيدة البردة، بذيل كتاب البوصيري مادح الرسول صلى الله عليه وسلم (٧٥).

(٢) انظر: حجة الله على العالمين (ص١٤، ٥٢).

(٣) سورة الذاريات، الآية: (٥٦).

(٤) سورة الملك، الآية: (٢).

(٥) سورة البقرة، الآية: (٢٨٤).

(٦) سورة المائدة، الآية: (١٧).

(٧) سورة الكهف، الآية: (١١٠).

أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾[1].

وقوله صلى الله عليه وسلم: "**يا معشر قريش أو كلمة نحوها، اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئاً،يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئا، يا عباس بن عبد المطلب، لا أغني عنك من الله شيئاً، يا صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أغني عنك من الله شيئاً، يا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت، لا أغني عنك من الله شيئاً**"[2].

٣ – أن هذا القول مأخوذ من بعض الفلسفات الفاسدة، والعقائد الباطلة، كالفلسفة الهندية، والعقيدة النصرانية[3].

٤ – أن الشيخ مرعي لم يذكر دليلاً يعتمد عليه في دعواه، والقائلون بقوله غاية ما استدلوا به أحاديث موضوعة، لا تقوم بها الحجة.

ولهذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: "ما يذكرون أن النبي صلى الله عليه وسلم كان كوكباً، أو أن العالم كله خلق منه، أو أنه كان موجوداً قبل أن يخلق أبواه، أو أنه كان يحفظ القرآن قبل أن يأتيه به جبريل، وأمثال هذه الأمور، فكل ذلك كذب مفترى باتفاق أهل العلم بسيرته.

والأنبياء كلهم لم يخلقوا من النبي صلى الله عليه وسلم، بل خلق كل واحد من أبويه، ونفخ الله فيه الروح.

ولا كان كلما يعلم الله لرسله وأنبيائه بوحيه يأخذونه بواسطة سوى جبريل، بل تارة

---

(١) سورة الأعراف، الآية: (١٨٨).

(٢) أخرجه البخاري كتاب التفسير – باب قوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴾، (ح٤٧٧١)، (ص٤٠٣)، من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه –.

(٣) انظر: الجواب الصحيح (٣٨٤/٣)، حقيقة الصوفية (ص٢٨٠)،آراء ابن حجر الهيتمي الاعتقادية(ص٤٥٦) .

يكلمهم الله وحياً يوحيه إليهم، وتارة يكلمهم من وراء حجاب، كما كلم موسى بن عمران، وتارة ملكاً فيوحي بإذنه ما يشاء، ومن الأنبياء من يكون على شريعة غيره، كما كان أنبياء بني إسرائيل على شريعة التوراة"[١].

(١) مجموع الفتاوى (٣٦٧/١٨-٣٦٨).

الفصل الثالث

آراؤه في الإيمان باليوم الآخر

وفيه تمهيد وثلاثة مباحث :

- تمهيد في تعريف اليوم الآخر .

المبحث الأول : آراؤه في الحياة البرزخية .

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الموت وسكراته .

المطلب الثاني: عذاب القبر ونعيمه .

المطلب الثالث: الأرواح .

المبحث الثاني : آراؤه في أشراط الساعة .

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أشراط الساعة الصغرى .

المطلب الثاني: أشراط الساعة الكبرى .

المبحث الثالث : آراؤه في الحياة الآخرة .

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: الحشر والحساب والشفاعة .

المطلب الثاني: الميزان والصراط والحوض .

المطلب الثالث: الرؤية .

المطلب الرابع: أصحاب الأعراف .

المطلب الخامس: حكم أطفال المشركين في الآخرة .

المطلب السادس: الجنة والنار .

الفصل الثالث

آراؤه في الإيمان باليوم الآخر

الفصل الثالث

آراؤه في الإيمان باليوم الآخر

وفيه تمهيد وثلاثة مباحث:

تمهيد: في تعريف اليوم الآخر:

المبحث الأول:

آراؤه في الحيـاة البرزخيـة

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : الموت وسكراته .

المطلب الثاني : عذاب القبر ونعيمه .

المطلب الثالث : الأرواح .

تمهيد

في تعريف اليوم الآخر

اليوم:

يقول ابن فارس: "الياء والواو والميم كلمة واحدة، وهي اليوم: الواحد من الأيام..." [(١)].

والآخر:

يقول ابن فارس: "الهمزة والخاء والراء أصل واحد صحيح، إليه ترجع فروعه، وهو خلاف التقدم..." [(٢)].

واليوم الآخر: هو يوم القيامة الذي يبعث في الناس للحساب والجزاء، ويدخل فيه ما كان مقدمة إليه كالحياة البرزخية، وأشراط الساعة[(٣)].

وسمي باليوم الآخر : لأنه آخر أيام الدنيا، أو آخر الأزمنة المحدودة [(٤)].

والإيمان باليوم الآخر يعد أحد أركان الإيمان الستة ، فمن أنكره فقد كفر؛ قال تعالى: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱلْكِتَـٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾[(5)]، **وقال تعالى:** ﴿ مَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلاًۢ بَعِيدًا ﴾[(٦)].

---

(١) معجم مقاييس اللغة (ص١٠٧٢)، وانظر: تهذيب اللغة (٣٩٩٠/٤)، القاموس المحيط (٢ / ١٥٤٣) .

(٢) معجم مقاييس اللغة (ص٤٨)، وانظر: تهذيب اللغة (١٣١/١)، لسان العرب (١١/٤).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (١٤٥/٣) ، أعلام السنة المنشورة(ص٦٥).

(٤) انظر : فتح الباري (١ / ١١٨) .

(٥) سورة البقرة، الآية: (١٧٧).

(٦) سورة النساء، الآية: (١٣٦).

والإيمان باليوم الآخر يتضمن أربعة أمور:

الأول: الإيمان بما يكون قبله مما هو مقدمة له كالموت، وعذاب القبر، وأشراط الساعة.

الثاني: الإيمان بالبعث.

الثالث: الإيمان بالحساب والجزاء.

الرابع: الإيمان بالجنة والنار(١).

ومن مقدمات اليوم الآخر ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم مما يكون قبل الموت من أشراط الساعة وأمارا ا، وبالموت ومابعده من فتنة القبر ونعيمه وعذابه، والنفخ في الصور، وخروج الخلائق من القبور ،وبالجزاء ،والحساب،والبعث، والنشور، والحشر، والحوض، والميزان، والصراط، والقنطرة، والجنة وما فيها من النعيم، والنار وما فيها من العذاب، ورؤية الله سبحانه وتعالى في الجنة، وغير ذلك من أحوال الآخرة التي أخبرنا الله ورسوله عنها (٢).

وقد اهتم الشيخ مرعي – رحمه الله – ذا الركن العظيم، فقد تكلم في ثنايا مؤلفاته على كثير من أحوال اليوم الآخر.

وفيما يلي عرض آرائه في مسائل اليوم الآخر مع دراستها.

---

(١) انظر: تعظيم قدر الصلاة (٣٩٣/١)، شعب الإيمان (٥/٢)، مجموع الفتاوى (٧٠٣/٢)، فتاوى ابن عثـ يمين (١٢٧/٥).

(٢) انظر : أعلام السنة المنشورة (ص٦٥) .

المبحث الأول

آراؤه في الحياة الآخرة

المطلب الأول

الموت وسكراته

تكلم الشيخ مرعي – رحمه الله – عن الموت وسكراته وبين أن كل نفس من نفوس الخلائق لابد لها من ذوق الموت وسكراته مستدلاً على ذلك بالكتاب والسنة والإجماع، فقال: "قال الله تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾[1]، لا خلاف بين علماء الإسلام أن كل نفس من نفوس الإنس والجن والملائكة والحيوانات البرية والبحرية لابد لها من ذوق الموت"[2].

وقال: "قال تعالى: ﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ﴾[3]... سكرة الموت: أي غمرته وشدته...

ففي البخاري أنه عليه السلام عند موته جعل يدخل يده في الماء فيمسح ا وجهه ويقول: "**لا إله إلا الله إن للموت لسكرات**"[4]"[5].

وقال وهو يعدد ما يحصل به التسلي والاصطبار لمن ابتلي بفراق الأحبة: "ومنها أن يعلم العاقل أن هذه الأيام إنما هي مراحل ومسافات، تقطعها الرواحل، لا بقاء لأحد في

---

(١) سورة آل عمران، الآية: (١٨٥).

(٢) جة الناظرين وآيات المستدلين (ص٣٥٤).

(٣) سورة ق، الآية: (١٩).

(٤) أخرجه البخاري كتاب الرقاق – باب سكرات الموت، (ح٦٥١٠)، (ص٥٤٦).

(٥) جة الناظرين وآيات المستدلين (ص٣٩٣).

هذه الدار، وإن طالت به مدة الأعمار"[1].

دراســة رأيه:

مما سبق عرضه من كلام الشيخ مرعي يتضح لنا أنه يرى أن كل نفس من نفوس الخلائق لابد لها من ذوق الموت وسكراته، وأنه يرى وجوب الإيمان بالموت وسكراته وما ذهب إليه هو موافق للكتاب والسنة، وهو معتقد السلف – رحمهم الله –.

والموت ثابت بالكتاب والسنة والإجماع.

فمن الكتاب:

قوله تعالى: ﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ﴾[2].

وقوله سبحانه: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ ﴾[3].

وقوله سبحانه: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ ﴾[4].

وأما السنة:

فقوله صلى الله عليه وسلم: "**يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى معه واحد، يتبعه أهله وماله وعمله، فيرجع أهله وماله ويبقى عمله**"[5].

وقوله صلى الله عليه وسلم: "**إذا مات أحدكم عرض عليه مقعده غدوة وعشية، إما النار وإما الجنة، فيقال: هذا مقعدك حتى تبعث إليه**"[6].

وأما الإجماع:

"فقد أجمعت الأمة أن الموت ليس له سن معلوم، ولا زمن معلوم، ولا مرض معلوم،

---

(١) سلوان المصاب بفرقة الأحباب (ص٦٩).

(٢) سورة ق، الآية: (١٩).

(٣) سورة آل عمران، الآية: (١٨٥).

(٤) سورة الأنعام، الآية: (٩٣).

(٥) أخرجه البخاري كتاب الرقاق – باب سكرات الموت، (ح٦٥١٤)، (ص٥٤٦).

(٦) أخرجه البخاري كتاب الرقاق – باب سكرات الموت، (ح٦٥١٥)، (ص٥٤٦).

وذلك ليكون المرء على أهبة من ذلك، مستعداً لذلك"[1].

قال ابن كثير – رحمه الله – عند تفسير قوله تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾[2]: "يخبر الله تعالى إخباراً عاماً يعم جميع الخليقة بأن كل نفس ذائقة الموت، كقوله تعالى: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾[3]، فهو تعالى وحده الذي لا يموت والجن والإنس يموتون، وكذلك الملائكة وحملة العرش، وينفرد الواحد الأحد القهار بالديمومة والبقاء فيكون آخراً كما كان أولا.

وهذه الآية فيها تعزية لجميع الناس فإنه لا يبقى أحد على وجه الأرض حتى يموت..." [4].

.[4]

وقال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي – رحمه الله – عند تفسير قوله تعالى: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾[5]: "أي: كل من على الأرض، من إنس وجن، ودواب، وسائر المخلوقات، يفنى ويبيد، ويبقى الحي الذي لا يموت"[6].

---

(١) التذكرة في أحوال الموت وأمور الآخرة (ص٩).
(٢) سورة آل عمران، الآية: (١٨٥).
(٣) سورة الرحمن، الآيتان: (٢٦، ٢٧).
(٤) تفسير القرآن العظيم (٤٧٠/١).
(٥) سورة الرحمن، الآيتان: (٢٦، ٢٧).
(٦) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص٨٩٩).

المطلب الثاني

عذاب القبر ونعيمه

١ – وجوب الإيمان بعذاب القبر ونعيمه وسؤال منكر ونكير :

يرى الشيخ مرعي – رحمه الله – وجوب الإيمان بعذاب القبر ونعيمه مستدلاً على ذلك بالكتاب والسنة حيث قال: "اعلم أن القبر أول منازل الآخرة لحديث عثمان – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"إن القبر أول منازل الآخرة فإن نجا منه فما بعده أيسر منه وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه"** قال: وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"ما رأيت منظراً فظيعاً إلا والقبر أفظع منه"**. قال الترمذي حديث حسن وأخرجه ابن ماجه.

ولهذا كان عثمان إذا وقف على قبر بكى حتى تبتل لحيته، فقيل له تذكر الجنة والنار ولا تبكي وتبكي من هذا فساق لهم الحديث"[١] [٢].

وقال: "فصل في عذاب القبر ونعيمه، وهو ثابت بالكتاب والسنة، فأما الكتاب فقال الله تعالى: ﴿ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ ...﴾[٣].

قال مقاتل[٤] في قوله تعالى: ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَدۡنَىٰ دُونَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَكۡبَرِ﴾[٥]، الأدنى عذاب القبر، والأكبر يوم القيامة[٦]...

---

(١) أخرجه الترمذي كتاب الزهد – باب ما جاء في فظاعة القبر وأنه أول منازل الآخرة، (ح٢٣٠٨)، (ص١٨٨٤) وقال: حديث حسن غريب، وابن ماجه كتاب الزهد – باب ذكر القبر والبلى، (ح٤٢٦٧)، (ص٢٧٣٦)، والحديث حسن كما قال الألباني في صحيح ابن ماجه (٤٢١/٢) رقم (٣٤٤٢).

(٢) جة الناظرين وآيات المستدلين (ص٤٠٧).

(٣) سورة غافر، الآية: (٤٦).

(٤) هو مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي، قال ابن المبارك: "ما أحسن تفسيره لو كان ثقة" رمي بالتجسيم، وتوفي سنة ١٥٠هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء (٢٠١/٧).

(٥) سورة السجدة، الآية: (٢١).

(٦) انظر: زاد المسير في علم التفسير(٦ / ٣٤١) .

أما السنة فأحاديث جمة منها ما في صحيح مسلم عن زيد بن ثابت بينما النبي صلى الله عليه وسلم في حائط لبني النجار على بغلة له ونحن معه إذ حادت به فكادت أن تلقيه وإذا أقبر ستة أو خمسة أو أربعة فقال: **"من يعرف أصحاب هذه الأقبر؟"** فقال رجل: أنا. قال: **"فمتى مات هؤلاء؟"** قال: ماتوا في الإشراك. فقال: **"إن هذه الأمة تبتلى في قبورها فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله عز وجل أن يسمعكم من عذاب القبر ما أسمع منهم"**، ثم أقبل علينا بوجهه فقال: **"تعوذوا بالله من عذاب النار"**، قالوا: نعوذ بالله من عذاب النار. فقال: **"تعوذوا بالله من عذاب القبر"**. قالوا: نعوذ بالله من عذاب القبر. قال: **"تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن..."** [(١)]

والأحاديث والأخبار والحكايات الواردة في عذاب القبر كثيرة جداً"[(٢)].

وقد عقد الشيخ مرعي – رحمه الله – فصلاً في سؤال الملكين ،ثم أورد الأدلة التي استدل ا أهل السنة على إثبات الفتنة والسؤال للعبد في قبره فقال: "فصلٌ في سؤال الملكين ، وهما منكر ونكير عليهما السلام وهما فتانا القبر ، والدليل على سؤال الملكين من الكتاب قوله تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ ﴾[(٣)]، جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أ ا في سؤال الملكين[(٤)].

فمذهب أهل الحق أن سؤال الملكين حق خلافاً للزنادقة ،

ففي مسلم عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"إن العبد إذا**

---

(١) أخرجه مسلم كتاب الجنة – باب عرض مقعد الميت من الجنة والنار عليه وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه، (ح٢٨٦٧)، (ص١١٧٥).

(٢) جة الناظرين وآيات المستدلين (٤٢٦).

(٣) سورة إبراهيم، الآية: (٢٧).

(٤) الشيخ مرعي يشير إلى حديث البراء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"إذا أقعد المؤمن أتى** ثم **شهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، فذلك قوله تعالى:** ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ ﴾"، سورة إبراهيم، الآية: (٢٧).

أخرجه البخاري كتاب الجنائز – باب ما جاء في عذاب القبر، (ح١٣٦٩)، (ص١٠٧)، ومسلم كتاب الجنة وصفة نعيمها – باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه، (ح٢٨٧١)، (ص١١٧٥).

وضع في قبره **وتولى عنه أصحابه أنه ليسمع خفق نعالهم، قال: فيأتيه ملكان فيقعدانه فيقولان له: ما كنت تقول** في **هذا الرجل؟** فأما المؤمن **فيقول: أشهد أنه عبد** الله **ورسوله،** فيقال **له: انظر** إلى **مقعدك من النار قد أبدلك** الله **به مقعداً من** الجنة، **قال:** فيراهما جميعاً".

زاد البخاري: "**وأما الكافر** والمنافق **فيقول: لا أدري كنت أقول ما يقول الناس، فيقولان: لا دريت ولا تليت** ثم **يضرب** بمطرقة **من حديد** بين **أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا** الثقلين"[1].

وفي الترمذي وحسنه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**إذا** قبر الميت – **أو** قال – **أحدكم أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما** المنكر **والآخر النكير** فيقولان: **ما كنت تقول** في **هذا الرجل؟ فيقول: ما كان يقول هو عبد** الله **ورسوله أشهد أن لا إله إلا** الله **وأن** محمداً **رسول** الله، **فيقولان:** قد **كنا نعلم أنك تقول ذلك،** ثم **يفسح له** في قبره **سبعون ذراعاً** في **سبعين ذراعاً** ثم **ينور له فيه** ثم **يقال له:** نم، **فيقول أرجع** إلى **أهلي** فأخبرهم **فيقولان:** نم **كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه** حتى يبعثه الله **من مضجعه ذلك، وإن كان منافقاً قال:** سمعت **الناس يقولون شيئاً** فقلت **مثله ما أدري،** فيقولون: **قد كنا نعلم أنك تقول ذلك،** فيقال **للأرض التئمي عليه** فتلتئم **عليه فتختلف** فيها **أضلاعه فلا يزال** فيها **معذباً** حتى يبعثه الله **من مضجعه**"[2]"[3].

دراســة رأيه:

المراد بعذاب القبر ونعيمه: ما يحصل في البرزخ من العذاب والنعيم.

قال ابن القيم – رحمه الله –: "ينبغي أن يعلم أن عذاب القبر ونعيمه اسم لعذاب البرزخ ونعيمه، وهو ما بين الدنيا والآخرة، قال الله تعالى: ﴿ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ

---

(١) أخرجه البخاري كتاب الجنائز – باب الميت يسمع خفق النعال، (ح١٣٣٨)، (ص١٠٤)، ومسلم كتـاب صفة الجنة – باب عرض مقعد الميت من الجنة والنار عليه، (ح٢٨٧٠)، (ص١١٧٥).

(٢) سبق تخريجه (ص٢٣٦) .

(٣) جة الناظرين وآيات المستدلين (ص٤٠٧).

﴿يُبۡعَثُونَ ﴾[1]، وسمي عذاب القبر ونعيمه، وأنه روضة أو حفرة نار باعتبار غالب الخلق، فالمصلوب والحرق والغرق وأكيل السباع والطيور، له من عذاب البرزخ ونعيمه قسطه الذي تقتضيه أعماله، وإن تنوعت أسباب النعيم والعذاب وكيفيا ا"[2].

والأصل في ثبوت عذاب القبر ونعيمه، وسؤال منكر ونكير، ما ذكره الشيخ مرعي وهو الكتاب والسنة والإجماع.

فمن الكتاب:

قوله تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾[3].

قال البغوي – رحمه الله -: " ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ﴾ كلمة التوحيد وهي: لا إله إلا الله فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا يعني: قبل الموت، وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ يعني: في القبر، هذا قول أكثر المفسرين"[4].

قال ابن سعدي – رحمه الله –: "يخبر تعالى: أنه يثبت عباده المؤمنين أي: الذين قاموا بما عليهم من الإيمان القلبي التام، الذي يستلزم أعمال الجوارح ويثمرها، فيثبتهم الله في الحياة الدنيا، عند ورود الشبهات بالهداية إلى اليقين، وعند عروض الشهوات بالإرادة الجازمة، على تقديم ما يحبه الله على هوى النفس ومرادها، وفي الآخرة عند الموت، بالثبات على الدين الإسلامي، والخاتمة الحسنة، وفي القبر عند سؤال الملكين، للجواب الصحيح، إذا قيل للميت من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ هداهم للجواب الصحيح،

---

(١) سورة المؤمنون، الآية: (١٠٠).

(٢) الروح (١٢٨)، وانظر: شرح الصدور في أحوال الموتى والقبور (ص١٢١).

(٣) سورة إبراهيم، الآية: (٢٧).

(٤) معالم التنـزيل (٢٢٢/٣).

بأن يقول المؤمن: الله ربي، والإسلام ديني، ومحمد نبيي"[1].

وقوله تعالى: ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾[2].

ومعنى قوله تعالى: ﴿ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ﴾ أي: عذاب الدنيا بالمصائب، وعذاب القبر، أما عذاب الآخرة فقد بينه تعالى في قوله: ﴿ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾[3].

وأما السنة:

فقد تواترت الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم، الدالة على عذاب القبر ونعيمه، وسؤال منكر ونكير[4].

أما الإجماع:

فقد أجمع العلماء على ثبوت عذاب القبر ونعيمه، وسؤال منكر ونكير في الحياة البرزخية[5].

قال ابن عبد البر – رحمه الله -: "وأما قوله أوحي إلي أنكم تفتنون في قبوركم فإنه أراد فتنة الملكين منكر ونكير حين يسألان العبد من ربك وما دينك ومن نبيك، والآثار في هذا متواترة وأهل السنة والجماعة كلهم على الإيمان بذلك ، ولا ينكره إلا أهل البدع"[6].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص٤٤١).

(٢) سورة التوبة، الآية: (١٠١).

(٣) انظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن (٤٥٦/٦)، تفسير القرآن العظيم (٤٢٣/٢).

(٤) انظر: إثبات عذاب القبر (ص١٩)، أهوال القبور (ص٨١)، مجموع الفتاوى (٢٨٥/٤)، الروح (ص١٠٤) .

(٥) انظر: رسالة إلى أهل الثغر (ص٩٠)، مجموع الفتاوى (٢٦٢/٤، ٢٨٤).

(٦) التمهيد (٢٤٧/٢٢).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: "مذهب سائر المسلمين، بل وسائر أهل الملل إثبات... الثواب والعقاب في البرزخ"[1].

وعليه فما قرره الشيخ مرعي من وجوب الإيمان بعذاب القبر ونعيمه وسؤال منكر ونكير هو معتقد السلف – رحمهم الله –.

٢ - وقوع عذاب القبر ونعيمه على الروح والجسد:

ذكر الشيخ مرعي الخلاف حول العذاب والنعيم في القبور،هل هو على الروح والجسد معاً، أو على الروح فقط؟ واختار أنه واقع عليهما معاً فقال: "اختلف العلماء هل العذاب على الروح والجسد معاً أو على الروح فقط؟ المشهور أنه عليهما معاً"[2].

ثم أورد قول ابن القيم وابن تيمية في هذه المسألة واختار ما ذهبوا إليه فقال: "قال ابن القيم: الأحاديث مصرحة بإعادة الروح إلى البدن عند السؤال لكن لا على هذه الحالة المعهودة بيننا، كما أن حياة النائم وهو حي غير حياة المستيقظ، قال شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية: الأحاديث متواترة على عود الروح إلى البدن وقت السؤال... والصحيح قول ابن تيمية وابن القيم"[3].

دراســة رأيه:

اتفق أهل السنة والجماعة، على أن عذاب القبر ونعيمه على الروح والجسد

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: "العذاب والنعيم على النفس والبدن جميعاً باتفاق أهل السنة والجماعة، تنعم النفس وتعذب منفردة عن البدن، وتعذب متصلة بالبدن، والبدن متصل ا، فيكون النعيم والعذاب عليهما في هذه الحال مجتمعين، كما يكون للروح منفردة عن البدن"[4].

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٦٢/٤)

(٢) جة الناظرين وآيات المستدلين (ص٤٣١).

(٣) المصدر السابق (ص٤١٧)، وانظر: مجموع الفتاوى (٢٧٤/٤، ٢٨٢، ٢٨٩)، والروح (ص٩٦).

(٤) مجموع الفتاوى (٢٨٢/٤).

وقال أيضاً بعد أن ذكر الأقوال في المسألة: "فإذا عرفت هذه الأقوال الثلاثة الباطلة فليعلم أن مذهب سلف الأمة وأئمتها أن الميت إذا مات يكون في نعيم أو عذاب، وأن ذلك يحصل لروحه ولبدنه، وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة، وأ ا تتصل بالبدن أحياناً، فيحصل معها النعيم والعذاب"[1].

وقال ابن أبي العز – رحمه الله –: "وليس السؤال في القبر للروح وحدها... وكذلك عذاب القبر يكون للنفس والبدن جميعاً، باتفاق أهل السنة والجماعة، تنعم النفس، وتعذب مفردة عن البدن ومتصلة به"[2].

وبناءً على ما سبق فما قرره الشيخ مرعي في هذه المسألة موافق لما عليه أهل السنة والجماعة.

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٨٤/٤).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية (٥٧٩/٢).

المطلب الثالث

الأرواح

١ – حقيقة الروح:

ذكر الشيخ مرعي الأقوال في حقيقة الروح، واختار الوقف والإمساك عن الكلام في حقيقتها، مدعماً قوله بدليل من القرآن الكريم، وبأقوال بعض أهل العلم فقال بعد أن عد الأقوال في حقيقة الروح: "وهذه الأقوال كلها اجتهادية والصحيح الوقف؛ لأن ذلك لا يعلم إلا بالتوقيف، ولم يرد فيه ما يفسر حقيقتها، قال تعالى لنبيه حين سأله اليهود عن الروح ﴿ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي ﴾[1] فوجب المصير إليه، وقد أمسك عن الكلام فيها كثير من العلماء ، قال السيوطي في شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور: وهذه الطريقة هي المختارة[2]، ... وعلى هذا ابن عباس وأكثر السلف، وقد ثبت عن ابن عباس أنه كان لا يفسر الروح[3]...

قال السيوطي: أ مها الله في القرآن والتوراة وكتم عن خلقه علمها فمن أين للخائضين الاطلاع على حقيقة أمرها[4].

قال ابن بطال[5]: الحكمة في ذلك تعريف الخلق عجزهم عن علم ما لا يدركونه حتى

---

(١) سورة الإسراء، الآية: (٨٥).

(٢) انظر: شرح الصدور في أحوال الموتى والقبور (ص٣١٠).

(٣) أثر ابن عباس ذكره السيوطي في الدر المنثور (٣٦٢/٤) وعزاه لابن أبي حاتم وابن مردويه.
وانظر: شرح الصدور في أحوال الموتى والقبور (ص٣١٠).

(٤) انظر: شرح الصدور في أحوال الموتى والقبور (ص٣١٠).

(٥) أبو الحسن علي بن خلف بن بطال القرطبي المالكي، له تصانيف منها: شرح صحيح البخاري، تـوفي سـنة ٤٤٩هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء (٤٧/١٨)، الأعلام (٢٨٥/٤).

يضطرهم إلى رد العلم إليه[1].

وقال القرطبي: حكمته إظهار عجز المرء لأنه إذا لم يعلم حقيقة نفسه مع القطع بوجوده كان عجزه عن إدراك حقيقة الحق سبحانه من باب أولى، وقريب منه عجز البصر عن إدراك نفسه"[2][3].

دراســة رأيه:

الروح: مأخوذة من الريح.

يقول ابن فارس: "الراء والواو والحاء أصل كبير مطرد، يدل على سعة وفسحة واطّراد، وأصل ذلك كله من الريح، وأصل الياء في الريح الواو، وإنما قلبت ياءً لكسرة ما قبلها، فالروح روح الإنسان، وإنما هو مشتق من الريح، وكذا الباب كله"[4].

ويطلق لفظ الروح على عدة معان منها: روح الإنسان – وهي المراد بالبحث هنا -، روح الحيوان، جبريل، عيسى عليه السلام، القرآن، الوحي، ملك يقوم وحده صفاً يوم القيامة، خلق كخلق بني آدم، صنف من الملائكة يأكلون ويشربون[5]...

واختلف الناس في **حقيقة الروح :**

وفي ذلك يقول السفاريني – رحمه الله –: "اختلف الناس في حقيقة الروح وهل هي النفس أو غيرها؟ وهل هي جزء من البدن أو عرض من أعراضه أو جسم مساكن له مودع فيه أو جوهر مجرد؟

وقد تكلم الناس في هذه المسائل من سائر الطوائف واضطربت فيها أقوالهم وكثر فيها خطؤهم، ومن الناس من أمسك عن الكلام والخوض فيها لقوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ

---

(١) ذكره ابن حجر في الفتح (٤٠٣/٨).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٢٨٣/١٠).

(٣) جة الناظرين وآيات المستدلين (ص٣٥٧).

(٤) معجم مقاييس اللغة (ص٤٠٨)، وانظر: لسان العرب (٤٥٥/٢).

(٥) انظر: الروح (ص٢٤٠)، فتح الباري (٤٠٢/٨)، لوامع الأنوار البهية (٢٩/٢).

ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّى ﴾[1]، وهدى الله أتباع الرسول وسلف الأمة وأهل السنة لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

قال الإمام ابن القيم بعدما ساق أقوال الناس في حقيقة الروح: والصحيح أن الروح جسم مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس، وهو جسم نوراني علوي خفيف حي متحرك، ينفذ في جوهر الأعضاء، ويسري فيها سريان الماء في الورد وسريان الدهن في الزيتون والنار في الفحم، فما دامت هذه الأعضاء صالحة لقبول الآثار الفائضة عليها من هذا الجسم اللطيف بقي هذا الجسم اللطيف متشابكاً وأفادها هذه الآثار من الحس والحركة والإرادة، وإذا فسدت هذه الأعضاء بسبب استيلاء الأخلاط عليها وخرجت عن قبول تلك الآثار فارق الروح البدن وانفصل إلى عالم الأرواح، وذكر لكلامه مائة دليل وخمسة عشر دليلاً وأجاد وأفاد"[2].

و ذا يتضح لنا أن القول بالإمساك والوقف عن البحث في **حقيقة الروح وإن كان مأثوراً عن** بعض **أهل العلم، إلا أنه** مخالف **لجمهور قول أهل السنة .**

---

(١) سورة الإسراء، الآية: (٨٥).

(٢) لوامع الأنوار البهية (٢٩/٢)، وانظر: الروح (ص٢٧٦).

٢ - هل الروح هي النفس:

ذكر الشيخ مرعي اختلاف العلماء في هذه المسألة واختار القول بأن النفس والروح شيء واحد فقال: "الروح والنفس، اختلف العلماء فيهما هل هما شيء واحد أو شيئان.

حكى ... أن أكثر أهل العلم على أن النفس والروح اسمان لشيء واحد، وإذا فرغنا على قول الأكثر وهو أن الروح والنفس شيء واحد"[١].

دراســة رأيه:

يتضح من كلام الشيخ مرعي أنه يرى أن النفس والروح اسمان لشيء واحد، وهذا الرأي الذي اختاره هو مذهب الجمهور، وهو اختيار ابن القيم – رحمه الله –.

قال ابن القيم – رحمه الله –: "والروح هي الحاملة للبدن، ولهذه القوى كلها، فلا قوام للبدن ولا لقواه إلا ا، ولها – باعتبار إضافتها إلى كل محل – حكم واسم يخصها هناك، فإذا أضيفت إلى محل السمع سميت سمعاً، وكان لها حكم يخصها هناك، وإذا أضيفت إلى محل العقل – وهو القلب – سميت قلباً، ولها حكم يخصها هناك، هي في ذلك كله روح.

فالقوة الباصرة والعاقلة والسامعة والناطقة روح باصرة وسامعة وعاقلة وناطقة، فهي في الحقيقة هذا العقل، الفاهم المدرك، المحب العارف، المحرك للبدن، الذي هو محل الخطاب والأمر والنهي، هو شيء واحد له صفات متعددة بحسب متعلقاته، فإنه يسمى نفساً مطمئنة ونفساً لوامة، ونفساً أمارة، وليس هو ثلاثة أنفس بالذات والحقيقة، ولكن هو نفس واحدة لها صفات متعددة"[٢].

---

(١) جة الناظرين وآيات المستدلين (ص٣٥٥).

(٢) مدارج السالكين (١٩٨/٣)، وانظر: الروح (ص٣٢٥)، وفتح البيان (٢٣٢/٨).

٣ - هل الروح تموت مع البدن أم البدن وحده:

نقل الشيخ مرعي عن ابن القيم اختلاف العلماء في هذه المسألة إلى قولين، وذكر ترجيح ابن القيم وهو أن الروح إن أريد بذوقها الموت مفارقتها للجسد فنعم وهي ذائقة الموت بهذا الاعتبار، وإن أريد أنها تنعدم أصلاً فلا.

ثم ذكر أن كلام ابن القيم في غاية التحقيق، وهذا يدل على أنه يرى ما ذهب إليه ابن القيم – رحمه الله – فقال: "وقال ابن القيم: اختلف في أن الروح تموت مع البدن أم البدن وحده قولان، الصواب: إن أريد بذوقها الموت مفارقتها للجسد فنعم وهي ذائقة الموت بهذا الاعتبار، وإن أريد أنها تنعدم أصلاً فلا، بل هي باقية بعد خلقها بالإجماع في نعيم أو عذاب... كلام ابن القيم في غاية التحقيق"[(١)].

دراســة رأيه:

الأرواح لا تموت لأنها خلقت للبقاء، واستدلوا على بقائها بالأحاديث الدالة على نعيم الأرواح وعذابها بعد المفارقة إلى أن يرجعها الله إلى أجسادها، ولو ماتت الأرواح لانقطع عنها النعيم والعذاب.

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾[(٢)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: "والأرواح مخلوقة بلا شك وهي تعدم ولا تفنى، ولكن موتها مفارقة الأبدان"[(٣)].

وبناء على ما سبق فما قرره الشيخ مرعي من أن الروح إن أريد بذوقها الموت مفارقة للجسد فنعم، وهي ذائقة الموت بهذا الاعتبار، وإن أريد أنها تنعدم وتضمحل أصلاً فلا، موافق لما عليه أهل السنة والجماعة.

---

(١) بهجة الناظرين وآيات المستدلين (ص٤٣٢، ٤٤٦)، وانظر: الروح (ص٧٠).

(٢) سورة آل عمران، الآيتان: (١٦٩، ١٧٠).

(٣) مجموع الفتاوى (٢٧٩/٤).

٤ - مستقر الأرواح:

تكلم الشيخ مرعي – رحمه الله – عن هذه المسألة وبين أن الأرواح تتفاوت وقسمها إلى عدة أقسام فقال: "أما أرواح الأنبياء عليهم السلام فهي في الجنة.

قال بعضهم: هم الذين ذكرهم الله في قوله: ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ۝١١ فِي جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾[١] فلا شك أن أرواحهم عند الله هي في أعلى عليين.

وثبت في الصحيح أن آخر كلمة تكلمها رسول الله صلى الله عليه وسلم عند موته قال: "**اللهم الرفيق الأعلى**"[٢]...

أما أرواح الشهداء فأكثر العلماء على أ ا في الجنة، وقد تكاثرت الأحاديث بذلك... أخرج مسلم عن أبي مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**أرواح الشهداء عند الله** في **حواصل طير خضر تسرح** في **أ ار الجنة حيث شاءت** ثم **تأوي إلى قناديل تحت العرش**"[٣].

وعن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "**لما أصيب أصحابكم بأحد جعل الله أرواحهم** في **أجواف طير خضر ترد أ ار الجنة وتأكل من** ثمارها **وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة** في **ظل العرش**"[٤] والأحاديث كثيرة في ذلك"[٥].

وقد فرق الشيخ بين حياة الشهداء وغيرهم من المؤمنين الذي قيل أرواحهم في الجنة، من وجهين فقال: "أحدهما: أن أرواح الشهداء يخلق الله لهم أجساداً وهي الطيور التي

---

(١) سورة الواقعة، الآيتان: (١١، ١٢).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق – باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، (ح٦٥٠٩)، (ص٥٤٦).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة – باب بيان أن أرواح الشهداء في الجنة، وأ م أحياء عند ر م يرزقون، (ح١٨٨٦)، (ص١٠١٦).

(٤) أخرجه أبو داود في كتاب الجهاد – باب في فضل الشهادة، (ح٢٥٢٠)، (ص١٤١٠)، والحاكم في المستدرك (٨٨/٢)، وقال: صحيح على شرط مسلم، والبيهقي في إثبات عذاب القبر (ص٩٧)، والحديث ذكره الألباني في صحيح الجامع (٩٢٤/١) رقم (٥٢٠٥).

(٥) جة الناظرين وآيات المستدلين (ص٤٣٨).

تكون في حواصلها ليكمل بذلك نعيمها فيكون أكمل من نعيم الأرواح ا ردة عن الأجساد، فإن الشهداء بذلوا أجسادهم للقتل في سبيل الله فعوضوا عنها ذه الأجساد في البرزخ... الثاني: أن الشهداء يرزقون من الجنة، وغيرهم لم يثبت في حقه مثل ذلك، وإن جاء أ م يعلقون في شجر الجنة، فقيل: إن معناه التعلق، وقيل: الأكل من الشجرة، وعلى كل تقدير فلا يلزم مساوا م للشهيد في كمال تنعمهم في الأكل والله أعلم"(1).

ثم نقل عن ابن القيم كلاماً في مستقر الأرواح فقال: "قال العلامة ابن القيم -رحمه الله- تعالى: مسألة مقر الأرواح بعد الموت عظيمة لا تتلقى إلا من السمع، وقد قيل: إن أرواح المؤمنين كلهم في الجنة، الشهداء وغيرهم، إذا لم تحبسهم كبيرة ونحوها لقوله تعالى: ﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴾(2)... إن الأرواح متفاوتة في مستقرها في البرزخ أعظم تفاوت، ولا تعارض بين الأدلة فإن كلاً منها وارد على فريق من الناس بحسب درجا م في السعادة والشقاوة، فمنها أرواح في أعلى عليين وهم الأنبياء وهم متفاوتون في منازلهم، ومنها أرواح في طيور خضر تسرح في الجنة حيث شاءت وهي أرواح الشهداء لا جميعهم فإن منهم من يحبس عن دخول الجنة لدين أو غيره كما في الحديث(3).

ومنهم من يكون على باب الجنة كما في حديث ابن عباس(4)، ومنهم من يكون محبوساً في قبره، لحديث صاحب الشملة(5) أ ا تشتعل عليه ناراً في قبره(6)، ...

---

(1) جة الناظرين وآيات المستدلين (ص٤٣٨).

(2) سورة الواقعة، الآيتان: (٨٨، ٨٩).

(3) حديث عمرو بن العاص، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "**يغفر للشهيد كل ذنب إلا الـدين**" أخرجـه مسلم في كتاب الإمارة – باب من قتل في سبيل الله كفرت خطاياه إلا الدين، (ح١٨٨٩)، (ص١٠١٦).

(4) حديث ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "**لما أصيب أصحابكم بأحد جعـل الله أرواحهـم في أجواف طير خضر ترد أ ار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش**" سبق تخريجه (ص٣٣٣).

(5) الشملة: كساء مخطط، انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم (٣١٠/٢).

(6) حديث أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في آخر الحديث: "**والذي نفسي بيده إن الشملة الـتي أصا ا يوم خيبر من المغانم لم تصبها المقاسم لتشتعل عليه ناراً... الحديث**" أخرجـه البخـاري في كتـاب المغازي – باب غزوة خيبر، (ح٤٢٣٤)، (ص٣٤٦)، ومسلم في كتاب الإيمان – باب غلظ تحريم الغلول وأنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، (ح١١٥)، (ص٦٩٧).

للأرواح مستقر واحد ومع ذلك فلها اتصال بأجسادها في قبورها ليحصل له من النعيم ما كتب له"[١].

ثم عقب على كلام ابن القيم السابق بقوله: "قلت: كلام ابن القيم هذا في غاية التحقيق فلله دره من إمام همام لقد جمع فأوعى"[٢].

وتعقيب الشيخ مرعي هذا دليل على أنه يرى في مسألة مستقر الأرواح رأي ابن القيم – رحمه الله –، وهو القول الحق كما سيأتي.

دراســة رأيه:

مما سبق عرضه من كلام الشيخ مرعي يتضح لنا أنه يرى أن الأرواح متفاوتة في مستقرها، فأرواح الأنبياء في أعلى عليين.

والدليل ما ثبت في صحيح البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو صحيح: "**إنه لم يقبض نبي قط حتى يرى مقعده من الجنة ثم يخير**" فما نَزَلَ به ورأسه على فخذي غشي عليه ساعة ثم أفاق فأشخص ببصره إلى السقف ثم قال: "**اللهم الرفيق الأعلى**". قلت: إذاً لا يختارنا وعرفت أنه الحديث الذي كان يحدثنا به، قالت: فكانت تلك آخر كلمة تكلم بها النبي صلى الله عليه وسلم قوله: "**اللهم الرفيق الأعلى**"[٣].

ويرى أن أرواح الشهداء في حواصل أجواف طيور خضر معلقة بالعرش.

والدليل ما ثبت في صحيح مسلم عن مسروق قال: سألت عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن هذه الآية: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾[٤].

---

(١) الروح (ص١٥٤، ص١٨٧).

(٢) بهجة الناظرين وآيات المستدلين (ص٤٤٦).

(٣) سبق تخريجه (ص٣٣٣).

(٤) سورة آل عمران، الآية: (١٦٩).

قال: "أما إنا قد سألنا عن ذلك فقال[1] أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى القناديل فاطلع إليهم ربهم اطلاعه فقال: هل تشتهون شيئاً؟ قالوا: أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا ففعل ذلك بهم ثلاث مرات فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا قالوا: يا رب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا"[2].

وأما أرواح المؤمنين وأرواح الكافرين فأرجح الأقوال ما رجحه الشيخ مرعي وهو أن أرواح المؤمنين في الجنة وأرواح الكافرين في النار.

قال الإمام أحمد – رحمه الله –: "أرواح الكفار في النار وأرواح المؤمنين في الجنة"[3].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: "وأرواح المؤمنين في الجنة وأرواح الكافرين في النار، تنعم أرواح المؤمنين وتعذب أرواح الكافرين إلى أن تعاد إلى الأبدان"[4].

وبناء على ما سبق فما قرره الشيخ مرعي موافق لما عليه أهل السنة والجماعة.

---

(١) قال النووي: وهذا الحديث مرفوع لقوله إنا سألنا عن ذلك فقال يعني النبي صلى الله عليه وسلم. شرح صحيح مسلم للنووي (٣٤/١٣)، (ح١٨٨٧).

(٢) أخرجه مسلم كتاب الإمارة – باب بيان أن أرواح الشهداء في الجنة، (ح١٨٨٧)، (ص١٠١٦).

(٣) طبقات الحنابلة (١٨١/١).

(٤) مجموع الفتاوى (٣١١/٤).

المبحث الثاني

آراؤه في أشـراط الساعـة

وفيه مطلبان

المطلب الأول : أشراط الساعة الصغرى .

المطلب الثاني : أشراط الساعة الكبرى .

المبحث الثاني

آراؤه في أشراط الساعة

استدل الشيخ مرعي على أشراط الساعة بالقرآن الكريم والسنة النبوية، وبين أن الله تعالى أخفى عن عباده وقت وقوعها فلا يعلم أحد متى تقوم الساعة إلا هو سبحانه وتعالى فقال: "قال الله تعالى: ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ﴾[1]، وعن أنس رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "**إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويكثر الجهل ويفشو الزنا ويشرب الخمر وتكثر النساء وتقل الرجال، حتى يكون لخمسين امرأة قيم واحد**"[2]...

واعلم أن وقت إتيان الساعة مبهم انفرد الله سبحانه وتعالى بعلمه، وأخفاه عن عباده لأنه أصلح لهم.

وقد احتج كثير من العلماء على تعيين قرب زما ا بأحاديث لا تخلو من نظر.

فمنهم من قال بقي لها كذا، ومنهم من قال يخرج الدجال على رأس كذا، أو تطلع الشمس على رأس كذا، فجاء السيوطي – رحمه الله – ورد ذلك كله في كتابه الكشف[3] وذكر هو تقريباً أ ا تقوم على رأس الخمسمائة بعد الألف أو أقل أو أزيد. وهذا مردود لأن كل من تكلم بشيء من ذلك فهو ظن وحسبان لا يقوم عليه من الوحي برهان"[4].

ثم قسم أشراط الساعة إلى صغرى وكبرى فقال: "علامات الساعة منها صغرى ومنها كبرى..."[5].

---

(١) سورة محمد، الآية: (١٨).

(٢) أخرجه البخاري كتاب النكاح – باب يقل الرجال ويكثر النساء، (ح٥٢٣١)، (ص٤٥٢)، ومسلم كتـاب العلم – باب رفع العلم وقبضه، وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان، (ح٢٦٧١)، (ص١١٤٣).

(٣) الكشف عن مجاوزة هذه الأمة الألف.

(٤) جة الناظرين وآيات المستدلين (ص٤٦٩-٤٧٠).

(٥) المصدر السابق (ص٤٦٩).

دراســة رأيه:

الأشراط: جمع شَرط،والشرَطُ بالتحريك: العلامة، وأشراط الشيء:أوائله،ومنه شرط السلطان،وهم نخبة أصحابه الذين يقدمهم على أصحابه. [١]

الساعة: جزء من النهار أو الليل ، أو جزء من أربعة وعشرين جزء من اليوم والليلة، يقال: جلست عندك ساعة من ار، أي وقتاً قليلاً منه، ثم استعير لاسم يوم القيامة.

قال الزجاج[٢]: معنى الساعة في كل القرآن: الوقت الذي تقوم فيه القيامة، يريد أ ا ساعة ضعيفة يحدث فيها أمر عظيم، فلقلة الوقت الذي تقوم فيه سماها ساعة[٣].

أشراط الساعة: هي علاما ا، وأعلامها التي تسبقها ، وتدل على قر ا ، وقيل : هي ما تنكره الناس من صغار أمورها قبل أن تقوم الساعة[٤].

تنقسم أشراط الساعة إلى قسمين :

الأول: أشراط الساعة الصغرى:

وهي التي تتقدم قيام الساعة بأزمان متطاولة، ولا تزال، وتكون من نوع المعتاد، كقبض العلم، وظهور الجهل، وهي كل ما عدا العلامات العشر.

الثاني: أشراط الساعة الكبرى:

---

(١) انظر :النهاية(٢ / ٤٦٠) ،لسان العرب(٧ / ٣٢٩) .

(٢) هو إبراهيم بن محمد بن سري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، كان عالماً فاضلاً حسن الاعتقاد، عالماً بـ النحو واللغة، له مصنفات منها: معاني القرآن، توفي سنة ٣١١هـ.
انظر: البداية والنهاية (١٥٩/١١).

(٣) انظر: النهاية (٤٥٩/٢) مادة شرط، لسان العرب (٣٢٩/٧).

(٤) انظر: التذكرة (ص٥٢١)، وفتح الباري (٧٩/١٣، ٨٣)،النهاية (٢ / ٤٦٠) .

وهي الأمور العظام التي تظهر قرب قيام الساعة، وإذا ظهر أولها تتابعت سريعاً، وتكون غير معتادة الوقوع، كظهور الدجال، ونزول عيسى ابن مريم – عليه السلام –[1].

وهي العشر الواردة في حديث حذيفة بن أسيد رضي الله عنه وفيه: أشرف علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم من غرفة ونحن نتذاكر الساعة، فقال: **"لا تقوم الساعة حتى ترون عشر آيات: طلوع الشمس من مغر ا، والدخان، والدابة، وخروج يأجوج ومأجوج، وخروج عيسى بن مريم، والدجال، وثلاثة خسوف: خسف بالمغرب، وخسف بالمشرق، وخسف بجزيرة العرب، ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس أو تحشر الناس تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا"**[2].

وقد جرى الشيخ مرعي – رحمه الله – على هذا التقسيم، وذكر جملة من الأشراط، وسأورد كلامه فيها وفقاً لذلك.

---

(١) انظر: التذكرة (ص٥٢١)، وفتح الباري (١٣/٧٩، ٨٣).

(٢) أخرجه مسلم كتاب الفتن وأشراط الساعة – باب في الآيات الـتي تكـون قبـل السـاعة، (ح٢٩٠١)، (ص١١٨٠).

المطلب الأول
أشراط الساعة الصغرى

أشراط الساعة الصغرى كثيرة، وقد ذكر الشيخ مرعي بعضا منها فقال: "فصل في الأشراط الصغرى، وعن أنس رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "**إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويكثر الجهل ويفشو الزنا ويشرب الخمر وتكثر النساء وتقل الرجال حتى يكون لخمسين امرأة قيم واحد**"[(١)].

ومنها: تحلية البيوت لرواية: "**إن الله لم يأمركم أن تكسوا الحجارة والطين**"[(٢)]...

وعدم المبالاة بما يأخذه من الأجر من حلال أو غيره[(٣)]...

ومنها عدم قسمة الميراث[(٤)]، ومنها رفع الأسافل[(٥)]، وهذا معنى ما في صحيح البخاري: "**إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة**" قلت: يا رسول الله ما إضاعتها؟ قال: "**إذا وسد الأمر لغير أهله فانتظر الساعة**"[(٦)]...

ومنها كثرة الفتن ففي مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**لا تقوم الساعة حتى يكثر الهرج**" قالوا: وما الهرج يا رسول الله؟ قال: "**القتل**"[(٧)].

---

(١) سبق تخريجه (ص٣٣٨).

(٢) أخرجه مسلم كتاب اللباس – باب تحريم تصوير صورة الحيوان، (ح٢١٠٧)، (ص١٠٥٥).

(٣) فعن أبي هريرة مرفوعاً: "**ليأتين على الناس زمان لا يبالي المرء بما أخذ من المال بحلال أم حرام**"، أخرجه البخاري كتاب البيوع – باب من لم يبال من حيث كسب المال، (ح٢٠٥٩)، (ص١٦١).

(٤) عن ابن مسعود أنه قال: "إن الساعة لا تقوم حتى لا يقسم الميراث، ولا يفرح بغنيمة". أخرجه مسلم كتاب الفتن – باب إقبال الروم في كثرة القتل عند خروج الدجال، (ح٢٨٩٩)، (ص١١٨٠).

(٥) الأسافل: جمع سافل، يقال: سفل سفولاً أي انحدر ونزل أعلاه إلى أسفله، ويقال: سفل إذا خس ونذل. والسافل من الناس هو الدون.

انظر: معجم مقاييس اللغة (ص٤٦٠)، المعجم الوسيط (ص٤٣٤).

(٦) أخرجه البخاري كتاب الرقاق – باب رفع الأمانة، (ح٦٤٩٦)، (ص٥٤٥).

(٧) أخرجه مسلم كتاب الفتن – باب إذا تواجه المسلمان بسيفيهما، (ح١٥٧)، (ص١١٧٨).

وفي مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **"لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول يا ليتني مكانه"** وفي لفظ: **"والذي نفسي بيده لا تمر الدنيا أو تذهب الدنيا حتى يمر الرجل على القبر فيتمرغ عليه ويقول: يا ليتني مكانه"**(1) (2).

دراســة رأيه :

مما سبق عرضه من كلام الشيخ مرعي يتبين أن ما ذكره من أشراط الساعة الصغرى وارد في السنة، وهو بذلك موافق لِمَا عليه أهل السنة والجماعة في الإيمان بأشراط الساعة.

---

(1) أخرجه البخاري كتاب الفتن – باب لا تقوم الساعة حتى يغبط أهـل القبـور، (ص7115)، (ص593)، ومسلم كتاب الفتن – باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميـت مـن البلاء، (ح53)، (ص1182).

(2) جة الناظرين وآيات المستدلين (ص472-479).

المطلب الثاني

أشراط الساعة الكبرى

استدل الشيخ مرعي – رحمه الله – على أشراط الساعة الكبرى بحديث حذيفة فقال: "ففي مسلم عن حذيفة الغفاري قال: طلع علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نتذاكر فقال: **"ما تذاكرون؟"** قالوا: نذكر الساعة، فقال: **"إ ا لن تقوم حتى تروا عشر آيات"** فذكر الدجال والدخان والدابة وطلوع الشمس من مغر ا ونزول عيسى ابن مريم ويأجوج ومأجوج وثلاث خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم"[١].

ثم **تكلم عن أشراط الساعة الكبرى وذكر منها ما يلي:**

١ – طلوع الشمس من مغر ا:

بين الشيخ أن طلوع الشمس من مغر ا ثابت بالسنة، واستدل ببعض الأحاديث فقال: "طلوع الشمس من مغر ا، ثابت في السنة، ففي مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً لم أنسه بعد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **"إن أول الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغر ا وخروج الدابة على الناس ضحى وأيتها كانت قبل صاحبتها فالأخرى على أثرها قريباً منها"**[٢]، وفي مسلم أيضاً عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **"لا تقوم الساعة**

---

(١) سبق تخريجه (ص ٣٤٠) .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الفتن – باب في خروج الدجال ومكثه في الأرض، (ح٢٩٤١)، (ص١١٨٨).

حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت من مغربها آمن الناس كلهم أجمعون فيومئذ ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَـٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَـٰنِهَا خَيْرًا﴾[1]"[2][3].

ثم نقل الشيخ عن بعض المحققين من أهل العلم أن باب التوبة يغلق بطلوع الشمس من مغربها فقال: "وقد ذكر المحققون أن باب التوبة يغلق بطلوع الشمس من مغربها، وهو غير الغلق بالغرغرة، فمن كان على شيء بعده استمر له ذلك فلا يتغير حاله كافراً كان أو عاصياً فلا يقبل إسلام الكافر ولا توبة العاصي ولا يكتب عمل بعد ذلك لارتفاع الصحف وجفاف الأقلام ولم يفتح بعد ذلك"[4].

دراسة رأيه:

طلوع الشمس من مغربها من أشراط الساعة الكبرى بدلالة الكتاب والسنة[5].

قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَـٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَـٰنِهَا خَيْرًا ۗ﴾[6].

وقد دلت النصوص الشرعية على أن المراد ببعض الآيات المذكورة في الآية هو طلوع الشمس من مغربها، وهو قول أكثر المفسرين[7].

---

(١) سورة الأنعام، الآية: (١٥٨).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق – باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: "**بعثت أنا والساعة كهاتين**"، (ح٦٥٠٦)، (ص٥٤٦)، وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان – باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان، (ح١٥٧)، (ص٧٠٤).

(٣) بهجة الناظرين وآيات المستدلين (ص ٤٨٢) .

(٤) المصدر السابق (ص٤٨٣).

(٥) انظر: التذكرة (ص٥٨٣)، النهاية (١٦٥/١)، القناعة (ص٥٨)، الإشاعة لأشراط الساعة (ص٣٤٤)، إتحاف الجماعة (١٩٢/٣).

(٦) سورة الأنعام، الآية: (١٥٨).

(٧) انظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن (٤٠٤/٥)، الجامع لأحكام القرآن (١٣٠/٧)، روح المعاني (٣٠٥/٤).

وما ذكره الشيخ مرعي من أن باب التوبة يغلق إذا طلعت الشمس من مغر ا ولا يقبل إسلام الكافر ولا توبة العاصي صحيح.

لأن طلوع الشمس من مغر ا آية عظيمة، يراها كل من كان في ذلك الزمان، فتنكشف لهم الحقائق، ويشاهدون من الأهوال ما يلوي أعناقهم إلى الإقرار والتصديق بالله وآياته، وحكمهم في ذلك حكم من عاين بأس الله تعالى؛ كما قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[1].

يقول ابن أبي زمنيين – رحمه الله –: "وأهل السنة يؤمنون بطلوع الشمس من مغر ا، ويؤمنون أيضاً أن الشمس إذا طلعت من مغر ا أغلق باب التوبة ولم يفتح بعد ذلك"[2].

قال ابن حجر – رحمه الله – بعد أن ذكر آثاراً تدل على أن باب التوبة يغلق إذا طلعت الشمس من المغرب: "فهذه آثار يشد بعضها بعضاً متفقة على أن الشمس إذا طلعت من المغرب أغلق باب التوبة ولم يفتح بعد ذلك"[3].

---

(١) سورة غافر، الآيتان: (٨٤، ٨٥) ، انظر : أشراط الساعة (ص٣٩٧) .

(٢) أصول السنة (٦٢٣/٢).

(٣) فتح الباري (٣٥٥/١١).

٢ – خروج الدابة:

قرر الشيخ مرعي أن خروج الدابة ثابت بالكتاب والسنة فقال: "خروج الدابة ثابت بالكتاب والسنة، أم الكتاب فقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ... ﴾[١]، وأما السنة فأحاديث جمة في البخاري ومسلم وغيرهما"[٢].

ثم **ذكر الأقوال** في **مكان خروجها وتتلخص** في:

١ – لها ثلاث خرجات: في أقصى اليمن، وفي رواية أقصى البادية، ثم في المسجد الحرام.

٢ – تخرج من شعب أجياد.

٣ – تخرج من موضع بالبادية قريب من مكة.

٤ – تخرج من المسجد الحرام.

٥ – تخرج من الصفا.

٦ – تخرج من بعض أودية امة [٣].

دراسـة رأيه:

خروج الدابة من أشراط الساعة الكبرى بدلالة الكتاب والسنة[٤]، كما بين **ذلك الشيخ مرعي.**

وقد دلت النصوص على أن خروجها بعد طلوع الشمس من مغر ا حيث يغلق باب التوبة، فتخرج تميز المؤمن من الكافر[٥].

---

(١) سورة النمل، الآية: (٨٢).

(٢) جة الناظرين وآيات المستدلين (ص٤٨٨).

(٣) انظر: المصدر السابق (ص٤٨٩).

(٤) انظر: التذكرة (ص٥٧٦)، النهاية (١٦١/١)، القناعة (ص٥٣)، الإشاعة .

(٥) انظر: فتح الباري (٣٦١/١١)، لوامع الأنوار البهية (١٤٢/١).

وأما مكان خروجها فقد اختُلف فيه كما ذكر ذلك الشيخ مرعي، والله أعلم بالصواب[1].

قال ابن كثير – رحمه الله – بعد أن ذكر مواطن خروج الدابة: "فهذه أقوال متعارضة فالله أعلم"[2].

فأهل السنة والجماعة يؤمنون بكل الأمور الغيبية التي أخبر عنها الله تعالى وأخبر عنها نبيه صلى الله عليه وسلم، ومن هذه الأمور خروج الدابة التي جاء ذكرها في الكتاب والسنة.

فيؤمنون بأ ا دابة تخرج في آخر الزمان عند فساد الناس وتركهم أوامر الله، فيخرج الله لهم دابة من الأرض تكلمهم وتخاطبهم بالإيمان أو بالكفر[3].

---

(١) انظر: التذكرة (ص٥٧٧)، الإشاعة (ص٣٦٢)، لوامع الأنوار البهية (١٤٤/٢).

(٢) النهاية (١٦٤/١).

(٣) انظر: التذكرة (ص٥٧٦)، وتفسير القرآن العظيم (٤١٢/٣)، ولوامع الأنوار البهية (١٤٦/٢).

٣ – المهدي:

عَد الشيخ مرعي المهدي من علامات الساعة الكبرى، ثم ذكر أنه قد كثرت فيه الأقوال، ثم رجح حقيقة ظهوره آخر الزمان وأنه يخرج قبل نزول عيسى عليه السلام، ثم استدل ببعض الأحاديث الدالة على خروجه فقال: "وقد كثرت فيه الأقوال حتى قيل: "**لا مهدي إلا عيسى**" (١) والصحيح أنه غيره، وأنه يخرج آخر الزمان، وأنه يخرج قبل نزول عيسى، وقد كثرت بخروج المهدي الروايات... عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**لتملأن الأرض عدواناً** ثم **ليخرجن رجل من أهل** بيتي **يملؤها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً**" (٢) "(٣)

ثم استدل ببعض الروايات التي تدل على اسم المهدي وصفته فقال: "وعن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**لو** لم **يبق من الدنيا إلا يوم لطول** الله **ذلك اليوم** حتى **يبعث فيه رجلاً من أهل** بيتي، **يواطئ** اسمه اسمي، **واسم أبيه اسم** أبي، **يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً**"(٤)... وأما صفته... فعن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**المهدي** مني،

---

(١) أخرجه ابن ماجه كتاب الفتن – باب شدة الزمان، (ح٤٠٣٩)، (ص٢٧٢٠)، والحاكم (٤٤١/٤)، والخطيب في تاريخه (٢٢١/٤) من طريق محمد بن خالد الجَندي، عن أبان بن صالح، عن الحسن، عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

والحديث بهذا الإسناد لا يصح؛ وذلك لعنعنة الحسن، وجهالة محمد بن خالد الجَندي، ووقوع الاختلاف في سنده بين الوصل والإرسال، وقد ضعفه بهذه العلل الذهبي في الميزان (٥٣٥/٣)، والشوكاني في الفوائد المجموعة (ص١٩٥)، والألباني في السلسلة الضعيفة (١٧٥/١)، رقم (٧٧).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٧٠/٣)، والحاكم في المستدرك (٥٥٨/٤) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، والحديث ذكره الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٨/٤) رقم (١٥٢٩).

(٣) فرائد فوائد الفكر في الإمام المهدي المنتظر(ص٢٠٨) .

(٤) أخرجه أبو داود في كتاب المهدي، (ح٤٢٨٢)، (ص١٥٣٥)، وأخرجه الترمذي في كتاب الفتن – باب ما جاء في المهدي، (ح٢٢٣٠-٢٢٣١)، (ص١٨٧٦)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وقال الألباني في تخريج المشكاة: إسناده حسن. وقال في صحيح الجامع الصغير: صحيح.

انظر: مشكاة المصابيح بتعليق الألباني (٢٤/٣)، (ح٥٤٥٢)، صحيح الجامع الصغير (٧٠/٥)، (ح٥١٨٠).

أجلى الجبهة[1]، أقنى الأنف[2]، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت ظلماً وجوراً، يملك سبع سنين" [3] " [4].

ثم ذكر أنه يجتمع مع عيسى عليه السلام، وأن عيسى يصلي خلفه، فقال: "إن المهدي يسلم الأمر لروح الله عيسى عليه السلام بعد اقتدائه به في صلاة الصبح، ولا يصلي عيسى وراء المهدي غير تلك الصلاة"[5].

دراسـة رأيه:

ظهور المهدي من أشراط الساعة، وقد كثرت الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم بظهوره، واختلف الناس في ثبو ا، والمحققون من أهل العلم على تواترها[6].

يقول العلامة الشوكاني – رحمه الله –: "الأحاديث في تواترها ما جاء في المهدي المنتظر التي أمكن الوقوف عليها خمسون حديثاً، فيها الصحيح والحسن والضعيف المنجبر، وهي متواترة بلا شك ولا شبهة، بل يصدق وصف التواتر على ما دو ا في جميع الاصطلاحات المحررة في الأصول، وأما الآثار عن الصحابة المصرحة بالمهدي، فهي كثيرة أيضاً، لها حكم الرفع؛ إذ لا مجال للاجتهاد في مثل ذلك"[7].

---

(١) أجلى الجبهة: خفيف شعر ما بين النـزعتين من الصدغين، والذي انحسر الشعر عن جبهته، (النهاية ٢٩٠/١).

(٢) القنا في الأنف: طوله ورقة أرنبته مع حدب في وسطه، (النهاية ١١٦/٤).

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب المهدي، (ح٤٢٨٥)، (ص١٥٣٥)، والحديث صـححه الحـاكم في المسـتدرك (٥٥٧/٤) ووافقه الذهبي، وقال ابن القيم في المنار المنيف (ص١٣١)، إسناده جيد، والحديث ذكره الألباني في صحيح الجامع (١١٤٠/٢)، رقم (١٦٣٦) وقال حديث حسن.

(٤) فرائد فوائد الفكر في الإمام المهدي المنتظر (ص٢٣٣).

(٥) المرجع السابق (ص٣٣٢).

(٦) انظر: المنار المنيف (ص١٣٦)، القناعة فيما يحسن الإحاطة به من أشراط الساعة (ص٧٩)، الإشاعة لأشـراط الساعة (ص١٩١)، الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي أشراط الساعة (ص١٤٩)، نظم المتناثر من الحـديث المتواتر (ص٢٢٩)، الاحتجاج بالأثر على من أنكر المهدي المنتظر (ص٤٣).

(٧) نقل ذلك عنه صديق حسن خان في الإذاعة (ص١٥٠)، ولم أهتد إلى موضعه.

قال ابن القيم – رحمه الله –: "**وقد اختلف الناس في المهدي على أربعة أقوال:**

أحدها: أنه المسيح بن مريم، وهو المهدي على الحقيقة، واحتج أصحاب هذا القول بحديث محمد بن خالد الجَنَدي المتقدم، وقد بينا حاله، وأنه لا يصح، ولو صح لم يكن فيه حجة؛ لأن عيسى أعظم مهدي بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين الساعة...

الثاني: أنه المهدي الذي ولي من بني العباس، وقد انتهى زمانه... وهذا... المهدي الذي تولى من بني العباس ليس هو المهدي الذي يخرج في آخر الزمان، بل هو مهدي من جملة المهديين...

الثالث: أنه رجل من أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم من ولد الحسن بن علي، يخرج في آخر الزمان، وقد امتلأت الأرض جوراً وظلماً، فيملأها قسطاً وعدلاً، وأكثر الأحاديث على هذا تدل...

الرابع: أن المهدي هو محمد بن الحسن العسكري المنتظر، من ولد الحسين بن علي، لا من ولد الحسن، الحاضر في الأمصار، الغائب عن الأبصار"[1].

وهو قول الإمامية[2]، وهو أبعد الأقوال وأنكرها.

وما قرره الشيخ مرعي من أن المهدي يخرج آخر الزمان، وأنه غير عيسى عليه السلام، وأنه يخرج قبل نزول عيسى، وأنه يملأ الأرض عدلاً، كما ملئت ظلماً وجوراً، موافق لما قرره أهل العلم - رحمهم الله -[3].

---

(١) المنار المنيف (ص١٣٦-١٤٠)، وانظر: منهاج السنة (٢٥٤/٨).

(٢) الإمامية: طائفة من الشيعة، يقولون بأن الإمامة ثابتة لعلي رضي الله عنه بالنص بعد النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك يقولون نص علي رضي الله عنه على الإمامة من بعده للحسن، والحسن نص على الحسين، وهكـذا كل إمام ينص على من بعده، وهم القائلون باتباع الاثني عشر إماماً، وهم يعتقدون أن محمـد بـن الحسـن العسكري قد اختفى في سرداب في بيت أبيه وبه يبدأ عهد الأئمة المستورين، وهو مهديهم المنتظر.

انظر: مقالات الإسلاميين (٨٩/١)، الملل والنحل (١٨٩/١)، التعريفات (ص٥٣).

(٣) انظر: التذكرة (ص٥١٥)، النهاية (٤٠/١)، عقيدة أهل السنة والأثر في المهدي (ص١٥٥).

قال الحافظ أبو الحسن الآبري[1] – رحمه الله –: "قد تواترت الأخبار واستفاضت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بذكر المهدي، وأنه من أهل بيته، وأنه يملك سبع سنين، وأنه يملأ الأرض عدلاً، وأن عيسى عليه السلام يخرج فيساعده على قتل الدجال، وأنه يؤم هذه الأمة، ويصلي عيسى خلفه"[2].

وقال محمد البرزنجي[3] – رحمه الله –: "قد علمت أن أحاديث وجود المهدي وخروجه آخر الزمان وأنه من عترة رسول الله صلى الله عليه وسلم من ولد فاطمة بلغت حد التواتر المعنوي فلا معنى لإنكارها"[4].

وأما ما ذكره الشيخ مرعي من أن المهدي من أشراط الساعة الكبرى ، قول لبعض أهل العلم ، والصحيح – واللّه أعلم - أن المهدي من أشراط الساعة الصغرى، لأنه من الآيات التي تقع خلال الآيات الكبرى، وأشراط الساعة الكبرى عشرة، وهي التي بينها النبي صلى الله عليه وسلم في حديث حذيفة بن أسيد - رضي الله عنه - [5][6].

---

(١) هو أبو الحسن محمد بن الحسين بن إبراهيم بن عاصم الآبري، له مصنفات منها: مناقب الشافعي، توفي سـنة ٣٦٣هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء (٢٩٩/١٦)، الأعلام (٩٨/٦).

(٢) انظر: ذيب الكمال (١١٩٤/٣).

(٣) هو محمد بن عبد الرسول بن عبد السيد الحسيني البرزنجي، له مصنفات منها: النواقض للروافض، الصافي عن الكدر في أحاديث القضاء والقدر، توفي سنة ١١٠٣هـ.
انظر: الأعلام (٢٠٣/٦).

(٤) الإشاعة (ص٢٣٦).

(٥) سبق تخريجه (ص٣٤٠).

(٦) انظر: التذكرة (ص٥٤٣)، النهاية (٦٨/١)، المنهاج شرح صـحيح مسـلم (٢٣٤/١٨)، وفـتح البـاري (٧٧/١٣)، وللاستزادة: انظر: الفتن والمحن بين يدي الساعة (ص٣١٣).

٤ – المسيح الدجال:

بين الشيخ مرعي معنى الدجال فقال: "الدجال: مأخوذ من الدجل وهو التغطية، وسمي الكذاب دجالاً لأنه يغطي الحق بباطله.

فقال ابن دريد[(١)]: سمي دجالاً لأنه يغطي الحق بالباطل"[(٢)].

وقد أورد بعض الأحاديث الدالة على فتنة المسيح الدجال فقال: "عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"ما من** نبي **إلا وقد أنذر قومه الأعور الكذاب... الحديث"**[(٣)]، وعن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"ما بعث الله من** نبي **إلا أنذر قومه الأعور الكذاب، إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور مكتوب** بين **عينيه كافر"**[(٤)] وفي مسلم **"الدجال** ممسوح **العين مكتوب** بين **عينيه ك ف ر يقرأه كل مسلم"**[(٥)]... وفي مسلم من حديث تميم الداري في صفة الدجال حين رآه بالدير: "فإذا رجل أعظم إنسان رأينا قط خلقاً وأشده وثاقاً مجموعة يداه إلى عنقه وما بين ركبتيه إلى كفيه بالحديد"[(٦)]... قلت: وبالجملة فالأحاديث والأخبار في ذلك كثيرة"[(٧)].

ثم رجح الشيخ مرعي أن ابن صياد[(٨)] هو الدجال، وهو الذي رآه تميم الداري في

---

(١) محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، من أئمة اللغة والأدب، له تصانيف منها: المقصورة الدريدية، الاشتقاق، توفي سنة ٣٢١هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء (٩٦/١٥)، والأعلام (٨٠/٦).

(٢) بهجة الناظرين وآيات المستدلين (ص٥١٠).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الفتن – باب ذكر الدجال، (ح٢٩٣٣)، (ص١١٨٦).

(٤) سبق تخريجه (ص١٧٤).

(٥) سبق تخريجه، انظر: حاشية (٣) من نفس الصفحة.

(٦) قطعة من حديث تميم الداري الطويل:
أخرجه مسلم في كتاب الفتن – باب قصة الجساسة، (ح٢٩٤٢)، (ص١١٨٨).

(٧) بهجة الناظرين وآيات المستدلين (ص٥١١).

(٨) واسمه صاف، وأصله من اليهود، كان صغيراً عند قدوم النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، وكان شبيهاً بالدجال في كثير من صفاته، وكان النبي صلى الله عليه وسلم متوقفاً في أمره، لأنه لم يوح إليه بأنه الدجال أو غيره، وإنما أوحي إليه بصفات الدجال،حتى تبين له فيما بعد أنه ليس هو الدجال، وكان بعض الصحابة يحلف أنه هو الدجال، انظر: النهاية (٨٢/١)، المنهاج شرح صحيح مسلم (٢٥٣/١٨).

حديث الجساسة فقال: "والذي اعتمده المحدثون بعد الخلاف الكبير أن الدجال هو ابن صياد اليهودي الذي رآه النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة ورآه تميم الداري مع الجساسة"[١]... ثم جمع بين كون ابن صياد هو الدجال، وهو من رآه تميم الداري في حديث الجساسة: "أن ابن صياد شيطان تبدى في صورة الدجال في تلك المدة إلى أن توجه إلى أصبهان فاستقر مع قرينه إلى الأجل المعلوم والله سبحانه وتعالى أعلم"[٢].

ثم بين بعض الخوارق التي تظهر على يد الدجال فقال: "وقد ورد أنه إذا خرج يكون معه صورة جنة ونار، ويكون ذلك على طريق التخييل لا الحقيقة، ومن أدخله جنته كانت عليه ناراً ومن أدخله ناره كانت عليه جنته، ويكون معه جبال من خبز[٣]... عن حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في الدجال: **"إن معه ناراً وماء فناره ماء وماؤه نار فلا لكوا"**[٤] وذكر الحافظ ابن حجر سير الدجال في الأرض ومجيئه دمشق عند با ا الشرقي وأمره السحاب بالمطر فيمطر والنهر أن يسيل فيسيل وأن يرجع فيرجع وأن ييبس فييبس[٥]... وقد ثبت أن الله تعالى لا يسلط الدجال بالقتل على أحد إلا على رجل واحد واحد يخرج إليه ذلك الرجل وهو شاب حسن فيقول له الدجال: أتؤمن بي وبألوهيتي؟ فيقول له: إنك اللعين الكذاب أو الدجال فيقتله ويشقه نصفين ويمشي الدجال بحماره بين الشقين ويقول له: قم حياً بإذني فيعود حياً ثم يقول له بعد ذلك: أتؤمن بي؟ فيقول: ما ازددت فيك إلا يقيناً أنك اللعين الدجال"[٦][٧].

---

(١) جة الناظرين وآيات المستدلين (ص٥١٣).

(٢) المصدر السابق (ص٥١٣).

(٣) ما ورد أنه معه جبل من خبز أخرجه البخاري في كتاب الفتن - باب ذكر الدجال (ح٧١٢٢)، (ص٥٩٤).

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الفتن – باب ذكر الدجال، (ح٢٩٣٤)، (ص١١٨٦).

(٥) فتح الباري (٩٨/١٣).

(٦) أخرجه البخاري في كتاب الفتن – باب لا يدخل الدجال المدينة، (ح٧١٣٢)، (ص٥٩٤)، وأخرجه مسـلم في كتاب الفتن – باب صفة الدجال وقتله المؤمن وإحياءه، (ح٢٩٣٨)، (ص١١٨٦).

(٧) جة الناظرين وآيات المستدلين (ص٥١٧).

ثم أورد بعض الأدلة أنه يدخل كل بلد إلا مكة والمدينة، وأن مدة مكثه في الأرض أربعين يوماً فقال: "عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"ليس من بلد إلا**

سيطأه الدجال إلا مكة والمدينة وليس نقب من أنقا ا إلا عليه الملائكة صافين تحرسهما فينـزل بالسبخة[١] **فترجف المدينة ثلاث رجفات يخرج إليه منها كل كافر وكل منافق"**[٢]... وعن النواس بن سمعان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"أن لبث الدجال في الأرض أربعون يوماً يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم"**. قلنا يا رسول الله أفي ذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: **"لا اقدروا له... الحديث"**[٣]"[٤].

ثم ختم الكلام عن الدجال بأن قتله يكون على يد عيسى عليه السلام فقال: "ويكون نزوله – يعني نزول عيسى من السماء – عند المنارة البيضاء[٥] والناس يريدون صلاة الصبح ثم بعد الصلاة يتبعونه وقد فر ومن معه هاربين فيدركونه فيقتله عيسى بيده بحربته بباب لد[٦] الشرقي"[٧].

دراسـة رأيه:

خروج الدجال من أشراط الساعة الكبرى بدلالة السنة المتواترة[٨].

والدجال: المموه الكذاب، وإذا أطلق انصرف إلى المسيح الأعور[٩].

---

(١) السبخة: الأرض التي تعلوها الملوحة ولا تكاد تنبت إلا بعض الشجر، وهذه الصفة خارج المدينة مـن غـير جهة الحرة، تلي المدينة من جهة الشام على ميل، وقيل ثلاثـة أميـال. انظـر: النهايـة (٣٣٣/٢)، وفـتح الباري (١٠٩/١٣).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الفتن – باب قصة الجساسة، (ح٢٩٤٣)، (ص١١٨٩).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الفتن – باب ذكر الدجال، (ح٢٩٣٧)، (ص١١٨٦).

(٤) جة الناظرين وآيات المستدلين (ص٥١٨).

(٥) شرقي دمشق، شرق الجامع الأموي، انظر: النهاية (١٤٩/١).

(٦) لُد: بضم اللام وتشديد الدال، تقع قرب بيت المقدس،جنوبي شرقي يافا، وتبلغ مساحتها١٦كيلاً، بلغ عـدد سكا ا سنة ١٩٤٦هـ (١٨٢٥٠)نسمه ولم يبق من العرب في اللد سنة ١٩٤٨هـ سوى (١٠٥٢)نسـمه وذلك عندما احتلها اليهود، انظر : معجم البلدان (١٧/٥)، معجم بلدان فلسطين (ص٦٣٧) .

(٧) جة الناظرين وآيات المستدلين (ص٥١٧).

(٨) انظر: التذكرة (ص٥٤٨)، النهاية (١٠٢/١)، الإشاعة (ص٢٥٦)، إتحاف الجماعة (٣٢٢/٢)، قصة المسيح للألباني.

(٩) انظر: التذكرة (ص٥٤٧).

وما ذكره الشيخ مرعي من علامات الدجال وأحوال فتنته وارد في **عدة أحاديث ذكر بعضاً منها الشيخ مرعي ومنها:**

حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه حيث قال: ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع، حتى ظنناه في طائفة النخل، فلما رحنا إليه عرف ذلك في وجوهنا فسألناه، فقلنا: يا رسول الله ذكرت الدجال الغداة فخفضت فيه ورفعت حتى ظنناه في طائفة النخل، قال: **"غير الدجال أخوف** مني **عليكم، فإن** يخرج **وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم، وإن** يخرج **ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه والله خليفتي على كل مسلم، إنه شاب جعدٌ قططٌ عينه طافية، وإنه** يخرج **خلّة** بين **الشام والعراق، فعاث** يميناً **وشمالاً يا عباد الله اثبتوا"** قلنا يا رسول الله ما لبثه في الأرض؟ قال: **"أربعون يوماً: يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم"** قلنا: يا رسول الله فذلك اليوم الذي هو كسنة أيكفينا فيه صلاة يوم وليلة؟ قال: **"لا، اقدروا له قدره"** قلنا: يا رسول الله فما إسراعه في الأرض؟ قال: **"كالغيث استدبرته الريح، قال: فيمر بالحي فيدعوهم فيستجيبون له، فيأمر السماء فتمطر، والأرض فتنبت وتروح عليهم سارحتهم وهي أطول ما كانت ذُرى وأمده خواصر وأسبغه ضروعاً، ويمر بالحي فيدعوهم، فيردوا عليه قوله، فتتبعه أموالهم فيصبحون ممحلين ليس لهم من أموالهم شيء، ويمر بالخربة فيقول لها: أخرجي كنوزك فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل، قال: ويأمر برجل فيقتل، فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض، ثم يدعوه فيقبل إليه يتهلل وجهه، قال: فبينا هو على ذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم، فينـزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، بين مهدودتين، واضعاً على يديه أجنحة ملكين، فيتبعه فيدركه فيقتله عند باب لد الشرقي"**(١).

وقوله بأنه يدخل كل بلد إلا مكة والمدينة، هو مذهب الجمهور إلا من شذ.

قال ابن حجر – رحمه الله –: "قوله: **"ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة"** هو على ظاهره وعمومه عند الجمهور، وشذ ابن حزم فقال: المراد ألا يدخله

---

(١) أخرجه مسلم كتاب الفتن – باب ذكر الدجال (ح٢٩٣٧)، (ص١١٨٦).

بعثه وجنوده، وكأنه استبعد إمكان دخول الدجال جميع البلاد لقصر مدته، وغفل عما ثبت في صحيح مسلم أن بعض أيامه يكون قدر السنة"[1].

وأما ما رجحه الشيخ مرعي من أن ابن صياد هو الدجال وأنه شيطان تبدى في صورة الدجال ثم استقر مع قرينه إلى الأجل المعلوم جمع لا دليل عليه، وقد نقله عن ابن حجر ولكنه لم يشر إلى ذلك[2].

والقول بأن ابن صياد هو الدجال قول لبعض أهل العلم[3].

ولكن الذي عليه المحققون من أهل العلم أن الدجال الذي يخرج آخر الزمان هو المذكور في حديث فاطمة بنت قيس التي روته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تميم الداري في قصة الجساسة.

قال ابن كثير – رحمه الله –: "والمقصود أن ابن صياد ليس بالدجال الذي يخرج في آخر الزمان قطعاً وذلك لحديث فاطمة بنت قيس الفهرية فإنه فيصل في هذا المقام... وسنورد من الأحاديث ما يدل على أنه ليس بابن صياد والله تعالى أعلم وأحكم"[4].

وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – أن أمر ابن صياد قد أشكل على بعض الصحابة، فظنوه الدجال، وتوقف فيه النبي صلى الله عليه وسلم حتى تبين له فيما بعد أنه ليس هو الدجال، وإنما هو من جنس الكهان أصحاب الأحوال الشيطانية، ولذلك كان يذهب ليختبره[5].

وقال السفاريني – رحمه الله –: "والحاصل أن كون الدجال هو ابن صياد بعيد بل ضعيف"[6].

---

(١) فتح الباري (١١٥/٤).

(٢) انظر: فتح الباري (٣٤٠/١٣).

(٣) انظر: التذكرة (ص٥٨٠)، المنهاج شرح صحيح مسلم (٢٥٣/١٨)، نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار (٢٣٠/٧).

(٤) النهاية (٨٦/١، ٩٣).

(٥) انظر: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (ص١١٠).

(٦) لوامع الأنوار (١٠٨/٢).

وما قرره الشيخ مرعي من خروج الدجال آخر الزمان، وما يحدث على يديه من إحياء الميت، وجنته وناره، وأمره السماء أن تمطر، والأرض أن تنبت، موافق لما قرره أهل العلم – رحمهم الله –.

قال القاضي عياض – رحمه الله –: "هذه الأحاديث التي ذكرها مسلم وغيره في قصة الدجال حجة لمذهب أهل الحق في صحة وجوده، وأنه شخص بعينه، ابتلى الله به عباده وأقدره على أشياء من مقدورات الله تعالى؛ من إحياء الميت الذي يقتله، ومن ظهور زهرة الدنيا والخصب معه، وجنته وناره، و ـريه، واتباع كنوز الأرض له، وأمره السماء أن تمطر فتمطر، والأرض أن تنبت فتنبت، فيقع كل ذلك بقدرة الله تعالى ومشيئته، ثم يعجزه الله تعالى بعد ذلك، فلا يقدر على قتل ذلك الرجل ولا غيره، وُيبطل أمره، ويقتله عيسى صلى الله عليه وسلم ويثبت الله الذين آمنوا.

هذا مذهب أهل السنة وجميع المحدثين والفقهاء"[1].

وقال الحافظ ابن كثير – رحمه الله –: "إن الدجال يمتحن الله به عباده بما يخلقه معه من الخوارق المشاهدة في زمانه... يأمر السماء فتمطرهم، والأرض فتنبت لهم زرعاً تأكل منه أنعامهم وأنفسهم، وترجع إليهم مواشيهم سماناً لبناً، ومن لا يستجيب له، ويرد عليه أمره؛ تصيبهم السنة والجدب والقحط والقلة وموت الأنعام ونقص الأموال والأنفس والثمرات، وأنه يتبعه كنوز كيعاسب النحل[2]، ويقتل ذلك الشاب ثم يحييه، ... وله حقيقة امتحن الله ـا عباده في آخر الزمان، فيضل به كثيراً، ويهدي به كثيراً؛ يكفر المرتابون، ويزداد الذين آمنوا إيماناً"[3].

---

(١) إكمال المعلم (٦ / ٤٧٤ – ٤٧٥) .

(٢) ذكور النحل، وقيل المراد: جماعة النحل لا ذكورها خاصة لكنه كنى عن الجماعة باليعسوب، وهو أميرهـا، لأنه متى طار تبعه جماعته، انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم (٢٧٠/١٨).

(٣) النهاية (١٢٧/١).

٥ - نزول عيسى عليه السلام:

قرر الشيخ مرعي نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان وأنه ثابت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة فقال: "نزول عيسى عليه السلام ثابت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة، أما الكتاب فقوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ﴾[١]، أي ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى وذلك عند نزوله من السماء آخر الزمان حتى تكون الملة واحدة ملة إبراهيم حنيفاً... وأما السنة فلا نزاع فيها وقد وردت بذلك روايات عديدة في البخاري ومسلم وغيرهما، وأما الإجماع فقد أجمعت الأمة على نزوله، ولم يخالف فيه أحد من أهل الشريعة، وأجمعوا على أنه متبع لهذه الشريعة المحمدية وليس بصاحب شريعة مستقلة عند نزوله من السماء"[٢].

ثم استدل ببعض الأحاديث التي تبين أن عيسى عليه السلام ينـزل على المنارة البيضاء شرقي دمشق، وأنه ينـزل حكماً عدلاً، فيكسر الصليب[٣]، ويقتل الخنـزير[٤]، ويضع الجزية[٥]، فقال: "عن أبي هريرة مرفوعاً **"لينـزلن ابن مريم حكماً عدلاً فليكسرن الصليب وليقتلن الخنـزير وليضعن الجزية وليتركن القلاص[٦] فلا يسعى عليها وليذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد وليدعون إلى المال فلا يقبله أحد"[٧]. "وأنه ينـزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق واضعاً كفه على أجنحة ملكين فلا يحل لكافر**

---

(١) سورة النساء، الآية: (١٥٩).

(٢) جة الناظرين وآيات المستدلين (ص٥٢٧)، وانظر : إرشاد ذوي الأفهام لـ ول عيسى عليه السلام ،مخطـوط (٢ / ب) .

(٣) يكسر الصليب: أي يبطل دين النصرانية ويكسر الصليب حقيقة ويبطل ما تزعمه النصارى من تعظيمه، فـتح الباري (٥٦٧/٦).

(٤) يقتل الخنـزير: يستفاد منه تحريم الخنـزير وتحريم أكله وأنه نجس، فتح الباري (٥٦٧/٦).

(٥) يضع الجزية: أي أن الدين يصير واحداً فلا يبقى أحد من أهل الذمة يؤدي الجزية، فتح الباري (٥٦٧/٦).

(٦) القلاص: جمع قلوص وهي الناقة الشابة، النهاية (١٠٠/٤).

(٧) أخرجه البخاري كتاب الأنبياء – باب نزول عيسى عليه السلام، (ح٣٤٤٨)، (ص٢٨١)، وأخرجه مسـلم كتاب الإيمان – باب نزول عيسى عليه السلام، (ح٢٤٣)، (ص٧٠٤).

يجد ريح نفسه إلا مات ونفسه حيث ينتهي طرفه"[1]"[2].

دراســة رأيه:

نزول عيسى عليه السلام من أشراط الساعة الكبرى بدلالة الكتاب والسنة[3]**، كما كما** بين **ذلك الشيخ مرعي.**

قال تعالى: ﴿ وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦۖ ﴾[4].

وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَعِلۡمٌ لِّلسَّاعَةِ ﴾[5].

وهذه الآيات دلالة على نزول عيسى - عليه السلام -[6].

وقد تواترت الأحاديث بنــزوله آخر الزمان[7]، ومنها حديث حذيفة بن أسيد رضي الله عنه وفيه: **"لا تقوم الساعة** حتى **ترون عشر آيات..."** وذكر منها: **"نزول عيسى عليه السلام"**[8].

وما ذكره الشيخ مرعي من أنه ينــزل على المنارة البيضاء شرقي دمشق فصحيح.

قال ابن كثير – رحمه الله –: "الأشهر في موضع نزوله أنه على المنارة البيضاء الشرقية بدمشق... وليس بدمشق منارة تعرف بالشرقية سوى التي شرق الجامع الأموي، وهذا هو الأنسب والأليق؛ لأنه ينــزل وقد أقيمت الصلاة"[9].

---

(١) قطعة من حديث النواس بن سمعان الطويل، تقدم تخريجه (ص٣٥٥).

(٢) جة الناظرين وآيات المستدلين (ص٥٢٩).

(٣) انظر: التذكرة (ص٥٦٨)، النهاية (١٤١/١)، التصريح بما تواتر من نزول المسيح ، فصل المقــال في رفــع عيسى حياً ونزوله وقتله الدجال .

(٤) سورة النساء، الآية: (١٥٩).

(٥) سورة الزخرف، الآية: (٦١).

(٦) انظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن (٣٥٦/٤، ٢٠٤/١١)، معالم التنــزيل (١٣/٦، ٩١/١٦).

(٧) انظر: تفسير القرآن العظيم (٦٣٧/١)، فتح الباري (٥٦٦/٦)، التصريح بما تواتر من نزول المسيح.

(٨) تقدم تخريجه (ص٣٤٠).

(٩) انظر: النهاية (١٤٩/١)، الإشاعة (ص٣٠١).

ومما يقرر ما سبق ما أورده أهل السنة والجماعة - رحمهم الله - في إثبات نزول عيسى عليه السلام آخر الزمان.

قال الإمام ابن بطة[1] – رحمه الله – حاكياً مذهب أهل السنة في نزول عيسى ابن مريم مريم - عليه السلام - آخر الزمان: "ثم الإيمان بأن عيسى ابن مريم عليه السلام ينـزل من السماء إلى الأرض فيكسر الصليب ويقتل الخنـزير وتكون الدعوة واحدة"[2].

وقال ابن أبي العز – رحمه الله –: "ونؤمن بأشراط الساعة: من... نزول عيسى ابن مريم عليه السلام من السماء"[3].

---

(١) هو أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العكبري الحنبلي، المعروف بابن بطـة، أحـد علمـاء الحنابلة، كان إماماً في السنة والفقه، له مصنفات منها: الإبانة الصغرى، الإبانة الكبرى، توفي سنة ٣٨٧هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء (٥٢٩/١٦)، وشذرات الذهب (١٢٢/٢).

(٢) الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة (ص٢٤١).

(٣) شرح العقيدة الطحاوية (٧٥٤/٢).

٦ - خروج يأجوج ومأجوج:

قرر الشيخ مرعي خروج يأجوج ومأجوج آخر الزمان وأنه ثابت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة فقال: "خروج يأجوج ومأجوج ثابت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة أما الكتاب فقوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ... ﴾ الآية[(١)]، وأما السنة ففي حديث مسلم من حديث النواس بن سمعان مرفوعاً: "**إن الله تعالى يوحي إلى عيسى عليه السلام بعد قتل الدجال أني قد أخرجت عباداً لا يدان لأحد بقتالهم فحرز عبادي إلى الطور، ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية[(٢)] فيشربون ما فيها ويمر آخرهم فيقولون لقد كان بهذه ماء ويحصرون عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدكم اليوم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله تعالى فيرسل الله عليهم النغف[(٣)] في رقابهم فيصبحون فرسى[(٤)] كموت نفس واحدة ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم[(٥)] ونتنهم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله عز وجل فيرسل عليهم طيراً كأعناق البخت[(٦)] فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله ثم يرسل الله مطراً لا يكن منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة[(٧)] ثم يقال للأرض أنبتي ثمرك وردي بركتك فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها**"[(٨)]"[(٩)].

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: (٩٦).

(٢) طبرية: بحيرة تقع في الأردن، وتحيط بها الجبال، ويصب فيها فضلات أنهر كثيرة، معجم البلدان (٣٥٢/١).

(٣) النَغَف: بالتحريك، دود يكون في أنوف الإبل والغنم، واحدها نغفة، النهاية (٨٧/٥).

(٤) فرسى: أي قتلى، النهاية (٤٢٨/٣).

(٥) الزهم: بالضم: الريح المنتنة، أراد أن الأرض تنتن من جيفهم، النهاية (٣٢٣/٢).

(٦) البخت: هي جمال طوال الأعناق، واحدها بختية، النهاية (١٠١/١).

(٧) الزلفة: بالتحريك: هي المرآة، شبهها بها لاستوائها ونظافتها، النهاية (٣٠٩/٢).

(٨) تقدم تخريجه (ص٣٥٥).

(٩) بهجة الناظرين وآيات المستدلين (ص٥٣٧).

ثم بين كثر م فقال: "وأما كثرة يأجوج ومأجوج فلا يعلمها إلا الله، روى ابن مردويه والحاكم من حديث حذيفة مرفوعاً: "**يأجوج ومأجوج أمتان كل أمة أربعمائة ألف رجل لا يموت أحدهم حتى ينظر إلى ألف رجل من صلبه كلهم قد حمل السلاح... الحديث**"[(١)].

وأخرج ابن حبان[(٢)] صحيحاً من حديث ابن مسعود يرفعه: "**إن يأجوج ومأجوج أقل أقل ما يترك أحدهم لصلبه ألفاً من الولد**"[(٣)]"[(٤)].

ثم ذكر أوصافهم فقال: "وأما صفتهم فورد أن منهم من يفترش أذنه طوله وعرضه سواء، ومنهم من هو كالأرزة الطويلة، ومنهم من له أربعة أعين عينان في رأسه وعينان في صدره، ومنهم من له رجل واحدة، ومنهم من هو ملبس شعراً كالبهائم، ومنهم من لا يشرب غير الدم شيئاً"[(٥)].

دراسـة رأيه:

خروج يأجوج ومأجوج من أشراط الساعة الكبرى بدلالة الكتاب والسنة[(٦)]، كما بين ذلك الشيخ مرعي.

يأجوج ومأجوج: يهمزان ولا يهمزان لغتان وقرئ ما، فمن همزهما جعلها من أجيج النار وهو ضوءها وحرار ا، وسموا بذلك لكثر م وشد م، وقيل من الأجاج وهو الماء الشديد الملوحة، وقيل هما اسمان أعجميان غير مشتقين.

---

(١) أخرجه ابن عدي في الكامل (٢١٧٧/٦) وقال: الحديث موضوع، وابن الجوزي في الموضوعات (٢٠٦/١)، وابن أبي حاتم وابن مردويه وابن عساكر وابن النجار كما في الدر (٤٥٧/٥)، والحديث ذكره ابن حجـر في الفتح (١١٤/١٣)، وذكر أقوال الحفاظ فيه وأنه حديث لا يصح ثم قال: "قلت لكن لبعضه شاهد صـحيح أخرجه ابن حبان من حديث ابن مسعود...". وهو الحديث الآتي.

(٢) هو محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ أبو حاتم البستي، من كبار المحدثين والمتكلمين في الرجال، لـه مصنفات منها: تاريخ الثقات، مناقب مالك، توفي سنة ٣٥٤هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء (٩٢/١٦).

(٣) انظر: الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٢٤٠/١٥)، رقم (٦٨٢٨)، وضعفه المحقق شعيب الأرنؤوط.

(٤) جة الناظرين وآيات المستدلين (ص٥٤٢).

(٥) المصدر السابق (ص٥٤٤).

(٦) انظر: التذكرة (ص٥٧٢)، النهاية (١٥٠/١)..

وأصل يأجوج ومأجوج من البشر، من ذرية آدم وحواء عليهما السلام[1].

وما ذكره الشيخ في كثر م وأوصافهم وأحوالهم مروي في عدة أحاديث وآثار، بعضها ضعيفة لا تقوم ا حجة أنكرها الحافظ ابن كثير – رحمه الله –[2].

وما ذكره من أن "أحدهم يفترش أذنه وله أربعة أعين" وغيرها فإنه لم يرد به دليل صحيح، بل الأدلة على أ م من ذرية آدم، وعلى أشكالهم وصورهم وخلقهم[3].

قال ابن كثير – رحمه الله –: "يأجوج ومأجوج طائفتان من الترك من ذرية آدم عليه السلام كما ثبت في الصحيح... وهم يشبهون الناس كأبناء جنسهم من الأتراك المخرومة عيو م الزلف أنوفهم الصهب شعورهم على أشكالهم وألوا م، ومن زعم أن منهم الطويل الذي كالنخلة السحوق أو أطول، ومنهم القصير الذي هو كالشيء الحقير، ومنهم من له أذنان يتغطى بإحداهما ويتوطى بالأخرى، فقد تكلف ما لا علم له به وقال ما لا دليل عليه"[4].

---

(١) انظر: لوامع الأنوار البهية (١١٤/٢).

(٢) النهاية (١٥٦/١).

(٣) انظر: النهاية (١٥٦/١)، فتح الباري (١١١/١٣).

(٤) النهاية (١٥٦/١).

٧ - ظهور الدخان:

قرر الشيخ مرعي ظهور الدخان آخر الزمان، مستدلاً على ذلك بالسنة، أما قوله تعالى: ﴿ فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ﴾[(١)] فقد ذكر فيها قولين للعلماء ورجح قول ابن مسعود –رضي الله عنه – أن المذكور في الآية هو دخان الجوع الذي حال بين أبصار قريش وبين السماء فقال: "قال الله تعالى: ﴿ فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ﴾.

قال ابن عباس وابن عمر ... : هو دخان قبل قيام الساعة يدخل في أسـماع الكـفار والمنافقين ويعتري المؤمنين منه كهيئة الزكام وتكون الأرض كلها كبيت أوقد فيه، ولم يأت بعد وهو آت[(٢)]... وقيل: المرد بالدخان المذكور في الآية دخان الجوع الذي حال بين أبصار قريش وبين السماء، ففي الصحيح قـال مسـروق[(٣)]: كنا عند ابن مسعود جلوساً وهو مضطجع بيننا فقال رجل: يا أبا عبد الرحمن إن قاصاً عند أبواب كندة يقول في قوله تعالى: ﴿ فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ﴾ أنه دخان يأتي قبل يوم القيامة يأخذ بأنفاس الكفار والمنافقين وأسماعهم وأبصارهم ويأخذ المؤمنين منه مثل الزكام، فجلس ابن مسعود وهو غضبان فقال: أيها الناس اتقوا الله، من عَلم شيئاً فليقل بما يعلم ومن لا يعلم فليقل الله أعلم فإن الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿ قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُتَكَلِّفِينَ ﴾[(٤)] وسأحدثكم عن ذلك: إن قريشاً لما أبطأت عن الإسلام ودعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: **"اللهم سبع سنين كسنين يوسف عليه السلام"** فأصا م من الجهد والجوع ما أكلوا به العظام

---

(١) سورة الدخان، الآية: (١٠).

(٢) انظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن (٢٢٥/١١)، فقد ذكر أقوال السلف في هذه الآية.

(٣) هو أبو عائشة مسروق بن الأجدع بن مالك بن أمية الوادعي الهمداني ، من كبار التابعين ، قال يحيى بن معين : مسروق ثقة ، لا يسأل عن مثله ، توفي سنة ٦٣ هـ .
انظر : الجرح والتعديل (٨ / ٣٩٦) ، تذكرة الحفاظ (١ / ٤٩) .

(٤) سورة ص، الآية: (٨٦).

والميتة من الجلود يرفعون أبصارهم إلى السماء فلا يرون إلا الدخان من ظلمة أبصارهم من شدة الجوع فأتاه أبو سفيان بن حرب فقال: يا محمد إنك جئت تأمر بالطاعة وصلة الرحم وإن قومك قد هلكوا فادع الله لهم فإ م لك مطيعون، قال الله تعالى: ﴿ رَّبَّنَا ٱكۡشِفۡ عَنَّا ٱلۡعَذَابَ إِنَّا مُؤۡمِنُونَ ﴾[1] فدعا فكشف فقال تعالى: ﴿ إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلۡعَذَابِ قَلِيلاًۚ إِنَّكُمۡ عَآئِدُونَ ﴾[2] أي إلى كفركم[3].

قلت: كلام ابن مسعود موافق لظاهر الآية فلا دليل فيها للجمهور، وإنما الدليل السنة ولعلها لم تبلغ ابن مسعود حيث أنكر ذلك، ففي مسلم من حديث حذيفة بن أُسيد الغفاري قال طلع علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نتذاكر فقال: **"ما تتذاكرون؟"** قالوا: نتذاكر الساعة. فقال: **"إ ا لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات فذكر الدجال والدخان والدابة وطلوع الشمس من مغر ا ونزول عيسى بن مريم ويأجوج ومأجوج وثلاث خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطر الناس إلى محشرهم"**[4] قال في التذكرة: قد روى عن ابن مسعود أ ما دخانان"[5][6].

دراســة رأيه:

ظهور الدخان في آخر الزمان من علامات الساعة الكبرى التي دل عليها الكتاب والسنة[7].

(١) سورة الدخان، الآية: (١٢).
(٢) سورة الدخان، الآية: (١٥).
(٣) أخرجه البخاري في كتاب التفسير – باب قوله تعالى: ﴿ رَّبَّنَا ٱكۡشِفۡ عَنَّا ٱلۡعَذَابَ إِنَّا مُؤۡمِنُونَ ﴾، (ح٤٨٢٢)، (ص٤١١).
(٤) سبق تخريجه (ص٣٤٠).
(٥) التذكرة (ص٥٤٥).
(٦) جة الناظرين وآيات المستدلين (ص٥٤٧).
(٧) انظر: النهاية (١٧٣/١)، لوامع الأنوار البهية (١٢٨/٢).

قال تعالى: ﴿ فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ١٠ يَغۡشَى ٱلنَّاسَۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾[1].

والمعنى على قول ابن عباس وبعض الصحابة والتابعين: انتظر يا محمد ؤلاء الكفار يوم تأتي السماء بدخان مبين واضح يغشى الناس ويعمهم، وعند ذلك يقال لهم: هذا عذاب أليم؛ تقريعاً لهم وتوبيخاً، أو يقول بعضهم لبعض ذلك[2].

وفي حديث حذيفة بن أسيد رضي الله عنه: **"لا تقوم الساعة حتى ترون عشر آيات..."** وذكر منها: **"الدخان"**[3].

وما رجحه الشيخ مرعي – رحمه الله - في الآية من أن الدخان قد مضى، هو قول ابن مسعود – رضي الله عنه – إلا أن بعض الصحابة خالفوا ابن مسعود وقرروا أن الآية تتكلم عن الدخان الخارج في آخر الزمان.

فعن عبد الله بن أبي مليكة[4] قال: غدوت على ابن عباس ذات يوم فقال: ما نمت الليلة الليلة حتى أصبحت، قلت: لم؟ قال: قالوا طلع الكوكب ذو الذنب فخشيت أن يكون الدخان قد طرق فما نمت حتى أصبحت[5].

قال ابن كثير بعد ذكره لأثر ابن عباس: "وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس حبر الأمة وترجمان القرآن، وهكذا قول من وافقه من الصحابة والتابعين أجمعين، مع الأحاديث المرفوعة من الصحاح والحسان وغيرها مما فيه مقنع ودلالة ظاهرة على أن الدخان من الآيات المنتظرة، مع أنه ظاهر القرآن قال الله تعالى: ﴿ فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ

---

(١) سورة الدخان، الآيتان: (١٠، ١١).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١١٣/١٦)، تفسير القرآن العظيم (١٤٥/٤).

(٣) سبق تخريجه (ص٣٤٠).

(٤) هو عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة زهير بن عبد الله بن جدعان التيمي المكي، كان قاضياً ومؤذناً لابن الزبير وهو ثقة كثير الحديث، توفي سنة ١١٧هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء (٨٨/٥)، وتقريب التهذيب (٥١١/١).

(٥) أخرجه ابن جرير الطبري (٢٢٧/١١).

مُّبِينٍ ﴾[1]، أي: بين واضح يراه كل أحد، على وما فسر به ابن مسعود – رضي الله عنه – إنما هو خيال رأوه في أعينهم من شدة الجوع والجهد، وهكذا قوله: ﴿ يَغۡشَى ٱلنَّاسَۖ ﴾، أي: يتغشاهم ويعمهم، ولو كان أمراً خيالياً يخص أهل مكة المشركين، لما قيل فيه: ﴿ يَغۡشَى ٱلنَّاسَۖ ﴾"[2].

على أن بعض العلماء ذهب إلى الجمع بين هذه الآثار بأ ما دخانان ظهر أحدهما وبقي الآخر، وهو الذي سيقع آخر الزمان.

قال القرطبي – رحمه الله –: "قد روي عن ابن مسعود أ ما دخانان"[3].

وقال ابن جرير – رحمه الله –: "وبعد، فإنه غير منكر أن يكون أحل بالكفار الذين توعدهم ذا الوعيد ما توعدهم، ويكون مُحِلاً فيما يستأنف بعد بآخرين دخاناً على ما جاءت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عندنا كذلك، لأن الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تظاهرت بأن ذلك كائن، فإنه قد كان ما روى عنه عبد الله بن مسعود، فكلا الخبرين اللذين رويا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صحيح"[4].

---

(١) سورة الدخان، الآية: (١٠).

(٢) تفسير القرآن العظيم (١٤٧/٤).

(٣) التذكرة (ص٥٤٥).

(٤) جامع البيان في تأويل آي القرآن (٢٢٨/١١).

٨ - خراب الكعبة:

قرر الشيخ مرعي أن خراب الكعبة من علامات الساعة الكبرى، مستدلاً على ذلك من السنة فقال: "ففي الصحيحين من مرفوع أبي هريرة: "**يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة ويسلبها حليها ويجردها من كسوتها فلكأني أنظر إلى أصيلع**[١] **يضرب عليها بمسحاته**[٢] **وبمعوله**[٣]"[٤] وفي البخاري: "**كأني أنظر إلى أسود أفحج**[٥] **يهدم الكعبة حجراً حجراً... الحديث**"[٦]"[٧].

ثم قال: "تخرج الحبشة وعليهم ذو السويقتين فيخربون مكة ويهدمون الكعبة ثم لا تعمر بعدها أبداً"[٨].

دراســة رأيه:

هدم الكعبة في آخر الزمان من علامات الساعة التي دلت عليها السنة[٩].

وقد ذكر الشيخ مرعي الأدلة في ذلك.

وقول الشيخ مرعي أن من علامات الساعة خراب الكعبة آخر الزمان على يد ذي السويقتين من الحبشة، وأنه ينقضها حجراً حجراً ويسلبها حليها، موافق للسنة ولمذهب السلف – رحمهم الله –.

---

(١) أصيلع: تصغير أصلع، وهو الذي انحسر الشعر عن رأسه، النهاية (٤٧/٣).

(٢) المسحاة: هي المجرفة من الحديد، النهاية (٤٢٨/٤).

(٣) المعول: الفأس العظيم الذي ينقر بها الصخر، النهاية (٣٤٤/٤).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الحج – باب قوله تعالى: ﴿ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلۡكَعۡبَةَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ...﴾، (ح١٥٩١)، (ص١٢٦)، وأخرجه مسلم في كتاب الفتن – باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت، (ح٢٩٠٩)، (ص١١٨٢).

(٥) أفحج: تباعد ما بين الفخذين، النهاية (٤١٥/٣).

(٦) أخرجه البخاري في كتاب الحج – باب قوله تعالى: ﴿ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلۡكَعۡبَةَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ...﴾، (ح١٥٩٥)، (ص١٢٦).

(٧) بهجة الناظرين وآيات المستدلين (ص٥٥١)، وتشويق الأنام في الحج إلى بيت الله الحرام. مخطوط (ب/٤٠).

(٨) المصدر السابق (ص٥٥١).

(٩) انظر: النهاية (١٥٨/١)، الإشاعة (ص٣٣٣)، لوامع الأنوار البهية (١٢٢/٢).

قال ابن كثير – رحمه الله –: "ثم يكون خراب الكعبة على يدي ذي السويقتين"[1].

وقال البرزنجي – رحمه الله –: "ومن الأشراط العظام هدم الكعبة وسلبها حليها وإخراج كنـزها"[2].

وقال السفاريني – رحمه الله –: "من العلامات العظمى هدم الكعبة المشرفة والقبلة المعظمة وسلب حلها وإخراج كنـزها"[3].

وأما ما ذكره الشيخ مرعي من أن هذه العلامة تُعد من أشراط الساعة الكبرى، قول لبعض أهل العلم ، والصحيح – واللّه أعلم - أ ا من أشراط الساعة الصغرى، لأن خراب الكعبة من العلامات التي تقع خلال وقوع الآيات الكبرى، وأشراط الساعة الكبرى عشرة، وهي التي بينها النبي صلى الله عليه وسلم في حديث حذيفة بن أسيد رضي الله عنه[4].[5]

---

(١) النهاية (١٥٨/١).

(٢) الإشاعة لأشراط الساعة (ص٣٣٣).

(٣) لوامع الأنوار البهية (١٢٢/٢).

(٤) سبق تخريجه (ص٣٤٠)

(٥) انظر: التذكرة (ص٥٤٣)، النهاية (٦٨/١)، المنهاج شرح صـحيح مسـلم (٢٣٤/١٨)، وفـتح البـاري (٧٧/١٣)، وللاستزادة: انظر: أشراط الساعة (ص٢٣١)، والفتن والمحن بين يدي الساعة (ص٣١٣).

٩ - رفع القرآن:

قرر الشيخ مرعي أن رفع القرآن من علامات الساعة الكبرى وأن القرآن يرفع من المصاحف والصدور فقال: "رفع القرآن من المصاحف ثم الصدور، وقرر الأئمة أنه يرفع أولاً من المصاحف وذلك أ م يبيتون فيصبحون وليس فيها حرف مكتوب، ثم يرفع من الصدور عقب ذلك لأعجل زمن حتى لا يكون منه شيء محفوظ حتى يقول الحافظ للآخر وقد سأله الآخر كنت أحفظ شيئاً ونسيته ولا أدري ما هو... وفي مرفوع حذيفة عند ابن ماجه: **"يدرس الإسلام حتى لا يدري ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة ويسري على كتاب الله تعالى في ليلة فلا يبقى في الأرض منه آية..."**[(١)]"[(٢)].

دراسـة رأيه:

رفع القرآن من علامات الساعة بدلالة السنة[(٣)].

وقد ذكر الشيخ مرعي الحديث في ذلك.

وقول الشيخ مرعي أن من علامات الساعة رفع القرآن آخر الزمان، موافق للسنة وهو قول أهل العلم – رحمهم الله –.

قال السفاريني – رحمه الله –: "من علامات الساعة وأشراطها رفع القرآن العظيم والذكر الحكيم من الصدور ومن السطور"[(٤)].

وأما ما ذكره الشيخ مرعي من أن هذه العلامة ُتعد من أشراط الساعة الكبرى، قول لبعض أهل العلم،والصحيح- واللهّ أعلم- أ ا من أشراط الساعة الصغرى، لأن رفع القرآن من العلامات التي تقع خلال وقوع الآيات الكبرى، وأشراط الساعة الكبرى عشرة، وهي التي بينها النبي صلى الله عليه وسلم في حديث حذيفة بن أسيد رضي الله عنه[(٥)].[(٦)]

---

(١) أخرجه ابن ماجه في كتاب الفتن – باب ذهاب القرآن والعلم، (ح٤٠٤٩)، (ص٢٧٢١)، والحاكم في المسـتدرك (٤٧٣/٤، ٥٤٥) وصححه ووافقه الذهبي، والحديث ذكره الألباني في السلسلة الصحيحة (١٧١/١)، رقم (٨٧).

(٢) جة الناظرين وآيات المستدلين (ص٥٥٢).

(٣) انظر: التذكرة (ص٥٤٢)، النهاية (٣٣/١)، لوامع الأنوار البهية (١٣١/٢).

(٤) لوامع الأنوار البهية (١٣١/٢).

(٥) سبق تخريجه (ص٣٤٠).

(٦) انظر: التذكرة (ص٥٤٢)، النهاية (٣٣/١)، المنهاج شرح صحيح مسـلم (٢٣٤/١٨)، شـرح العقيـدة الطحاوية (٧٥٤/٢)، فتح الباري (٧٧/١٣)، وللاستزادة: انظر: الفتن والمحن بين يدي الساعة (ص٣٣٨).

١٠ - النار التي تحشر الناس:

بين الشيخ مرعي مستدلاً بالأحاديث أن أهل الأرض يعودون كفاراً، ويعبدون اللات والعزى، فعند ذلك يُخرج الله لهم ناراً من قعر عدن تطردهم إلى محشرهم وعليهم تقوم الساعة فقال: "عن أنس مرفوعاً: "**لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله**"(١) ،

وعن عائشة مرفوعاً: "**لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى ويبعث الله ريحاً طيبة فتتوفى من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من خير فيبقى من لا خير فيه فيرجعون دين آبائهم**"(٢).

وفي مسلم: "**لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس**"(٣).

وفي البخاري: "**شرار الخلق من تدركهم الساعة**"(٤)...

وفي التذكرة: إذا أراد الله انقراض الدنيا وتمام لياليها وقربت النفخة خرجت نار من قعر عدن تسوق الناس إلى المحشر تبيت معهم وتقيل حتى يجتمع الخلق بالمحشر الإنس والجن والدواب"(٥).

دراســة رأيه:

خروج النار، هي آخر أشراط الساعة الكبرى، وأول الآيات المؤذنة بقيام الساعة، بدلالة السنة(٦).

جاء في حديث حذيفة بن أسيد رضي الله عنه: "**لا تقوم الساعة حتى ترون عشر آيات...**" وذكر منها: "**وآخر ذلك نار تخرج من اليمن، تطرد الناس إلى محشرهم**"(٧).

---

(١) أخرجه مسلم كتاب الإيمان – باب ذهاب الإيمان آخر الزمان، (ح٢٣٤)، (ص٧٠٢).

(٢) أخرجه مسلم كتاب الفتن – باب لا تقوم الساعة حتى تعبد دوس ذو الخلصة، (ح٢٩٠٧)، (ص١١٨٢).

(٣) أخرجه مسلم كتاب الفتن – باب قرب الساعة، (ح٢٩٤٩)، (ص١١٩٠).

(٤) أخرجه البخاري كتاب الفتن – باب ظهور الفتن، (ح٧٠٦٧)، (ص٥٩٠).

(٥) حجة الناظرين وآيات المستدلين (ص٥٥٣). وانظر: التذكرة (ص٥٨٤).

(٦) انظر: التذكرة (ص٥٨٤)، فتح الباري (٨٤/١٣)، الإشاعة (ص٣٧١).

(٧) سبق تخريجه (ص٣٤٠).

وما ذكره الشيخ مرعي من أن أهل الأرض يعودون كفاراً في آخر الزمان، فيخرج الله لهم ناراً من قعر عدن تطردهم إلى محشرهم، موافق للسنة ولمذهب السلف – رحمهم الله –.

قال ابن كثير – رحمه اللّه - : " النار تخرج من قعر عدن ، تحيط بالناس من ورائهم ، وتسوقهم من كل جانب ، إ لى أرض المحشر"(١) .

وقال السفاريني – رحمه اللّه – "وآخر الآيات العظام والعلامات الجسام، حشر النار للناس من المشرق إلى المغرب ... كما أتى ذلك مصرحاً به في محكم الأخبار ، وصحيح الآثار "(٢)

---

(١) النهاية (١ / ٢٢٥) .

(٢) لوامع الأنوار البهية (٢ / ١٤٩).

المبحث الثالث

آراؤه في الحيـاة الآخـرة

وفيه ستة مطالب :

المطلب الأول: الحشر والحساب والشفاعة .

المطلب الثاني: الميزان والصراط والحوض .

المطلب الثالث: الرؤية .

المطلب الرابع: أصحاب الأعراف .

المطلب الخامس: حكم أطفال المشركين في الآخرة .

المطلب السادس: الجنة والنار .

المطلب الأول

الحشر والحساب والشفاعة

الحشـر :

أولاً: معنى الحشر والأدلة عليه:

عرف الشيخ مرعي الحشر لغة وشرعاً وذكر أن الحشر يكون للأرواح والأبدان فقال: "الحشر لغة: الجمع، تقول حشرت الناس إذا جمعتهم، والمراد به في يوم القيامة جمع الأجزاء بعد التفرق مع إحياء الأبدان بعد مو ا، هذا هو مذهب الجمهور وهو أن المعاد للأرواح بأبدا ا"[(١)].

وقال: "قال الله تعالى: ﴿ وَحَشَرْنَـٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾[(٢)]، وقال: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۗ ﴾[(٣)]، وقال: ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴾[(٤)] أي زمراً.

والحاصل أن الله سبحانه يجمع في ذلك اليوم الأولين والآخرين حتى لا يدري الشخص أين يضع قدمه لشدة الزحام"[(٥)].

وقد استدل الشيخ بأحاديث كثيرة على الحشر وما يلقاه الناس في الموقف من الأهوال فقال: "وفي الصحيحين عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: ﴿ يَوْمَ يَقُومُ

---

(١) جة الناظرين وآيات المستدلين (ص٥٩٠).
(٢) سورة الكهف، الآية: (٤٧).
(٣) سورة النساء، الآية: (٨٧).
(٤) سورة النبأ، الآية: (١٨).
(٥) جة الناظرين وآيات المستدلين (ص٦٠٧).

ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَـٰلَمِينَ ﴾[1] قال: "**يقوم أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه**"[2].

وعند الشيخين مرفوعاً: "**يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين عاماً ويلجمهم حتى يبلغ آذا م**"[3].

وفي مسلم عن المقداد بن الأسود مرفوعاً: "**تدني الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق فمنهم من يكون إلى كعبيه، ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ومنهم من يكون إلى حقويه، ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً**"، وأشار رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده إلى فيه"[4]"[5].

---

(١) سورة المطففين، الآية: (٦).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق – باب قول الله تعالى: ﴿ أَلَا يَظُنُّ أُوْلَـٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ۝ لِيَوۡمٍ عَظِيمٍ ۝ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَـٰلَمِينَ ﴾، (ح٦٥٣١)، (ص٥٤٨)، ومسلم في كتاب صفة الجنة – باب في صفة يوم القيامة، (ح٢٨٦٢)، (ص١١٧٤).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق – باب قول الله تعالى: ﴿ أَلَا يَظُنُّ أُوْلَـٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ۝ لِيَوۡمٍ عَظِيمٍ ۝ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَـٰلَمِينَ ﴾، (ح٦٥٣٢)، (ص٥٤٨)، ومسلم في كتاب الجنة – باب في صفة يوم القيامة، (ح٢٨٦٣)، (ص١١٧٤).

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الجنة – باب في صفة يوم القيامة، (ح٢٨٦٤)، (ص١١٧٤).

(٥) جة الناظرين وآيات المستدلين (ص٥٩٠).

ثانياً: صفة أرض المحشر:

قال الشيخ مرعي: "واعلم أن موضع الحشر على الأرض بالكتاب والسنة، قال الله تعالى: ﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجۡرَةٞ وَٰحِدَةٞ ۝١٣ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴾[1] أي على ظهر الأرض والعرب تسمي الفلاة وظهر الأرض ساهرة لأن فيها نوم الحيوان وسهره... وأما السنة ففي مسلم عن سهل بن سعد مرفوعاً: "**يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرص النقي**[2] **ليس فيها علم لأحد**"[3] أي ليس فيها علامة سكن أو بناء أو أثر لأحد"[4].

---

(١) سورة النازعات، الآيتان: (١٣، ١٤).

(٢) أي الدقيق النقي من الغش، انظر: فتح الباري (٣٨٣/١١).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق – باب يقبض الله الأرض يوم القيامة، (ح٦٥٢١)، (ص٥٤٧)، ومسلم في كتاب صفات المنافقين – باب في البعث والنشور، (ح٢٧٩٠)، (ص١١٦٤).

(٤) بهجة الناظرين وآيات المستدلين (ص٥٩٠).

ثالثاً: صفة حشر العباد:

بين الشيخ مرعي أن الناس يحشرون يوم القيامة حفاة عراة غرلاً[1] فقال: "إن العبد يبعث على حالته عند خروجه من بطن أمه قال تعالى: ﴿ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ﴾[2] قال أكثر العلماء: كما بدأناكم في بطون أمهاتكم حفاة عراة غرلاً كذلك يوم القيامة نظيره قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾[3]، وفي مسلم عن عائشة قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "**يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً**" قلت: يا رسول الله الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض قال: "**يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض**"[4] والغرل جمع أغرل وهو الأقلف"[5].

ثم بين أن العبد يبعث على ما مات عليه، واستدل بأحاديث كثيرة فقال: "واعلم أن العبد يبعث على ما مات عليه ففي مسلم عن جابر مرفوعاً: "**يبعث كل عبد على ما مات عليه**"[6] وقال المفسرون في قوله تعالى: ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾[7] يبعث المؤمن مؤمناً والكافر كافراً[8]... وأخرج الشيخان عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل كيف يحشر الكافر على وجهه؟ قال: "**أليس الذي أمشاه على رجليه قادراً على أن**

---

(١) غرلاً: بضم المعجمة وسكون الراء، جمع أغرل وهو الأقلف، وهو من بقيت غرلته، وهي الجلدة التي يقطعها الخاتن من الذكر، النهاية (٣٦٢/٣)، فتح الباري (٣٩١/١١).

(٢) سورة الأنبياء، الآية: (١٠٤).

(٣) سورة الأنعام، الآية: (٩٤).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق – باب الحشر، (ح٦٥٢٧)، (ص٥٤٧)، ومسلم في كتاب الجنة – باب فناء الدنيا، وبيان الحشر يوم القيامة، (ح٢٨٥٩)، (ص١١٧٤).

(٥) بهجة الناظرين وآيات المستدلين (ص٥٩٢).

(٦) أخرجه مسلم في كتاب الفتن – باب الأمر بحسن الظن بالله عند الموت، (ح٢٨٧٨)، (ص١١٧٦).

(٧) سورة الأعراف، الآية: (٢٩).

(٨) انظر: تفسير القرآن العظيم (٢٣٣/٢).

يمشيه على وجهه يوم القيامة"[1]... وبالجملة فالأحاديث في هذا مما يطول ذكرها، ولاشك أن الناس مختلفون في حشرهم ويتنوعون أنواعاً كثيرة نسأل الله العافية"[2].

ثم أورد إشكالاً والجواب عنه فقال: "ورد في الحشر ما ظاهره التعارض منها قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ﴾[3]، وقال: ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ﴾[4]، وقال: ﴿ يَـٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ﴾[5] وقال: ﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ ﴾[6] وقال: ﴿ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴾[7] وقال: ﴿ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا ﴾[8].

والتعارف والسؤال تخاطب وهو مضاد للصم والبكم، والإسراع مخالف للحشر على الوجوه، والجواب: أن الناس ليسوا في ذلك اليوم على حالة واحدة كما مر فاختلفت الأخبار عنهم لاختلاف أحوالهم أو أن لهم في القيامة حالات شتى فتارة يكونون هكذا وتارة هكذا على حسب ما وردت به الأخبار فسبحان الله القادر على كل شيء"[9].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير – باب قوله ﴿ ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ﴾، (ح٤٧٦٠)، (ص٤٠٣).

(٢) جة الناظرين وآيات المستدلين (ص٦٠٤).

(٣) سورة يونس، الآية: (٤٥).

(٤) سورة الإسراء، الآية: (٩٧).

(٥) سورة يس، الآية: (٥٢).

(٦) سورة الأعراف، الآية: (٦).

(٧) سورة طه، الآية: (١٠٢).

(٨) سورة المعارج، الآية: (٤٣).

(٩) جة الناظرين وآيات المستدلين (ص٦٠٤)، وانظر: الإشكال الذي أورده الشيخ وجوابه في التذكرة للقرطبي (ص١٧٥).

دراســة رأيه:

الحشر لغة: قال ابن فارس: "الجمع مع سوق، وكل جمع حشر، والعرب تقول: حشرت السنة مال بني فلان، كأ ا جمعته وأتت عليه"[1].

والمراد به في **الشرع:** هو جمع الناس حفاة، عراة، غرلاً، على صعيد واحد للحساب والجزاء يوم القيامة[2].

والحشر ثابت بالكتاب والسنة والإجماع[3].

فمن الكتاب:

قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴾[4].

وقال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾[5].

ومن السنة:

قوله صلى الله عليه وسلم: **"تحشرون حفاة عراة غرلاً"** قالت عائشة: يا رسول الله الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض؟ فقال: **"الأمر أشد من أن يهمهم ذلك"**[6].

وأما الإجماع:

فقد أجمع أهل السنة والجماعة على إثبات الحشر يوم القيامة[7].

وقول الشيخ مرعي بأن الحشر يكون للأبدان والأرواح صحيح، وهو مذهب أهل السنة.

---

(١) معجم مقاييس اللغة (ص٢٤٧).

(٢) انظر: أضواء البيان (١١٢/٤)، لمعة الاعتقاد (ص٢٦).

(٣) انظر: التذكرة(ص١٧٧) ،لوامع النوار(٢ / ١٦٧) .

(٤) سورة ق، الآية: (٤٤).

(٥) سورة الكهف، الآية: (٤٧).

(٦) سبق تخريجه (ص٣٧٧).

(٧) انظر: التذكرة (ص١٧٧)، النهاية (٩٧/٢) .

قال ابن كثير – رحمه الله – في تفسير قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴾[1]: "وذلك أن الله عز وجل ينـزل مطراً من السماء ينبت به أجساد الخلائق كلها في قبورها، كما ينبت الحب في الثرى بالماء"[2].

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – أنواع المكذبين للبعث والحشر فقال: "... اليهود والنصارى ينكرون الأكل والشرب والنكاح في الجنة، يزعمون أن أهل الجنة إنما يتمتعون بالأصوات المطربة والأرواح الطيبة مع نعيم الأرواح، وهم يقرون مع ذلك بحشر الأجساد مع الأرواح ونعيمها وعذا ا.

وأما طوائف من الكفار وغيرهم... يقرون بحشر الأرواح فقط، وأن النعيم والعذاب للأرواح فقط.

وطوائف من الكفار والمشركين وغيرهم ينكرون المعاد بالكلية، فلا يقرون لا بمعاد الأرواح؛ ولا الأجساد، وقد بين الله تعالى في كتابه على لسان رسوله أمر معاد الأرواح والأجساد، ورد على الكافرين والمنكرين لشيء من ذلك بياناً في غاية التمام والكمال"[3].

---

(١) سورة ق، الآية: (٤٤).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٢٤٣/٤).

(٣) مجموع الفتاوى (٣١٣/٤)، وانظر: شرح العقيدة الطحاوية (٥٧٩/٢)، لوامع الأنوار البهية (٨٢/٢).

الحساب :

أولاً: معنى الحساب والأدلة عليه:

بين الشيخ مرعي معنى الحساب فقال: "إن معنى الحساب ما قال المفسرون: تعريف الله عز وجل الخلائق مقادير الجزاء على أعمالهم وتذكيره إياهم على ما قد نسوه"(١).

ثم استدل على الحساب بالكتاب والسنة فقال: "قال الله تعالى: ﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾(٢)...

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾(٣)...

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**يؤتى بالرجل يوم القيامة فيقال: اعرضوا عليه صغار ذنوبه فيعرض عليه صغارها ويخبأ عنه كبارها فيقال عملت يوم كذا وكذا وهو يقر ليس ينكر وهو مشفق من الكبائر أن تجيء فيقال: أعطوا مكان كل سيئة عملها حسنة، فيقول: إن لي ذنوباً لا أراها هنا**"(٤).

وأخرج الشيخان عن ابن عمر أنه سئل كيف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في النجوى: "**يدنو أحدكم من ربه حتى يضع كنفه**(5) **عليه فيقول: عملت كذا وكذا فيقول: نعم، فيقول: عملت كذا وكذا فيقول: نعم، ثم يقول: إني ستر ا عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم ثم يعطى كتاب حسناته بيمينه، وأما الكافر والمنافق**

---

(١) جة الناظرين وآيات المستدلين (ص٦٦٣).

(٢) سورة الأعراف، الآية: (٦).

(٣) سورة آل عمران، الآية: (١٩٩).

(٤) أخرجه مسلم كتاب الإيمان – باب أدنى أهل الجنة منـزلة فيها، (ح١٩٠)، (ص٧١٢).

(٥) كنفه: أي ستره، والمعنى: أنه تعالى يستر عبده عن رؤية الخلق له؛ لئلا يفتضح أمامهم فيخزى، انظر: شرح كتاب التوحيد (٤٢٣/٢).

فينادى به على رؤوس الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ر م ألا لعنة الله على الظالمين..."[1].

وأخرج الشيخان عن عدي بن حاتم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله يوم القيامة ليس بينه وبينه حجاب يحجبه ولا ترجمان يترجم فيقول: أولم أوتك مالاً فيقول بلى، فيقول: ألم أرسل إليك رسولاً فيقول: بلى، فينظر عن يمينه فلا يرى إلا النار وينظر عن يساره فلا يرى إلا النار وينظر بين يديه فلا ينظر إلا النار فليتق أحدكم النار ولو بشق تمرة فإن لم يجد فبكلمة طيبة..."** [2] قلت: وبالجملة فالأخبار في هذا الباب كثيرة والحاصل أن العبد يسأل عن كل شيء"[3].

---

(١) أخرجه البخاري كتاب المظالم – باب قول الله تعالى: ﴿ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾، سورة هود، الآية: (١٨)، (ح٢٤٤١)، (ص١٩٢).

(٢) سبق تخريجه (ص٧٣).

(٣) انظر: جة الناظرين وآيات المستدلين (ص٦٦٣).

ثانياً: حساب الناس والإتيان بالشهود:

ذكر الشيخ مرعي أن الله يجمع العباد في صعيد واحد ويأتي بالشهود الذين يشهدون على العباد بما كانوا يعملون، ويمكن ترتيب الشهود على النحو التالي:

١ – أعظم الشهداء في يوم الحساب هو الله سبحانه وتعالى الذي لا يخفى عليه خافية من أحوال خلقه، قال الشيخ مرعي: "قال الله تعالى: ﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾[1]. قال ابن عباس في هذه الآية: نسأل الناس جميعاً عما أجابوا المرسلين، والمرسلين عما بلغوا"[2][3].

٢ – أمة محمد صلى الله عليه وسلم الذين يشهدون للرسل أ م بلغوا أممهم رسالات ر م، قال الشيخ مرعي: "عن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"يدعى نوح يوم القيامة فيقال: هل بلغت؟ فيقول: نعم، فتدعى أمته فيقال لهم: هل بلغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير وما أتانا من أحد، فيقال: من يشهد لك؟ فيقول:** محمد **وأمته، فذلك قوله:** ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾[4]"[5]... وقال جمع من المفسرين في قوله تعالى: ﴿ لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾[6] إن أمة محمد تشهد يوم القيامة للأنبياء على أممهم بالتبليغ، فيقول الله لهم: شهدتم على من لم تحضروا، فيقولون: أي ربنا وأنت أعلم جاءنا رسولك ونزل إلينا كتابك فنحن نشهد بما عهدت إلينا وأعلمتنا به، فيقول الله: صدقتم[7]"[8].

---

(١) سورة الأعراف، الآية: (٦).

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٤٣٠/٥).

(٣) جة الناظرين وآيات المستدلين (ص٦٦٤).

(٤) سورة البقرة، الآية: (١٤٣).

(٥) أخرجه البخاري في كتاب التفسير – باب قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾، (ح٤٤٨٧)، (ص٣٦٨).

(٦) سورة البقرة، الآية: (١٤٣).

(٧) انظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن (١٠/٢)، ومعالم التنـزيل (١٥٠/٢)، وتفسـير القـرآن العظـيم (٢٠٣/١).

(٨) جة الناظرين وآيات المستدلين (ص٦٨٠).

٣ - الإمام الذي هو كتاب أعمال العباد يشهد عليهم بما كانوا يعملون في الدنيا، قال الشيخ مرعي: "قال تعالى: ﴿ يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسِۭ بِإِمَـٰمِهِمْۖ ﴾(١) قال مجاهد(٢) وقتادة: نبيهم... وقال جماعة من المفسرين(٣): المراد بالإمام هنا الكتاب... قلت: كلا القولين صحيح لوقوع كل منهما ذلك اليوم"(٤).

٤ - أعضاء الإنسان تشهد عليه يوم القيامة بما كان يعمل، وذلك حين ينكر العبد عمله، فيختم الله تعالى فمه وتتكلم الأعضاء، قال الشيخ مرعي: "قال الله تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾(٥) وقال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَاۖ ...﴾(٦). أخرج مسلم عن أنس قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك فقال: **"هل تدرون مما أضحك؟"** قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: **"من مخاطبة العبد ربه يوم القيامة فيقول يا رب ألم تجرني من الظلم فيقول: بلى، قال: فيقول فإني لا أجيز على نفسي إلا شاهداً مني فيقول كفى بنفسك عليك شهيداً، وبالكرام الكاتبين شهوداً، فيختم على فيه ويقال لأركانه انطقي، فتنطق بأعمالهم، فيقول: بعداً لكن وسحقاً فعنكن كنت أناضل"**(٧)"(٨).

---

(١) سورة الإسراء، الآية: (٧١).

(٢) هو مجاهد بن جبر، أبو الحجاج، من أعلام التابعين، ثقة، إمام في التفسير والعلم، توفي سنة ١٠٢أو١٠٣هـ وقيل غير ذلك .

انظر: سير أعلام النبلاء (٤٤٩/٤)، ومعرفة القراء الكبار (٦٦/١)، والأعلام (٢٧٨/٥).

(٣) انظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن (١١٥/٨).

(٤) جة الناظرين وآيات المستدلين (ص٦٧٧).

(٥) سورة يس، الآية: (٦٥).

(٦) سورة فصلت، الآية: (٢١).

(٧) أخرجه مسلم في كتاب الزهد – باب الدنيا سجن للمؤمن وجنة للكافر، (ح٢٩٦٩)، (ص١١٩٢).

(٨) جة الناظرين وآيات المستدلين (ص٦٨٢).

٥ - الإنس والجن والشجر والحجر يشهدون يوم القيامة لمن رفع صوته بالأذان، قال الشيخ مرعي: "وأخرج البخاري عن أبي سعيد الخدري أنه قال لعبد الرحمن[١]: إني أراك تحب الغنم بالبادية فإذا كنت في غنمك أو في باديتك فأذنت للصلاة فارفع صوتك بالنداء فإنه لا يسمع صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة"[٢].

---

(١) هو: عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة الأنصاري المازني.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأذان – باب رفع الصوت بالنداء، (ح٦٠٩)، (ص٤٩). وتمام الحديث: قال أبو سعيد: سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ثالثاً: حساب المؤمنين ومن يكلمه الله ومن لا يكلمه:

بين الشيخ مرعي أن الله تعالى هو الذي يتولى حساب الناس أجمعين، فأما المؤمنين فإن الله يكلمهم إكراماً لهم وتمييزاً لهم عن غيرهم، ويعرض عليهم صغائر الذنوب، ويخبأ عنهم كبارها ثم يغفرها لهم.

وفي ذلك يقول: "قال تعالى: ﴿ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرًا يَرَهُۥ ﴾[1]...

وأخرج مسلم عن أبي ذر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"يؤتى بالرجل يوم القيامة فيقال: اعرضوا عليه صغار ذنوبه فيعرض عليه صغارها ويخبأ عنه كبارها فيقال عملت يوم كذا وكذا وهو يقر ليس ينكر وهو مشفق من الكبائر أن** تجيء **فيقال: أعطوا مكان كل سيئة عملها حسنة، فيقول: إن** لي **ذنوباً لا أراها هنا"**، فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه"[2]... وأخرج الشيخان عن ابن عمر أنه سئل كيف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في النجوى: **"يدنو أحدكم من ربه** حتى **يضع كنفه عليه فيقول: عملت كذا وكذا فيقول: نعم، فيقول: عملت كذا وكذا فيقول: نعم.** ثم **يقول:** إني **ستر ا عليك** في **الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم** ثم **يعطى كتاب حسناته بيمينه، وأما الكافر والمنافق فينادى به على رؤوس الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ر م ألا لعنة الله على الظالمين"**[3]"[4].

---

(١) سورة الزلزلة، الآية: (٧).

(٢) سبق تخريجه (ص٣٨١).

(٣) سبق تخريجه (ص٣٨١).

(٤) جة الناظرين وآيات المستدلين (ص٦٨٧).

رابعاً: سرعة الحساب:

بين الشيخ مرعي أن الله سبحانه وتعالى من عظيم قدرته ووحدانيته، أنه سريع الحساب، بحيث يحاسب ويجازي الناس كلهم على كثرة عددهم واختلاف ألسنتهم فقال: "قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾[1]، وصف سبحانه وتعالى نفسه بسرعة حساب الخلائق مع كثرة عددهم وكثرة أعمالهم ليدل على كمال قدرته ووجوب الحذر منه"[2].

ثم بين كيفية سرعة الحساب فقال: "ولعل السر في هذا وتقريبه للعقول أن معنى الحساب ما قال المفسرون: تعريف الله عز وجل الخلائق مقادير الجزاء على أعمالهم وتذكيره إياهم على ما قد نسوه، وهذا قريب للعقل جداً بأن يخلق الله في قلو م العلوم الضرورية بمقادير أعمالهم من الثواب والعقاب في لحظة واحدة تأمل"[3].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: (١٩٩).

(٢) جة الناظرين وآيات المستدلين (ص٦٩٢).

(٣) المصدر السابق (ص٦٩٣).

خامساً: حساب البهائم:

استدل الشيخ مرعي على حساب البهائم بأحاديث تبين أن الله سبحانه وتعالى سوف يحاسب البهائم، ويقضي ويأخذ من الشاة القرناء للشاة الجلحاء التي لا قرن لها فقال: "عن أبي هريرة قال: يحشر الخلائق كلهم يوم القيامة، البهائم والدواب والطير وكل شيء فيبلغ من عدل الله أن يأخذ للجلحاء من القرناء، ثم يقول كوني تراباً، فذلك حين يقول الكافر: يا ليتني كنت تراباً(١)... وعن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"دخلت امرأة النار في هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض"**(٢)"(٣).

دراسـة رأيه:

الحساب في اللغة:

قال ابن فارس: "الحاء والسين والباء أصل صحيح يدل على عدة معانٍ، منها العد والإحصاء"(٤).

الحساب في الشرع: هو توقيف الله عباده قبل الانصراف من المحشر على أعمالهم خيراً كانت أو شراً(٥).

وما ذكره الشيخ مرعي في تعريف الحساب بمعنى ما سبق.

والحساب ثابت بالكتاب والسنة وإجماع المسلمين(٦).

وقد ذكر الشيخ مرعي الأدلة من الكتاب والسنة على الحساب.

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٤١٩/١٢)، والبيهقي في البعث والنشور (٥٤٠/٢)، والأثر ذكره الألبـاني في السلسلة الصحيحة (٦٠٦/٤)، رقم (١٩٦٦)، وقال: هذا إسناد صحيح، وهو وإن كان موقوفاً فإنه شـاهد قوي للمرفوع، لأنه لا يقال من قبل الرأي.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب المساقاة – باب فضل سقي الماء، (ح٢٣٦٥)، (ص١٨٥).

(٣) جة الناظرين وآيات المستدلين (ص٦٧٤).

(٤) معجم مقاييس اللغة (ص٢٤٢).

(٥) انظر: لوامع الأنوار البهية (١٧١/٢).

(٦) انظر: التذكرة (ص٢٢٥)، النهاية (٣٣/٢)، لوامع الأنوار البهية (١٧١/٢).

وما ذهب إليه الشيخ مرعي في حساب الناس، والإتيان بالشهود، وحساب البهائم، وسرعة الحساب، موافق للكتاب والسنة والإجماع.

قال الطحاوي – رحمه الله –: "ونؤمن بالبعث وجزاء الأعمال يوم القيامة والعرض والحساب وقراءة الكتاب"[(١)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: "ويحاسب الله الخلائق، ويخلو بعبده المؤمن، فيقرره بذنوبه كما وصف ذلك في الكتاب والسنة"[(٢)].

وقال السفاريني – رحمه الله –: "الحساب ثابت بالسنة والكتاب وإجماع أهل الحق بلا ارتياب"[(٣)].

وما ذكره الشيخ مرعي في كيفية سرعة الحساب وقوله إن هذا قريب للعقل بأن يخلق الله في قلو م العلوم الضرورية بمقادير أعمالهم من الثواب والعقاب في لحظة واحدة، تعليل ذكره الرازي في تفسيره[(٤)].

وهو تعليل لا دليل عليه، ولا يجوز الخوض في الأمور الغيبية بمثل هذه التعليلات التي لم ترد إلينا عن طريق الشرع، فوجب الإيمان بأن الله سبحانه وتعالى يحاسب عباده وهو أسرع الحاسبين، أما كيفية ذلك فلا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى، إلا بحدود ما أعلمنا به الشارع الحكيم.

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية (٥٨٨/٢).

(٢) شرح العقيدة الواسطية لهراس (ص٢٠٨).

(٣) لوامع الأنوار البهية (١٧١/٢).

(٤) تفسير الرازي (٢٠٦/٥).

الشفاعة :

بين الشيخ مرعي أن الشفاعة في الآخرة أنواع، منها ما هو خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم، ومنها ما يشاركه فيه غيره، فقال: "فصل في الشفاعة العظمى... وفي الشفاعة الخاصة... وفي شفاعة غير النبي صلى الله عليه وسلم...

إن الشمس تدني من رؤوس الخلائق مقدار ميل... حتى قال بعض السلف: ولو طلعت الشمس على الأرض كهيئتها يوم القيامة لاحترقت الأرض وأذابت الجوامد ونشفت الأ ار، فإذا حصل ذلك الكرب العظيم لجميع الخلق من إنس وجن ووحش وطير، وطال مقامهم واشتد زحامهم احتاجوا لشفاعة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وهي الشفاعة الكبرى التي تعم جميع الخلائق وتنقذهم من طول الوقوف وشدة الحر والعطش وكثرة العرق، قال سبحانه: ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا ﴾[1] قال علماء التفسير: إن المقام المحمود الذي ذكره الله في كتابه الشفاعة... [2].

وأخرج الشيخان وغيرهما عن أبي هريرة قال: أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بلحم فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه فنهش منها ـشة ثم قال: **"أنا سيد الناس يوم القيامة وهل تدرون بم ذلك، يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد فيسمعهم الداعي وينفذهم البصر وتدنو منهم الشمس، فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون وما لا يحتملون فيقول بعض الناس لبعض ألا ترون ما أنتم فيه وما بلغكم ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض ائتوا آدم عليه السلام فيأتون آدم ويقولون: يا آدم أنت أبو البشر، خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك فاشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه، ألا ترى ما بلغنا؟ فيقول آدم عليه السلام: إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإنه ـاني عن الشجرة فعصيته، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى**

---

(١) سورة الإسراء، الآية: (٧٩).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٢٦٨/٩)، تفسير القرآن العظيم (٦٢/٣).

نوح، فيأتون نوحاً فيقولون: يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض، وسماك الله عبداً شكوراً فاشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما بلغنا؟ فيقول: إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وإنه كانت لي دعوة دعوت بها على قومي، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى إبراهيم، فيأتون إبراهيم فيقولون: يا إبراهيم أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض، ألا ترى ما نحن فيه، ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول: إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، فذكر كذباته، نفسي نفسي، اذهبوا إلى موسى ، فيأتون موسى فيقولون: يا موسى أنت رسول الله، اصطفاك الله برسالاته وبتكليمه على الناس، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه، ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني قتلت نفساً لم أومر بقتلها، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى عيسى، فيأتون عيسى فيقولون: يا عيسى أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وكلمت الناس في المهد، فاشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه، ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، ولم يذكر ذنباً، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى محمد، فيأتوني فيقولون: يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء، غفر الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر فاشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه، ألا ترى ما قد بلغنا؟ فأقوم فآتي تحت العرش فأقع ساجداً ثم يفتح الله علي ويلهمني من محامده ومحاسنه وحسن الثناء عليه ما لم يفتحه على أحد قبلي فيقال: يا محمد ارفع رأسك وسل تعط، واشفع تشفع، فأقول يا رب أمتي أمتي... الحديث"[1]...

فصل في الشفاعة الخاصة وهي فيمن استحق النار من المؤمنين أن لا يدخلها، وفيمن دخل النار أن يخرج منها، وهي التي يكذب بها المبتدعة قبحهم الله... فعن عمران بن

(١) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء – باب الأرواح جنود مجندة، (ح٣٣٤٠)، (ص٢٦٩)، ومسلم في كتاب الإيمان – باب أدنى أهل الجنة منـزلة فيها، (ح١٩٤)، (ص٧١٢).

حصين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "**يخرج قوم من النار بشفاعة محمد ويدخلون الجنة ويسمون الجهنميين**"[(1)]...

فصل في شفاعة غير النبي صلى الله عليه وسلم من الأنبياء والملائكة والشهداء... فعن أبي الدرداء مرفوعاً: "**الشهيد يشفع في سبعين من أهل بيته**"[(2)]...

وعن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال عن المؤمنين الفائزين إذا رأوا أ م قد نجوا وبقي إخوا م يقولون: "**ربنا إخواننا كانوا يصلون معنا ويصومون معنا ويعملون معنا، فيقول الله: اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من إيمان فأخرجوه ويحرم الله صورهم على النار، وبعضهم قد غاب في النار إلى قدميه وإلى أنصاف ساقيه، فيخرجون من عرفوا ثم يعودون فيقال: اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار فأخرجوه فيخرجون من عرفوا ثم يعودون فيقال: اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه فيخرجون من عرفوا**". وقال أبو سعيد: فإن لم تصدقوني فاقرؤوا: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا ﴾[(3)] "**فيشفع النبيون والملائكة والمؤمنون فيقول الجبار: بقيت شفاعتي فيقبض قبضة من النار فيخرج أقواماً قد امتحشوا فيلقون في ر يقال له: ماء الحياة فينبتون في حافتيه كما تنبت الحبة فيخرجون كأ م اللؤلؤ فيجعل في رقا م الخواتيم فيدخلون الجنة فيقول أهل الجنة هؤلاء عتقاء الرحمن أدخلهم الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه**"[(4)]"[(5)].

---

(1) أخرجه البخاري كتاب الرقاق – باب صفة الجنة والنار، (ح٦٥٦٦)، (ص٥٥٢).

(2) أخرجه أبو داود في كتاب الجهاد – باب في الشهيد يشفع، (ح٢٥٢٢)، (ص١٤١٠)، والآجري في الشريعة (ص٢٨٨)، والحديث ذكره الألباني في صحيح الجامع (٦٩٦/١)، رقم (٣٧٤٧).

(3) سورة النساء، الآية: (٤٠).

(4) أخرجه البخاري كتاب التوحيد – باب قوله تعالى: ﴿ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ﴾، (ح٧٤٣٩)، (ص٦٢٠)، وأخرجه مسلم كتاب الإيمان – باب معرفة طريق الرؤية، (ح١٨٣)، (ص٧١٠).

(5) جة الناظرين وآيات المستدلين (ص٦٢٣، ٧٥٠، ٧٦٣).

كما بين أن القرآن يشفع لصاحبه يوم القيامة فقال: "وردت الأحاديث بشفاعة القرآن... والأحاديث شاهدة بذلك...: **"يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به تقدمهم سورة البقرة وآل عمران كأ ما غمامتان أو غيايتان**[١] **أو ظلتان سوداوان بينهما شرق**[٢] **أو كأ ما فرقان**[٣] **من طير صواف**[٤] تحاجان عن **صاحبهما"**[٥]"[٦].

ثم ذكر الشيخ مرعي قول المعتزلة وغيرهم في الشفاعة وما استدلوا به ورد عليهم فقال: "الشفاعة الخاصة وهي فيمن استحق النار من المؤمنين أن لا يدخلها، وفيمن دخل النار أن يخرج منها، وهي التي يكذب ا المبتدعة قبحهم الله، واحتجت المعتزلة بقوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمًا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٍ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٌ ﴾[٧] وقوله تعالى: تعالى: ﴿ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾[٨]، وذهبت المعتزلة أيضاً إلى أن من من دخل النار فهو خالد فيها لأنه إما كافر أو صاحب كبيرة مات بلا توبة، وهذا مذهب باطل بإجماع أهل السنة... عن أم حبيبة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **"أريت ما تلقى أمتي من بعد وسفك بعضهم دماء بعض فأحزنني وسبق ذلك من الله كما سبق في الأمم قبلهم فسألته أن يوليني فيهم شفاعة يوم القيامة ففعل"**[٩]... وعن عمران بن

---

(١) الغياية: كل شيء أظل الإنسان فعرف مثل السحابة، النهاية (٤٠٣/٣).
(٢) الشرق: الضوء والنور. النهاية (٤٦٤/٢).
(٣) فرقان: أي قطعتان، والفرق قطعة من الشيء، النهاية (٤٤٠/٣)، زاد المسير (١٩/١).
(٤) الصواف: المصطفة لتظل قارئها، زاد المسير (١٩/١).
(٥) أخرجه مسلم كتاب صلاة المسافرين – باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة، (ح٨٠٥)، (ص٨٠٤).
(٦) جة الناظرين وآيات المستدلين (ص٧٦٥).
(٧) سورة البقرة، الآية: (٤٨).
(٨) سورة غافر، الآية: (١٨).
(٩) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٣٧٢/٢)، رقم (٨٠٠)، الحاكم في المستدرك (٦٨/١) وصححه ووافقه الذهبي، والبيهقي في البعث والنشور (١٢٣/١)، والحديث ذكره الألباني في السلسلة الصحيحة (٤٢٤/٣)، رقم (١٤٤٠).

حصين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"يخرج قوم من النار بشفاعة محمد ويدخلون الجنة ويسمون الجهنميين"**[(١)]"[(٢)].

دراســة رأيه:

الشفاعة لغة:

قال ابن فارس: "الشين والفاء والعين، أصل صحيح يدل على مقارنة الشيئين، والشفع خلاف الوتر"[(٣)].

وهي الانضمام إلى آخر ناصراً له وسائلاً عنه وأكثر ما تستعمل في انضمام من هو أعلى حرمة ومرتبة إلى من هو أدنى [(٤)] .

الشفاعة في **الاصطلاح:** التوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرة ، أو سؤال التجاوز عن الذنوب والآثام[(٥)].

والشفاعة ثابتة بالكتاب والسنة والإجماع[(٦)].

فأما الكتاب:

فقوله تعالى: ﴿ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦۚ ﴾[(٧)].

وقوله تعالى: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ ﴾[(٨)].

---

(١) سبق تخريجه (ص٣٩٢).

(٢) جة الناظرين وآيات المستدلين (ص٧٥٠) ، وانظر :قول المعتزلة في شرح الأصول الخمســة (ص٦٨٨) ، والكشاف (١ / ١٣٦) .

(٣) معجم مقاييس اللغة (ص٥١٠).

(٤) انظر: المفردات (ص٢٦٣) .

(٥) انظر: النهاية (٤٨٥/٢)، لوائح الأنوار (٢٤٦/٢).

(٦) انظر: السنة لابن أبي عاصم (٣٩٩/٢)، إثبات الشفاعة (ص٢٢)، المنهاج شرح صـحيح مسـلم (٣٥/٣)، مجموع الفتاوى (١٤٨/١)، لوامع الأنوار البهية (٢٠٨/٢).

(٧) سورة يونس، الآية: (٣).

(٨) سورة البقرة، الآية: (٢٥٥).

وأما السنة:

فقد تواترت الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم في إثبات الشفاعة[1].

ومنها قوله صلى الله عليه وسلم: "**أما أهل النار الذين هم أهلها، فإ م لا يموتون فيها ولا يحيون، ولكن ناس أصابتهم النار بذنو م، فأما م إماتة، حتى إذا كانوا فحماً أذن بالشفاعة، فجيء م ضبائر ضبائر[2]، فبثوا على أ ار الجنة، ثم قيل: يا أهل الجنة أفيضوا عليهم، فينبتون نبات الجنة تكون في حميل السيل**"[3].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: أحاديث الشفاعة كثيرة متواترة، منها في الصحيحين أحاديث متعددة، وفي السنن والمسانيد ما يكثر عدده"[4].

وأما الإجماع:

فقد أجمع المسلمون على إثبات الشفاعة يوم القيامة، على وفق ما ورد في القرآن الكريم وسنة النبي صلى الله عليه وسلم[5].

والشفاعة قسمان:

أحدها: الشفاعة العامة الثابتة للنبي صلى الله عليه وسلم ولغيره كالملائكة والنبيين والشهداء المؤمنين.

والثاني: الشفاعة الخاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم.

---

(١) انظر: السنة لابن أبي عاصم (٣٩٩/٢)، قاعدة جليلة في التوسـل والوسـيلة (ص١٢)، إثبـات الشـفاعة (ص٢٢)، شرح العقيدة الطحاوية (٢٥٨/١)، لوامع الأنوار البهية (٢٠٨/٢)، وللاستزادة: الشفاعة للوادعي، والشفاعة للدكتور ناصر الجديع.

(٢) أي: جماعات في تفرقة، واحد ا ضبارة، وكل مجتمع ضبارة، انظر: النهاية (٧١/٣).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان – باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار، (ح١٨٥)، (ص٧١١).

(٤) مجموع الفتاوى (٣١٤/١).

(٥) انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم (٣٥/٣)، شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١٧٧/١)، مجمـوع الفتـاوى (١٤٨/١)، لوامع الأنوار البهية (٢٠٨/٢).

والشفاعة بقسميها أنواع، اختلف أهل العلم في عدها، تبعاً لاختلافهم في أدلتها من حيث الصحة والدلالة، وجملتها عندهم ثمانية أنواع.

أشار الشيخ مرعي إلى ثلاثة منها، وفيما يلي أذكرها باختصار:

١ – الشفاعة العظمى، وهي شفاعته صلى الله عليه وسلم في أهل الموقف حتى يقضي الله بينهم بعد طول الموقف عليهم، وبعد مراجعتهم الأنبياء للقيام ا، فيقوم ا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بعد إذن ربه.

٢ – شفاعته صلى الله عليه وسلم في دخول أهل الجنة الجنة بعد الفراغ من الحساب.

٣ – شفاعته صلى الله عليه وسلم في عمه أبي طالب في تخفيف العذاب عنه، وهي خاصة به وخاصة لأبي طالب، وهذه الأنواع الثلاثة من الشفاعة الخاصة بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

٤ – شفاعته صلى الله عليه وسلم فيمن استحق النار من عصاة الموحدين أن لا يدخلها.

٥ – شفاعته صلى الله عليه وسلم فيمن دخل النار من عصاة الموحدين أن يخرج منها.

٦ – شفاعته صلى الله عليه وسلم في رفع درجات بعض أهل الجنة فوق ما كان يقتضيه ثواب أعمالهم.

٧ - شفاعته صلى الله عليه وسلم في قوم استوت حسنا م وسيئا م أن يدخلوا الجنة، وهم أهل الأعراف على قول جمع من العلماء(١).

٨ – شفاعته في دخول بعض المؤمنين الجنة بغير حساب ولا عذاب.

وهذه الأنواع الخمسة الأخيرة يشارك النبي صلى الله عليه وسلم فيها غيره من الأنبياء والملائكة والصديقين والشهداء(٢).

---

(١) ذكر الحافظ ابن حجر أن أصحاب الأعراف قوم استوت حسنا م وسيئا م، ثم بين أن هذا القول نص عليه حذيفة، وابن عباس، وابن مسعود، وغير واحد من السلف والخلف – رحمهم الله –، انظر: فتح الباري (١١/ ٤٣٦)، وانظر: تفسير القرآن العظيم (٢٤٢/٢).

(٢) انظر: كتاب التوحيد (٦٠٢/٢)، والشريعة (ص٢٧٤)، والنهاية في الفتن والملاحم (١٧٥/١)، وشرح العقيدة الطحاوية (٢٨٢/١)، وفتح الباري (٤٣٥/١١)، وشرح جوهرة التوحيد (ص٢٧٦)، وشرح العقيدة الواسطية للدكتور صالح فوزان الفوزان (ص١٤٢).

وأهل السنة والجماعة يؤمنون بهذه الشفاعات كلها ويثبتونها لثبوتها في الكتاب والسنة مع إيمانهم أن هذه الشفاعات لا تتحقق إلا بتمام شرطين:

الأول: إذن الله سبحانه وتعالى للشافع أن يشفع، فإنه لا يشفع أحد حتى يأذن الله له كما قال عز وجل: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦۚ ﴾[2].

الثاني: رضى الله سبحانه وتعالى عن المشفوع له كما قال تعالى: ﴿ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ ﴾[3]، وقال سبحانه: ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِى شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ﴾[4].

وما ذكره الشيخ مرعي في الرد على المعتزلة وغيرهم في إنكارهم الشفاعة لأهل الكبائر، موافق لما قرره أهل السنة والجماعة[5].

قال الإمام أبو بكر الآجري – رحمه الله –: "اعلموا رحمكم الله أن المنكر للشفاعة يزعم أن من دخل النار فليس بخارج منها، وهذا مذهب المعتزلة يكذبون... مما لها أصل في كتاب الله عز وجل وسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنن الصحابة رضي الله عنهم ومن تبعهم بإحسان وقول فقهاء المسلمين...

---

(١) سورة البقرة، الآية: (٢٥٥).

(٢) سورة يونس، الآية: (٣).

(٣) سورة الأنبياء، الآية: (٢٨).

(٤) سورة النجم، الآية: (٢٦).

(٥) انظر: كتاب التوحيد (٥٨٨/٢)، عقيدة السلف وأصحاب الحديث (ص٥٧)، مجموع الفتاوى (١٤٧/٣).

إن المكذب بالشفاعة أخطأ في تأويله خطأً فاحشاً، خرج به عن الكتاب والسنة، وذلك أنه عمد إلى آيات من القرآن نزلت في أهل الكفر، أخبر الله عز وجل أ م إذا دخلوا النار فهم غير خارجين منها، فجعلها المكذب بالشفاعة في الموحدين، ولم يلتفت إلى أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم في إثبات الشفاعة؛ أ ا إنما هي لأهل الكبائر، والقرآن يدل على هذا"[1].

وما ذكره الشيخ مرعي أيضاً في الشفاعة الخاصة بنبينا محمد ﷺ موافق لِمَا قرره أهل السنة والجماعة – رحمهم الله -[2].

(١) الشريعة (ص٢٧٤).

(٢) انظر: كتاب التوحيد (٦٠٢/٢)، والشريعة (ص٢٧٤)، وشرح العقيدة الطحاوية (٢٨٢/١)، وفتح البـاري (٤٣٥/١١)، وشرح العقيدة الواسطية للدكتور صالح الفوزان (ص١٤٢).

المطلب الثاني

الميزان والصراط والحوض

الميـزان :

أولاً: المراد بالميزان والأدلة عليه:

عرف الشيخ مرعي الميزان، واستدل عليه من الكتاب والسنة فقال: الصحيح أن المراد بالميزان الميزان الحقيقي لا مجرد العدل... وهو ميزان له كفتان ولسان... قال تعالى: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ ﴾[1].

عن سلمان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"يوضع الميزان يوم القيامة فلو وزنت السماوات والأرض لوسعهن فتقول الملائكة سبحانك ما عبدناك حق عبادتك"**[2]"[3].

ثانياً: مذهب أهل السنة والجماعة في الميزان، والرد على من خالفهم:

قرر الشيخ مرعي مذهب أهل السنة في الميزان، وذكر مذهب المعتزلة ورد عليهم فقال: "اعلم أن الصحيح عند أهل السنة والجماعة، أن المراد بالميزان: الميزان الحقيقي، لا أن المراد بالميزان مجرد العدل، وإن وضع الموازين يوم القيامة كناية وتمثيل، وإلى ذلك ذهبت المعتزلة، وأنكروا الميزان محتجين:

بأن الأعمال أعراض، إن أمكن إعاد ا لم يمكن وز ا.

ولأ ا معلومة لله تعالى، فوز ا عبث.

والجواب: إنه قد ورد في الحديث: إن كتب الأعمال هي التي توزن، ولعل في الوزن حكمة لا نطلع عليها، وعدم اطلاعنا على الحكمة لا يوجب العبث...

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: (٤٧).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٥٨٦/٤) وصححه، ووافقه الذهبي، والحديث ذكـره الألبـاني في السلسـلة الصحيحة (٦١٩/٢)، رقم (٩٤١).

(٣) جة الناظرين وآيات المستدلين (ص٦٥١).

قال الفخر: إن حمل الموازين على مجرد العدل، وصرف اللفظ عن الحقيقة إلى ا ـاز من غير ضرورة، غير جائز لاسيما وقد جاءت الأحاديث الكثيرة بالأسانيد الصحيحة في هذا الباب...

إن قول أئمة السلف: إنه سبحانه يضع الموازين الحقيقية ليزن ا الأعمال"[1].

ثالثاً: الخلاف فيما يوزن في الميزان:

أورد الشيخ مرعي الخلاف في هذه المسألة، ورجح أن الصحف هي التي توزن مستدلاً على ذلك بحديث البطاقة فقال: "اختلف العلماء في الموزون، فقيل: يوزن العبد مع عمله، وقيل: يجسد العمل ويوزن، والصواب ... أن الموزون الصحائف ...

وهو مذهب المفسرين لقوله تعالى: ﴿ فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾[2]، فعلى هذا فالثقل الذي يكون في الميزان إنما يكون في صحائف الأعمال ...

ونقل المفسرون عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"يصاح برجل من أمتي على رؤوس الأشهاد يوم القيامة، فينشر له تسعة وتسعون سجلاً، كل سجل منها مد البصر فيها خطاياه وذنوبه، فيقول: أتنكر من هذا شيئاً؟ أظلمتك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: أفلك عذر أو حسنة؟ فيقول: لا يا رب، فيقول الله: بلى إن لك عندنا حسنة وأنه لا ظلم عليك اليوم فيخرج له بطاقة فيها شهادة أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فيقال: إنك لا تظلم، فتوضع**

---

(١) تحقيق البرهان في إثبات حقيقة الميزان (ص٢٤-٢٧)، وانظر: التفسير الكبير للرازي (١٧٧/٢٢)، مقـالات الاسلاميين (٢ / ١٦٤) .

(٢) سورة الأعراف، الآية: (٨).

السجلات في **كفة والبطاقة** في **كفة فتطيش السجلات وتثقل البطاقة ولا يثقل مع اسم الله شيء"**[1]، فثبت بهذا الحديث الصحيح أن الموزون إنما هو صحائف الأعمال"[2].

رابعاً: هل توزن أعمال الكفار:

أورد الشيخ مرعي قولين للعلماء في هذه المسألة واختار القول بأن الكفار منهم من يعجل به إلى النار ولا وزن له، وأن منهم من يوزن ما لديهم من عمل ويحاسب عليه ولكنه لا ينفعه شيئاً فقال: "واختلف العلماء؛ هل توزن أعمال الكافرين، أو الوزن خاص بأعمال المؤمنين، وفي كل آيات متعارضات.

فقال بعضهم: توزن أعمال الكافرين، لقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴾[3]...

وقال بعضهم: لا توزن أعمال الكافرين، لقوله تعالى: ﴿ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا ﴾[4]...

والصواب: أن الميزان لا يكون في حق كل أحد، فإن الذين يدخلون الجنة بغير حساب لا ينصب لهم ميزان، وكذلك من يعجل إلى النار، لا يقام لهم وزناً.

---

(١) أخرجه الترمذي كتاب الإيمان – باب فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله الله، (ح٢٦٣٩)، (ص١٩١٨) وقال: حديث حسن غريب، وابن ماجه كتاب الزهد – باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة، (ح٤٣٠٠)، (ص٢٧٣٨)، والحاكم في المستدرك (٥٢٩/١)، وصححه ووافقه الذهبي، والحديث صححه الألباني في صحيح الجامع (١٣٤٥/٢)، رقم (٨٠٩٥).

(٢) تحقيق البرهان في إثبات حقيقة الميزان (ص٣٣)، بهجة الناظرين وآيات المستدلين (ص٦٥٣).

(٣) سورة الأعراف، الآية: (٩).

(٤) سورة الكهف، الآية: (١٠٥).

وبقية الكفار ينصب لهم الميزان، فيظهر بهذا أن قوله تعالى:﴿ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا ﴾ محمول على من يعجل به إلى النار، والآيات الأخر في حق بقية الكافرين ،فإذن لا تعارض بين الآيات، ولا مجاز في الآية"[1].

خامساً: هل توزن أعمال الجن:

يرى الشيخ مرعي أن أعمال الجن توزن كما توزن أعمال الإنس فقد قال: "وذكر المحققون: أن أعمال الجن توزن كما توزن أعمال الإنس، وارتضاه الأئمة"[2].

سادساً: الحكمة من وزن الأعمال:

قال الشيخ مرعي: "واختلف العلماء: ما الحكمة في وزن الأعمال؟ مع أن الله عالم بكل شيء قبل وزنه؟

قيل... لأربعة أشياء:

إما تعريف الله تعالى العباد ما لهم عنده من جزاء على خير أو شر.

أو امتحانهم بالإيمان في الدنيا.

أو جعل ذلك علامة لأهل السعادة والشقاوة في العقبى.

أو إقامة الحجة عليهم.

قلت: الأحسن أن يقال: الحكمة فيه: إظهار العدل، وبيان الفضل، حيث أنه تعالى يزن مثاقيل الذر من الأعمال ﴿ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَـٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[3]"[4].

دراســة رأيه:

الميزان لغة: أصله موزان، فقلبت الواو ياء لكسر ما قبلها فأصبحت ميزان، وجمعه موازين.

---

(١) تحقيق البرهان في إثبات حقيقة الميزان (ص٣٦).

(٢) تحقيق البرهان في إثبات حقيقة الميزان (ص٣٤)، بهجة الناظرين وآيات المستدلين (ص٦٥٦).

(٣) سورة النساء، الآية: (٤٠).

(٤) تحقيق البرهان في إثبات حقيقة الميزان (ص٣٦)، بهجة الناظرين وآيات المستدلين (ص٦٥٥).

قال ابن فارس: "الواو والزاي والنون بناء يدل على تعديل واستقامة، وزنت الشيء وزناً، والزنة: قدر وزن الشيء"[1].

---

(١) معجم مقاييس اللغة (ص١٠٥١).

والميزان: اسم للآلة التي توزن ا الأشياء، والوزن هو معرفة قدر الشيء[1].

الميزان شرعاً: هو ما يضعه الله يوم القيامة لوزن أعمال العباد، وهو ميزان حقيقي له لسان وكفتان توزن به السيئات والحسنات[2].

والميزان ثابت بالكتاب والسنة والإجماع[3].

فمن الكتاب:

قوله تعالى: ﴿ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴾[4].

وقوله تعالى: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾[5].

ومن السنة:

قوله صلى الله عليه وسلم: **"كلمتان حبيبتان إلى الرحمن، خفيفتان على اللسان، ثقيلتان** في **الميزان، سبحانه الله وبحمده، سبحان الله العظيم"**[6].

وقوله صلى الله عليه وسلم: **"إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة، لا يزن عند**

---

(١) انظر: المفردات(ص٥٢٢) .

(٢) انظر: لوامع الأنوار البهية (١٨٤/٢).

(٣) انظر: الشرح والإبانة (ص٢٢٢)، الاقتصاد في الاعتقاد للمقدسي (ص١٨٠)، منهاج السلامة في ميزان القيامة (ص٥٨)، تحرير المقال والبيان في الكلام على الميزان (ص١٥٥-١٥٧) .

(٤) سورة الأعراف، الآيتان: (٨، ٩).

(٥) سورة الأنبياء، الآية: (٤٧).

(٦) أخرجه البخاري كتاب الدعوات – باب تفضيل التسبيح، (ح٦٥٠٦)، (ص٥٣٨)، ومسلم كتاب الذكر والدعاء – باب فضل التهليل والتسبيح (ح٢٦٩٤)، (ص١١٤٦).

الله جناح بعوضة، وقال: اقرؤوا إن شئتم: ﴿ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا ﴾[(1)]"[(2)].

وأما الإجماع:

فقد أجمع أهل السنة والجماعة على الإيمان بالميزان[(3)].

وما ذكره الشيخ مرعي من أن مذهب أهل السنة في الميزان أنه ميزان حقيقي لا مجرد العدل، ورده على المعتزلة موافق لما قرره السلف.

قال القرطبي – رحمه الله –: "وإذا انقضى الحساب كان بعده وزن الأعمال لأن الوزن للجزاء فينبغي أن يكون بعد المحاسبة لتقدير الأعمال والوزن لإظهار مقاديرها ليكون الجزاء بحسبها"[(4)].

وقال ابن أبي العز – رحمه الله –: "والذي دل عليه السنة: أن ميزان الأعمال له كفتان حسيتان مشاهدتان...

فلا يلتفت إلى ملحد معاند يقول: الأعمال أعراض لا تقبل الوزن، وإنما يقبل الوزن الأجسام!! فإن الله يقلب الأعراض أجساماً"[(5)].

قال ابن حجر – رحمه الله –: "... أجمع أهل السنة على الإيمان بالميزان وأن أعمال العباد توزن يوم القيامة، وأن الميزان له لسان وكفتان ويميل بالأعمال، وأنكرت المعتزلة الميزان وقالوا هو عبارة عن العدل فخالفوا الكتاب والسنة لأن الله أخبر أنه يضع الموازين لوزن الأعمال ليرى العباد أعمالهم ممثلة ليكونوا على أنفسهم شاهدين... وقد أنكرت

---

(1) سورة الكهف، الآية: (١٠٥).

(2) أخرجه البخاري كتاب التفسير – باب قوله تعالى: ﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ ﴾، (ح٤٧٢٩)، (ص٣٩٧)، ومسلم كتاب صفات المنافقين – باب صفة القيامة والجنة والنار، (ح٢٧٨٥)، (ص١١٦٣).

(3) انظر: الشرح والإبانة (ص٢٢٢)، الاقتصاد في الاعتقاد للمقدسي (ص١٨٠)، شـرح العقيـدة الطحاويـة (٦٠٨/٢)، فتح الباري (٥٤٨/١٣)، لوامع الأنوار البهية (١٨٥/٢).

(4) التذكرة (ص٢٦٩).

(5) شرح العقيدة الطحاوية (٦٠٩/٢).

المعتزلة الميزان بناءً منهم على أن الأعراض يستحيل وز ا إذ لا تقوم بأنفسها، وقد روي عن ابن عباس أن الله تعالى يقلب الأعراض أجساماً فيز ا"[١].

واختلف فيما يوزن في الميزان، والخلاف في ذلك واقع في أقوال أهل السنة والجماعة.

وقد رجح الشيخ مرعي أن الموزون هو صحف الأعمال، ورجح غيره من أهل العلم أن الموزون هو العمل نفسه[٢].

والراجح – والله أعلم – أن الذي يوزن هو العامل، وعمله، وصحف أعماله وذلك لأن النصوص قد دلت على أن كل واحد من هذه الثلاثة يوزن.

قال ابن أبي العز – رحمه الله –: "فثبت وزن الأعمال والعامل وصحائف الأعمال وثبت أن الميزان له كفتان، والله أعلم بما وراء ذلك من الكيفيات"[٣].

وقال ابن كثير – رحمه الله –: "وقد يمكن الجمع بين هذه الآثار بأن يكون ذلك كله صحيحاً [يقصد الأقوال الثلاثة في المسألة] فتارة توزن الأعمال، وتارة توزن محالها، وتارة يوزن فاعلها، والله أعلم"[٤].

وقال الشيخ حافظ الحكمي[٥] – رحمه الله – مرجحاً هذا القول: "والذي استظهر من النصوص – والله أعلم – أن العامل وعمله وصحيفة عمله كل ذلك يوزن لأن الأحاديث التي في بيان القرآن قد وردت بكل من ذلك ولا منافاة بينها...

عن عبد الله بن عمرو في قصة صاحب البطاقة بلفظ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"توضع الموازين يوم القيامة فيؤتى بالرجل فيوضع في كفة ويوضع ما أحصى عليه فيمايل به الميزان قال: فيبعث به إلى النار قال فإذا أدبر إذا صائح من عند الرحمن عز وجل يقول: لا تعجلوا فإنه قد بقي له فيؤتى ببطاقة فيها لا إله إلا الله فتوضع مع**

---

(١) فتح الباري (٥٤٨/١٣).

(٢) انظر: المصدر السابق (٥٤٨/١٣).

(٣) شرح العقيدة الطحاوية (٦١٣/٢).

(٤) تفسير القرآن العظيم (٢٢٦/٢).

(٥) حافظ بن أحمد بن علي الحكمي، العالم المحقق، له مصنفات منها: معارج القبول، السـبل السـوية، تـوفي سنة ١٣٧٧هـ.

انظر: الأعلام (١٥٩/٢).

الرجل في **كفة حتى يميل الميزان"**[1]. فهذا الحديث يدل على أن العبد يوضع هو وحسناته وصحيفتها في كفة وسيئاته مع صحيفتها في الكفة الأخرى وهذا غاية الجمع بين ما تفرق ذكره في سائر أحاديث الوزن ولله الحمد والمنة"[2].

واختلف هل توزن أعمال الكافر أم لا؟ ورجح الشيخ مرعي أن من الكفار من يعجل به إلى النار ولا وزن له، ومنهم من يوزن ما لديه من عمل ويحاسب عليه ولكن لا ينفعه شيئاً.

والراجح – والله أعلم – أن أعمال الكافر لا توزن، لأنه ليس له من الأعمال الصالحة ما يوزن وإنما يجازى عليها في الدنيا، ولعموم الأدلة على بطلان عمله وعدم وزنه كقوله تعالى: ﴿ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴾[3]، وقوله سبحانه: ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ﴾[4].

قال النووي – رحمه الله –: "أجمع العلماء على أن الكافر الذي مات على كفره لا ثواب له في الآخرة، ولا يجازى فيها بشيء من عمله في الدنيا متقرباً إلى الله تعالى"[5].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: "أما الكفار: فلا يحاسبون محاسبة من توزن حسناته وسيئاته؛ فإنه لا حسنات لهم، ولكن تعد أعمالهم وتحصى، فيوقفون عليها ويقررون ا ويجزون ا"[6].

وقول الشيخ مرعي أن أعمال الجن توزن كما توزن أعمال الإنس موافق لما قرره أهل العلم.

قال القرطبي – رحمه الله –: "فإن قيل أخبر الله عن الناس أ م محاسبون مجزيون، وأخبر

---

(1) سبق تخريجه (ص٤٠٠).

(2) معارج القبول (٨٤٩/٢).

(3) سورة الكهف، الآية: (١٠٥).

(4) سورة الفرقان، الآية: (٢٣).

(5) المنهاج شرح صحيح مسلم (١٤٨/١٧).

(6) مجموع الفتاوى (١٤٦/٣).

أنه يملأ جهنم من الجنة والناس أجمعين، ولم يخبر عن ثواب الجن ولا عن حسا م شيء فما القول في ذلك عندكم وهل توزن أعمالهم؟

فالجواب: أنه قد قيل: إن الله تعالى لما قال: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[1] دخل في الجملة الجن والإنس...

وقال تعالى: ﴿ وَإِذۡ صَرَفۡنَآ إِلَيۡكَ نَفَرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ ﴾ إلى قوله: ﴿ يَٰقَوۡمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُجِرۡكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ۝٣١ وَمَن لَّا يُجِبۡ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيۡسَ بِمُعۡجِزٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَيۡسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءُۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴾[2]، وهذا يدل صريحاً على أن حكمهم في الآخرة كالمؤمنين"[3].

وقال ابن كثير – رحمه الله –: "والحق أن المؤمنين [أي الجن] كمؤمني الإنس يدخلون الجنة كما هو مذهب جماعة من السلف"[4].

وقول الشيخ مرعي بأن الحِكَم التي من أجلها توزن الأعمال حكمتان وهما إظهار العدل، وبيان الفضل، موافق لما قرره أهل العلم.

وقد ذكر العلماء حِكَم أخرى.

يقول ابن الجوزي – رحمه الله –: "فإن قيل أليس الله يعلم مقادير الأعمال، فما الحِكمة في وز ا، فالجواب أن فيه خمسة حِكَم :

إحداها: امتحان الخلق بالإيمان بذلك في الدنيا.

---

(١) سورة البقرة، الآية: (٨٢).

(٢) سورة الأحقاف، الآيات: (٢٩-٣٢).

(٣) التذكرة (ص٢٧٤).

(٤) تفسير القرآن العظيم (١٨٠/٤).

والثانية: إظهار علامة السعادة والشقاوة في الأخرى.

والثالثة: تعريف العباد ما لهم من خير وشر.

والرابعة: إقامة الحجة عليهم.

والخامسة: الإعلام بأن الله عادل لا يظلم، ونظير هذا أنه أثبت الأعمال في كتاب واستحسنها من غير جوازٍ النسيان عليه"[١].

ووراء ذلك من الحِكَم ما لا اطلاع للعباد عليه، والله أعلم.

---

(١) زاد المسير (١٧١/٣)، وانظر: جامع البيان في تأويل آي القـرآن (٤٣٣/٥)، شـرح العقيـدة الطحاويـة (٢١٣/٢).

الصراط:

عرف الشيخ مرعي الصراط، وبين أن الإيمان به واجب، واستدل على ذلك بالسنة، وذكر قول المعتزلة ولم يرد عليهم فقال:

"الصراط: جسر ممدود على متن جهنم، أدق من الشعر، وأحد من السيف يعبره أهل الجنة، وتزل به أقدام أهل النار...

وقد أخبر به الصادق المصدوق والإيمان به واجب...

عن أبي سعيد قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "**يوضع الصراط** بين **ظهراني جهنم عليه حسك**[1] **كسحك السعدان**[2]**،** ثم **يسحب الناس فناج مسلم ومخدوش به** ثم **ناج ومحتبس به ومنكوس فيها**"[3]...

وعن أنس قال: سألت النبي صلى الله عليه وسلم أن يشفع لي يوم القيامة فقال: "**أنا فاعل**" قلت: يا رسول الله فأين أطلبك؟ قال: "**اطلبني أول ما تطلبني على الصراط**"، قلت: فإن لم ألقك على الصراط؟ قال: "**فاطلبني عند الميزان**"، قلت: فإن لم ألقك عند الميزان؟ قال: "**فاطلبني عند الحوض فإني لا أخطئ هذه الثلاث مواطن**"[4]...

وأنكره أكثر المعتزلة، لأنه لا يمكن العبور عليه، وإن أمكن فهو تعذيب للمؤمنين"[5].

دراسـة رأيه:

الصراط لغة: الطريق الواضح.

---

(1) جمع حسكة وهي شوكة صلبة معروفة، النهاية (٣٨٦/١).

(2) السعدان: نبت ذو شوك وهو من جيد مراعي الإبل تسمن عليه، النهاية (٣٦٧/٢).

(3) أخرجه ابن ماجه كتاب الزهد – باب ذكر البعث، (ح٤٢٨٠)، (ص٢٧٣٧)، وصححه الحاكم في المستدرك (٥٨٥/٤) ووافقه الذهبي، والحديث ذكره الألباني في صحيح الجامع (١٣٦٠/٢)، رقم (٨١٨٩).

(4) أخرجه الترمذي كتاب صفة القيامة – باب ما جاء في شأن الصـراط، (ح٢٤٣٣)، (ص١٨٩٦) وقـال: حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، والحديث ذكره الألباني في صـحيح الترمـذي (٥٧٨/٢)، (رقم ١٩٨١).

(5) جة الناظرين وآيات المستدلين (ص٧١٩)، وانظر : شرح الأصول الخمسة (ص٧٣٨) .

يقول ابن فارس: "الصاد والراء والطاء هو من باب الإبدال – وقد ذكر في السين – وهو الطريق"[١].

والصراط في **الشرع:** جسر منصوب على متن جهنم بين الجنة وأرض المحشر عليه يمر الناس على قدر أعمالهم[٢].

وهو ثابت بالكتاب والسنة والإجماع.

فمن الكتاب:

قوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا ﴾[٣].

اختلف المفسرون في معنى الورود المذكور في الآيه[٤]؟

والراجح – والله أعلم - أنه المرور على الصراط[٥].

ومن السنة:

قوله صلى الله عليه وسلم: "**يضرب الجسر** بين **ظهراني جهنم فأكون أنا وأمتي أول من يجيزه ولا يتكلم** في **ذلك اليوم إلا الرسل، ودعوة الرسل يومئذ: اللهم سلم سلم، و**في **جهنم كلاليب مثل شوك السعدان، هل رأيتم السعدان؟**" قالوا: نعم يا رسول الله: قال: "**فإ ا مثل شوك السعدان** غير **أنه لا يعلم قدر عظمها إلا** الله **عز وجل،** تخطف **الناس** بأعمالهم، **فمنهم** الموبق بعمله، **ومنهم** المخردل ثم **ينجو ...**"[٦].

---

(١) معجم مقاييس اللغة (ص٥٦٩)، وانظر: لسان العرب (١٨٥/٩).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (١٤٦/٣)، فتح الباري (٤٤٦/١١)، لوامع الأنوار البهية (١٩٢/٢).

(٣) سورة مريم، الآية: (٧١).

(٤) انظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن (٣٦٤/٨)، الجامع لأحكام القرآن (١٢٦/١١) .

(٥) انظر: مجموع الفتاوى (٢٧٩/٤)، درء تعارض العقل والنقل (٤٠/٧-٥٠)،شرح العقيدة الطحاوية (٦٠٦/٢).

(٦) أخرجه البخاري كتاب الرقاق – باب الصراط جسر جهنم، (ح٦٥٧٣)، (ص٥٥٠)، ومسلم كتاب الإيمان – باب معرفة طريق الرؤية، (ح١٨٢)، (ص٧٠٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

أما الإجماع:

فقد أجمع أهل السنة والجماعة على إثبات الصراط يوم القيامة[(١)].

وما ذكره الشيخ مرعي عن أكثر المعتزلة من إنكار الصراط صحيح، إلا أنه لم يرد عليهم، ويمكن الرد عليهم بما يلي:

قال القرطبي – رحمه الله – راداً على من أنكر الصراط: "ما ذكر مردود بما ذكرنا من الأخبار، وأن الإيمان يجب بذلك، وأن القادر على إمساك الطير في الهواء قادر على أن يمسك عليه المؤمن فيجريه أو يمشيه"[(٢)].

وقال السفاريني – رحمه الله –: "وأنكر الصراط كثير من المعتزلة، زعماً منهم أنه لا يمكن عبوره، وإن أمكن ففيه تعذيب ولا عذاب على المؤمنين والصلحاء يوم القيامة... وكل هذا باطل لوجوب حمل النصوص على حقائقها، وليس العبور على الصراط بأعجب من المشي على الماء أو الطيران في الهواء أو الوقوف فيه... والحق أن الصراط وردت به الأخبار الصحيحة وهو محمول على ظاهره بغير تأويل كما ثبت في الصحيحين والمسانيد والسنن والصحاح مما لا يحصى إلا بكلفة من أنه جسر مضروب على متن جهنم يمر عليه جميع الخلائق"[(٣)].

وعليه فما قرره الشيخ مرعي من وجوب الإيمان بالصراط، موافق للكتاب والسنة وهو مذهب السلف – رحمهم الله –.

قال الإمام أحمد – رحمه الله –: "والصراط حق يوضع على شفير جهنم ويمر الناس عليه والجنة من وراء ذلك نسأل الله عز وجل السلامة في الجواز"[(٤)].

وقال الإمام ابن بطة – رحمه الله –: "ثم الإيمان بالبعث والصراط وشعار المؤمنين يومئذ سلّم سلّم والصراط كما جاء في الحديث إنه أحد من السيف وأدق من الشعرة"[(٥)].

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٤٦/٣)، شرح العقيدة الطحاوية (٦٠٥/٢)، لوامع الأنوار البهية (١٩٢/٢).

(٢) التذكرة (ص٢٨٩).

(٣) لوامع الأنوار البهية (١٩٢/٢-١٩٣).

(٤) طبقات الحنابلة (٢٧/١).

(٥) الشرح والإبانة (ص٢٢١).

الحـوض :

بين الشيخ مرعي أن الحوض ثابت بإجماع أهل السنة والجماعة، واستدل على ذلك بالسنة، ونقل أقوال العلماء في موضع الحوض، واختار رأي السيوطي – رحمه الله – وهو أن الشرب من الحوض يقع قبل الصراط لقوم وتأخيره بعده لآخرين فقال: "الحوض ثابت بإجماع أهل السنة والجماعة، قال الحافظ السيوطي في البدور السافرة: قد ورد ذكر الحوض من رواية بعض وخمسين صحابيا[١]...

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **"إن حوضي أبعد من أيلة[٢] إلى عدن[٣] لهو أشد بياضاً من الثلج وأحلى من العسل باللبن ولآنيته أكثر من عدد النجوم وإني لأصد الناس عنه كما يصد الرجل إبل الناس عن حوضه"**، قالوا: يا رسول الله أتعرفنا يومئذ؟ قال: **"نعم لكم سيماء ليست لأحد من الأمم فتردون عليّ غرا[٤] محجلين[٥] من أثر الوضوء"**[٦]...

وعن أبي ذر قال: قلت يا رسول الله ما آنية الحوض؟ قال: **"والذي نفس محمد بيده لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء في الليلة المظلمة المصحية، يشخب فيه ميزابان من**

---

(١) انظر: البدور السافرة (ص٢٤١).

(٢) أيلة: مدينة كانت عامرة وهي بطرف بحر القلزم من طرف الشام.
انظر: معجم البلدان (١ / ٢٩٢) .

(٣) عدن: بلد مشهور على ساحل البحر في أواخر سواحل اليمن وأوائل سواحل الهند.
انظر: معجم البلدان (٤ / ٨٩) .

(٤) أصل الغرة: لمعة بيضاء تكون في جبهة الفرس، ثم استعملت في الجمال وطيب الذكر، والمراد ا في الحـديث، النور الكائن في وجوه أمة محمد ﷺ .
انظر: النهاية (٣ / ٣٥٤) .

(٥) التحجيل: هو بياض يكون في ثلاثة قوائم من قوائم الفرس، والمراد به في الحديث، النور.
انظر: النهاية (٣ / ٣٥٤) .

(٦) أخرجه مسلم في كتاب الطهارة – باب استحباب طهارة الغرة والتحجيل في الوضوء، (ح٢٤٧)، (ص٧٢٢).

الجنة، من شرب منه لم يظمأ، عرضه مثل طوله ما بين عمان إلى أيلة، ماؤه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل"[١]...

وعن أبي أمامة مرفوعاً قال: **"حوضي كما بين عدن وعمان**[٢]**، فيه أكاويب**[٣] **عدد نجوم السماء، من شرب منه لم يظمأ بعده أبداً، وإن ممن يرده عليّ من أمتي الشعثة رؤوسهم، الدنسة ثيا م، لا ينكحون المنعمات، ولا يحضرون السدد [يعني أبواب السلاطين] الذين يعطون كل الذي عليهم ولا يعطون كل الذي لهم"**[٤]...

إلى غير ذلك من الأحاديث الكثيرة...

قال القرطبي: ذهب صاحب القوت[٥] وغيره إلى أن الحوض بعد الصراط، والصحيح أنه قبله، وهكذا قال الغزالي[٦]: ذهب بعض السلف إلى أن الحوض يورد بعد الصراط وهو وهو غلط من قائله.

قال القرطبي: والمعنى يقتضي تقدم الحوض على الصراط، فإن الناس يخرجون من القبور عطاشاً...

قال السيوطي: فإن قيل إذا خلصوا قرب دخول الجنة فلم يحتج إلى الشرب منه، قلت: كلا بل هم محبوسون هناك لأجل المظالم فكان الشرب في موقف القصاص، ويحتمل الجمع

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الفضائل – باب إثبات حوض نبينا صلى الله عليه وسلم، (ح٢٣٠٠)، (ص١٠٨٥).

(٢) بلد على ساحل البحر الأحمر من جهة البحرين.
انظر: فتح الباري (٤٧٩/١١).

(٣) أكاويب: جمع كوب وهو الكوز الذي لا عروة له، تحفة الأحوذي (١١٥/٧).

(٤) أخرجه الترمذي في كتاب صفة القيامة – باب ما جاء في صفة أواني الحوض، (ح٢٤٤٤)، (ص١٨٩٧) وقال: حديث غريب، وابن ماجه في كتاب الزهد – باب ذكر الحوض، (ح٤٣٠٣)، (ص٢٧٣٨)، والحاكم في المستدرك (١٨٤/٤)، وصححه ووافقه الذهبي، والحديث صححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٣٩٩/٣)، رقم (٣٤٩١).

(٥) هو محمد بن علي بن عطية الحارثي أبو طالب المكي، واعظ زاهد، اشتهر بمكة ورحل إلى البصرة فـا م بالاعتزال، له مصنفات منها: قوت القلوب، توفي سنة ٣٨٦هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء (٥٣٨/١٦)، وفيات الأعيان (٣٧٣/٢).

(٦) محمد بن محمد بن محمد بن أحمد، أبو حامد الغزالي، الشافعي، المتكلم، المتصوف، الفقيه الأصولي، له مصنفات منها: إحياء علوم الدين، الدرة الفاخرة في كشف علوم الآخرة، توفي سنة ٥٠٥هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء (٣٢٢/١٩)، وفيات الأعيان (٢٣٥/٢).

بأن يقع الشرب من الحوض قبل الصراط لقوم وتأخيره بعده لآخرين بحسب ما عليهم من الذنوب حتى يهذبوا منها على الصراط ولعل هذا أقوى انتهى.

قلت: هذا كلام في غاية التحقيق جامع للقولين وهو دقيق"[1].

دراســة رأيه:

الحوض في **اللغة:** مجتمع الماء والجمع أحواض وحياض، ولما ظهر لأم إسماعيل ماء زمزم جعلت تحوضه أي تجعل له حوضاً يجتمع فيه الماء[2].

وشرعاً: ما أثبته الكتاب والسنة وإجماع السلف من وجود حوض يجمع الماء النازل من ر الكوثر في عرصات القيامة للنبي صلى الله عليه وسلم [3].

والحوض ثابت بالسنة والإجماع، كما بين ذلك الشيخ مرعي.

فقد أجمع أهل السنة والجماعة على إثبات الحوض، وصفاته التي وردت على لسان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم[4].

قال السفاريني – رحمه الله –: "حوض نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ثابت بإجماع أهل الحق"[5].

وما مال إليه الشيخ مرعي في موضع الحوض هو قول لبعض أهل العلم والقول الصحيح في المسألة – والله أعلم – أن الحوض قبل الصراط.

قال القرطبي – رحمه الله –: "والمعنى يقتضيه فإن الناس يخرجون عطاشاً من قبورهم، فيقدم قبل الصراط والميزان"[6].

---

(١) جة الناظرين وآيات المستدلين (ص٧١٢)، وانظر: البدور السافرة (ص٢٣٣)، والتـذكرة (ص٢١٦)، وقـوت القلوب (٢٥٠/٢)، والدرة الفاخرة (ص٧٨).

(٢) انظر: لسان العرب (١٤١/٧)، النهاية في غريب الحديث (٤٦١/١).

(٣) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (٢٨٠/١)، لوامع الأنوار البهية (١٩٤/٢).

(٤) انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم (٥٣/١٥)، النهاية (٢٩٣/١)، فتح الباري (٤٧٥/١١)، لوامـع الأنـوار البهية (١٩٤/٢).

(٥) لوامع الأنوار البهية (١٩٤/٢).

(٦) التذكرة (ص١٦١).

وقال ابن كثير – رحمه الله –: "إن ظاهر ما تقدم من الأحاديث يقتضي كونه قبل الصراط لأنه يذاد عنه أقوام يقال عنهم إ م لم يزالوا يرتدون على أعقا م منذ فارقهم فإن كان هؤلاء كفاراً فالكافر لا يجاوز الصراط بل يكب على وجهه في النار قبل أن يجاوزه، وإن كانوا عصاة وهم من المسلمين فبعيد حجبهم عن الحوض لاسيما وعليهم سيما الوضوء...

ثم من جاوز الصراط لا يكون إلا ناج مسلم فمثل هذا لا يحجب عن الحوض والأشبه والله أعلم أن الحوض قبل الصراط"[1].

وقال الشيخ محمد بن عثيمين – رحمه الله –: "زمن الحوض قبل العبور على الصراط؛ لأن المقام يقتضي ذلك؛ حيث إن الناس في حاجة إلى الشرب في عرصات القيامة قبل عبور الصراط"[2].

---

(١) النهاية (٣٢٥/١).

(٢) شرح العقيدة الواسطية (١٥٨/٢).

المطلب الثالث

الرؤيــة

أولاً: رؤية الله سبحانه وتعالى في الآخرة:

يرى الشيخ مرعي ثبوت رؤية الله سبحانه وتعالى في الآخرة، مستدلاً على ذلك بالكتاب والسنة والإجماع فقال: "اعلم أن رؤية الله عز وجل ثابتة في الآخرة بالكتاب والسنة وإجماع الأمة، جائزة بالأبصار في العقل، واجبة بالنقل.

أما الكتاب فقوله تعالى: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾(1)، وقوله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾(2).

وأما السنة فقوله صلى الله عليه وسلم: "**إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر**"(3)... وهو مشهور رواه أحد وعشرون من أكابر الصحابة.

وأما الإجماع فهو أن الأمة كانوا مجتمعين على وقوع الرؤية في الآخرة، وأن الآيات الواردة في ذلك محمولة على ظواهرها...

إذا تقرر هذا فاعلم أن الله تعالى يراه المؤمنون من أهل الموقف في الموقف ورد بذلك أحاديث صحيحة ويراه أهل الجنة في الجنة بلا نزاع في ذلك...

عن صهيب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "**إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تعالى تريدون شيئاً أزيدكم فيقولون: ألم تبيض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار قال: فيكشف الحجاب فما يعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم ثم تلا هذه الآية:**

---

(1) سورة يونس، الآية: (26).

(2) سورة القيامة، الآيتان: (22، 23).

(3) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد – باب قول الله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴾، (ح7434)، (ص619)، وأخرجه مسلم في كتاب المساجد – باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما، (ح633)، (ص776).

﴿ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞ ﴾ "[1]...

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال الناس: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: **"هل تضارون** في **الشمس ليس دو ا سحاب؟"** قالوا: لا يا رسول الله. قال: **"فهل تضارون** في **القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب؟"** قالوا: لا يا رسول الله، قال: **"فإنكم ترونه يوم القيامة كذلك..."** [2]...

عن أبي سعيد قال: قلنا: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: **"أتضارون** في **رؤية الشمس بالظهيرة صحواً؟"** قلنا: لا، قال: **"هل تضارون** في **رؤية القمر ليلة البدر صحواً ليس فيه سحابة؟"** قلنا: لا، قال: **"فإنكم لا تضارون** في **رؤية ربكم إلا كما تضارون** في **رؤية أحدهما..."** [3]." [4]

ثم ذكر الخلاف في رؤية النساء لر م في الجنة، ورجح أ ن يرينه في مثل أيام الأعياد فقال: "ذهب قوم ومنهم عماد الدين ابن كثير إلى أن النساء لا يرين الله في الجنة، ورد بحديث الدراقطني مرفوعاً: **"إذا كان يوم القيامة رأى المؤمنون ر م عز وجل فأخذ منهم عهداً بالنظر إليه** في **كل** جمعة **ويراه المؤمنات يوم الفطر ويوم الأضحى"**[5]"[6].

---

(1) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان – باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ر م سبحانه وتعالى، (ح181)، (ص709).

(2) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد – باب قوله تعالى: ﴿ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ﴾، (ح7437)، (ص619)، وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان – باب معرفة طريق الرؤية، (ح182)، (ص709).

(3) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد – باب قوله تعالى: ﴿ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ﴾، (ح7439)، (ص619)، ومسلم في كتاب الإيمان – باب معرفة طريق الرؤية، (ح183)، (ص710).

(4) جة الناظرين وآيات المستدلين (ص 1016) .

(5) أخرجه الدارقطني في كتاب الرؤية (ص170)، برقم (56)، من طريق أحمد بن سلمان بن الحسن، عن محمد بن عثمان بن محمد، عن مروان بن جعفر، عن نافع أبو الحسن مولى بني هاشم، عن عطاء بن أبي ميمونة، عن أنس بن مالك رضي الله عنه.
وإسناده ضعيف فيه مروان بن جعفر السمري لين الحديث، وقال الأزدي: يتكلمون فيه، انظر: ميزان الاعتدال (89/4)، لسان الميزان (18/6).

(6) جة الناظرين وآيات المستدلين (ص1018).

دراســة رأيه:

رؤية الله سبحانه وتعالى ثابتة بالكتاب والسنة والإجماع(1) كما بين ذلك الشيخ مرعي – رحمه الله – وقوله موافق لقول سلف الأمة – رحمهم الله –.

أما الكتاب:

فقوله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾(2).

أي: بهية حسنة، ينظرون إلى ربهم، على حسب مراتبهم، وهذا مجمع عليه بين الصحابة والتابعين وسلف هذه الأمة كما هو متفق عليه بين أئمة الإسلام(3).

وقوله تعالى: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾.

الحسنى: هي الجنة، والزيادة: النظر إلى وجه الله الكريم(4).

وأما السنة:

فقد تواترت الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم في إثبات الرؤية في الآخرة(5).

وأما الإجماع:

فقد أجمع السلف – رحمهم الله – على إثبات الرؤية في الآخرة(6).

---

(1) انظر: كتاب التوحيد (٤٤٣/٢)، التصديق بالنظر إلى وجه الله تعالى في الآخرة (ص٢١٣)، الرؤية للدارقطني (ص٩١)، مجموع الفتاوى (٢٩/٢، ٤٨٥/٥)، شرح الطحاوية (٢٠٧/١)، لوامع الأنوار البهية (٢٤٣/٢).

(2) سورة القيامة، الآيتان: (٢٢، ٢٣).

(3) انظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن (٣٤٤/١٢)، الجامع لأحكام القرآن (٩٦/١٩).

(4) انظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن (٥٤٩/٦)، لباب التأويل في معاني التنزيل (٤٣٩/٢).

(5) انظر: الحجة في بيان المحجة (٢٤٥/٢)، مجموع الفتاوى (٤٦٩/٦)، بيان تلبيس الجهميــة (٥٣/٢، ٤٠٩)، شرح الطحاوية (٢١٥/١).

(6) انظر: مجموع الفتاوى (٤٦٩/٦، ٥١٠)، لوامع الأنوار البهية (٢٤٠/٢).

أما ما ذكره الشيخ مرعي عن ابن كثير فليس بصحيح، فابن كثير ذكر هذا القول ورده ولم يرتضيه، وهذا نص كلامه كما في النهاية: "وقد حكى بعض العلماء خلافاً في النساء: هل يرين الله عز وجل كما يراه الرجال؟ فقيل: لا لأ ن مقصورات في الخيام.

وقيل: بلى، لأنه لا مانع من رؤيته تعالى في الخيام وغيرها.

وقد قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۝٢٢ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ وَأَزۡوَٰجُهُمۡ فِي ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴾[2]، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**إنكم سترون ربكم عز وجل كما ترون هذا القمر لا** تضارون في **رؤيته فإن استطعتم فداوموا على صلاة قبل طلوع الشمس وغرو ا**"[3]، وهذا عام في الرجال والنساء والله أعلم، وقال بعض العلماء قولاً ثالثاً وهو: أ ن يرين الله في مثل أيام الأعياد، فإنه تعالى يتجلى في مثل أيام الأعياد لأهل الجنة تجلياً عاماً، فيرينه في مثل هذه الحال دون غيرها، وهذا القول يحتاج إلى دليل خاص عليه والله أعلم"[4].

والراجح – والله أعلم – أن النساء يرين الله تعالى في الجنة كالرجال؛ وذلك لما يلي:

١ - أن الأدلة في الرؤية عامة للرجال والنساء، ولم يعارض هذا العموم ما يقتضي تخصيصه[5].

2 - أن ما استدل به أصحاب القولين الآخرين ضعيف، فالآية لا تمنع رؤيتهن الله سبحانه وتعالى وهن في الخيام، والحديث لم يحصر الرؤية في أيام الأعياد فقط، بل هو من باب الإخبار بذلك فلا ينفي هذا وقوع الرؤية لهن في غير الأعياد[6].

---

(١) سورة المطففين، الآيتان: (٢٢، ٢٣).

(٢) سورة يس، الآية: (٥٦).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة – باب فضل صلاة العصر، (ح٥٥٤)، (ص٤٥)، ومسلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة – باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما، (ح١٤٣٢)، (ص٧٧٦).

(٤) النهاية (٣٠٥/٢).

(5) انظر: مجموع الفتاوى (٤٣٠/٦)، والنهاية (٣٠٥/٢).

(٦) انظر: مجموع الفتاوى (٤٥٢/٦).

وما قرره الشيخ مرعي – رحمه الله – من رؤية المؤمنين ر م يوم القيامة عياناً بابصارهم موافق للكتاب والسنة وإجماع السلف – رحمهم الله - .

وأما ما اختاره في رؤية النساء لر ن في الجنة، فقد وافق السلف في أ ن يرينه سبحانه، إلا أنه خالف في تحديد الرؤية بأيام الأعياد - والله أعلم -.

ثانياً: رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لربه عز وجل ليلة الإسراء:

اختلف رأي الشيخ مرعي في مسألة رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لربه ليلة الإسراء والمعراج، فأثبتها بعيني رأسه في كتابه " جة الناظرين وآيات المستدلين" ، ونفاها عنه في كتابه "أقاويل الثقات"، قال في البهجة: "وأما في الدنيا فلم تثبت فيها لنبي مرسل ولا ملك مقرب إلا للنبي صلى الله عليه وسلم على نزاع في ذلك، والصحيح أنه رآه بعيني رأسه وهذه من خصوصياته"[1]، وقال في أقاويل الثقات: "اختلف العلماء: هل رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه بعين رأسه أو بعين قلبه؟ فمذهب ابن عباس وطائفة أنه رآه بعين رأسه، وإلى هذا ذهب أبو الحسن الأشعري ومن وافقه.

ومذهب عائشة أنه لم يره بعين رأسه، وعلى هذا طائفة من العلماء، ورجح هذا القول شيخ الإسلام ابن تيمية وقال: قد تدبرنا عامة ما صنفه المسلمون في هذه المسألة، وما تلقوه فيها من مائة مصنف، فلم أجد أحداً يروي بإسناد ثابت ولا صحيح ولا عن صاحب، ولا عن إمام أنه رآه بعين رأسه، قال: فالواجب اتباع ما كان عليه السلف والأئمة وهو إثبات مطلق الرؤية أو رؤية مقيدة بالفؤاد، وقال: لم يثبت عن الإمام أحمد التصريح بأنه عليه السلام رأى ربه بعين رأسه.

لكن حكى النقاش[2] عن أحمد بن حنبل أنه قال: أنا أقول بحديث ابن عباس: بعينه رآه، رآه حتى انقطع نفسه، لكن ابن تيمية أعلم بنقول أحمد وغيره من النقاش، وأحمد أجل من أن يكون عنده من عدم السكينة ما يتكلم بمثل هذا: حتى ينقطع نفسه، إنما هي حكايات ا ازفين في النقول عن الأئمة فتأمل، وصاحب البيت أدرى، وكم من الناس من مجازفات في المنقول والمعقول، والمرجح في ذلك إنما هو أقوال المحققين والعلماء الراسخين والأئمة الربانيين"[3].

---

(١) جة الناظرين وآيات المستدلين (ص١٠١٧).

(٢) هو محمد بن علي بن عمرو النقاش، أبو سعيد الأصبهاني، له مصنفات منها: طبقات الصوفية، القضاة، تـوفي سنة ٤١٤هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء (٣٠٧/١٧)، الأعلام (٢٧٥/٦).

(٣) أقاويل الثقات (ص١٩٦)، وانظر: مجموع الفتاوى (٣٨٦/٣)، (٥٠٧/٦)، ولم أهتد إلى قول النقاش.

و ذا يتضح اختلاف رأي الشيخ مرعي في هذه المسألة، وعند الاختلاف يكون المرجع لتاريخ التأليف، والحكم للمتأخر، والشيخ مرعي انتهى من تأليف كتابه " جة الناظرين وآيات المستدلين" سنة ١٠٢٢هـ، حيث قال في آخر الكتاب : "فرغت من جمع هذه الفرائد التي لست بأهل لجمعها وأتممت وضع هذه الفوائد التي لست بولي لوضعها لولا سعادة التوفيق وهداية الله لي لأقوم طريق في ار الأربعاء سابع عشر شعبان سنة اثنتين وعشرين بعد الألف بالجامع الأزهر والله سبحانه الموفق والمعين وبه في أموري كلها أستعين"[(١)].

أما بالنسبة لكتاب "أقاويل الثقات" فقد انتهى من تأليفه سنة ١٠٣٢هـ حيث قال في آخر الكتاب: "تم وكمل في جمادى الآخرة بمصر المحروسة عام اثنين وثلاثين وألف"[(٢)].

إذاً فالذي استقر عليه رأي الشيخ مرعي هو ما ذكره في "أقاويل الثقات" وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى ربه بفؤاده لا بعين رأسه.

دراســة رأيه:

ومع اتفاق أهل السنة والجماعة على أن أحداً لا يرى ربه بعينيه في الدنيا فقد تنازعوا في رؤية النبي صلى الله عليه وسلم ربه ليلة الإسراء على أربعة أقوال:

القول الأول: إثبات الرؤية.

القول الثاني: إنكار الرؤية.

القول الثالث: تقييد الرؤية بالرؤية القلبية لا البصرية.

القول الرابع: الوقف[(٣)].

ولاشك أن المسألة خلافية بين أئمة أهل السنة أنفسهم، وأن كل واحد من الأقوال الأربعة قد ذهب إليه بعض الأئمة، ولكن الذي يدل عليه كلام بعض الأئمة المحققين، هو رجحان عدم وقوع الرؤية بالعين.

---

(١) جة الناظرين وآيات المستدلين (ص١٠٣٠).

(٢) أقاويل الثقات (ص٢٣٩).

(٣) انظر: كتاب التوحيد (٤٧٧/٢)، الرؤية (ص٣٠٨)، شرح السنة (٢٢٨/١٢)، مجموع الفتـاوى (٣٣٥/٢، ٣٨٦/٣، ٥٠٩/٦))، زاد المعاد (٣٧/٣)، شرح العقيدة الطحاوية (٢٢٢/١)، فتح الباري (٦٠٨/٨)، لوامع الأنوار البهية (٢٥٤/٢).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: "وأما الرؤية البصرية فالذي ثبت في الصحيح عن ابن عباس أنه قال: "رأى محمد ربه بفؤاده مرتين" وعائشة أنكرت الرؤية.

فمن الناس من جمع بينهما فقال: عائشة أنكرت رؤية العين، وابن عباس أثبت رؤية الفؤاد، والألفاظ الثابتة عن ابن عباس هي مطلقة، أو مقيدة بالفؤاد، تارة يقول: رأى محمد ربه، وتارة يقول: رآه محمد، ولم يثبت عن ابن عباس لفظ صريح بأنه رآه بعينه...

وليس في الأدلة ما يقتضي أنه رآه بعينه، ولا ثبت ذلك عن أحد من الصحابة، ولا في الكتاب والسنة ما يدل على ذلك؛ بل النصوص الصحيحة على نفيه أدل؛ كما في صحيح مسلم عن أبي ذر قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت ربك؟ فقال: "**نورٌ أنّى أراه**"[(١)].

وقد قال تعالى: ﴿ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ﴾[(٢)]، ولو كان قد أراه نفسه بعينه لكان ذكر ذلك أولى.

وكذلك قوله: ﴿ أَفَتُمَـٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴾[(٣)]، ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَـٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾[(٤)]، ولو كان رآه بعينه لكان ذكر ذلك أولى.

وفي الصحيحين عن ابن عباس في قوله: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَـٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ﴾[(٥)]، قال: "هي رؤيا عين أريها رسول الله

---

(١) أخرجه مسلم كتاب الإيمان – باب قوله صلى الله عليه وسلم: "**نور أنّى أراه**"، (ح١٧٨)، (ص٧٠٩).

(٢) سورة الإسراء، الآية: (١).

(٣) سورة النجم، الآية: (١٢).

(٤) سورة النجم، الآية: (١٨).

(٥) سورة الإسراء، الآية: (٦٠).

صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به"[1]، وهذه رؤيا الآيات لأنه أخبر الناس بما رآه بعينه ليلة المعراج، فكان ذلك فتنة لهم، حيث صدقه قوم وكذبه قوم، ولم يخبرهم بأنه رأى ربه بعينه وليس في شيء من أحاديث المعراج الثابتة ذكر ذلك، ولو كان قد وقع ذلك لذكره كما ذكر ما دونه"[2].

و بهذا يتبين أن القول الحق في هذه المسألة هو ما بينه شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى ربه بفؤاده لا بعينه، وهو ما اختاره الشيخ مرعي - رحمه الله -.

---

(١) أخرجه البخاري كتاب التفسير – باب ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَـٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ ﴾، (ح٤٧١٦)، (ص٣٩٤).

(٢) مجموع الفتاوى (٥٠٩/٦-٥١٠).

المطلب الرابع
أصحاب الأعراف

عرف الشيخ مرعي الأعراف لغة وشرعاً، ثم أورد الخلاف في أصحاب الأعراف، مرجحاً الجمع بين تلك الأقوال فقال: "الأعراف: جمع عُرف، وهو لغة: المرتفع من الأرض.

أو: المكان المُشرف.

أو: هو كل مرتفع، ومنه: عُرف الديك، وعُرف الفرس...

الأعراف: أعالي ذلك الحجاب المضروب بين الجنة والنار، وهو السور الذي ذكره الله – عز وجل – في قوله: ﴿ فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ ﴾(١)، وهو قول أكثر المفسرين...

واختلف المفسرون في أصحاب الأعراف على أقوال عديدة: فقيل: إ م قوم استوت حسنا م وسيئا م، فما كانوا من أهل الجنة، ولا من أهل النار، فأوقفهم الله تعالى على الأعراف؛ لكونه درجة متوسطة بين الجنة والنار، ثم يدخلهم الله الجنة بفضله ورحمته... وقيل: إ م قوم خرجوا إلى الغزو، بغير إذن آبائهم، فاستشهدوا، فحبسوا بين الجنة والنار، لأنه تعادل عقوقهم واستشهادهم... وقيل: هم قوم لهم ذنوب عظام، من أهل الصلاة، يعفو الله عنهم ويمسكهم في الأعراف... وقيل: هم مساكين أهل الجنة... وقيل: هم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، أجلسهم الله على أعالي ذلك السور، تمييزاً لهم على سائر أهل القيامة، وإظهاراً لشرفهم، وعلو مرتبتهم، ليكونوا مشرفين على أهل الجنة وأهل النار، مطلعين على أحوالهم ومقادير ثوا م... وقيل: هم العباس وحمزة وعلي وجعفر ذو الجناحين، يجلسون على موضع من الصراط، يعرفون محبيهم ببياض الوجوه، ومبغضيهم بسواد الوجوه... وقيل: إ م عدول القيامة، الذين يشهدون على الناس بأعمالهم، وهم من كل أمة... وقيل: إ م قوم صالحون فقهاء علماء... وقيل: إ م الشهداء... وقيل: إ م الملائكة، يعرفون أهل الجنة، وأهل النار بسيماهم... وقيل: قوم رضي عنهم آباؤهم دون

---

(١) سورة الحديد، الآية: (١٣).

أمها م، أو أمها م دون آبائهم لم يدخلهم الله الجنة، لأن آباءهم أو أمها م غير راضين عنهم، ولم يدخلهم النار، لرضا آبائهم أو أمها م عنهم، فيحبسون على الأعراف، إلى أن يقضي الله بين خلقه، ثم يدخلهم الجنة... وقيل: هم أولاد المشركين... وقيل: هم الذين يراءون الناس في أعمالهم... وقيل: هم الذين ماتوا في الفترة، ولم يبدلوا دينهم... وقيل: هم أولاد الزنا... وقيل: هم الذين يطمعون أن يدخلوا الجنة، وما جعل الله لهم ذلك الطمع، إلا لكرامة يريدها م...

قلت: ولم أر من العلماء، من جمع بين الأقوال، التي وردت فيهم.

وأنا أقول:

يمكن الجمع بين الأقوال المتقدمة وهو:

إن الجميع من أصحاب الأعراف، أجلسوا على السور المذكور، ومنازلهم متفاوتة، فمنهم الشريف، كالأنبياء والشهداء والفقهاء، ومنهم: الوضيع، كمن استوت حسناته ومن سخط عليه آباؤه أو أمهاته"[1].

دراســة رأيه:

مما سبق عرضه من كلام الشيخ مرعي في أصحاب الأعراف تبين لنا أن الرأي الذي ذهب إليه فيه ُبعد، لأنه لا يمكن الجمع بين تلك الأقوال وذلك لأمور:

أولاً : لعدم الدليل عليه، وهي مسألة غيبية لا ُيقال ا إلا بدليل.

ثانياً : لمدى تفاوت أقوال العلماء في تعيين أهل الأعراف.

على أن في بعض هذه الأقوال تناقضاً ظاهراً، والمثال على ذلك: أن بعضهم قال: إن أهل الأعراف هم الأنبياء، وبعضهم قال: هم مساكين أهل الجنة، وهذان القولان بينهما من البعد ما لا يخفى.

ثم إن في بعض الأقوال ُبعداً مثل: القول بأ م: العباس وحمزة وعلي وجعفر ذو الجناحين، يجلسون على موضع من الصراط، يعرفون محبيهم ببياض الوجوه، ومبغضيهم بسواد الوجوه، وُبعد هذا القول واضح، لأن هذا التخصيص لا دليل عليه ولا معنى له،

---

(١) تحقيق الخلاف في أصحاب الأعراف (ص٢٥-٥٢)، جة الناظرين وآيات المستدلين (ص٩٦٩-٩٧٥).

ولعله من أقوال الشيعة، بل قد ذكر الشيخ محمد رشيد رضا[1] في تفسيره أنه منقول من تفاسير الشيعة[2].

وقد رد ابن القيم على من قال بأ م أفاضل المؤمنين بقوله: "وقوله تعالى: ﴿ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴾[3] الضمير أن في الجملتين لأصحاب الأعراف، لم يدخلوا الجنة بعد وهم يطمعون في دخولها، قال الحسن[4]: الذي جعل الطمع في قلو م يوصلهم إلى ما يطمعون، وفي هذا رد على قول من قال: إ م أفاضل المؤمنين علو على الأعراف يطالعون أحوال الفريقين"[5].

ثم إن القول: بأ م هم الذين يراءون الناس في أعمالهم، أو هم أولاد الزنا، لا وجه له البتة، كما ذكر ذلك صاحب تفسير المنار[6].

أما من قال بأ م الأنبياء ففيه بعد، لأنه لا يتفق مع قوله تعالى: ﴿ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ (46) وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾[7]. فهذا دليل على أ م بمكان مرتفع بين الجنة والنار، فإذا أشرفوا على أهل الجنة نادوهم بالسلام وطمعوا في الدخول إليها وإذا أشرفوا على أهل النار سألوا الله أن لا يجعلهم معهم، والأنبياء من أهل الجنة أصلاً، فكيف يطمعون في دخول الجنة ويسألون الله ألا يجعلهم من أهل النار.

---

(1) هو محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد اء الدين بن منلا علي خليفة القلموني، البغدادي الأصل، صاحب مجلة المنار، له مصنفات منها: تفسير القرآن الحكيم، الوحي المحمدي، توفي سنة ١٣٥٤هـ. انظر: الأعلام (١٢٦/٦).

(2) تفسير القرآن الحكيم (٤٣٣/٨).

(3) سورة الأعراف، الآية: (٤٦).

(4) هو الحسن بن أبي الحسن يسار البصري، كان سيد أهل زمانه علماً وعملاً، وكان من أعلم الناس بـ الحلال والحرام، وقد عرف بالزهد والشجاعة، توفي سنة ١١٠هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٤٠/٩)، تذكرة الحفاظ (٧١/١).

(5) طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص٣٩٢).

(6) تفسير القرآن الحكيم (٤٣٢/٨).

(7) سورة الأعراف، الآيتان: (٤٦، ٤٧).

و ـذا يتبين أنه لا يمكن الجمع بين هذه الأقوال لعدم الدليل عليها، ولما فيها من البعد والتباين.

والقول الذي عليه أكثر أهل العلم أن أصحاب الأعراف هم: قوم تساوت حسنا م وسيئا م، فما كانوا من أهل الجنة، ولا من أهل النار، منعتهم حسنا م من دخول النار، ومنعتهم سيئا م من دخول الجنة، فأوقفهم الله تعالى على الأعراف، لكونه درجة متوسطة بين الجنة والنار، ثم يدخلهم الله الجنة بفضله ورحمته.

قال ابن القيم – رحمه الله – بعد ذكر الأقوال في أصحاب الأعراف: "والثابت عن الصحابة هو القول الأول [يعني من استوت حسنا م وسيئا م]، وقد رويت فيه آثار كثيرة مرفوعة لا تكاد تثبت أسانيدها، وآثار الصحابة في ذلك المعتمد"[١].

وقال ابن حجر – رحمه الله –: "أرجح الأقوال في أصحاب الأعراف أ م قوم استوت حسنا م وسيئا م"[٢].

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي – رحمه الله –: "واختلف أهل العلم والمفسرون من هم أصحاب الأعراف؟ والصحيح من ذلك، أ م قوم تساوت حسنا م وسيئا م، فلا رجحت سيئا م فدخلوا النار، ولا رجحت حسنا م فدخلوا الجنة، فصاروا في الأعراف ما شاء الله، ثم إن الله تعالى يدخلهم الجنة برحمته، فإن رحمته تسبق وتغلب غضبه، ورحمته وسعت كل شيء"[٣].

وقال الشيخ محمد رشيد رضا – رحمه الله –: "ورجح الجمهور بكثرة الروايات أ م الذين استوت حسنا م وسيئا م"[٤].

وقال مستنبطاً من دعاء أهل الأعراف: ﴿ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[٥]: "والإنصاف أن هذا الدعاء أليق بحال من استوت حسنا م وسيئا م وكانوا موقوفين مجهولاً مصيرهم"[٦].

---

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص٣٩٢).

(٢) فتح الباري (١١/٤٣٦).

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص٢٨٦).

(٤) تفسير القرآن الحكيم (٨/٤٣٣).

(٥) سورة الأعراف، الآية: (٤٧).

(٦) تفسير القرآن الحكيم (٨/٤٣٣).

المطلب الخامس

حكم أطفال المشركين في الآخرة

ذكر الشيخ مرعي أقوال العلماء في حكم أطفال المشركين في الآخرة، مرجحاً القول بالوقف فقال: "وأما أطفال المشركين فاختلف العلماء فيهم قديماً وحديثاً:

فقيل: إ م في النار...

وقيل: إ م في الجنة...

وقيل: هم خدم أهل الجنة...

وقيل: إ م في مشيئة الله لا يحكم عليهم بشيء...

وقيل: يمتحنون في الآخرة...

وقيل: إن أطفال المشركين يكونون في برزخ بين الجنة والنار...

وقيل: يصيرون تراباً...

فصار حاصل ما فيهم من الخلاف سبعة أقوال، والأحسن الوقف وهو أن لا يحكم عليهم بشيء"[1].

دراسـة رأيه:

مسألة أطفال المشركين الذين ماتوا قبل بلوغهم الحنث ووصولهم سن الرشد والتكليف من المسائل التي اختلف فيها العلماء سلفاً وخلفاً.

وما اختاره الشيخ مرعي وهو القول بالوقف، هو أحد الأقوال التي قال ا جمع من أهل العلم[2].

---

(١) تحقيق الخلاف في أصحاب الأعراف (ص٥٥)، جة الناظرين وآيات المستدلين (ص٩٧٧).

(٢) انظر: طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص٣٩٦).

ولكن القول بأ م في الجنة هو القول الراجح – والله أعلم – لأنه يعتبر من أقوى الأقوال، لظهور نصوصه ووضوح حجته وكثرة أدلته، وممن ذهب إلى هذا القول: الإمام البخاري وابن حزم والنووي وابن عبد البر والقرطبي وابن حجر والشوكاني – رحمهم الله –[١].

وقد استدل أصحاب هذا القول بما يلي:

١ – قال تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾[٢].

٢ – وقال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولاً يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَـٰلِمُونَ ﴾[٣].

ووجه الدلالة من هاتين الآيتين الكريمتين أن الله سبحانه وتعالى أخذ على نفسه أن لا يعذب أحداً إلا بعد إرسال الرسل لينذرهم ويبلغون ما أمر الله به، والأطفال ليسوا محلاً للتبليغ لأ م غير مكلفين، لذا فهم في الجنة، والله سبحانه وتعالى لا يحاسب عباده إلا بعد صدور الظلم منهم، والأطفال لم يصدر الظلم منهم فكيف يعذ م، فهم في الجنة .

وهناك آيات أخرى دالة بلفظها ومدلولها على هذا المعنى.

٣ – عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"ما من مولود إلا ويولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة يمة جمعاء[٤] هل تحسون فيها من جدعاء[٥]"[٦]**.

---

(١) انظر: فتح الباري (٢٩٠/٣)، الفصل (٣٨٦/٢)، المنهاج شرح صحيح مسلم (٤٢٤/١٦)، التمهيد (١١٢/١٨)، التذكرة (ص٤٤٠)، أطفال الكفار في الآخرة (ص٥٧).

(٢) سورة الإسراء، الآية: (١٥).

(٣) سورة القصص، الآية: (٥٩).

(٤) جمعاء: أي لم يذهب من بد ا شيء، سميت بذلك لاجتماع أعضائها، انظر: النهاية (١ / ٢٩٦) .

(٥) جدعاء: المقطوعة الأذن، أي أ ا تولد لا جدع فيها، وإنما يجدعها أهلها بعد ذلك.
انظر: النهاية (٢٤٦) .

(٦) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز – باب إذا أسلم الصبي فمات، هل يصلى عليه؟ وهل يعرض على الصبي الإسلام، (ح١٣٥٨)، (ص١٠٦)، وأخرجه مسلم في كتاب القدر – باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، (ح٢٢)، (ص١١٤١).

وجه الدلالة من الحديث: أن الله سبحانه وتعالى فطر عباده على الإسلام، قال سبحانه: ﴿ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ ﴾[1]، ومعلوم أن الطفل إذا مات قبل أن يهوده أو ينصره أو يمجسه أبواه مات مسلماً على أصل فطرته فيدخل بذلك الجنة.

٤ - قال صلى الله عليه وسلم: **"النبي** في **الجنة والشهيد** في **الجنة والمولود** في **الجنة والوئيد** في **الجنة"**[2].

ودلالته واضحة، إذ حكم – عليه الصلاة والسلام – لهؤلاء جميعاً بالجنة، ولفظ المولود عام يشمل أطفال المسلمين وأطفال المشركين.

٥ - عن أنس رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: **"سألت ربي اللاهين**[3] **من ذرية بني آدم أن لا يعذ م فأعطانيهم"**[4].

وجه الدلالة من هذا الحديث: أن عدم تعذيبهم يدل على أ م في الجنة.

٦ - عن سمرة بن جندب أنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يكثر أن يقول لأصحابه: **"هل رأى أحد منكم رؤيا؟"** فيقص عليه ما شاء الله أن يقص، وأنه قال لنا ذات غداة: **"إنه أتاني الليلة آتيان وإ ما ابتعثاني وإ ما قالا** لي **انطلق وإني انطلقت معهما"...** إلى أن قال: **"فأتينا على روضة معتمة فيها من كل لون الربيع، وإذا** بين

---

(١) سورة الروم، الآية: (٣٠).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الجهاد – باب في فضل الشهادة، (ح٢٥٢١)، (ص١٤١٠)، وابن عبد البر في تمهيده (١١٦/١٨)، وحسنه ابن حجر في الفتح (٢٩٠/٣)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٤٧٩/٢)، (ح٢٢٠٠)، والحديث من رواية عوف عن خنساء ويقال: حسناء بنت معاوية عن عمها مرفوعاً.

(٣) قال ابن عبد البر في التمهيد (١١٧/١٨): "إنما قيل للأطفال اللاهين لأن أعمالهم كاللهو واللعب من غير عقد ولا عزم".

(٤) أخرجه أبو يعلى في مسنده (ح٣٥٧٠)، (٢٦٧/٦)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢١٩/٧): "رواه أبو يعلى من طرق، ورجال أحدهما رجال الصحيح غير عبد الرحمن المتوكل وهو ثقة"، وقال ابن حجر في الفتح (٢٩٠/٣): "إسناده حسن"، وقد ذكره الألباني في السلسلة الصحيحة (٥٠٢/٤)، (ح١٨٨١)، وقال في آخر كلامه عليه: "وجملة القول أن الحديث حسن عندي بمجموع طرقه".

ظهري الروضة رجل لا أكاد أرى رأسه طولاً في **السماء، وإذا حول الرجل أكثر ولدان رأيتهم قط"...** إلى أن قال: **"فأما الرجل الطويل الذي** في **الروضة فإنه إبراهيم – عليه السلام – وأما الولدان الذين حوله فكل مولود يولد على الفطرة"**، قال بعض المسلمين: يا رسول الله، وأطفال المشركين؟ قال: **"وأطفال المشركين"**"[1].

ودلالته واضحة، في دخول أطفال المشركين الجنة[2].

قال ابن القيم – رحمه الله –: "فهذا الحديث الصحيح صريح في أ م في الجنة، ورؤيا الأنبياء وحي"[3].

وقال النووي – رحمه الله –: "الصحيح الذي ذهب إليه المحققون أ م من أهل الجنة، ويستدل له بأشياء منها حديث إبراهيم الخليل – صلى الله عليه وسلم – حين رآه النبي – صلى الله عليه وسلم – وحوله أولاد الناس، قالوا: يا رسول الله وأولاد المشركين؟ قال: **"وأولاد المشركين"**"[4].

قال ابن القيم بعد ذكره لنصوص كثيرة لأصحاب هذا القول: "وهذه حجج كما ترى قوة وكثرة، ولا سبيل إلى دفعها"[5].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز – باب ٩٣، (ح١٣٨٦)، (ص١٠٨).

(٢) انظر: أدلة أصحاب هذا القول في: الفصل (٣٨٦/٢)، المنهاج شرح صحيح مسلم (٤٢٤/١٦)، التمهيد (١١٢/١٨)، التذكرة (ص٤٤٠)، طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص٤٠٢)، أطفال الكفار في الآخرة (ص٥٧)، وللاستزادة: أهل الفترة ومن في حكمهم (ص٩٢).

(٣) طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص٤٠١).

(٤) المنهاج شرح صحيح مسلم (٤٢٤/١٦).

(٥) طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص٤٠٤).

المطلب السادس

الجنـة والنـار

أولاً: خلق الجنة والنار ووجودهما الآن:

قرر الشيخ مرعي – رحمه الله – أن الجنة والنار مخلوقتان وموجودتان الآن فقال: "اعلم – وفقك الله تعالى – أن مذهب أهل الحق هو الحق في كل مسألة، ومذهبهم: أن الجنة والنار موجودتان الآن، خلافاً للمعتزلة"[١].

وقال: "وإلى القول بأ ـما مخلوقتان ذهب جمهور الأمة... والدليل على وجود الجنة الآن قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ ﴾[٣]، وقوله صلى الله عليه وسلم – في حديث الترمذي وصححه –: "**لما خلق الله الجنة والنار أرسل جبريل عليه السلام إلى الجنة فقال: انظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها، قال: فجاء ونظر إليها... الحديث**"[٤]"[٥].

دراسـة رأيه:

القول بخلق الجنة والنار ووجودهما الآن مذهب أهل السنة والجماعة[٦]، وخالف في

---

(١) توقيف الفريقين على خلود أهل الدارين (ص٦٢).

(٢) سورة البقرة، الآية: (٣٥).

(٣) سورة النجم، الآية: (١٥).

(٤) أخرجه الترمذي في كتاب صفة الجنة – باب ما جاء حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشـهوات، (ح٢٥٦٠)، (ص١٩٠٩) وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأخرجه أبو داود في كتاب السنة، باب في خلق الجنة والنار، (ح٤٧٤٤)، (ص١٥٧١)، وأخرجه النسائي في كتاب الإيمـان – بـاب الحلـف بعـزة الله، (ح٣٧٩٤)، (ص٢٣٣٥)، والحديث صححه الألباني في الجامع الصغير (٩٢٥/٢)، (ح٥٢١٠).

(٥) الكلمات البينات في قوله تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ﴾، (ص٥٩).

(٦) انظر: الشرح والإبانة (ص٢٢٧)، الحجة في بيان المحجة (٤٧١/١)، عقيـدة السـلف أصـحاب الحـديث (ص٦١)، درء تعارض العقل والنقل (٣٤٥/٨)، شرح العقيدة الطحاوية (٦١٤/٢)، فتح الباري (٣٦٩/٦).

ذلك المعتزلة ومن وافقهم فقالوا بنفي خلقهما ووجودهما الآن[1].

والقول بخلق الجنة والنار ووجودهما الآن ثابت بالكتاب والسنة والإجماع.

فمن الكتاب:

قوله تعالى: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ١٣ عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ ﴾[4].

ومن السنة:

قوله صلى الله عليه وسلم: **"وأيم الذي نفسي بيده، لو رأيتم ما رأيت، لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيرا"**. قالوا: وما رأيت يا رسول الله؟ قال: **"رأيت الجنة والنار"**[5].

وأما الإجماع:

فقد أجمع أهل السنة والجماعة على خلق الجنة والنار ووجودهما الآن[6].

قال ابن بطة – رحمه الله –: "ثم الإيمان بأن الله عز وجل خلق الجنة والنار، قبل الخلق"[7].

---

(١) انظر: أصول الدين للبزدوي (ص١٦٥) .

(٢) سورة آل عمران، الآية: (١٣٣).

(٣) سورة آل عمران، الآية: (١٣١).

(٤) سورة النجم، الآيات: (١٣-١٥).

(٥) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة – باب تحريم سبق الإمام بركوع أو سجود، (ح٤٢٦)، (ص٧٤٦).

(٦) انظر: الشرح والإبانة (ص٢٢٧)، الحجة في بيان المحجة (٤٧١/١)، عقيدة السلف أصحاب الحـديث (ص٦١)، الاعتقاد لأبي يعلى الفراء .

(٧) الشرح والإبانة (ص٢٢٧).

وقال الإمام الصابوني – رحمه الله –: "ويشهد أهل السنة ويعتقدون أن الجنة والنار مخلوقتان"[(١)].

وقال ابن أبي العز – رحمه الله –: "اتفق أهل السنة على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن"[(٢)].

ومما سبق عرضه يتضح أن ما قرره الشيخ مرعي من القول بخلق الجنة والنار ووجودهما الآن موافق لقول أهل السنة والجماعة.

---

(١) عقيدة السلف أصحاب الحديث (ص٦١).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية (٢/٦١٤).

ثانياً: الجنة والنار باقيتان لا تفنيان أبداً:

تكلم الشيخ مرعي عن هذه المسألة في رسالة سماها "توقيف الفريقين على خلود أهل الدارين" ذكر فيها أدلة القائلين بفناء النار ورد عليها، ثم ذكر أن الجنة والنار باقيتان لا تفنيان أبداً مستدلاً بالكتاب والسنة فقال: "إن مذهب أهل الحق هو الحق في كل مسألة، ومذهبهم: أن الجنة والنار موجودتان الآن، خلافاً للمعتزلة، وإنما هما باقيتان لا تفنيان أبداً... قال تعالى في حق أهل النار: ﴿ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ ﴾[1]، فإن الأبد عبارة عن استغراق المستقبل الذي لا انقطاع له، فتأمل، وروى الشيخان البخاري ومسلم عن ابن عمر – رضي الله عنهما – عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"يدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار،** ثم **يقوم مؤذن بينهم: يا أهل النار: لا موت، ويا أهل الجنة لا موت، كل خالد فيما هو فيه"**[2].

وروى الشيخان أيضاً عن ابن عمر – رضي الله عنهما – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"إذا صار أهل الجنة إلى الجنة، وأهل النار إلى النار، جيء بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار،** ثم **يذبح،** ثم **ينادي مناد: يا أهل الجنة: لا موت، ويا أهل النار: لا موت، فيزداد أهل الجنة فرحاً إلى فرحهم، ويزداد أهل النار حزناً إلى حز م"**[3].

وروى الشيخان أيضاً عن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"ويجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح**[4]**، فيوقف بين الجنة والنار، فيقال: يا أهل الجنة هل تعرفون هذا؟ فيشرئبون**[5] **وينظرون ويقولون: نعم هذا الموت، ويقال: يا أهل النار هل تعرفون هذا؟ فيشرئبون وينظرون ويقولون: نعم هذا الموت، فيؤمر به فيذبح** ثم

---

(١) سورة النساء، الآية: (٨).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق – باب يدخل الجنة سبعون ألفاً بغير حساب، (ح٦٥٤٤)، (ص٥٤٨)، ومسلم في كتاب الجنة – باب النار يدخلها الجبارون، والجنة يدخلها الضعفاء، (ح٢٨٥٠)، (ص١١٧٢)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق – باب صفة الجنة والنار، (ح٦٥٤٨)، (ص٥٤٨)، ومسلم في كتاب الجنة – باب النار يدخلها الجبارون، والجنة يدخلها الضعفاء، (ح٢٨٥٠)، (ص١١٧٢).

(٤) أملح: هو الذي فيه بياض وسواد، انظر: فتح الباري (٢٨٢/٨).

(٥) فيشرئبون: أي يمدون أعناقهم ينظرون، انظر: فتح الباري (٢٨٢/٨).

يقال: يا أهل الجنة خلود ولا موت فيها، ويا أهل النار خلود ولا موت فيها"، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[1]، وأشار بيده إلى الدنيا، وفي لفظ البخاري: **"وهم** في **غفلة، وهؤلاء** في **غفلة أهل الدنيا وهم لا يؤمنون"**[2]. قوله: **"فيشرئبون"** أي: يمدون أعناقهم ويرفعون رؤوسهم للنظر.

وروى الحاكم وصححه، وابن ماجة عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"يؤتى بالموت** في **هيئة كبش أملح فيوقف على الصراط، فيقال: يا أهل الجنة، فيطلعون خائفين وجلين، مخافة أن يخرجوا مما هم فيه، فيقال: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت، فيقال: يا أهل النار، فيطلعون مستبشرين فرحين أن يخرجوا مما هم فيه، فيقال: أتعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت، فيؤمر به فيذبح على الصراط، فيقال للفريقين: خلود فيما تجدون لا موت فيها أبداً"**[3]، فثبت بما قررناه من الآيات الصريحة، والأحاديث الصحيحة: أن كلاً من أهل الدارين خالداً أبداً فيما هو فيه من نعيم أو عذاب، وعلى هذا إجماع أهل السنة والجماعة، واتفاقهم على أن عذاب الكفار لا ينقطع، كما أن نعيم أهل الجنة لا ينقطع، يدل على ذلك الكتاب والسنة وإجماع الأمة، والله سبحانه وتعالى أعلم"[4].

---

(١) سورة مريم، الآية: (٣٩).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير – باب قوله عز وجل: ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ ﴾، (ح٤٧٣٠)، (ص٣٩٧)، ومسلم في كتاب الجنة – باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء، (ح٢٨٤٩)، (ص١١٧٢).

(٣) رواه الحاكم (٨٣/١)، وقال: حديث صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وذكر: أن الشيخين اتفقا عليه من حديث أبي سعيد، وابن ماجه في الزهد – باب صفة النار، (ح٤٣٢٧)، (ص٢٧٤٠)، والحديث صححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٤٠٨/٣)، (ح٢٥٠٩).

(٤) توقيف الفريقين على خلود الدارين (ص٦٢).

دراســة رأيه:

أجمع أهل السنة والجماعة، على القول ببقاء الجنة، ودوام نعيمها(١).

وأما أبدية النار ودوامها، فللناس في ذلك ثمانية أقوال(٢):

الأول: أن من دخلها لا يخرج منها أبد الآباد.

الثاني: أن أهلها يعذبون فيها، ثم تنقلب طبيعتهم، وتبقى طبيعة نارية يتلذذون ا لموافقتها لطبعهم.

الثالث: أن أهلها يعذبون فيها إلى وقت محدود، ثم يخرجون منها، ويخلفهم فيها قوم آخرون.

الرابع: يخرجون منها، وتبقى على حالها ليس فيها أحد.

الخامس: أ ا تفنى بنفسها، لأ ا حادثة، وما ثبت حدوثه استحال بقاؤه.

السادس: تفنى حركات أهلها، ويصيرون جماداً، لا يحسون بألم.

السابع: أن الله يخرج منها من يشاء، كما ورد في السنة، ثم يبقيها ما يشاء ثم يفنيها، فإنه جعل لها أمداً تنتهي إليه.

الثامن: أن الله تعالى يخرج منها من يشاء، كما ورد في السنة، ويبقى فيها الكفار، بقاء لا انقضاء له.

والقول الراجح – والله أعلم – أبدية النار، وأ ا باقية لا تفنى، وهو قول جمهور أهل السنة(٣).

---

(١) انظر: الشرح والإبانة (ص٢٢٧)، عقيدة السلف أصحاب الحديث (ص٦١)، مراتـب الإجمـاع (ص١٣)، بيان تلبيس الجهمية (٥٨١/١)، شرح العقيدة الطحاوية (٦٢٠/٢)، فتح الباري (٤٢٩/١١)، لوامع الأنـوار البهية (٢٣٤/٢).

(٢) انظر: حادي الأرواح (ص٣٢٩-٣٣٢)، شرح العقيدة الطحاوية (٦٢٤/٢)، فـتح البـاري (٤٢٩/١١)، لوامع الأنوار البهية (٢٣٤/٢).

(٣) انظر: عقيدة السلف أصحاب الحديث (ص٦١)، الحجة في بيان المحجة (٢٦٣/٢-٤٣٦)، التمهيد (١١/٥)، شرح العقيدة الطحاوية (٦٢٠/٢)، رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار (٧٨٩/٢)، وللاستزادة انظر: الاستنفار لمحق القول بفناء النار (ص٢٣-٥٠).

وقد استدل أصحاب هذا القول بأدلة من الكتاب والسنة وهي كما يلي:

أدلتهم من الكتاب:

١ – قوله تعالى: ﴿ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ ﴾[١].

٢ – وقوله سبحانه: ﴿ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَـٰلَهُمۡ حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡ ۖ وَمَا هُم بِخَـٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾[٢].

٣ – وقوله جل وعلا: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴾[٣]، أي: مقيماً لازماً[٤].

أدلتهم من السنة:

١ – قوله صلى الله عليه وسلم: **"يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح، فيناد مناد يا أهل الجنة، فيشرئبون وينظرون فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم هذا الموت، وكلهم قدر رآه،** ثم **ينادي: يا أهل النار، فيشرئبون وينظرون،** فيقول: **هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم هذا الموت، وكلهم قد رآه، فيذبح** ثم **يقول: يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت"**، ثم قرأ: ﴿ وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡحَسۡرَةِ إِذۡ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٍ ﴾[٥]، **"وهؤلاء** في **غفلة أهل الدنيا وهم لا يؤمنون"**[٦].

٢ – وقوله صلى الله عليه وسلم: **"يدخل الله أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار،** ثم **يقوم مؤذن بينهم فيقول: يا أهل الجنة لا موت ويا أهل النار لا موت، كل خالد فيما هو فيه"**[٧].

---

(١) سورة البينة، الآية: (٨).

(٢) سورة البقرة، الآية: (١٦٧).

(٣) سورة الفرقان، الآية: (٦٥).

(٤) تفسير القرآن العظيم (٣٥٨/٣).

(٥) سورة مريم، الآية: (٣٩).

(٦) سبق تخريجه (ص ٤٣٧) .

(٧) سبق تخريجه (ص٤٣٦).

وأما ما حكاه الشيخ مرعي من الإجماع على أبدية النار، فقد حكاه بعض أهل العلم[1].

لكن الصحيح أن أبدية النار مختلف فيها بين أهل السنة .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: "وأما القول بفناء النار: ففيها قولان معروفان عن السلف والخلف، والنـزاع في ذلك معروف عن التابعين ومن بعدهم"[2].

ولعل من حكى الإجماع، حكاه بحسب القول المشهور ولم يعتد بقول المخالف، أو بحسب ما وقف عليه ولم يعلم بأن فيه خلافاً بين أهل السنة – والله أعلم –.

---

(١) انظر: مراتب الإجماع (ص١٣)، بيان تلبيس الجهمية (٥٨١/١)، رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار (ص١١٦).

(٢) الرد على من قال بفناء الجنة والنار وبيان الأقوال في ذلك (ص٥٢).

الفصل الرابع

آراؤه في القدر

وفيه تمهيد ومبحثان :

- تمهيد في تعريف القضاء والقدر والفرق بينهما .

المبحث الأول : آراؤه في الإيمان بالقضاء والقدر .

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: رأيه في القدر إجمالاً .

المطلب الثاني: أفعال العباد .

المطلب الثالث: الآجال والمحو والإثبات .

المطلب الرابع: الحكمة والتعليل في أفعال الله سبحانه وتعالى .

المطلب الخامس: تكليف ما لا يطاق .

المطلب السادس: تنـزيه الله عن الظلم .

المبحث الثاني : الاحتجاج بالقدر على المعاصي .

الفصل الرابع

آراؤه في القدر

تمهيد

في تعريف القضاء والقدر والفرق بينهما

القضاء والقدر لغة:

القضاء لغة:

هو بالمد، ويقصر، أصله: قَضاي، فلما جاءت الياء بعد ألف زائدة متطرفة همزت، وجمعه أقضية(١).

قال ابن فارس: "القاف والضاد والحرف المعتل أصل صحيح يدل على إحكام أمر وإتقانه وإنفاذه لجهته"(٢)، وقال في النهاية: "القضاء في اللغة على وجوه مرجعها إلى انقطاع الشيء وتمامه"(٣).

يتبين مما تقدم أن معنى القضاء في اللغة هو إحكام الشيء وإتمام الأمر، وهذا هو أصل معنى القضاء، وإليه ترجع جميع معاني القضاء الواردة في اللغة، وقد يأتي بمعنى القدر(٤).

القدر لغة:

قال ابن فارس: "القاف والدال والراء أصل صحيح يدل على مبلغ الشيء وكنهه و ايته"(٥).

وقال الراغب: "القدر والتقدير تبين كمية الشيء يقال قدرته وقدرته، وقدره بالتشديد أعطاه القدرة، يقال: قدرني الله على كذا قواني عليه...

---

(١) انظر: الصحاح للجوهري (٤٦٣/٦)، ولسان العرب (١٨٦/١٥).

(٢) معجم مقاييس اللغة (ص٨٦١).

(٣) النهاية (٧٨/٤).

(٤) انظر: مفردات ألفاظ القرآن (ص٤٠٦).

(٥) معجم مقاييس اللغة (ص٨٤٦).

والقدر: وقت الشيء المقدر له والمكان المقدر له، قال تعالى: ﴿ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾[1]، وقال: ﴿ فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا ﴾[2]، أي بقدر المكان المقدر لأن يسعها"[3].

تعريف القضاء والقدر شرعاً والفرق بينهما:

تعريف القضاء والقدر شرعاً:

هو تقدير الله تعالى الأشياء في القدم، وعلمه سبحانه أ ا ستقع في أوقات معلومة عنده، وعلى صفات مخصوصة، وكتابته سبحانه لذلك ومشيئته له، ووقوعها على حسب ما قدرها وخلقه لها[4].

الفرق بين القضاء والقدر:

اختلف أهل العلم في لفظي القضاء والقدر هل هما بمعنى واحد أم بمعاني متغايرة، واختلف القائلون بالتغاير بينهما في تحديد وجهه[5]، وذلك على أقوال، منها:

القول الأول: قالوا: إنه لا فرق بين القضاء والقدر، فكل واحد منهما في معنى الآخر، فإذا أطلق التعريف على أحدهما شمل الآخر؛ ولذلك إذا أطلق القضاء وحده، فسر بالقدر، وكذلك القدر، فلا فرق بينهما في اللغة، كما أنه لا دليل على التفريق بينهما في الشرع[6].

---

(١) سورة المرسلات، الآية: (٢٢).

(٢) سورة الرعد، الآية: (١٧).

(٣) المفردات (ص٣٩٤).

(٤) انظر: شرح السنة (١٤٢/١)، معالم السنن (٢٩٧/٤)، مجموع الفتاوى (١٤٨/٣-١٤٩)، شفاء العليل (١٣٣/١)، فتح الباري (١١٨/١)، لوامع الأنوار البهية (٣٤٨/١).

(٥) انظر: المفردات (ص٤٠٧)، فتح الباري (١٤٩/١١، ٤٧٧)، عمدة القاري (١٤٥/٢٣)، إرشاد الساري (٣٤٣/٩)، الدرر السنية (٥١٢/١)، فتاوى ابن عثيمين (٥٢/١، ٦٢)، وللاستزادة: القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة (ص٤٠).

(٦) انظر: فتح الباري (١٤٩/١١)، عمدة القاري (١٤٥/٢٣)، الدرر السنية (٥١٢/١)، وللاستزادة: القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة (ص٤٠).

القول الثاني: قالوا بالفرق بينهما، ولكن هؤلاء اختلفوا في التمييز بينهما على أقوال.

فمن هذه الأقوال: أن القضاء هو الحكم بالكليات على سبيل الإجمال في الأزل، والقدر: الحكم بوقوع الجزئيات التي لتلك الكليات على سبيل التفصيل(١).

وقيل: إن القدر: هو التقدير، والقضاء هو التفصيل والتقطيع، فالقضاء أخص من القدر الذي هو كالأساس(٢)... الخ.

والأقوال في هذه المسألة مبنية على اجتهادات، وليس هناك دليل واضح من الكتاب والسنة يفصل في القضية(٣).

وأياً ما يكن فالقضاء والقدر بحسب معناهما في اللغة والشرع بينهما رابط قوي، فكل منهما يأتي بمعنى الآخر(٤).

والراجح في هذه المسألة أن لفظي القضاء والقدر بينهما عموم وخصوص، فإذا أطلق القضاء مفرداً شمل القدر، وإذا أطلق القدر مفرداً شمل القضاء.

وأما إذا اجتمعا:

فالمراد بالقضاء: ما يقضيه الله تعالى في الخلق من إيجاد أو عدم أو تغيير.

والمراد بالقدر: ما قدر الله تعالى في الأزل، فالقدر سابق والقضاء لاحق(٥) - والله أعلم -.

---

(١) انظر: فتح الباري (١٤٩/١١، ١١/ ٤٧٧)، وعمدة القاري (١٤٥/٢٣)، وللاستزادة: انظر: القضاء والقدر (ص٤٤).

(٢) انظر: المفردات (ص٤٠٧)، وإرشاد الساري (٣٤٣/٩).

(٣) انظر: القضاء والقدر (ص٤٤)، وقد رجح فيه أنه لا فرق بينهما، وذكر أنه لا فائدة من هذا الخلاف، لأنه وقع الاتفاق على أن أحدهما يطلق على الآخر، وعند ذكرهما معاً فلا مشاحة من تعريف أحدهما بما يدل عليه الآخر.

(٤) يظهر ذلك فيما سبق من بيان معناهما.

(٥) انظر: الدرر السنية (٥١٢/١٠-٥١٣)، فتاوى ابن عثيمين (٥٢/١، ٦٢).

المبحث الأول

آراؤه في الإيمان بالقضاء والقدر

المطلب الأول
رأيه في القدر إجمالاً

يرى الشيخ مرعي أن المذهب الحق في الإيمان بالقضاء والقدر هو أن الله تعالى قدر مقادير الخلق، وأنه يعلم الأشياء قبل أن يخلقها فقد قال: "اعلم وفقك الله تعالى أن مذهب أهل الحق، هو الحق، ومذهبهم: أن الله تعالى قدر مقادير الخلق، وما يكون من الأشياء قبل أن يكون في الأزل، وعلم سبحانه أ ا ستقع في أوقات معلومة، عنده سبحانه، على صفات مخصوصة، فهي تقع على حسب ما قدرها"[1].

ثم ذكر مذهب القدرية[2]، ورد عليه بالكتاب والسنة فقال: "وخالفت القدرية في ذلك، ومن ذهب إلى مذهبهم، فقالوا: إنه سبحانه لم يقدر الأشياء، ولم يتقدم علمه ا، وإ ا مستأنفة العلم، أي: يعلمها سبحانه بعد وقوعها.

وكذبوا على الله في قولهم ومذهبهم، وهو مذهب باطل بالكتاب والسنة.

---

(١) إرشاد ذوي العرفان لما للعمر من الزيادة والنقصان (ص٢٦)، و جة الناظرين وآيات المستدلين (ص١٣٤)، وإتحاف ذوي الألباب ، مخطوط (ب / ٢) .

(٢) القدرية: هي فرقة حدثت في الإسلام في أواخر عصر الصحابة، وأول من تكلم في القدر معبد الجهني (ت٨٠هـ) وقيل: بل أول من ابتدعه رجل بالعراق يقال له: سيسويه من أبناء ا وس، وقيل اسمه: سوسن. وتلقاه عنه معبد الجهني، وأخذ غيلان الدمشقي (ت١٠٥) عن معبد وسموا قدرية لإنكارهم القدر، وهم فرقتان: الأولى: تنكر علم الله بالأشياء قبل وجودها، وتزعم أن الله لم يقدر الأمور أزلاً، وقالوا إن الأمر أنف، أي مستأنف مبتدأ بقدرة الإنسان نفسه، وهم المتقدمون الذين كفرهم السلف، الثانية: هم الذين أقروا بعلم الله، وأنكروا خلقه لأفعال العباد، وزعموا أن العباد هم الخالقون لأفعالهم وهم المتأخرون.

انظر: مقالات الإسلاميين (٢٩٨/١)، والملل والنحل (٤٠/١)، ومجموع الفتاوى (٤٢٩/٨)، وفتح الباري (١٤٥/١)، ولوامع الأنوار البهية (٢٩٩/١).

أما الكتاب: فقوله تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ ﴾[2] إلى غير ذلك من الآيات، وأما السنة: فأحاديث جمة في البخاري ومسلم وغيرهما، ففي مسلم: عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "**كتب الله مقادير الخلائق، قبل أن يخلق السماوات والأرض** بخمسين **ألف سنة**"[3]، وفي مسلم أيضاً: حديث تحاج آدم وموسى، وفيه: قال آدم لموسى: "**أفتلومني على أمر قد قدر قبل أن يخلق السماوات والأرض** بخمسين **ألف سنة**"[4]، وفي مسلم أيضاً: من حديث علي بن أبي طالب عن النبي صلى الله عليه وسلم وفيه: "**ما من نفس منفوسة إلا وكتب الله مكا ا من الجنة والنار إلا وقد كتب شقية أو سعيدة**". قال: فقال رجل: يا رسول الله أفلا نمكث على كتابنا وندع العمل؟ فقال: "**من كان من أهل السعادة فسيصير** إلى **عمل أهل السعادة ومن كان من أهل الشقاوة فسيصير** إلى **عمل أهل الشقاوة اعملوا فكل ميسر** لما **خلق له أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة**"[5]، وقال البخاري في بعض طرقه في هذا الحديث: "**اعملوا كل يعمل** لما **خُلق له أو** لما **ُيسر له**"[6]... فثبت بالكتاب والسنة بطلان مذهب القدرية ومن وافقهم"[7].

---

(1) سورة الحديد، الآية: (٢٢).

(2) سورة التوبة، الآية(٥١).

(3) أخرجه مسلم في كتاب القدر – باب حجاج آدم وموسى صلى الله عليهما وسلم، (ح٢٦٥٣)، (ص١١٤١).

(4) أخرجه مسلم في كتاب القدر – باب حجاج آدم وموسى صلى الله عليهما وسلم، (ح٢٦٥٢)، (ص١١٤٠).

(5) أخرجه مسلم في كتاب القدر – باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته، (ح٢٦٤٧)، (ص١١٣٩).

(6) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد – باب قول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾، (ح٧٥٥٢)، (ص٦٣٠).

(7) إرشاد ذوي العرفان لما للعمر من الزيادة والنقصان (ص٢٦)، و جة الناظرين وآيات المستدلين (ص١٣٤).

وقال في موضع آخر وهو يتكلم عن الإيمان بالقضاء والقدر عند حلول المصائب بالعبد: "فأولى ما اعتمد عليه العاقل اللبيب في جميع أموره، ورجع إليه الأريب في وروده وصدوره، وتلبس به المصاب في آصاله وبكوره، هو: الرضا بقضاء الله ومقدوره، والتسليم للقضاء، وتلقيه بالقبول والرضا والإذعان لمقدوره ومحتومه، والصبر عند نزوله ولزومه"[(١)].

دراســة رأيه:

مما سبق عرضه من كلام الشيخ مرعي يتبين لنا أن رأيه في مسألة قضاء الله وقدره موافق لما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة، وموافق لمذهب السلف – رحمهم الله –.

يقول الإمام ابن بطة وهو يوضح معتقد أهل السنة والجماعة في مسألة القدر: "ثم من بعد ذلك الإيمان بالقدر، خيره وشره، وحلوه ومره، وقليله وكثيره، مقدور واقع من الله عز وجل على العباد، في الوقت الذي أراد أن يقع، لا يتقدم الوقت ولا يتأخر، على ما سبق بذلك علم الله، وأن ما أصاب العبد لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وما تقدم لم يكن ليتأخر، وما تأخر لم يكن ليتقدم، في هذا من صحة الدلائل وثبوت الحجة في جميع القرآن وأخبار المصطفى صلى الله عليه وسلم، ما لا يمكن دفعه ولا يقدر على رده إلا بالافتراء على الله عز وجل، ومنازعته في قدره.

وإلى ما وصفناه دعت الرسل، وأنزلت الكتب، وعليه اتفق أهل التوحيد، ممن أقر لله بالربوبية، وعلى نفسه بالعبودية، من ملك مقرب، ونبي مرسل، منذ كان الخلق إلى انقضائه، مجمعون على أنه ليس شيء كان، ولا شيء يكون، في السماوات ولا في الأرض إلا ما أراده الله عز وجل، وشاءه وقضاه، والخلق كلهم أضعف في قو م وأعجز في أنفسهم من أن يحدثوا في سلطان الله عز وجل شيئاً يخالفون فيه مراده ويغلبون مشيئته ويردون قضائه.

فالإيمان ذا حق لازم، فريضة من الله عز وجل على خلقه، فمن خالف ذلك أو خرج

---

(١) سلوان المصاب بفرقة الأحباب (ص٥٣).

عنه أو طعن فيه، ولم يثبت المقادير لله عز وجل، ويضيفها ويضيف المشيئة إليه، فهو أول الزنادقة"[1].

ويوضح الإمام الآجري بشيء من التفصيل عقيدة أهل السنة والجماعة في القدر فيقول: "مذهبنا في القدر أن نقول إن الله عز وجل خلق الجنة وخلق النار، ولكل واحد منهما أهلاً، وأقسم بعزته أنه يملأ جهنم من الجنة والناس أجمعين، ثم خلق آدم عليه السلام، واستخرج من ظهره ذرية هو خالقها إلى يوم القيامة، ثم جعلهم فريقين فريق في الجنة وفريق في السعير وخلق إبليس وأمره بالسجود لآدم عليه السلام.

وقد علم أنه لا يسجد للمقدور، الذي جرى عليه من الشقوة التي سبقت في العلم من الله عز وجل، لا معارضة لله الكريم في حكمه، يفعل في خلقه ما يريد، عدلاً من ربنا قضاؤه وقدره، وخلق آدم وحواء عليهما السلام، وللأرض خلقهما أسكنهما الجنة وأمرهما أن يأكلا منها رغداً ما شاء و اهم عن شجرة واحدة ألا يقرباها.

وقد جرى مقدوره أ ما سيعصيانه بأكلهما من الشجرة، فهو تبارك وتعالى في الظاهر ينهاهما، وفي الباطن من علمه قد قدر عليهما أ ما يأكلان منها ﴿ لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ ﴾[2] لم يكن لهما بد من أكلهما، سبباً للمعصية، وسبباً لخروجهما من الجنة، إذ كانا للأرض قد خلقا، وأنه سيغفر لهما بعد المعصية، كل ذلك سابق في علمه، لا يجوز أن يكون شيء يحدث في جميع خلقه، إلا وقد جرى مقدوره به، وأحاط به علمه قبل كونه أنه سيكون.

خلق الخلق كما شاء لما شاء فجعلهم شقياً وسعيداً قبل أن يخرجهم إلى الدنيا، وهم في بطون أمها م، وكتب آجالهم، وكتب أرزاقهم، وكتب أعمالهم، ثم أخرجهم إلى الدنيا، وكل إنسان يسعى فيما كتب له وعليه.

---

(١) الإبانة (ص٢١٣).

(٢) سورة الأنبياء، الآية: (٢٣).

ثم بعث رسله، وأنزل عليهم وحيه، وأمرهم بالبلاغ لخلقه، فبلغوا رسالات ر م، ونصحوا قومهم، فمن جرى في مقدور الله عز وجل أن يؤمن آمن، ومن جرى في مقدوره أن يكفر كفر، قال الله عز وجل: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمۡ فَمِنكُمۡ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤۡمِنٌۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾(1).

أحب من أراد من عباده فشرح صدره للإيمان والإسلام، ومقت آخرين، فختم على قلو م... قد علم ما الخلق عاملون قبل أن يخلقهم، وبعد أن يخلقهم قبل أن يعملوا قضاءً وقدراً، قد جرى القلم بأمره في اللوح المحفوظ بما يكون، من بر أو فجور، يثني على من عمل بطاعته من عبيده، ويضيف العمل إلى العباد، ويعدهم عليه الجزاء العظيم، ولولا توفيقه لهم ما عملوا ما استوجبوا من الجزاء ﴿ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾(2). قال: محمد بن الحسين رحمه الله تعالى هذا مذهبنا في القدر"(3).

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – مقرراً مذهب السلف: "ومذهب أهل السنة والجماعة أن الله تعالى خالق كل شيء وربه ومليكه لا رب غيره، ولا خالق سواه، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وهو على كل شيء قدير، وبكل شيء عليم، والعبد مأمور بطاعة الله وطاعة رسوله، منهي عن معصية الله ومعصية رسوله، فإن أطاع كان ذلك نعمة، وإن عصى كان مستحقاً للذم والعقاب، وكان لله عليه الحجة البالغة، ولا حجة لأحد على الله تعالى، وكل ذلك كائن بقضاء الله وقدره ومشيئته وقدرته، ولكن يحب الطاعة ويأمر ا ويثيب أهلها على فعلها ويكرمهم، ويغفر المعصية وينهى عنها ويعاقب عليها ويهينهم...

---

(1) سورة التغابن، الآية: (2).

(2) سورة الحديد، الآية: (21).

(3) الشريعة (ص128).

وما يصيب العبد من النعم فالله أنعم ا عليه، وما يصيبه من الشر فبذنوبه ومعاصيه، كما قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ ﴾[2]، أي ما أصابك من خصب ونصر وهدى فالله أنعم به عليك، وما أصابك من حزن وذل وشر فبذنوبك وخطاياك، وكل الأشياء كائنة بمشيئة الله وقدرته وخلقه، فلابد أن يؤمن العبد بقضاء الله وقدره، وأن يوقن العبد بشرع الله وأمره"[3].

(١) سورة الشورى، الآية: (٣٠).
(٢) سورة النساء، الآية: (٧٩).
(٣) مجموع الفتاوى (٦٣/٨).

مراتب القضاء والقدر

الإيمان بالقضاء والقدر يتلخص في أربع مراتب استنبطها العلماء – رحمهم الله – من الكتاب والسنة، وقد تحدث الشيخ مرعي عنها، وفيما يلي عرض رأيه فيها:

١ – العلم:

يجب الإيمان بعلم الله عز وجل المحيط بكل شيء، وأنه علم ما كان، وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، وأنه علم ما الخلق عاملون قبل أن يخلقهم، وعلم أرزاقهم وآجالهم.

قال الشيخ مرعي: "إن الله تعالى قدر مقادير الخلق وما يكون من الأشياء قبل أن يكون في الأزل، وعلم سبحانه أ ا ستقع في أوقات معلومة عنده على صفات مخصوصة، فهي تقع على حسب ما قدرها.

وخالفت القدرية في ذلك ومن ذهب مذهبهم فقالوا:

إنه سبحانه لم يقدر الأشياء، ولم يتقدم علمه ا، وإ ا مستأنفة العلم، أي: إنما يعلمها سبحانه بعد وقوعها، وكذبوا على الله في قولهم ومذهبهم، وهو مذهب باطل بالكتاب والسنة"[1].

٢ – الكتابة:

وهي كتابة الله تعالى للأشياء قبل كو ا، وقد أثبتها الشيخ مرعي موافقاً لكافة أهل السنة، واستدل لها من الكتاب والسنة.

فقال: "أما الكتاب: فقوله تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا

---

(١) إرشاد ذوي العرفان لما للعمر من الزيادة والنقصان (ص٢٦)، و جة الناظرين وآيات المسـتدلين (ص١٣٤)، وانظر: البرهان في معرفة عقائد أهل الإيمان (ص٢٧)، وأصول الدين (ص٣٣٥).

(٢) سورة الحديد، الآية: (٢٢).

﴿ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا ﴾[(١)].

وأما السنة: فأحاديث جمة في البخاري ومسلم، ففي مسلم... **"كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض** بخمسين **ألف سنة"**[(٢)(٣)].

٣ – المشيئة :

أي: أن كل ما يجري في هذا الكون فهو بمشيئة الله – سبحانه وتعالى – فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، فلا يخرج عن إرادته الكونية شيء.

قال الشيخ مرعي: "قال تعالى: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾[(٤)]، أثبت تعالى بذلك مشيئة العبد وأخبر أ ا لا تكون إلا بمشيئة الرب، وهذا صريح قول أهل السنة"[(٥)].

وقال أيضاً: "... فإن شاء الله كان وإن لم يشأ لم يكن"[(٦)].

٤ – الخلق :

أي: أن الله خالق كل شيء، من ذلك أفعال العباد، فلا يقع في هذا الكون شيء إلا وهو خالقه.

قال الشيخ مرعي: "قد دلت الدلائل اليقينية على أن كل حادث فالله خالقه وفعل العبد من جملة الحوادث، وكل ممكن يقبل الوجود والعدم، فإن شاء الله كان وإن لم يشأ لم يكن، وفعل العبد في جملة الممكنات"[(٧)].

وقال: "فمذهب أهل الحق أن الرب منفرد بخلق المخلوقات ولا خالق سواه ولا مبدع غيره"[(٨)].

---

(١) سورة التوبة، الآية: (٥١).

(٢) سبق تخريجه (ص٤٤٧).

(٣) دفع الشبهة والغرر (ص٧٠).

(٤) سورة الإنسان، الآية: (٣٠).

(٥) دفع الشبهة والغرر (ص١٠٣).

(٦) المصدر السابق (ص١٠٢).

(٧) المصدر السابق (ص١٠٢).

(٨) المصدر السابق (ص٩٥).

دراســة رأيه:

مما سبق عرضه من كلام الشيخ مرعي يتضح موافقته لمذهب السلف في هذه المسألة.

قال ابن القيم – رحمه الله –: "مراتب القضاء والقدر، من لم يؤمن ا، لم يؤمن بالقضاء والقدر، وهي أربع مراتب:

المرتبة الأولى: علم الرب سبحانه بالأشياء قبل كو ا.

المرتبة الثانية: كتابته لها قبل كو ا.

المرتبة الثالثة: مشيئته لها.

المرتبة الرابعة: خلقه لها"[(١)].

وقال الشيخ حافظ الحكمي – رحمه الله –: "واعلم أن الإيمان بالقدر على أربع مراتب...

الأولى: علمه السابق بما هم عاملوه قبل إيجادهم.

الثانية: كتابة ذلك في الذكر عنده قبل خلق السماوات والأرض.

الثالثة: مشيئته المتناولة لكل موجود فلا خروج لكائن عن مشيئته كما لا خروج له عن علمه.

الرابعة: خلقه له وإيجاده وتكوينه فإنه لا خالق إلا الله، والله خالق كل شيء"[(٢)].

---

(١) شفاء العليل (١٣٣/١-١٩٣).

(٢) معارج القبول (٩٢٠/٣، ٩٥٠-٩٥١)، وانظر: شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (١٩٣/٢)، للاستزادة: انظر: القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة (ص٥٤) وما بعدها.

المطلب الثاني

أفعال العباد

ذكر الشيخ مرعي أقوال الناس في أفعال العباد فقال: "وقد اختلفت أقوال الطوائف في مثل هذا:

فمذهب أهل الحق أن الرب سبحانه منفرد بخلق المخلوقات ولا خالق سواه ولا مبدع غيره، وقالت المعتزلة: إن جميع أفعال العباد من حركا م وسكنا م وأقوالهم وأعمالهم لم يخلقها الله، ثم اختلفوا فقالت طائفة: خلقها الذين فعلوها دون الله، وقال آخرون: ليست مخلوقة ولكنها أفعال موجودة... ونقل عن الإمامية هل أفعال العباد خلق لهم أو خلق لله؟ على قولين[1]، ونقل الأشعري عن الزيدية[2] أ م فرقتان[3]: فرقة تزعم أن أفعال العباد مخلوقة لله خلقها، وأبدعها، وفرقة تزعم أ ا غير مخلوقة لله، وأ ا كسب للعباد وأحدثوها واخترعوها وفعلوها، وقالت الجبرية[4]: إن العبد لا قدرة له البتة، ومنهم من بالغ فزعم أن

---

(١) انظر: مقالات الإسلاميين (١٤٨/١).

(٢) الزيدية: فرقة من الشيعة، وهم أتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي رضي الله عنهم، وسموا بالزيدية نسـبة إليه، ساقوا الإمامة في أولاد فاطمة رضي الله عنها، ولم يجوزوا ثبوت الإمامة في غيرهم، وهم ثـلاث فـرق: الجارودية، والسليمانية، والبترية، وهذه الفرق يجمعها القول بإمامة زيد في أيام خروجه في زمن هشـام بـن عبدالملك، كما أجمعوا على خلود أصحاب الكبائر من الموحدين في النار، وعلى الخروج على أئمـة الجـور، وعلى تفضيل علي على سائر الصحابة.

انظر: مقالات الإسلاميين (١٣٦/١-١٥٠)، الفصل في الملل والأهواء والنحل (١١١/٣)، الملـل والنحـل (١٧٩/١-١٨٧)، التبصير في الدين (ص٢٧).

(٣) انظر: مقالات الإسلاميين (١٤٨/١).

(٤) الجبرية: سموا بذلك نسبة إلى قولهم بالجبر وهو نفي الفعل عن العبد وإضافته إلى الرب تعالى، فهم يقولـون إن العبد مجبور على فعله فهو كالريشة في مهب الريح ليس له إرادة ولا قدرة على الفعل، وممن قال ذا الجهم بن صفوان، وهم أصناف: فمنهم الجبرية الخالصة وهم الذين يقولون بقول جهم، ومنهم من يثبت للعبد قدرة غير مؤثرة، وهم الكسبية من الأشاعرة.

انظر: مقالات الإسلاميين (٣٣٨/١)، الملل والنحل (٩٧/١)، البرهان في عقائد أهل الأديان (ص٤٢-٤٣).

حركة العبد بمنـزله حركة الأشجار مع الرياح[1]، وقالت طائفة[2]: العبد غير مجبور على أفعاله بل هو قادر عليها مكتسب لها، ومعنى كونه مكتسباً أنه قادر على فعله وإن كانت قدرته لا تأثير لها في ذلك"[3].

ثم نقل عن شيخ الإسلام ما يؤيد به قول أهل السنة فقال: "إن أئمة أهل السنة يقولون إن الله خالق أفعال العباد كما أن الله خالق كل شيء وأنه تعالى خالق الأشياء بالأسباب، وأنه خلق للعبد قدرة ا يكون فعله، وإن العبد فاعل لفعله حقيقة، فقولهم في خلق فعل العبد بإرادته وقدرته كقولهم في خلق سائر الحوادث بأسبا ا"[4].

وقال نقلاً عن شيخ الإسلام أيضاً: "وجمهور المسلمين وجمهور طوائفهم على هذا القول الوسط الذي ليس هو قول المعتزلة ولا قول جهم بن صفوان وأتباعه الجبرية، فمن قال إن شيئاً من الحوادث أفعال الملائكة والجن والإنس لم يخلقها الله فقد خالف الكتاب السنة وإجماع السلف والأدلة العقلية، ولهذا قال بعض السلف من قال: إن كلام الآدميين وأفعال العباد غير مخلوقة فهو بمنـزلة من يقول: إن سماء الله وأرضه غير مخلوقة"[5].

ثم عقب الشيخ مرعي باختياره لهذا القول فقال: "وقد دلت الدلائل اليقينية على أن كل حادث فالله خالقه وفعل العبد من جملة الحوادث... وبالجملة فقول محققي أهل السنة: أن الله تعالى خلق قدرة العبد، إرادته وفعله، ويقولون: إن العبد فاعل لفعله حقيقة ومحدث لفعله والله سبحانه جعله فاعلاً له محدثاً له قال تعالى: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾[6]

---

(1) انظر: قول الجبرية في مقالات الإسلاميين (٣٣٨/١).

(2) وهذا قول الأشاعرة وهو قول غير واضح، فهم وإن وافقوا السلف في قولهم إن الله خالق لأفعال العباد وأ ـا تابعة لمشيئته سبحانه فقد خالفوهم في قولهم إن قدرة العبد لا تأثير لها في فعله، وأنه سبحانه جرت عادتـه أن يوجد في العبد قدرة واختياراً، فيكون الفعل مخلوقاً لله، مكسوباً للعبد.
انظر: غاية المرام (ص٢٠٧)، الإرشاد (ص١٨٩).

(3) دفع الشبهة والغرر (ص٩٧).

(4) المصدر السابق (ص١٠٢)، وانظر: منهاج السنة النبوية (٣١/٣).

(5) المصدر السابق (ص١٠٢)، وانظر: منهاج السنة النبوية (٣٣/٣).

(6) سورة الإنسان، الآية: (٣٠).

أثبت تعالى بذلك مشيئة العبد وأخبر أ ا لا تكون إلا بمشيئة الرب، وهذا صريح قول أهل السنة في إثبات مشيئة العبد وأ ا لا تكون إلا بمشيئة الرب"[1].

دراســة رأيه:

مما سبق ذكره من كلام الشيخ مرعي يتبين أن ما حكاه في مسألة أفعال العباد ونسبه إلى أهل السنة صحيح.

وقد استدل أهل السنة والجماعة على ما ذهبوا إليه من أن أفعال العباد كلها مخلوقة لله عز وجل بأدلة منها :

قوله تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾[3].

ومما يقرر ما سبق ما أورده أهل السنة في تقرير مذهبهم في أفعال العباد:

فأهل السنة والجماعة قالوا: إن أفعال العباد كلها من الطاعات والمعاصي، داخلة في خلق الله، وقضائه وقدره، وأن العباد لهم قدرة على أفعالهم، وهم فاعلون لها على الحقيقة، وهي قائمة م ومنسوبة إليهم، ومن ثم فإ م يستحقون عليها المدح والذم والثواب والعقاب.

إذاً فأفعال العباد هي من الله خلقاً وتقديراً وإيجاداً، وهي من العباد فعلاً وكسباً، فالله هو الخالق لأفعالهم، وهم الفاعلون لها، فنؤمن بجميع نصوص الكتاب والسنة الدالة على شمول خلق الله، وقدرته على كل شيء من الأعمال والأوصاف، كما نؤمن بنصوص

---

(١) دفع الشبهة والغرر (ص١٠٣).

(٢) سورة القمر، الآية: (٤٩).

(٣) سورة الزمر، الآية: (٦٢).

الكتاب والسنة الدالة على أن العباد هم الفاعلون حقيقة للخير والشر، وعلى هذا اتفق أهل السنة والجماعة[1].

ومما سبق تقريره يتضح موافقة الشيخ مرعي – رحمه الله – لمذهب السلف في **إيراده رأي أهل السنة وقوله به، وتقريره له.**

---

(١) انظر: خلق أفعال العباد (ص٤٦)، عقيدة السلف أصحاب الحديث (ص٦٨)، رسالة أهل الثغر (ص٧٨)، مجموع الفتاوى (٣٧٣/٣)، (١١٨/٨، ٤٨٦-٤٨٨)، درء تعارض العقل والنقل (١٨٥-١٨٦)، منهاج السنة (٢٩٨/٢)، (١١٢/٣، ١٢٨، ١٢٩)، شفاء العليل (٣٣٣/١، ٣٦٣، شرح الطحاوية (٣٢١/١)، معارج القبول (٩٤٠/٣)، لمعة الاعتقاد (ص٩٥).

المطلب الثالث

الآجال والمحو والإثبات

تكلم الشيخ مرعي – رحمه الله – عن مسألة الآجال والمحو والإثبات في رسالة سماها "إرشاد ذوي العرفان لما للعمر من الزيادة والنقصان"، وذكر فيها الخلاف بين العلماء وأدلتهم، ورجح أن أجل الإنسان يزيد وينقص، وأن المحو والإثبات في المكتوب عند الملائكة وفي اللوح المحفوظ، أما ما في سابق علمه سبحانه فلا يقع فيه المحو والإثبات فقال: "في زيادة العمر ونقصه، خلاف كبير بين العلماء، وكلام كثير بين الأئمة الفضلاء، لاسيما أئمة السلف، ومن بعدهم من الخلق.

فمنهم من قال:

إن العمر يزيد وينقص...

ومنهم من قال:

إن العمر لا يزيد ولا ينقص.

ولكل من الفريقين دليل من الكتاب والسنة...

وقيل:

إن هذه الزيادة، بالنسبة إلى ما يظهر للملائكة في اللوح المحفوظ، فيظهر لهم أن عمره ستون سنة، إلا أن يصل رحمه، فإن وصلها زيد له أربعين، وقد علم ما سيقع له من ذلك علماً أزلياً، قال الحافظ الجلال السيوطي:

قد تظاهرت الأحاديث والآثار عندي، على زيادة العمر ونقصه، بالنسبة إلى ما كتب في اللوح المحفوظ، أو برز إلى الملائكة، لا بالنسبة إلى ما علم الله تعالى، فإن علمه أزلي، لا يتغير والأشياء كلها واقعة على وفق علمه في الأزل، من غير زيادة ونقص...

قلت:

هذا حاصل كلام الفريقين في هذه المسألة، وما قالوه من دليل، وهذا الجواب الأخير، [يعني كلام السيوطي] هو الحق إن شاء الله تعالى...

فتلخص:

إن ما في علم الله تعالى، لا يتغير ولا يتبدل، وما في اللوح المحفوظ يغير ويبدل، ﴿ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾[(١)]، فتأمل"[(٢)].

دراســة رأيه:

هذه المسألة فيها خلاف بين العلماء، وقد عرض الشيخ مرعي أقوالهم فيها.

والراجح – والله أعلم – أن العمر يزيد وينقص، وأن المحو والإثبات في المكتوب عند الملائكة، وأن ما في سابق علمه سبحانه وفي اللوح المحفوظ لا يقع فيه المحو والإثبات، وهو ما قاله كثير من أهل العلم.

منهم شيخ الإسلام ابن تيمية[(٣)]، وابن أبي العز الحنفي[(٤)]، والحافظ ابن حجر[(٥)]، والسفاريني[(٦)]، والشيخ عبد الرحمن السعدي[(٧)]، وغيرهم.

والمراد بالمكتوب عند الملائكة هو ما بينه الرسول صلى الله عليه وسلم في أحاديث، منها: ما روي عن أنس بن مالك رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"وكل الله بالرحم ملكاً يقول: أي رب نطفة، أي رب علقة، أي رب مضغة، فإذا أراد الله أن يقضي خلقها قال: أي رب أذكر أم أنثى، أشقي أم سعيد؟ فما الرزق، فما الأجل؟ فيكتب كذلك في بطن أمه"**[(٨)].

---

(١) سورة الرعد، الآية: (٣٩).

(٢) إرشاد ذوي العرفان لما للعمر من الزيادة والنقصان (ص٤١-٦٧)، بهجــة النــاظرين وآيــات المســتدلين (ص٣٦٥-٣٧٠)، إتحاف ذوي اللباب ، مخطوط (٣ / ب) وما بعدها .

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٥١٧/٨)، (٤٩٠/١٤)، (٣٨١/٢٤).

(٤) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (١٣١/١).

(٥) انظر: فتح الباري (٣٥٣/٤)، (٤٩٧/١١).

(٦) انظر: لوامع الأنوار البهية (٣٤٩/١).

(٧) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص٤٣٤).

(٨) أخرجه البخاري في كتاب القدر – باب (١)، (ح٦٥٩٥)، (ص٥٥٢)، ومسلم في كتاب القــدر – بــاب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه، (ح٢٦٤٦)، (ص١١٣٩).

والمكتوب عند الملك الموكّل به غير المعلوم عند الله عز وجل، فالأول يدخل فيه التغيير دون الثاني، وتوجيه ذلك: أن المعاملات على الظواهر، والمعلوم الباطن خفي لا يعلّق عليه الحكم، فذلك الظاهر الذي اطلع عليه الملك هو الذي يدخله الزيادة والنقص، والمحو والإثبات، والحكمة فيه إبلاغ ذلك إلى المكلف ليعلم فضل البر وشؤم القطيعة[(١)].

وعلى هذا القول فإن الكتاب كتابان: أحدهما الكتاب الذي يكتبه الملائكة على الخلق، كما في الحديث، وذلك الكتاب محل المحو والإثبات، والكتاب الثاني أم الكتاب واللوح المحفوظ، وهو الكتاب المشتمل على تعين جميع الأحوال العلوية والسفلية، وهو الباقي لا يغير فيه شيء[(٢)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: "والأجل أجلان: أجل مطلق يعلمه الله، وأجل مقيد، فإن الله أمر الملك أن يكتب له أجلاً، وقال: إن وصل رحمه زدته كذا وكذا، والملك لا يعلم أيزداد أم لا، لكن الله يعلم ما يستقر عليه الأمر، فإذا جاء ذلك لا يتقدم ولا يتأخر"[(٣)].

وقال الشيخ عبد الرحمن ناصر السعدي – رحمه الله – عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾[(٤)]: "يمحو الله ما يشاء من الأقدار، ويثبت ما يشاء منها، وهذا المحو والتغيير في غير ما سبق به علمه، وكتبه قلمه، فإنّ هذا لا يقع فيه تبديل ولا تغيير، لأن ذلك محال على الله أن يقع في علمه نقص أو خلل، ولهذا قال ﴿ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ أي اللوح المحفوظ الذي ترجع إليه سائر الأشياء، فهو أصلها، وهي فروع وشعب، فالتغيير والتبديل يقع في الفروع والشعب كأعمال اليوم والليلة تكتبها الملائكة، ويجعل الله لثبو ا أسباباً، ولمحوها أسباباً لا تتعدى

---

(١) انظر: فتح الباري (٣٥٣/٤).

(٢) روى عكرمة هذا القول عن ابن عباس رضي الله عنهما.

انظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن (١٦٧/١٣)، زاد المسير (٣٣٩/٤)، تفسير القرآن العظيم (٥٧١/٢).

(٣) مجموع الفتاوى (٥١٧/٨).

(٤) سورة الرعد، الآية: (٣٩).

تلك الأسباب ما رسم في اللوح المحفوظ، كما جعل الله البر والصلة والإحسان من أسباب طول العمر وسعة الرزق، وكما جعل المعاصي سبباً لمحق بركة الرزق والعمر، وكما جعل أسباب النجاة من المهالك والمعاطب سبباً للسلامة، وجعل التعرض لذلك سبباً للعطب، فهو الذي يدبر الأمور بحسب قدرته وإرادته، وما يدبره منها لا يخالف ما قد علمه، وكتبه في اللوح المحفوظ"(١).

وعلى هذا فإنّ زيادة الآجال ونقصها بالنسبة إلى علم الملك الموكّل بالعمر، لا بالنسبة إلى ما في سابق علم الله وقضائه، فلا زيادة فيه ولا نقص، وهو معنى قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾(٢).

والمثال على ذلك: أن الله قدر في سابق علمه أن فلاناً عمره مائة سنة، بسبب صلته الرحم، وأمر الملك أن يكتب له: أنّ عمره تسعون سنة إن قطع الرحم، وإن وصلها زيد في عمره إلى مائة سنة.

وقد سبق في علمه سبحانه أن هذا يصل رحمه، فيعيش ـذا السبب إلى هذه الغاية، أي مائة سنة، ولولا ذلك السبب لم يصل إلى هذه الغاية، ولكن قدر هذا السبب وقضاه. "فالذي في علم الله لا يتقدم ولا يتأخر، والذي في علم الملك هو الذي يمكن فيه الزيادة والنقص، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿ يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾(٣)، فالمحو والإثبات بالنسبة لما في علم الملك، وما في أم الكتاب هو الذي في علم الله تعالى، فلا محو فيه البتة، ويقال له: القضاء المبرم، ويقال للأول: القضاء المعلق"(٤).

والله سبحانه وتعالى عالم بما كان، وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، فهو يعلم ما كتب له، وما يزيده إياه، بعد ذلك، والملائكة لا علم لهم إلا ما علّمهم الله،

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص٤٣٤).
(٢) سورة الأعراف، الآية: (٣٤)، وسورة النحل، الآية: (٦١).
(٣) سورة الرعد، الآية: (٣٩).
(٤) فتح الباري (١٠/٤٣٠).

والله يعلم الأشياء قبل كونها وبعد كونها، فلهذا قال العلماء: "إن المحو والإثبات في صحف الملائكة، وأما علم الله سبحانه فلا يختلف، ولا يبدو له ما لم يكن عالماً به، فلا محو فيه ولا إثبات، وأما اللوح المحفوظ فهل فيه محو وإثبات على قولين"[1]، واختار الشيخ مرعي أن فيه محواً وإثباتاً، لكن الراجح – والله أعلم – أنه لا محو فيه ولا إثبات، لما تقدم أن ما في اللوح المحفوظ موافق لما في علم الله، وأن الأمور مقدرة بأسبابها، فكما أن الرزق مقدر بسبب، وسببه العمل لطلبه، كذلك الأجل، أي يزاد وينقص بسبب، ومن الأسباب الدينية لزيادته صلة الرحم، فإذا قدر الله أن يكون عمر فلان ثمانين سنة بسبب صلته الرحم قدر ذلك في الأزل وكتبه عنده في اللوح المحفوظ من قبل أن يحدث.

وعلى هذا الأساس فلا تكون الزيادة والنقص والمحو والإثبات في القدر الأزلي السابق وفي اللوح المحفوظ، بل تكون في القدر اللاحق المكتوب عند الملك الموكّل به.

يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله: "إن في تقدير الأعمال ما هو سابق ولاحق، فالسابق ما في علم الله تعالى، واللاحق ما يقدر على الجنين في بطن أمه، كما وقع في الحديث[2]. وهذا هو الذي يقبل النسخ، وأما ما وقع في صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمر مرفوعاً[3]: كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة. فهو محمول على كتاب ذلك في اللوح المحفوظ، على وفق ما في علم الله سبحانه وتعالى"[4].

---

(١) مجموع الفتاوى (١٤/٤٩٠).

(٢) يقصد حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "**إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك، ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد**".
أخرجه البخاري في كتاب القدر – باب (١)، (ح٦٥٩٤)، (ص٥٥٢)، ومسلم في كتاب القدر – باب كيفية خلق الآدمي، (ح٢٦٤٣)، (ص١١٣٨).

(٣) سبق تخريجه (ص٤٤٧).

(٤) فتح الباري (١١/٤٩٧).

المطلب الرابع
الحكمة والتعليل في أفعال الله سبحانه وتعالى

أثبت الشيخ مرعي – رحمه الله – الحكمة والتعليل في أفعال الله تعالى، بل جعلها أعظم المسائل الإلهية، فقال: "وهذه المسألة مسألة غايات أفعال الله و اية حكمته العظيمة لعلها أجل المسائل الإلهية"[(١)].

وقال وهو يبين قول أهل السنة في المسألة: "إن من أسمائه تعالى الحكيم، فهو لا يفعل شيئاً إلا لحكمة ولا يتركه إلا لانتفاء الحكمة فيه، وإن كنا نحن لا نعلم وجه الحكمة، ... فإنه سبحانه يخلق ما يخلق لحكمة، وإن كنا لا نعلمها"[(٢)].

وقال: "فكل نعمة من الله فضل، وكل نقمة منه عدل، لأنه محسن للعبد بلا سبب تفضلاً وإحساناً، ولا يعاقبه إلا بذنبه وإن كان هو قد خلق الأفعال كلها لحكمة في ذلك"[(٣)].

ثم بين أن بعض المخلوقات يقع عليه الضرر في سبيل توازن النظام العام للكون، فذلك يناسب نظام دار الابتلاء، فيقول: "فهو تعالى يفعل ما له فيه حكمة متعلقة بعموم خلقه وإن كان في ضمن ذلك مضرة لبعض الناس، كما أنه تعالى ينـزل المطر لما فيه من الحكمة والرحمة والنعمة العامة وإن كان في ضمن ذلك تضرر بعض الناس بسقوط منـزله وانقطاعه بسفره وتعطيل معاشه"[(٤)].

وقال: "والحكمة في... الحوادث... ليس على الناس معرفة أسرارها الحقيقية ويكفيهم التسليم لمن قد علم أنه بكل شيء عليم، وأنه أرحم الراحمين...

---

(١) دفع الشبهة والغرر (ص١٢٣).
(٢) المصدر السابق (ص١١٧).
(٣) المصدر السابق (ص١٢٣).
(٤) المصدر السابق (ص١٢٥).

ويكفي معرفة الحكمة والتعليل في ثواب وعقاب المكلفين وهو المراد، وإلا فمن المحال معرفة أسرار أفعاله كلها لأن الرب تعالى لا يمثل بالخلق لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله"[1].

دراســة رأيه:

مسألة الحكمة والتعليل في أفعال الله "من أجل مسائل التوحيد المتعلقة بالخلق والأمر والشرع والقدر"[2].

والمراد بهذه المسألة: "هل أفعال الرب تعالى وأوامره معلّلة بالحكم والغايات"[3].

وقد اختلف الناس في **ذلك على أقوال**[4]**:**

١ – أن الله تعالى خلق المخلوقات، وأمر المأمورات، لا لعلة ولا لداع ولا باعث، بل إنه فعل ذلك بمحض المشيئة والإرادة.

وهذا قول الأشاعرة[5].

٢ – أن الله تعالى خلق المخلوقات، وأمر المأمورات لحكمة، ولكن هذه الحكمة مخلوقة منفصلة عنه تعود على العباد ولا يعود إليه سبحانه وتعالى منها شيء، وقالوا: يجب على الله أن يفعل الأصلح كما أوجبوا عليه اللطف وإثابة المطيع ومعاقبة العاصي.

وهذا قول المعتزلة ومن وافقهم[6].

٣ – قول جمهور أهل السنة، وهو أن الله يفعل ما يفعل لحكمة يعلمها هو سبحانه، فالله سبحانه وتعالى خلق الخلق وأمر بالمأمورات وفعل المفعولات لحكمة مقصودة تنـزيهاً له عن العبث[7].

---

(١) دفع الشبهة والغرر (ص١٢٨-١٢٩).

(٢) مفتاح دار السعادة (٤٠٩/٢).

(٣) المصدر السابق (٤٠٩/٢).

(٤) انظر: آراء ابن حجر الهيتمي الاعتقادية (ص٦١٠) .

(٥) انظر: نهاية الإقدام في علم الكلام (٢٩٧)، غاية المرام (ص٢٢٤)، محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين (٢٠٥)، المواقف (ص٣٣١).

(٦) انظر: المغني (٩٢/١١-٩٣)، المختصر في أصول الدين (٢٠٣/١)، ضمن رسائل العدل والتوحيد.

(٧) انظر: مجموع الفتاوى (٣٧/٨-٣٩، ٨١-٩٧، ٣٧٧)، بيان تلبيس الجهمية (١٩٨/١، ٢١٤)، مفتـاح دار السعادة (٤٠٩/٢)، شفاء العليل (٥٣٧/٢).

وقول أهل السنة هو الصواب لموافقته للكتاب والسنة، وهو ما اختاره الشيخ مرعي، وقد دل على صوابه أدلة كثيرة، منها:

قوله تعالى: ﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ ﴾[1].

قال الشوكاني – رحمه الله –: "أي يقولون: ما خلقت هذا عبثاً ولهواً، بل خلقته دليلاً على حكمتك، وقدرتك، سبحانك: أي تنـزيهاً لك عما لا يليق بك من الأمور التي من جملتها أن يكون خلقك لهذه المخلوقات باطلاً"[2].

وقوله سبحانه: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[3].

قال ابن كثير – رحمه الله –: "يقول تعالى مخبراً عن عدله وتنـزيهه نفسه عن اللعب والعبث والباطل"[4].

وقوله جل وعلا: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ۚ ﴾[5].

قال ابن سعدي – رحمه الله –: "يخبر تعالى عن تمام حكمته، في خلق السماوات والأرض، وأنه لم يخلقهما باطلاً، أي: عبثاً ولعباً، من غير فائدة ولا مصلحة"[6].

ومما يقرر ما سبق ما أورده أهل السنة والجماعة في بيان مذهبهم في الحكمة والتعليل في أفعال الله:

---

(١) سورة آل عمران، الآية: (١٩١).

(٢) فتح القدير (٤٥٨/١).

(٣) سورة الدخان، الآيتان: (٣٨-٣٩).

(٤) تفسير القرآن العظيم (١٥٣/٤).

(٥) سورة ص، الآية: (٢٧).

(٦) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص٧٦٤).

قال شيخ الإسلام – رحمه الله –: "فالذي عليه جمهور المسلمين – من السلف والخلف – أن الله تعالى يخلق لحكمة، وهذا مذهب أئمة الفقه والعلم"[(1)].

وقال ابن القيم – رحمه الله –: "قد دلت العقول الصحيحة والفطر السليمة، على ما دل عليه الكتاب والسنة، أنه سبحانه حكيم لا يفعل شيئاً عبثاً، ولا لغير معنى ومصلحة وحكمة هي الغاية المقصودة بالفعل، بل أفعاله سبحانه صادرة عن حكمة بالغة لأجلها فعل، كما هي ناشئة عن أسباب ا فعل، وقد دل كلامه وكلام رسوله على هذا وهذا في مواضع لا تكاد تحصى...

فهو سبحانه يفعل بمشيئته، وقدرته، وإرادته، ويفعل ما يفعل بأسباب وحكم وغايات محمودة، وقد أودع العالم من القوى والطبائع والغرائز والأسباب والمسببات ما به قام الخلق والأمر"[(2)].

---

(1) مجموع الفتاوى (٣٧٧/٨).

(2) شفاء العليل (٥٣٧/٢، ٥٧٥).

المطلب الخامس

تكليف ما لا يطاق

ذكر الشيخ مرعي نقلاً عن شيخ الإسلام أن تكليف ما لا يطاق ينقسم إلى قسمين: تكليف ما لا يطاق للعجز عنه، وتكليف ما لا يطاق للاشتغال بضده فقال: "اعلم أن تكليف ما لا يطاق ينقسم قسمين:

أحدهما: ما لا يطاق للعجز عنه بطريق الآلات كتكليف المقعد القيام والمشي وتكليف الإنسان الطيران والأعمى نقط المصاحف، فهذا غير واضح في الشريعة، ولم يكلف الله به أحداً.

ثانيهما: تكليف ما لا يطاق للاشتغال بضده مع سلامة الآلات كتكليف الكافر الإيمان مع سبق علم الله بأنه لا يؤمن، والتكليف بهذا واقع بالاتفاق، فاشتغال الكافر بالكفر هو الذي صده عن ضده الذي هو الإيمان فإنه بمنـزلة القاعد المأمور بالقيام، فإن اشتغاله بالقعود هو الذي يمنعه أن يكون قائماً، والإرادة الجازمة لأحد الضدين تنافي الضد الآخر، وتكليف الكافر والعاصي السابق علم الله وقدره فيهما من هذا الباب، وتكليف مثل هذا ليس بقبيح شرعاً ولا عقلاً عند أحد من العقلاء، فهم متفقون على أمر الإنسان ونهيه بما لا يقدر عليه حال الأمر والنهي لاشتغاله بضده إذا أمكن أن يترك ذلك الضد ويفعل الضد المأمور به، فإن السيد لا يأمر عبده الأعمى بنقط المصحف، ويأمره أن يقوم، ويعلم بالضرورة الفرق بين هذا وهذا"[(١)].

ثم بين أن تكليف ما لا يطاق للاشتغال بضده لا نزاع في وقوعه، إنما النـزاع هل يسمى هذا تكليف ما لا يطاق، فذكر قولين ورجح الثاني وهو أنه لا يسمى تكليف ما لا يطاق فقال: "وتكليف ما لا يطاق للاشتغال بضده لا نزاع في وقوعه كما تقدم وإنما النـزاع هل يسمى هذا تكليف ما لا يطاق لكونه تكليفاً بما انتفت فيه القدرة المقارنة للعقل، فمنهم من يدخل هذا في تكليف ما لا يطاق... ومنهم من يقول هذا لا يدخل في

---

(١) دفع الشبهة والغرر (ص١١٣)، وانظر: منهاج السنة (٥٣/٣، ١٠٤-١٠٦).

تكليف ما لا يطاق وهذا هو الأشبه بما في الكتاب والسنة وكلام السلف، فإنه لا يقال للمستطيع المأمور بالحج إذا لم يحج إنه كلف ما لا يطيق، فإن الله خلق له القدرة المشروطة في التكليف المصححة للأمر والنهي، كما في العباد إذا أمر بعضهم بعضاً، فما يوجد في القدرة في ذلك الأمر فهو موجود في أمر الله لعباده، بل تكليف الله أيسر ورفعه للمشقة والحرج أعظم، والناس يكلف بعضهم بعضاً أعظم مما أمرهم الله ورسوله، ولا يقولون هذا تكليف ما لا يطاق"[1].

ثم ختم البحث في هذه المسألة مبيناً أن الله تعالى لم يكلف العباد ما لا يطيقون فقال: "إذا علمت هذا علمت أن الله تعالى لم يكلف العباد ما لا يطيقون لقوله تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا ۚ ﴾[2]، وإنما كلفهم بما في وسعهم وطاقتهم، فإن العبد له قدرة وإرادة وفعل حقيقة يقدر به على فعل ما كلف به وعلى تركه"[3].

دراســة رأيه:

التكليف في **اللغة:**

إلزام الكلفة على المخاطب[4].

وفي **الاصطلاح:**

الإلزام بمقتضى خطاب الشرع.

وخطاب الشرع قسمان: أمر و ي، فالأمر: يتضمن الواجب والمندوب، والنهي: يتضمن الحرام والمكروه، والمباح تخييراً بينهما[5].

إن القول بتكليف العبد ما لا يطيق من البدع الحادثة في الإسلام جاء ا أهل البدع دليلاً على صحة قولهم في القدر.

---

(١) دفع الشبهة والغرر (ص١١٤)، وانظر: منهاج السنة (٥٣/٣، ١٠٤-١٠٦).

(٢) سورة البقرة، الآية: (٢٨٦).

(٣) دفع الشبهة والغرر (ص١١٦).

(٤) التعريفات (ص٩٠).

(٥) انظر: شرح مختصر الروضة (١٧٦/١)، شرح الكوكب المنير (٤٨٣/١).

قال شيخ الإسلام – رحمه الله –: "إطلاق القول بتكليف ما لا يطاق من البدع الحادثة في الإسلام، كإطلاق القول بأن العباد مجبورون على أفعالهم، وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها على إنكار ذلك"[1].

وقال أيضاً: "وليس في السلف والأئمة من أطلق القول بتكليف ما لا يطاق كما أنه ليس فيهم من أطلق القول بالجبر، وإطلاق القول بأنه يجبر العباد كإطلاق القول بأنه يكلفهم ما لا يطيقون، هذا سلب قدر م على ما أمروا به، وذلك سلب كو م فاعلين قادرين"[2].

وقد اختلف الناس في **تكليف ما لا يطاق على أقوال** [3]**:**

١ – عدم جواز تكليف ما لا يطاق، وهذا مذهب المعتزلة[4].

٢ – جواز تكليف ما لا يطاق، وهذا مذهب أكثر الأشاعرة[5].

٣ – التفصيل؛ فيقال تكليف ما لا يطاق على قسمين:

أحدهما: ما لا يقدر على فعله لاستحالته، وهو نوعان:

١ – ما هو ممتنع عادة، كالمشي على الوجه، والطيران في الهواء.

٢ – ما هو ممتنع في نفسه كالجمع بين الضدين، وجعل المحدث قديماً.

فقد حكى غير واحد من أهل العلم الإجماع على عدم وقوعه[6]، ونازع في ذلك البعض[7].

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (٦٥/١).

(٢) مجموع الفتاوى (٤٦٩/٨).

(٣) انظر : آراء ابن حجر الاعتقادية (ص٦٢٠) .

(٤) انظر: شرح الأصول الخمسة (ص٣٩٦)، المختصر في أصول الدين (ص٢١٨).

(٥) انظر: الإرشاد (ص٢٠٣)، معالم أصول الدين (ص٨٥-٨٦).

(٦) انظر: درء تعارض العقل والنقل (٦٣/١-٦٤)، مجموع الفتاوى (٣٠١/٨-٣٠٢).

(٧) كالرازي في كتابه معالم أصول الدين (ص٨٥).

والثاني: ما لا يقدر عليه لتركه والاشتغال بضده، كتكليف الكافر الإيمان في حال كفره، فهذا التكليف جائز وقوعه بالإجماع[1].

وهذا لا نزاع فيه، إنما النـزاع من جهة تسميته تكليفاً بما لا يطاق.

فالأشاعرة أجازوا تسميته[2].

وأهل السنة منعوا تسميته[3]، وهذا هو الراجح في المسألة، وهو الذي اختاره الشيخ مرعي – رحمه الله –.

وعليه فما قرره الشيخ مرعي من أن تكليف ما لا يطاق ينقسم إلى قسمين: وأن القسم الثاني لا نزاع في وقوعه إنما النـزاع من جهة تسميته، واختياره أنه لا يسمى تكليف ما لا يطاق، موافق لما قرره أهل السنة والجماعة – رحمهم الله -.

---

(١) انظر: منهاج السنة (٣/١٠٤-١٠٥).

(٢) انظر: الإرشاد (ص٢٠٣)، القضاء والقدر للرازي (ص٣٠٧)، المواقف (ص٣٣٠-٣٣١).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٨/٢٩٨-٣٠٢)، درء التعارض (١/٦٠).

المطلب السادس

تنـزيه الله عن الظلم

يرى الشيخ مرعي – رحمه الله – أن الظلم مقدور عليه في حقه تعالى وهو منـزه عنه، يقول في ذلك: "إن الظلم مقدور عليه في حقه تعالى وهو منـزه عنه...

وهذا قول الجمهور من المثبتين للقدر ونفاته وقول كثير من أصحاب أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد، وتفسير الظلم على قول هؤلاء: هو تعذيب الإنسان بذنب غيره أو تعدي ما حد له والله منـزه عن كل منهما، وقالوا: الفرق بين تعذيب الإنسان على فعله الاختياري وغير فعله الاختياري أمر مستقر في فطر العقول، وأما كون الرب خالق كل شيء فذلك لا يمنع كون العبد هو الملوم على ذلك شرعاً وعقلاً وعرفاً.

أما شرعاً: فواضح.

وأما عقلاً وعرفاً: فلأن غيره من المخلوقين يلومه على ظلمه وعدوانه مع إقرارهم بأن الله خالق ظلم العباد، وجماهير الأمم مقره بالقدر وأن الله تعالى خالق كل شيء، وهم مع هذا يذمون الظالمين ويعاقبو م لدفع ظلمهم وعدوا م... واستشكل أن خلق الفعل مع حصول العقوبة عليه ظلم، وأجيب:

أن هذا بمنـزلة أن يقال إن خلق أكل السم ثم حصول الموت به ظلم، أو خلق الحمى ثم حصول الموت ا ظلم، والظلم وضع الشيء في غير موضعه كما أن العدل هو وضع الشيء في موضعه، فكل نعمة من الله فضل، وكل نقمة منه عدل، لأنه محسن للعبد بلا سبب تفضلاً وإحساناً، ولا يعاقبه إلا بذنبه وإن كان هو قد خلق الأفعال كلها لحكمة له في ذلك، وإذا كان الإنسان قد يفعل مصلحة اقتضتها حكمته ولا تحصل إلا بتعذيب حيوان ولا يكون ذلك ظلماً منه، فالله تعالى أولى أن لا يكون ذلك ظلماً منه... فتبين ذا أن خلق الفعل في العبد ليس بظلم... فإن الظلم الذي هو ظلم أن يعاقب الإنسان على فعل غيره، وأما عقوبته في أفعاله الاختيارية وإنصاف المظلومين من الظالمين فهو من كمال العدل، وإذا كان العقاب على فعل العبد الاختياري بالنسبة لنا ليس بظلم فهو بالنسبة إلى

الرب تعالى له فيه حكمة يحسن لأجل تلك الحكمة، وبالنسبة إلى العبد عدل، لأنه عوقب على فعله، فما ظلمه الله ولكن هو ظلم نفسه...

وبالجملة فعقوبته تعالى للعصاة عدل منه باتفاق المسلمين، وعفوه ومغفرته إحسان منه وفضل"[1].

ثم ختم البحث في هذه المسألة بذكره إشكالات واردة على قول أهل السنة غير ما ذكر مبيناً أن هذه الإشكالات لم يتعرض لها أحد قبله وأجاب عنها فقال: "قلت لكن هنا إشكالات ورادة على طريقة أهل التعليل[2] لم أر من تعرض لها:

الأول: أن الله تعالى قد عذب بالطوفان من قوم نوح المذنب ومن لا ذنب له بذنب غيره كالأطفال وبقية الحيوانات، وقد تقرر أن الظلم الذي هو ظلم أن يعاقب الإنسان على فعل غيره، وهذه الحيوانات قد عذبت كلها بعموم الطوفان بذنوب قوم نوح.

ولعل الجواب: أن هذا ليس من باب التعذيب والعقوبة، وإنما هو من باب الهلاك والفناء ببلوغ الآجال المقدرة على جري العادة الإلهية من أنه لكل موتة سبب، وحينئذ فلم يعاقب من لا ذنب له بذنب غيره...

الثاني: أنا نراه تعالى يؤلم الأطفال إلى الغاية، وكذلك بقية الحيوانات التي لا تكليف لها أصلاً.

ولعل الجواب: إن هذا ليس ما باب العقاب لأن العقاب أن تقع تلك العقوبة في مقابلة ذلك الذنب بخصوصه، وأما هذا فلعله من باب الابتلاء والاعتبار ﴿ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴾[3]، ومما يدل على أن هذا ليس من باب العقوبة أن الله سبحانه لا يعاقب أنبياءه ورسله الكرام مع أنا نجدهم من أشد الناس بلاء، وفيهم من قتل ونشر بالمنشار، فظهر أن جهة البلاء غير جهة العقوبة، لأن العقوبة هي التي تقع في مقابلة الذنب لما مر،

---

(١) دفع الشبهة والغرر (ص١٢٢-١٢٥).

(٢) هم الذين يعللون أفعال الله، انظر: دفع الشبهة والغرر (الحاشية رقم ٢)، (ص١١٧).

(٣) سورة الحشر، الآية: (٢).

ولقوله تعالى: ﴿ ذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ ﴾[3]، وأما ما يقع لا في مقابلة ذنب فهو بلاء وابتلاء، من الله تعالى لعباده"[4].

دراسة رأيه:

تنـزيه الله سبحانه عن الظلم، وتحريمه سبحانه على نفسه ثابت بالكتاب والسنة والإجماع:

فمن الكتاب:

قوله تعالى: ﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن كَانُواْ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[5].

وقوله سبحانه: ﴿ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَآ أَنَاْ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾[6].

وقوله عز وجلّ: ﴿ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾[7].

ومن السنة:

قوله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن الله تبارك وتعالى أنه قال: **"يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا..."** [8].

---

(1) سورة الزمر، الآية: (٢٤).

(2) سورة النمل، الآية: (٩٠).

(3) سورة الحج، الآية: (١٠).

(4) دفع الشبهة والغرر (ص١٢٥).

(5) سورة الزخرف، الآية: (٧٦).

(6) سورة ق، الآية: (٢٩).

(7) سورة الكهف، الآية: (٤٩).

(8) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب – باب تحريم الظلم (ح٢٥٧٧)، (ص١١٢٩)، من حديث أبي ذر – رضي الله عنه –.

وأما الإجماع:

قال شيخ الاسلام ابن تيمية – رحمه الله - :"فقد اتفق المسلمون وغيرهم على أن الله منـزه عن الظلم"[١].

والظلم هو: وضع الشيء في غير موضعه[٢].

هذا معنى الظلم في اللغة ، وعليه بنى أهل السنة معنى الظلم الذي يجب أن ي ه الله عنه فقالوا: إن الله سبحانه حكم عدل يضع الأشياء في مواضعها فلا يضع شيئاً إلا في موضعه الذي يناسبه، ولا يفرق بين متماثلين، ولا يسوي بين مختلفين[٣].

وعليه فالظلم الذي حرمه الله على نفسه وتنـزه عنه فعلاً وإرادة، هو ما فسره به سلف هذه الأمة وأئمتها.

وذلك بأنه لا يحمل المرء سيئات غيره، ولا يعذب بما لم تكسب يداه، وأنه لا ينقص من حسناته فلا يجازى ا أو ببعضها[٤].

وهذا هو الظلم الذي نفى الله خوفه عن العبد بقوله: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴾[٥].

قال أهل التفسير: لا يخاف أن يزاد في سيئاته، أو يحمل سيئات غيره، ولا ينقص من حسناته، وقيل: يظلم بأن يؤاخذ بما لم يعمل، وقيل: لا يخاف ألا يجزى بعمله[٦] [٧] .

وهو سبحانه قادر على الظلم، وإنما استحق سبحانه الحمد والثناء، لأنه ترك الظلم وهو قادر عليه، والمدح إنما يكون بترك المقدور عليه لا بترك الممتنع.

---

(١) مجموع الفتاوى (٥٠٥/٨).

(٢) انظر: معجم مقاييس اللغة (ص٦١٧)، لسان العرب (٣٧٠٣/١٢).

(٣) انظر: جامع الرسائل (ص١٢٤).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (٥٠٥/٨)، شرح العقيدة الطحاوية (٦٥٩/٢).

(٥) سورة طه، الآية: (١١٢).

(٦) انظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن (٤٦٢/٨)، الجامع لأحكام القرآن (٢٢٢/١١)

(٧) انظر:القضاء والقدر (ص٢٨٥) .

وعلى هذا فعقوبة الإنسان على ذنب غيره، أو الزيادة في سيئاته، أو تحميله سيئات غيره، أو النقص من حسناته، ظلم ينـزه الله سبحانه وتعالى عنه، وأما إثابة المطيع ففضل منه وإحسان[1].

وعليه فما قرره الشيخ مرعي – رحمه الله – من أن الظلم مقدور عليه في حقه تعالى وهو منـزه عنه، موافق لمذهب السلف – رحمهم الله –.

---

(١) انظر: منهاج السنة (٢٣٦/٢).

المبحث الثاني

الاحتجاج بالقدر على المعاصي

تكلم الشيخ مرعي – رحمه الله – عن هذه المسألة وأطال الكلام فيها، بل إنه ألف في ذلك مؤلفاً سماه "دفع الشبهة والغرر عمن يحتج على فعل المعاصي بالقدر"، وسوف أتناول رأي الشيخ مرعي في هذه المسألة من جانبين:

١ – الاحتجاج بالقدر على المعاصي.

٢ – رأيه في حديث احتجاج آدم وموسى عليهما الصلاة والسلام.

وفيما يلي عرض رأيه مع دراسته:

١ – الاحتجاج بالقدر على المعاصي:

يرى الشيخ مرعي أن الاحتجاج بالقدر على المعاصي قول باطل باتفاق أهل الملل وفي ذلك يقول: "والاحتجاج بالقدر على فعل الذنوب والمعاصي باطل باتفاق أهل الملل وذوي العقول وهو مما يعلم بطلانه بضرورة العقل.

فإن الظالم لغيره لو احتج بالقدر لاحتج ظالمه أيضاً بالقدر، فإن كان القدر حجة لهذا فهو حجة لهذا"[(١)].

ثم نقل عن شيخ الإسلام قوله: "إن الاحتجاج بالقدر حجة باطلة داحضة باتفاق كل ذي عقل ودين من جميع العالمين، والمحتج به من غيره مثل هذه الحجة إذا احتج ا في ظلم ظلمه إياه، أو ترك ما عليه من حقوقه، بل يطلب منه ماله عليه، ويعاقبه في ذلك لأن القلوب تعلم بالضرورة أن هذه شبهة باطلة، ولهذا لا يقبلها أحد من أحد عند التحقيق، وإنما يحتج بالقدر على القبائح والمظالم من هو متناقض في قوله متبع لهواه...

ولو كان القدر حجة لفاعل الفواحش والمظالم لم يحسن أن يلوم أحدٌ أحداً، ولا يعاقب أحدٌ أحداً، وكان للإنسان أن يفعل في دم غيره وماله وأهله ما يشتهيه من المظالم والقبائح

---

(١) دفع الشبهة والغرر (ص٨٦).

ويحتج بأن ذلك مقدر علي، ثم أصل الاحتجاج بالقدر إنما هو قول المشركين الذي اتبعوا أهواءهم بغير علم، ولهذا لما قال المشركون كما حكى الله عنهم ﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖۚ ﴾[1] قال تعالى: ﴿ قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ ﴾[2]، فإن هؤلاء المشركين يعلمون بفطرتهم وعقولهم أن هذه الحجة داحضة باطلة فإن أحدهم لو ظلم الآخر في ماله أو فجر بامرأته أو قتل ولده أو كان مصراً على الظلم فنهوه عن ذلك فقال: لو شاء الله لم أفعل هذا، لم يقبلوا منه هذه الحجة ولا هو يقبلها من غيره وإنما يحتج به المحتج رفعاً للوم بلا وجه.

فتبين أن أصل مقالة الاحتجاج بالقدر إنما هو قول أهل الجاهلية المشركين الذين لا علم عندهم إلا اتباع الظن وما تهوى الأنفس، فمن احتج به فقد التحق بهم في الجهل والضلال واتباع الهوى"[3].

ثم بين أن المحتجين بالقدر على فعل المعاصي أعظم بدعة من المكذبين بالقدر فقال: "ولهذا كان المحتجون بالقدر على فعل المعاصي أعظم بدعة وأشنع قولاً، وأقبح طريقة من المكذبين بالقدر من المعتزلة والشيعة والرافضة فإن هؤلاء بتعظيمهم الأمر والنهي والوعد والوعيد خير من الذين يرون القدر حجة لمن ترك المأمور وفعل المحظور، فلا ريب أن هؤلاء شر من المعتزلة والشيعة الذين يقرون بالأمر والنهي والوعد وفعل الواجبات وترك المحرمات، وإن لم يقولوا إنّ الله خلق أفعال العباد ولا يقدر على ذلك ولا شاء المعاصي فإنهم قصدوا تعظيم الأمر وتنـزيه الله عن الظلم وإقامة حجة الله على خلقه بخلاف هؤلاء المحتجين على المعاصي، فإنهم وإن أثبتوا قدرته تعالى ومشيئته وخلقه لكنهم عارضوا بذلك أمره ونهيه ووعده ووعيده، وقولهم يقتضي إفحام الرسل وأن لا حجة لله على خلقه...

---

(١) سورة الأنعام، الآية: (١٤٨).

(٢) سورة الأنعام، الآية: (١٤٨).

(٣) دفع الشبهة والغرر (ص٨٦)، وانظر: منهاج السنة النبوية (٥٥/٣).

وبالجملة فالباري سبحانه قد أرسل الرسل قاطبة بتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها، والمحتجون بالقدر على فعل المعاصي انعكس الأمر في حقهم فصاروا يتبعون المفاسد ويعطلون المصالح، فهم شر الناس، ولا بدلهم مع ذلك من أمور يجتلبو ا وأمور يجتنبو ا، وأن يتدافعوا جميعاً على ما يضرهم من الظلم، فلو ظلم بعضهم بعضاً في دمه وماله وعرضه وطلب المظلوم عقوبة الظالم لم يقبل أحد من ذوي العقول احتجاجه بالقدر، ولو قال اعذروني فإن هذا مقدر علي لقالوا له: أنت لو فُعل بك هذا فاحتج عليك ظالمك بالقدر لم يقبل منه، لأنه لا يمكن صلاح الخلق ولا بقاؤهم في الدنيا إذا مكنوا كل أحد أن يفعل ما يشاء من مفاسدهم ويحتج بالقدر، لأن قبول هذه الحجة من المفسد يوجب الفساد الذي لا صلاح معه، وإذا كان الاحتجاج بالقدر مردوداً في فطر جميع الناس وعقولهم فلا يحتج به إلا متبع لهواه فاسق...

فلو قال إبليس: إن خالق الأشياء، خلقني كما شاء، وأوجدني لما شاء، واستعملني فيما شاء، وقدر علي ما شاء فلم أطق أن أشاء إلا ما شاء، فما تجاوزت ما شاء، ولا فعلت غير ما شاء، ولو شاء لردني إلى ما شاء، وهداني لما شاء أن أكون كما شاء، ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ﴾[1]، يا هذا سبق لي قبل كون الأكوان ﴿ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾[2] فما برحت في الأزل كافراً ولم أزل، فمن يكون على القضاء عوني؟ ومن يطيق من القدر صوني؟... وأمره راجع إلى القدم، وقد قضي الأمر وجف القلم...

ولو قال كافر يا رب إنك علمت مني الكفر، وأنا لا أقدر على أن أقلب علمك جهلاً، وإنك أخبرت عن وجود هذا الكفر في، وأنا لا أقدر على أن أجعل خبرك الصدق كذباً، وإنك خلقت في الكفر، وأنا لا أقدر على إزالة فعلك.

فهذه كلها احتجاجات واهية باطلة وإن كانت بحسب الظاهر هائلة، فمن المستقر في فطر الناس وعقولهم أنه من طلب منه فعل من الأفعال الاختيارية لم يكن له أن يحتج بمثل

---

(١) سورة يونس، الآية: (٩٩).

(٢) سورة البقرة، الآية: (٣٤).

هذا، ومن طلب ديناً له على آخر لم يكن له أن يقول لا أعطيك حتى يخلق الله فيّ الإعطاء أو يقدره لي، ومن أمر عبده بأمر لم يكن له أن يقول لا أفعله حتى يخلق الله فيّ فعله أو القدرة على ذلك، وهذا أمر جبلَ عليه الناس، مسلمهم وكافرهم، مقرهم بالقدر ومنكرهم، ولا يخطر ببال أحد منهم الاعتراض بمثل هذا والاحتجاج به، وكذلك المحتاج للطعام والشراب واللباس فإنه لا يقول لا آكل ولا أشرب ولا ألبس، حتى يخلق الله فيّ ذلك أو يقدر لي، بل يجتهد في مباشرة ذلك والله تعالى هو الذي يعينه عليه، فتأمل.

ولا تغتر بزخارف الكلام وإلا لارتفع الاختيار وثبت القول بالجبر المنابذ لما جاءت به الشرائع، وما أحد في الخلق يعدو علم الله السابق فيه، وليس في علم الله الأمور قبل وقوعها إجبار كما توهمه كثير من الناس، والله تعالى أعلم"[1].

دراســة رأيه:

من المعلوم أن كثيراً من الكافرين والمشركين الضالين، والمقصرين في عبادة الله، والمنحرفين عن منهج الله، قد ظنوا أ م وجدوا في القدر مجالاً للاحتجاج به على كفرهم وفسادهم وتقصيرهم، ولذلك ورد في الكتاب والسنة وأقوال العلماء ما يرد على هؤلاء جميعاً ويدحض حججهم.

والمحتجون بالقدر هم الجبرية من الجهمية والصوفية ومن سار على جهم وسلك سبيلهم.

وسلف هؤلاء هم المشركون الذين اعترفوا بالقضاء والقدر، وزعموا أن ذلك يوافق الأمر والنهي، كما قال تعالى عنهم: ﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖۚ ﴾[2].

ولاشك أن أصحاب هذا القول شر من المكذبين بالقدر، كما بين ذلك الشيخ مرعي لأ م عطلوا الأمر والنهي والشرع، واحتجوا بالقدر على تفريطهم وكفرهم، وزعموا أ م ينفذون إرادة الله في أمره و يه.

---

(١) دفع الشبهة والغرر (ص٨٦-٩٤).

(٢) سورة الأنعام، الآية: (١٤٨).

وهذا الكلام باطل تبطله النصوص الشرعية والعقول السليمة.

ومما يقرر ما سبق ما أورده أهل السنة والجماعة في **بيان مذهبهم** في **هذه المسألة:**

قال ابن عبد البر – رحمه الله –: "وهذا غير جائز أن يقوله اليوم أحد إذا أتى ما اه الله عنه، ويحتج بمثل هذا، فيقول: أتلومني على أن قتلت أو زنيت أو سرقت، وذلك قد سبق في علم الله، وقدره علي قبل أن أخلق؟ هذا ما لا يسوغ لأحد أن يقوله، وقد اجتمعت الأمة أن من أتى ما يستحق الذم عليه فلا بأس بذمه، ولا حرج في لومه، ومن أتى ما يحمد له، فلا بأس بمدحه عليه وحمده"[1].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: "إن الواحد من هؤلاء إما أن يرى القدر حجة للعبد، وإما أن لا يراه حجة للعبد، فإن كان القدر حجة للعبد فهو حجة لجميع الناس، فإ م كلهم مشتركون في القدر، فحينئذ يلزم أن لا ينكر على من يظلمه، ويشتمه، ويأخذ ماله، ويفسد حريمه، ويضرب عنقه، ويهلك الحرث والنسل، وهؤلاء جميعاً كذابون متناقضون، فإن أحدهم لا يزال يذم هذا، ويبغض هذا، ويخالف هذا، حتى إن الذي ينكر عليهم يبغضونه ويعادونه، وينكرون عليه، فإن كان القدر حجة لمن فعل المحرمات وترك الواجبات، لزمهم أن لا يذموا أحداً، ولا يبغضوا أحداً، ولا يقولوا في أحد: إنه ظالم، ولو فعل ما فعل ومعلوم أن هذا لا يمكن أحد فعله، ولو فعل الناس هذا لهلك العالم، فتبين أن قولهم فاسد في العقل، كما أنه كفر في الشرع"[2].

ولاشك أن من احتج بالقدر على المعاصي، حجته داحضة ويظهر بطلان قوله من وجوه أبرزها ما يلي:

الوجه الأول: أنه قد علم بالاضطرار أن الاحتجاج بالقدر حجة باطلة وداحضة باتفاق كل ذي عقل ودين من جميع العالمين، ويوضحه أن هذا يلزم منه، أن يكون إبليس وفرعون وقوم هود وكل من أهلكه الله بذنوبه معذورين، وهذا هو الكفر الذي اتفق عليه أرباب الملل.

---

(١) التمهيد (١٥/١٨).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٨/٢٦٣).

الوجه الثاني: أن هذا يلزم منه: أن لا يفرق بين أولياء الله وأعداء الله، ولا بين المؤمنين والكفار، ولا أهل الجنة وأهل النار، وقد قال تعالى: ﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۝١٩ وَلَا ٱلظُّلُمَـٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ۝٢٠ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ۝٢١ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴾[2].

ذلك أن هؤلاء جميعهم، سبقت لهم من الله تعالى السوابق وكتب الله مقاديرهم قبل أن يخلقهم، وهم مع هذا قد انقسموا إلى سعيد بالإيمان والعمل الصالح، وإلى شقي بالكفر والفسق والعصيان، فعلم بذلك أن القضاء والقدر ليس بحجة لأحد على معاصي الله.

الوجه الثالث: أن القدر نؤمن به ولا نحتج به، فمن احتج بالقدر فحجته داحضة، ومن اعتذر بالقدر فعذره غير مقبول، ولو كان الاحتجاج بالقدر مقبولاً لقبل من إبليس وغيره من العصاة، ولو كان القدر حجة للعباد لم يعذب أحد من الخلق، لا في الدنيا ولا في الآخرة، ولو كان القدر حجة لم تقطع يد سارق ولا قتل قاتل، ولا أقيم حد على ذي جريمة، ولا جوهد في سبيل الله، ولا أمر بالمعروف، ولا نهي عن المنكر.

الوجه الرابع: أن من يعمل المعاصي ويترك الطاعات ويقول إن كان الله قدر أني من أهل الجنة فسأدخلها وإن لم أعمل طاعة قط، وإن ارتكبت جميع المحرمات، وإن كان الله قدر أني من أهل النار فسأدخلها وإن عملت كل طاعة وتركت كل معصية، فقوله باطل، وهو بمنـزلة من يقول إن كان الله قضى لي بولد فسيولد سواء وطأت امرأة أم لا، وإن كان الله قدر لي أن أشبع فسأشبع سواء أكلت أم لا وهذا قول ظاهر الفساد[3].

---

(١) سورة فاطر، الآيات: (١٩-٢٢).

(٢) سورة ص، الآية: (٢٨).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٨/٢٦٣-٢٦٦).

ثم إنا لا نرى هذا القائل يطّرد قوله في حياته اليومية، فلا نراه يترك العمل ويقول إن قدر لي رزق فسيأتيني وإن لم أعمل، وإن قدر أن أرضي تثمر فستثمر وإن لم أبذر، وهكذا، فلماذا يحتج بالقدر على الشرع، ولا يحتج به في حياته اليومية؟!!.

فعلى العبد أن ينظر إلى القدر في المصائب التي لا حيلة له في دفعها، ولا ينظر إليه في المعائب والذنوب.

وبناء على ما سبق فما قرره الشيخ مرعي – رحمه الله – في هذه المسألة موافق لمذهب السلف – رحمهم الله –.

٢ – رأيه في حديث احتجاج موسى وآدم عليهما الصلاة والسلام:

يرى الشيخ مرعي أن آدم عليه السلام لم يحتج بالقدر على الذنب، وإنما احتج بالقدر على المصيبة، وموسى عليه السلام لم يلمه على ذنب قد تاب منه، وتاب الله عليه، وإنما وقع اللوم على المصيبة التي أخرجت ذريته من الجنة وفي ذلك يقول: "قد ورد في الحديث الصحيح... أن آدم قد احتج على موسى بالقدر... لكن ليس هو على معنى ما يتوهمه المحتجون على فعل المعاصي بالقدر، واحتجاج آدم وموسى عليهما السلام قد رواه البخاري ومسلم، فعن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "**احتج آدم وموسى عليهم السلام – وفي لفظ أن موسى قال يا رب أرنا آدم الذي أخرجنا من الجنة بخطيئته، فقال موسى: يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأسجد لك ملائكته، لماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة؟ فقال له آدم: أنت يا موسى الذي اصطفاك الله بكلامه وكتب لك التوراة بيده فبكم تجد فيها مكتوباً وعصى آدم ربه فغوى قبل أن أخلق، قال: بأربعين سنة".**

وفي لفظ قال: "**أفتلومني على أمر قد قدره الله علي قبل أن أخلق بأربعين سنة قال: فحج آدم موسى**"[١]...

وحاصل ما يؤخذ من... الحديث أن آدم إنما حج موسى لكونه قد تاب من الذنب واستسلم للمصيبة التي لحقت بسبب أكله المقدر عليه، فالحديث تضمن التسليم للقدر عند وقوع المصائب، وعدم لوم المذنب التائب وأن المؤمن مأمور أن يرجع إلى القدر عند المصائب لا عند الذنوب والمعايب فيصبر على المصائب ويستغفر من الذنوب كما قال تعالى: ﴿ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ ﴾[٢].

---

(١) أخرجه البخاري كتاب القدر – باب تحاج آدم وموسى، (ح٦٦١٤)، (ص٥٥٣)، ومسلم كتاب القـدر – باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام، (ح٢٦٥٢)، (ص١١٤٠).

(٢) سورة غافر، الآية: (٥٥).

وقال تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ ﴾[1].

قالت طائفة من السلف كابن مسعود: هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أ ا من عند الله فيرضى ويسلم.

قال بعض السلف: اثنان أذنبا: آدم وإبليس، فآدم تاب فتاب الله عليه واجتباه، وإبليس أصر على معصيته واحتج بالقدر فلُعن وطُرِد.

فمن تاب من ذنبه أشبه آدم، ومن أصر واحتج بالقدر أشبه إبليس، ومن تاب لا يحسن لومه على ذنبه الذي صدر منه، وكيف يلام على سيئات كلها حسنات لقوله تعالى: ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ ﴾[2]، ومن لم يتب يلام ولا يحسن منه أن يحتج على إصراره بالقدر لأنه لو كان القدر حجة لكان حجة لإبليس وفرعون وسائر الكفار، وأيضاً فآدم وموسى أعلم بالله من أن يحتج أحدهما على فعل المصيبة بالقدر ويقبله الآخر إذ لا تلبس لآدم بمعصية حال الاحتجاج، وأيضاً فلو كان ذلك مقبولاً لكان لإبليس الحجة بذلك أيضاً، وكان لفرعون الحجة على موسى بذلك أيضاً وكذلك سائر الكفار.

واعلم أن موسى عليه السلام لم يلم آدم على ذنبه الذي تاب منه فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له، وموسى أعلم بالله من أن يلوم تائباً فكيف بأبيه آدم الذي تاب الله عليه واجتباه، وإنما لامه لأجل ما لحق الذرية من المصيبة المستمرة، والمصيبة تقتضي نوعاً من الجزع يقتضي لوم من كان سببها كما يلام من أوقع أصحابه في مشقة، ولهذا لم يقل له موسى "لماذا أكلت من الشجرة" وإنما قال له: "لماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة"... فهو مبين لما وقعت عليه الملامة فتأمل.

فظهر بما تقرر أن احتجاج آدم على موسى بالقدر وأنه حج موسى به، ليس هو على معنى ما يتوهمه الإباحية بل على المعنى المتقدم الظاهر لكل مسلم مسلّم"[3].

---

(١) سورة التغابن، الآية: (١١).

(٢) سورة الفرقان، الآية: (٧٠).

(٣) دفع الشبهة والغرر (ص٨٠-٨٥).

دراســة رأيه:

يسوغ الاحتجاج بالقدر على المصائب التي تحل بالإنسان كالفقر، والمرض، وفقد القريب، وتلف الزرع، وخسارة المال، ونحو ذلك؛ فهذا من تمام الرضا بالله رباً، فالاحتجاج إنما يكون على المصائب، لا المعائب، فالسعيد يستغفر من المعائب، ويصبر على المصائب، كما قال تعالى: ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ ﴾[1]، والشقي يجزع عند المصائب، ويحتج بالقدر على المعائب.

وجواب الشيخ مرعي عن هذا الحديث هو جواب شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – وتلميذه ابن القيم – رحمه الله – وهو أحسن جواب فُسر به هذا الحديث.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: "فآدم عليه السلام، إنما حج موسى لأن موسى لامه على ما فعل لأجل ما حصل لهم من المصيبة بسبب أكله من الشجرة، لم يكن لومه له لأجل حق الله في الذنب، فإن آدم كان قد تاب من الذنب كما قال تعالى: ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴾[3]، وموسى عليه السلام يعلم أنه بعد التوبة والمغفرة لا يبقى ملام على الذنب، وآدم أعلم بالله من أن يحتج بالقدر على الذنب، وموسى عليه السلام أعلم بالله تعالى من أن يقبل هذه الحجة، فإن هذه لو كانت حجة على الذنب لكانت حجة لإبليس عدو آدم، وحجة لفرعون عدو موسى، وحجة لكل كافر وفاجر، وبطل أمر الله و يه، بل إنما كان القدر حجة لآدم على موسى لأنه لام غيره لأجل المصيبة التي حصلت له بفعل ذلك وتلك المصيبة كانت مكتوبة عليه"[4].

---

(١) سورة غافر، الآية: (٥٥).

(٢) سورة البقرة، الآية: (٣٧).

(٣) سورة طه، الآية: (١٢٢).

(٤) مجموع الفتاوى (١٠٨/٨، ١٧٨-١٧٩، ١١٣، ٣١٩، ٣٢١-٣٢٢، ٣٣٣).

وقال ابن القيم – رحمه الله –: "فموسى صلوات الله وسلامه عليه أعرف بالله وأسمائه وصفاته من أن يلوم على ذنب قد تاب منه فاعله واجتباه ربه بعده وهداه واصطفاه، وآدم صلوات الله عليه وسلامه أعرف بربه من أن يحتج بقضائه وقدره على معصيته، بل إنما لام موسى آدم على المصيبة التي نالت الذرية بخروجهم من الجنة، ونزولهم إلى دار الابتلاء والمحنة، بسبب خطيئة أبيهم، فذكر الخطيئة تنبيهاً على سبب المعصية والمحنة التي نالت الذرية، ولهذا قال: "أخرجتنا ونفسك من الجنة" وفي لفظ: "خيبتنا" فاحتج آدم بالقدر على المصيبة، وقال: إن هذه المصيبة التي نالت الذرية بسبب خطيئتي، كانت مكتوبة مقدرة قبل خلقي، والقدر يحتج به في المصائب دون المعائب، أي: أتلومني على مصيبة قُدرت علي وعليكم قبل خلقي بكذا وكذا سنة؟ هذا جواب شيخنا – رحمه الله –"[1].

على أن ابن القيم – رحمه الله – أشار إلى جواب آخر، فقال بعد حكاية جواب شيخه ابن تيمية: "وقد يتوجه جواب آخر، وهو أن الاحتجاج بالقدر على الذنب ينفع في موضع ويضر في موضع، فينفع إذا احتج به بعد وقوعه والتوبة منه، وترك معاودته كما فعل آدم، فيكون في ذكر القدر إذ ذاك من التوحيد ومعرفة أسماء الله وصفاته وذكرها ما ينتفع به الذّاكر والسامع، لأنه لا يدفع بالقدر أمراً و ياً، ولا يبطل به شريعة، بل يخبر بالحق المحض على وجه التوحيد، والبراءة من الحول والقوة.

يوضحه أن آدم قال لموسى: أتلومني على أن عملت عملاً كان مكتوباً علي قبل أن أخلق؟ فإذا أذنب الرجل ذنباً ثم تاب منه توبة، وزال أمره حتى كأن لم يكن، فأنبه مؤنب عليه ولامه حسن منه أن يحتج بالقدر بعد ذلك، ويقول: هذا أمر كان قد قدر علي قبل أن أخلق، فإنه لم يدفع بالقدر حقاً، ولا ذكره حجة على باطل، ولا محذور في الاحتجاج به، وأما الموضع الذي يضر الاحتجاج به، ففي الحال والمستقبل، بأن يرتكب فعلاً محرماً، أو يترك واجباً، فيلومه عليه لائم، فيحتج بالقدر على إقامته عليه وإصراره، فيبطل بالاحتجاج به حقاً، ويرتكب باطلاً، كما احتج به المصرون على شركهم وعباد م غير

---

(١) شفاء العليل (١/٩٣-٩٤)، وانظر: شرح العقيدة الطحاوية (١/١٣٥)، لوامع الأنوار البهية (١/٣٤٦)، قطر الولي على حديث الولي (ص٢٩١).

الله فقالوا: ﴿ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا ﴾[1]، ﴿ وَقَالُواْ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَـٰنُ مَا عَبَدْنَـٰهُم ﴾[2]، فاحتجوا به مصوبين لما هم عليه، وأ م لم يندموا على فعله، ولم يعزموا على تركه، ولم يقروا بفساده، فهذا ضد احتجاج من تبين له خطأ نفسه، وندم وعزم كل العزم على أن لا يعود، فإذا لامه لائم بعد ذلك قال: كان ما كان بقدر الله.

ونكتة المسألة أن اللوم إذا ارتفع صح الاحتجاج بالقدر، وإذا كان اللوم واقعاً فالاحتجاج بالقدر باطل"[3].

وهذا الجواب جيد أيضاً، ولكن الجواب الذي ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية أجود وأقوى، والله تعالى أعلم[4].

وعليه فما قرره الشيخ مرعي في **هذه المسألة موافق لمذهب أهل السنة والجماعة – رحمهم الله –.**

---

(١) سورة الأنعام، الآية: (١٤٨).

(٢) سورة الزخرف، الآية: (٢٠).

(٣) شفاء العليل (١/٩٤-٩٥).

(٤) انظر: القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة (ص٤٢٣).

الباب الرابع

آراؤه في مسائل الأسماء والأحكام

وفيه خمسة فصول :

الفصل الأول : تعريف الإيمان والإسلام والعلاقة بينهما .

الفصل الثاني : زيادة الإيمان ونقصانه .

الفصل الثالث : حكم عصاة الموحدين .

الفصل الرابع : موقفه من التكفير .

الفصل الخامس : الولاء والبراء وحكم التشبه بالمشركين .

الفصل الأول

تعريف الإيمان والإسلام والعلاقة بينهما

الفصل الأول

تعريف الإيمان والإسلام والعلاقة بينهما

تعريف الإيمان:

عرف الشيخ مرعي الإيمان، وبين معناه في اللغة والشرع.

فقال: "الإيمان لغة: مطلق التصديق.

وشرعاً: تصديق القلب الجازم بما علم ضرورة مجيء الرسول به من عند الله تفصيلاً فيما علم تفصيلاً كالتوحيد والنبوة والبعث والجزاء وافتراض الصلوات الخمس والزكاة والصيام والحج، وإجمالاً فيما علم إجمالاً...

والذي يدل على أن الإيمان هو التصديق وحده أن الله تعالى أضاف الإيمان إلى القلب فقال سبحانه: ﴿ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ ﴾[1]، ﴿ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ ﴾[2]، ﴿ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ﴾[3]، ﴿ وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَـٰنُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾[4]"[5].

دراســة رأيه:

الإيمان في اللغة:

مصدر من آمن يؤمن إيماناً، فهو مؤمن، وهو مشتق من الأمن، وهو بمعنى الإقرار لا مجرد التصديق[6].

---

(1) سورة ا ادلة، الآية: (٢٢).

(2) سورة النحل، الآية: (١٠٦).

(3) سورة المائدة، الآية: (٤١).

(4) سورة الحجرات، الآية: (١٤).

(5) توضيح البرهان في الفرق بين الإسلام والإيمان، (ص٥٥٧)، بحث منشور ضمن مجلة الحكمة العــدد التاســع والعشرون، وانظر: الكلمات البينات (ص٤٦).

(6) انظر: معجم مقاييس اللغة (ص٧١)، القاموس المحيط (ص١٥١٨).

فإن الإيمان يتضمن أمرين:

١ – الإخبار.

٢ – الالتزام.

والتصديق إنما يتضمن الإخبار فقط، أما الإقرار فإنه يتضمن الإخبار والالتزام[(١)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: "ومعلوم أن الإيمان هو الإقرار، لا مجرد التصديق، والإقرار ضمن قول القلب الذي هو التصديق، وعمل القلب الذي هو الانقياد، تصديق الرسول فيما أخبر، والانقياد له فيما أمر، كما أن الإقرار بالله هو الاعتراف به والعبادة له، فالنفاق يقع كثيراً في حق الرسول، وهو أكثر ما ذكره الله في القرآن من نفاق المنافقين في حياته، والكفر هو عدم الإيمان سواء كان معه تكذيب أو استكبار أو إباء أو إعراض؛ فمن لم يحصل في قلبه التصديق والانقياد فهو كافر"[(٢)].

وبناءً على ما سبق فما قرره الشيخ مرعي – عفا الله عنه – من أن الإيمان في **اللغة هو التصديق مردود.**

ويمكن الرد على ذلك من عدة وجوه:

الوجه الأول: أن التصديق ليس مرادفاً للإيمان من كل الوجوه، فإن التصديق يستعمل في الخبر، فيقال لمن أخبر في أمور مشهورة مثل الواحد نصف الاثنين... صدقت وصدقنا بذلك، ولا يقال آمنا لك، ولا آمنا بهذا، حتى يكون المخبر من الأمور الغائبة، فيقال للمخبر آمنا بك، وللمخبر به آمنا به كما قال أخوة يوسف: ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا ﴾[(٣)] أي بمقر لنا ومصدق لنا، لأنهم أخبروه عن غائب والآيات في هذا المعنى كثيرة[(٤)].

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٥٣٠/٧-٥٣١).

(٢) المصدر السابق (٦٣٨/٧).

(٣) سورة يوسف، الآية: (١٧).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (٥٢٩/٧)، وانظر: الإيمان للحليمي (٢٠/١-٢٤)، الإيمان لابن تيمية (ص١١٧-١١٩).

الوجه الثاني: "الإيمان مأخوذ من الأمن الذي هو الطمأنينة، كما أن لفظ الإقرار مأخوذ من قر يقر، وهو قريب من آمن يأمن؛ لكن الصادق يطمئن إلى خبره؛ والكاذب بخلاف ذلك كما يقال الصدق طمأنينة والكذب ريبة؛ فالمؤمن دخل في الأمن كما أن المقر دخل في الإقرار، ولفظ الإقرار يتضمن الالتزام ثم إنه يكون على وجهين:

أحدهما: الإخبار...

والثاني: إنشاء الالتزام...

وكذلك لفظ الإيمان فيه إخبار وإنشاء والتزام، بخلاف لفظ التصديق المجرد"[1].

الوجه الثالث: "أن يقال: وإن كان هو التصديق فالتصديق التام القائم مستلزم لما وجب من أعمال القلب والجوارح، فإن هذه لوازم الإيمان التام، وانتفاء اللازم دليل على انتفاء الملزوم، ونقول: إن هذه اللوازم تدخل في مسمى اللفظ تارة وتخرج عنه أخرى"[2].

وأما الإيمان في الشرع:

فهو اعتقاد القلب، وقول اللسان، وعمل بالجوارح والأركان[3].

وهذا ثابت بالكتاب والسنة والإجماع.

فمن الكتاب:

قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡ ۛ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡ ۚ لَهُمۡ فِى ٱلدُّنۡيَا خِزۡىٌ ۖ وَلَهُمۡ فِى ٱلۡأَخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[4].

وقوله تعالى: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَـٰعِيلَ

---

(١) مجموع الفتاوى (٥٢٩/٧-٥٣١)، وانظر: الإيمان لابن تيمية (ص١٢٦-١٣٤)، شرح العقيدة الطحاوية (٤٧١/٢-٤٧٤).

(٢) الإيمان لابن تيمية (ص١١٧).

(٣) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٨٨٦/٥)، الشريعة (ص١٠٢)، التمهيد (٢٥٣/٩)، شرح العقيدة الطحاوية (٤٦٢/٢).

(٤) سورة المائدة، الآية: (٤١).

﴿ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾[(١)].

وهذا دليل على أن الإيمان اعتقاد بالقلب.

وأما دليلهم على أنه عمل بالجوارح:

قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾[(٢)].

وقال تعالى في وصف المؤمنين: ﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[(٣)].

ومن السـنة:

قوله صلى الله عليه وسلم: **"الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان"**[(٤)].

"فهذه الشعب تتفرع من أعمال القلب، وأعمال اللسان، وأعمال البدن"[(٥)].

وأما الإجماع:

فقد أجمع السلف – رحمهم الله – على أن الإيمان اعتقاد بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالجوارح والأركان.

---

(١) سورة البقرة، الآية: (١٣٦).

(٢) سورة الحج، الآية: (٧٧).

(٣) سورة التوبة، الآية: (١١٢).

(٤) أخرجه البخاري كتاب الإيمان – باب أمور الإيمان، (ح٩)، (ص٣)، ومسلم كتاب الإيمان – بـاب عـدد شعب الإيمان، (ح٣٥)، (ص٦٨٧)، من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه –.

(٥) فتح الباري (٦٨/١).

يقول الإمام الشافعي – رحمه الله –: "كان الإجماع من الصحابة والتابعين من بعدهم ممن أدركنا: أن الإيمان قول وعمل ونية لا يجزئ واحد من الثلاثة عن الآخر"[١].

ويقول الإمام مالك – رحمه الله –: "الإيمان قول وعمل"[٢].

وقد حكى الإجماع على ذلك من أهل السنة غير واحد من العلماء كالبغوي[٣]، وابن عبد البر[٤]، والبخاري[٥]، وغيرهم.

و بهذا يتبين أن ما ذهب إليه الشيخ مرعي في تعريف الإيمان مخالف لتعريف السلف – رحمهم الله – كما بينت ذلك بالكتاب والسنة والإجماع.

---

(١) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٨٨٦/٥).

(٢) انظر: الشريعة (ص١٠٢)، والتمهيد (٢٥٣/٩).

(٣) شرح السنة (٣٨/١-٣٩).

(٤) التمهيد (٢٣٨/٩).

(٥) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٨٨٦/٥).

تعريف الإسلام:

عرف الشيخ مرعي الإسلام فقال: "الإسلام لغة: هو مطلق الاستسلام والانقياد، وشرعاً: الاستسلام والانقياد لامتثال أمر الله واجتناب نواهيه"[١].

دراســة رأيه:

قال ابن فارس: "الإسلام: الانقياد"[٢].

وهو إظهار الخضوع والانقياد[٣].

قال ابن رجب – رحمه الله –: "الإسلام هو استسلام العبد لله وخضوعه وانقياده له"[٤].

ويقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله –: "الإسلام هو: الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله"[٥].

مما سبق بيانه يتضح أن تعريف الشيخ مرعي للإسلام موافق لما قاله أهل السنة والجماعة.

---

(١) توضيح البرهان في الفرق بين الإسلام والإيمان (ص٥٩٩).
(٢) معجم مقاييس اللغة (ص٤٦٥).
(٣) انظر: المعجم الوسيط (ص٤٤٦).
(٤) جامع العلوم والحكم (ص٤١).
(٥) مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب (١٣٦/٦).

العلاقة بين مسمى الإيمان والإسلام:

أفرد الشيخ مرعي هذه المسألة برسالة سماها "توضيح البرهان في الفرق بين الإسلام والإيمان" وقد أفاض في النقل عن الأئمة فيها ثم خلص إلى رأيه فقال: "وأنا أقول بتوفيق الله عز وجل كما يؤخذ من سوابق كلام الأئمة ولواحقه، أن تحقيق هذه المسألة وتلخيصها:

أن الإيمان لغة: مطلق التصديق، وشرعاً: على ما صرح به الأشعرية وأكثر الأئمة هو تصديق القلب الجازم بما علم ضرورة مجيء الرسول به من عند الله تفصيلاً فيما علم تفصيلاً كالتوحيد والنبوة والبعث والجزاء وافتراض الصلوات الخمس والزكاة والصيام والحج وإجمالاً فيما علم إجمالاً.

وأما الإسلام لغة: فهو مطلق الاستسلام والانقياد، وشرعاً: الاستسلام والانقياد لامتثال أمر الله واجتناب نواهيه.

وعلى هذا فهو أعمال الجوارح من الطاعات كالتلفظ بالشهادتين والصلاة والزكاة والحج وغير ذلك، ولهذا فسره النبي صلى الله عليه وسلم لما سأله جبريل عنه بقوله: **"أن تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً"**[1].

فثبت بهذا التغاير مفهومهما لغة وشرعاً، ومن ثم صح إثبات أحدهما وسلب الآخر فقال سبحانه: ﴿ قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا ﴾[2]، وساغ عطف أحدهما على الآخر فقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ﴾[3]، نظراً لمعناهما اللغويين ومفهومهما الشرعيين"[4].

---

(١) سبق تخريجه (ص٢٤٤).

(٢) سورة الحجرات، الآية: (١٤).

(٣) سورة الأحزاب، الآية: (٣٥).

(٤) توضيح البرهان في الفرق بين الإسلام والإيمان (ص٥٥٦-٥٦٠).

دراســة رأيه:

مما سبق عرضه يظهر موافقة الشيخ مرعي إجمالاً لجمهور السلف في التفريق بين الإسلام والإيمان.

أما عند التفصيل فكلامه مخالف للسلف – رحمهم الله – إذ أنه يرى أن الإيمان تصديق القلب فقط، وأن الإسلام عمل الجوارح، وهذا غير صحيح لأن الإيمان قول وعمل، وقد بينت ذلك سابقاً.

يقول ابن رجب – رحمه الله -: "إذا أفرد كل من الإسلام والإيمان بالذكر فلا فرق بينهما حينئذ، وإن قرن بين الاسمين كان بينهما فرق، والتحقيق في الفرق بينهما أن الإيمان هو تصديق القلب وإقراره ومعرفته، والإسلام هو استسلام العبد وخضوعه وانقياده له، وذلك يكون بالعمل وهو الدين، كما سمى الله في كتابه الإسلام ديناً، وفي حديث جبريل سمى النبي صلى الله عليه وسلم الإسلام والإيمان والإحسان ديناً[(١)]، وهذا أيضاً مما يدل على أن أحد الاسمين إذا أفرد دخل فيه الآخر، وإنما يفرق بينهما حيث قرن أحد الاسمين بالآخر، فيكون حينئذ المراد بالإيمان جنس تصديق القلب، وبالإسلام جنس العمل"[(٢)].

فالإسلام والإيمان إذا أُفرد أحدهما شمل الدين كله أصوله وفروعه، من اعتقاداته وأقواله وأفعاله الظاهرة والباطنة.

وإذا قُرن بينها وذكرا معاً، فعند ذلك يفترقان في المعنى فيراد بالإسلام الأعمال الظاهرة، ويراد بالإيمان الاعتقادات الباطنة.

---

(١) سبق تخريجه (ص٢٢٣).

(٢) جامع العلوم والحكم (ص٤٠).

الفصل الثاني

زيادة الإيمان ونقصانه

الفصل الثاني

زيادة الإيمان ونقصانه

ذكر الشيخ مرعي اختلاف المذاهب في هذه المسألة، واختار أن الإيمان يزيد وينقص فقال:

"وقع في هذه المسألة بين الأئمة خلاف كبير ونزاع كثير، ومذهب الجمهور أن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية،... قال الإمام الشافعي: "الإيمان قول وعمل يزيد وينقص"[١]، وبه قال الإمام أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه[٢]"[٣].

ثم ذكر من نسب إليه هذا القول من الصحابة والتابعين.

ثم أتبعه بذكر مذهب من نفى الزيادة والنقصان في الإيمان قائلاً:

"وقال آخرون: إن الإيمان لا يزيد ولا ينقص لما مر من أنه التصديق القلبي الذي بلغ حد الجزم والإذعان وهو لا يتصور فيه زيادة ولا نقصان حتى أن من حصل له حقيقة التصديق فسواء عمل الطاعات أم ارتكب المعاصي فتصديقه لا تغير فيه أصلاً، والآيات الدالة على زيادة الإيمان محمولة على زيادته في عصر النبي صلى الله عليه وسلم بزيادة ما يؤمنون به مما تجدد من الفرائض"[٤].

ثم عرض مذهب جمهور متكلمي الأشاعرة أن:

---

(١) رواه اللالكائي في شرح السنة (١٠٣٤/٥) برقم ١٧٥١.

(٢) هو إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظلي، أبو محمد بن راهويه المروزي، عالم خراسان، ثقة حافظ مجتهد، روى عنه البخاري ومسلم، توفي سنة ٢٣٨هـ.

انظر: الجرح والتعديل (٢٠٩/٢)، المقصد الأرشد (٢٤٢/١).

(٣) توضيح البرهان في الفرق بين الإسلام والإيمان (ص٥٧١)، وانظر: السنة للخلال(٦٧٨،٦٨٠/٢) ،الطبقات(٢٥٩/١).

(٤) المصدر السابق (ص٥٧٩).

"نفس التصديق لا يزيد ولا ينقص والإيمان الشرعي يزيد وينقص بزيادة ثمراته وهي الأعمال ونقصا ا"[1].

ثم أورد قول النووي وابن حجر: "أن نفس التصديق يزيد بكثرة النظر وتظاهر الأدلة، ولهذا يكون إيمان الصديقين أقوى من إيمان غيرهم بحيث لا تعتريهم الشبهة ولا يزلزل إيما م بعارض، بل لا تزال قلو م منشرحة، وإن اختلفت عليهم الأحوال.

وأما غيرهم من المؤلفة ومن قار م ونحوهم فليسوا كذلك، فهذا لا يمكن إنكاره ولا يتشكك عاقل في أن نفس تصديق أبي بكر رضي الله عنه لا يساوي تصديق آحاد الناس، ولهذا قال البخاري في صحيحه:

قال ابن أبي مليكة:

أدركت ثلاثين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلهم يخاف النفاق على نفسه، وما منهم من أحد يقول إنه على إيمان جبريل وميكائيل...

ويؤيده كما قال الحافظ ابن حجر: أن كل أحد يعلم أن ما بقلبه يتفاضل حتى يكون في بعض الأحيان أعظم يقيناً وإخلاصاً منه في بعضها، وكذلك في التصديق والمعرفة بحسب ظهور البراهين وكثر ا"[2] انتهى.

إذا علمت القول بزيادة الإيمان القلبي على الراجح، والإيمان القولي والعملي إجماعاً، فكن أيها المخاطب في نفيس عمرك في تحصيل مزيد من الإيمان بإخلاص النية وحسن اليقين وهو التوكل وكثرة الصلاة والطاعات المفروضة والمندوبة وترك ما للنفس من شهوات نفسانية أو يمية محرمة أو مكروهة.

وإياك ثم إياك أن يقع منك نقص في إيمانك بارتكاب معصية من معاصي الله تعالى..."[3].

---

(١) توضيح البرهان في الفرق بين الإسلام والإيمان (ص٥٨١).

(٢) المصدر السابق (ص٥٨١)، وانظر: المنهاج شرح صحيح مسلم (١٤٨/١)، فتح الباري (٤٦/١).

(٣) المصدر السابق (ص٥٨٣).

دراســة رأيه:

القول بأن الإيمان يزيد وينقص هو معتقد أهل السنة والجماعة، والأدلة من الكتاب والسنة على ذلك كثيرة.

فمن الكتاب:

قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴾(١).

وقوله سبحانه: ﴿ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ﴾(٢).

وقوله جل وعلا: ﴿ وَمَا جَعَلۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةٗۙ وَمَا جَعَلۡنَا عِدَّتَهُمۡ إِلَّا فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيَسۡتَيۡقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَيَزۡدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنٗاۙ ﴾(٣).

ومن الســنة:

قوله صلى الله عليه وسلم: **"ما من** نبي **بعثه الله** في **أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب، يأخذون** بسنته **ويقتدون** بأمره، ثم إ ا تخلف **من بعدهم خلوف، يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم** بلسانه **فهو مؤمن، ومن جاهدهم** بقلبه **فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل"**(٤).

وقوله صلى الله عليه وسلم: **"لا** يزني **الزاني حين** يزني **وهو مؤمن"**(٥).

فقد استدل ابن عبد البر ذا الحديث على أن المعاصي تنقص الإيمان(٦).

---

(١) سورة التوبة، الآية: (١٢٤).

(٢) سورة آل عمران، الآية: (١٧٣).

(٣) سورة المدثر، الآية: (٣١).

(٤) أخرجه مسلم كتاب الإيمان – باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص، (ح٨٠)، (ص٦٨٨).

(٥) أخرجه البخاري كتاب المظالم – باب النهبى بغير إذن صاحبه، (ح٢٤٧٥)، (ص١٩٥).

(٦) التمهيد (٢٥٤/٩).

فهذه بعض أدلة السلف من القرآن الكريم والسنة المطهرة تدل على أن الإيمان يزيد وينقص.

والقول بمقتضى ذلك هو ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة، وانعقد عليه إجماعهم[(١)].

قال الإمام البخاري – رحمه الله –: "لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار فما رأيت منهم أحداً يختلف في أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص"[(٢)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: "إن العلم والتصديق نفسه يكون بعضه أقوى من بعض وأثبت وأبعد عن الشك"[(٣)].

و ـذا يتبين أن مذهب أهل السنة والجماعة - ومنهم الشيخ مرعي - هو القول بزيادة الإيمان ونقصانه، وهو الحق الذي دلت عليه نصوص الكتاب والسنة - والله أعلم -.

إلا أنه يؤخذ على الشيخ مرعي في هذه المسألة، أنه بناها على قوله السابق بأن الإيمان هو مطلق التصديق.

---

(١) انظر: السنة لعبد الله بن أحمد (٣١/١)، الإيمان لأبي عبيد (ص٢٤)، الإيمان لابن أبي شيبة (ص٥٠)، الإبانـة (ص١٩٤)، الشريعة (ص٩٤)، عقيدة السلف أصحاب الحديث (ص٦٢)، التمهيد (٢٤٣/٩-٢٥٤)، مجموع الفتاوى (٥٠٥/٧)، شرح الطحاوية (٤٧٩/٢)، لوامع الأنوار البهية (٤١١/١).

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١٧٣/١-١٧٤).

(٣) الإيمان (ص٢٢١).

الفصل الثالث

حكم عصاة الموحدين

الفصل الثالث

حكم عصاة الموحدين

يرى الشيخ مرعي – رحمه الله – أن عصاة الموحدين ممن ماتوا ولهم ذنوب ومعاصي ولم يتوبوا منها، أ م تحت مشيئة الله تعالى إن شاء عذ م وإن شاء غفر لهم، وإذا أمر الله بعذا م فإ م يعذبون بقدر جرمهم ثم يخرجون من النار إلى الجنة، ثم ذكر مذهب المعتزلة القائلين بتخليد كل من دخل النار من غير توبة، مبيناً أنه مذهب باطل ترده الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

يقول في ذلك:

"عدم خلود العصاة الموحدين في النار وإن ماتوا من غير توبة، مذهب أهل السنة والجماعة...

للآيات والأحاديث المصرحة بعدم خلود أهل التوحيد في النار...

وذهبت المعتزلة إلى أن من دخل النار فهو خالد فيها لأنه إما كافر أو صاحب كبيرة مات بلا توبة، إذ المعصوم والتائب وصاحب الصغيرة إذا اجتنبت الكبائر ليسوا من أهل النار وصاحب الكبيرة بلا توبة مخلد في النار.

وهو مذهب باطل معارض بالنصوص الدالة على عدم الخلود.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ ﴾[2].

فالجنة إنما هي محرمة على المشرك، ومساواة غير المشرك بالمشرك غلط ظاهر.

وأخرج الشيخان عن عتبان بن مالك الأنصاري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "**إن**

---

(١) سورة الكهف، الآية: (١٠٧).

(٢) سورة المائدة، الآية: (٧٢).

الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله"[1].

وأخرج الشيخان عن أبي ذر قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"ما من عبد قال لا إله إلا الله** ثم **مات على ذلك إلا دخل الجنة"** قلت: وإن زنا وإن سرق. قال: **"وإن زنا وإن سرق"** قلت: وإن زنا وإن سرق. قال: **"وإن زنا وإن سرق"**. قلت: وإن زنا وإن سرق. قال: **"وإن زنا وإن سرق. وإن رغم أنف** أبي **ذر"**[2].

وأنا أقول على رغم أنف المعتزلة...

وأخرج مسلم عن عبادة بن الصامت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **"من شهد أن لا إله إلا الله وأن** محمداً **رسول الله حرم الله عليه النار"**[3].

وعن معاذ بن جبل أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"ما من عبد يشهد أن لا إله إلا الله وأن** محمداً **عبده ورسوله إلا حرمه الله على النار"** قال: يا رسول الله أفلا أخبر ذا فيستبشروا؟ قال: **"إذن يتكلوا"**. فأخبر ا معاذ عند موته تأثماً[4]...

وقال المفسرون في قوله تعالى: ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ﴾[5].

هذا حيث يجمع الله بين أهل الخطايا من المسلمين والمشركين في النار فيقول المشركون: ما أغنى عنكم ما كنتم تعبدون؟ فيغضب الله عليهم فيخرجهم بفضل رحمته"[6][7].

---

(١) أخرجه البخاري كتاب الصلاة – باب المساجد في البيوت، (ح٤٢٥)، (ص٣٦)، ومسلم كتاب المساجد – باب الرخصة في التخلف عن الجماعة لعذر، (ح٢٦٣)، (ص٧٨٠).

(٢) أخرجه البخاري كتاب اللباس – باب الثياب البيض، (ح٥٨٢٧)، (ص٤٩٧)، ومسلم كتاب الإيمان – باب الدليل على من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، (ح١٥٤)، (ص٦٩٤).

(٣) أخرجه مسلم كتاب الإيمان – باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة، (ح٢٩)، (ص٦٨٦).

(٤) أخرجه البخاري كتاب العلم – باب من خص بالعلم قوماً دون قـوم كراهيـة أن لا يفهمـوا، (ح١٢٨)، (ص١٤)، ومسلم في الإيمان – باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة، (ح٣٢)، (ص٦٨٦).

(٥) سورة الحجر، الآية: (٢).

(٦) انظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن (٣/١٤).

(٧) جة الناظرين وآيات المستدلين (ص٩٥٧-٩٦٦).

ويقول أيضاً: "المؤمن العاصي في مشيئة الله تعالى، إن شاء غفر له وأدخله الجنة بلا تعذيب، وإن شاء عذبه بذنبه ثم أدخله الجنة بفضله"[١].

دراســة رأيه:

اختلف الناس في مرتكب الكبيرة:

١ - الخوارج[٢] والمعتزلة: قالوا: أن مرتكب الكبيرة في الآخرة خالد مخلد في النار.

وأما في الدنيا فقالت الخوارج: هو كافر.

وقالت المعتزلة: هو في منـزلة بين المنـزلتين، أي بين الإيمان والكفر، وحكمه في الدنيا حكم بقية المسلمين[٣].

٢ - المرجئة[٤]: قالوا: إن مرتكب الكبيرة مؤمن كامل الإيمان، ولا يدخل نار جهنم يوم القيامة، إذا مات موحداً مؤمناً، لأنه لا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة[٥].

٣ - أهل السنة والجماعة: قالوا: إن مرتكب الكبيرة مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، وهو في الآخرة إلى الله سبحانه وتعالى إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه بقدر ذنوبه، ثم أدخله الجنة برحمته[٦].

---

(١) الكلمات البينات (ص٥٠).

(٢) هم الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – ويجمعهم القول بالتبري من علـي وعثمان – رضي الله عنهما –، كما أجمعوا عدا النجدات منهم على تكفير مرتكب الكبيرة، وتخليده في النار إذا مات مصراً عليها، وفرقهم تصل إلى عشرين فرقة.
انظر: مقالات الإسلاميين (١٦٧/١-١٦٨)، الفرق بين الفرق (ص٧٨-٨٠)، الملل والنحل (١٣١-١٣٣).

(٣) انظر: مقالات الإسلاميين (١٦٧/١، ٢٢٩)، الملل والنحل (١٣١/١، ٥٦).

(٤) الإرجاء على معنيين: أحدهما: التأخير كما في قوله تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ ﴾ الأعراف، الآية: (١١١)، والمرجئة قد أخروا الأعمال عن مسمى الإيمان، والثاني: إعطاء الرجاء، والمرجئة قالوا: لا تضر مع الإيمان معصية، والمرجئة أربعة أصناف: مرجئة الخوارج، ومرجئة الجبرية، ومرجئة القدرية، والمرجئة الخالصة.
انظر: الملل والنحل (١٦١/١)، والفرق بين الفرق (ص١٨٧).

(٥) انظر: الملل والنحل (١٦١/١)، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص١٠٨).

(٦) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٦٢/١، ١٧٥-١٧٦)، مجموع الفتـاوى (١٥١/٣، ٣٧٤)، (٣٠٧/٤)، شرح العقيدة الطحاوية (٥٢٤/٢).

يقول الإمام الصابوني – رحمه الله –: " ويعتقد أهل السنة أن المؤمن وإن أذنب ذنوباً كثيرة، صغائر وكبائر؛ فإنه لا يكفر ا، وإن خرج عن الدنيا غير تائب منها ومات على التوحيد والإخلاص؛ فإن أمره إلى الله عز وجل: إن شاء عفا عنه وأدخله الجنة يوم القيامة سالماً غانماً غير مبتلى بالنار، ولا معاقب على ما ارتكبه واكتسبه ثم استصحبه إلى يوم القيامة من الآثام والأوزار، وإن شاء عاقبه وعذبه مدة بعذاب النار، وإذا عذبه لم يخلده فيها بل أعتقه وأخرجه منها إلى نعيم دار القرار"[1].

ويقول الإمام ابن عبد البر – رحمه الله –: "... فإذا مات صاحب الكبيرة فمصيره إلى الله، إن شاء غفر له وإن شاء عذبه، فإن عذبه فبجرمه، وإن عفا عنه فهو من أهل العفو وأهل المغفرة، وإن تاب قبل الموت وقبل حضوره ومعاينته وندم واعتقد أن لا يعود واستغفر ووجل، كان كمن لم يذنب، و ذا كله الآثار الصحاح عن السلف قد جاءت وعليه جماعة من المسلمين"[2].

ويقول الإمام البغوي – رحمه الله –: "اتفق أهل السنة على أن المؤمن لا يخرج عن الإيمان بارتكاب شيء من الكبائر إذا لم يعتقد إباحتها، وإذا عمل شيئاً منها فمات قبل التوبة لا يخلد في النار، كما جاء به الحديث، بل هو إلى الله، إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه بقدر ذنوبه، ثم أدخله الجنة برحمته"[3].

ومما ينبغي أن يعلم في هذا المقام أن كلمة التوحيد إنما تنجي صاحبها من الخلود في النار إذا كان قائماً بأركان الإسلام من صلاة وصيام وزكاة، كان مؤمناً بالله تعالى غير جاحد لشيء من شرائع الإسلام، مصدقاً ا قلبه، مخلصاً ا لله تعالى عمله، معطياً حق الله تعالى من عبادة ودعاء ورجاء وخوف وتوكل وطاعة، فإن كان كذلك وأصاب في دنيا ذنوباً وكبائر ومات وهو عليها غير تائب، فإن الله إن شاء غفر له ابتداءً وأدخله الجنة كان هذا برحمته، وإن أدخله النار بقدر ذنبه كان هذا من عدله تعالى وحكمته.

---

(١) عقيدة السلف وأصحاب الحديث (ص٦٥).
(٢) التمهيد (٤/٤٩).
(٣) شرح السنة (١/١٠٣).

فالشهادة تنفع صاحبها إذا كان عاملاً بشروطها، مجتنباً نواقضها، أما أن تقال هذه الكلمة جوفاء عن شروطها، فإ ا حينئذ لا تنجي صاحبها من النار.

وفي هذا يقول ابن خزيمة – رحمه الله –: "باب ذكر خبر روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في إخراج شاهد أن لا إله إلا الله من النار، أفْرق أن يسمع به بعض الجهال، فيتوهم أن قائله بلسانه، من غير تصديق قلب يخرج من النار، جهلاً، وقلة معرفة بدين الله، وأحكامه، ولجهله بأخبار النبي صلى الله عليه وسلم مختصرها ومتقصاها، وإن لتوهم بعض الجهال أن شاهد لا إله إلا الله، من غير أن يشهد أن لله رسلاً وكتباً، وجنة، وناراً وبعثاً وحساباً، يدخل الجنة، أشد إذ أكثر أهل زماننا، لا يفهمون هذه الصناعة، ولا يميزون بين الخبر المتقصي وغيره، وربما خفي عليهم الخبر المتقصي، فيحتجون بالخبر المختصر، يترأسون قبل التعلم قد حرموا الصبر على طلب العلم، ولا يصبروا حتى يستحقوا الرئاسة فيبلغوا منازل العلماء"[1].

قال محقق كتاب التوحيد تعليقاً على قول ابن خزيمة (فيحتجون بالمختصر): "يعني – رحمه الله – أن الأخبار المختصرة التي تعلق دخول الجنة على قول لا إله إلا الله، يجب أن تحمل على غيرها من الأخبار المفصلة، التي تبين حقوق لا إله إلا الله، من أركان الإسلام وآداب الإسلام وأخلاقه"[2].

وعليه فما قرره الشيخ مرعي – رحمه الله – في هذه المسألة وحكاه عن أهل السنة والجماعة من القول بأن مرتكب الكبيرة إن مات بلا توبة فهو في الآخرة تحت مشيئة الله تعالى، إن شاء غفر له، وإن شاء عذبه بقدر ذنوبه، ثم أدخله الجنة برحمته موافق لما قرروه.

---

(١) كتاب التوحيد (٦٩٣/٢).

(٢) المصدر السابق (٦٩٣/٢).

الفصل الرابع

موقفه من التكفير

الفصل الرابع

موقفه من التكفير

عرض الشيخ مرعي – رحمه الله – لجملة من المسائل المتعلقة بالكفر والتكفير، ومنها: تعريف الكفر، أنواع الكفر، موقفه من تكفير الفرق، موانع التكفير.

وفيما يلي بيان ذلك:

١ – تعريف الكفر:

عرف الشيخ مرعي الكفر الذي هو بمعنى الردة بأنه ترك الإسلام، وبين أنه يحصل بالقول أو الفعل أو الاعتقاد أو الشك فقال: "من كفر بعد إسلامه، ويحصل الكفر بأحد أربعة أمور: بالقول، وبالفعل، وبالاعتقاد وبالشك"(١).

دراسة رأيه:

الكفر لغة:

يقول ابن فارس: "الكاف والفاء والراء أصل صحيح يدل على معنى واحد، وهو الستر والتغطية...

والكفر: ضد الإيمان، سمي لأنه تغطية الحق"(٢).

الكفر شرعاً:

هو ضد الإيمان.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: "الكفر عدم الإيمان باتفاق المسلمين سواء اعتقد نقيضه وتكلم به، أو لم يعتقد شيئاً ولم يتكلم"(٣).

---

(١) دليل الطالب لنيل المطالب (ص٢٦٠)، وانظر: غاية المنتهى في الجمع بين الإقناع والمنتهى (٣٣٥/٣).

(٢) معجم مقاييس اللغة (ص٨٩٧)، وانظر: مختار الصحاح (ص٣٣٥).

(٣) مجموع الفتاوى (٨٦/٢٠).

وقال: "الكفر عدم الإيمان بالله ورسله، سواء كان معه تكذيب أو لم يكن معه تكذيب، بل شك وريب، أو إعراض عن هذا كله حسداً أو كبراً، أو اتباعاً لبعض الأهواء الصارفة عن اتباع الرسالة"[1].

وقال أيضاً في ذكر بعض أقوال الفرق في تعريف الكفر:

والناس لهم فيما يجعلونه كفراً طرق متعددة:

فمنهم من يقول: الكفر تكذيب ما علم بالاضطرار من دين الرسول، ثم الناس متفاوتون في العلم الضروري بذلك.

ومنهم من يقول: الكفر هو الجهل بالله تعالى، ثم قد يجعل الجهل بالصفة كالجهل بالموصوف، وقد لا يجعلها، وهم مختلفون في الصفات نفياً وإثباتاً.

ومنهم لا يحده بحد، بل كل ما تبين له أنه تكذيب لما جاء به الرسول من أمر الإيمان بالله واليوم الآخر، جعله كفراً، إلى طرق أخرى.

ولا ريب أن الكفر متعلق بالرسالة، فتكذيب الرسول كفر، وبغضه وسبه وعداوته، مع العلم بصدقه في الباطن كفر عند الصحابة، والتابعين لهم بإحسان وأئمة العلم"[2].

ومن خلال ما أوردته من كلام ابن تيمية – رحمه الله – يتبين أن الكفر وهو نقيض الإيمان، قد يكون تكذيباً في القلب، فهو مناقض لقول القلب، وهو التصديق.

وقد يكون الكفر عملاً قلبياً كبغض الله أو رسوله صلى الله عليه وسلم، والذي يناقض الحب الإيماني، كالإباء والاستكبار والشك والظن.

وقد يكون قولاً ظاهراً يناقض قول اللسان، وتارة يكون عملاً ظاهراً كالإعراض عن دين الله، وعدم طاعة الله ورسوله، وهو يناقض عمل الجوارح.

و بهذا يتبين أن تعريف الشيخ مرعي للكفر بأنه ترك الإسلام، وأنه يحصل بالقول أو الفعل أو الاعتقاد أو الشك موافق لقول أهل السنة والجماعة -رحمهم الله -.

---

(١) مجموع الفتاوى (٣٣٥/١٢).

(٢) منهاج السنة (٢٥١/٥).

٣ - أنواع الكفر:

ذكر الشيخ مرعي - رحمه الله - أنواع الكفر نقلاً عن البغوي - رحمه الله - فقـال: "فإن الكفر كما في تفسير البغوي أربعة أنواع: كفر إنكار، وكفر جحود، وكفر عنـاد، وكفر نفاق.

فكفر الإنكار: هو أن لا يعرف الله أصلا، ولا يعترف به.

وكفر الجحود: هو أن يعرف الله بقلبه ولا يقر بلسانه، ككفر إبليس ونحوه، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ﴾[1].

وكفر العناد: هو أن يعرف الله بقلبه، ويعترف بلسانه، ولا يدين به ككفر أبي طالب حيث يقول:

ولقد علمـت بـأن ديـن محمـد ... مـن خـير أديـان البريـة دينـا

لـولا الملامـة أو حـذار مسـبة ... لوجـدتني سمحـاً بـذاك مبينـا

وأما كفر النفاق: فهو أن يقر باللسان ولا يعتقد بالقلب[2].

دراسـة رأيه:

ما ذكره الشيخ مرعي - رحمه الله - في أنواع الكفر نقلاً عن البغوي - رحمه الله - موافق لما قرره أهل السنة - رحمهم الله -.

قال ابن القيم - رحمه الله -: "وأما الكفر فخمسة أنواع: كفر تكذيب، وكفر استكبار، وإباء مع التصديق، وكفر إعراض، وكفر شك، وكفر نفاق، فأما كفر التكذيب: فهو اعتقاد كذب الرسول... وأما كفر الإباء والاستكبار: فنحو كفر إبليس، فإنه لم يجحد أمر الله ولا قابله بالإنكار، وإنما تلقاه بالإباء والاستكبار... وأما كفر الإعراض: فأن يعرض بسمعه وقلبه عن الرسول، لا يصدقه ولا يكذبه ولا يواليه ولا يعاديه، ولا يصغي إلى ما جاء به البتة... وأما كفر الشك: فإنه لا يجزم بصدقه ولا بكذبه، بل يشك في أمره، وهذا لا يستمر شكه إلا إذا ألزم نفسه الإعراض عن النظر في آيات صدقه صلى الله عليه وسلم جملة، فلا يسمعها ولا يلتفت إليها... وأما كفر النفاق: فأن يظهر بلسانه الإيمان، وينطوي بقلبه على التكذيب"[3].

---

(١) سورة البقرة، الآية: (٨٩).

(٢) الكلمات البينات (ص٤٦)، وانظر: معالم التنـزيل (٤٠/١).

(٣) مدارج السالكين (٣٣٦/١).

٣ – موقفه من تكفير الفرق :

يرى الشيخ مرعي عدم تكفير الفرق، خاصة من كان عنده شبهة أو دليل، ويرى تكفير غلاة الجهمية وفي ذلك يقول: "ولا نكفر أحداً من أهل الفرق بما ذهب إليه واعتقده، خصوصاً مع قيام الشبهة والدليل عنده...

لكن لا بأس بالقول بتكفير بعض الغلاة من أهل البدع، فإن من الجهمية من غلا حتى رمى بعض الأنبياء بالتشبيه"[١].

دراسـة رأيه:

يتضح مما سبق عرضه أن الشيخ مرعي يرى عدم تكفير جميع الفرق، خصوصاً من قامت عنده شبهة أو دليل، ويرى تكفير غلاة الجهمية.

وما قرره الشيخ مرعي موافق لما قرره أهل السنة والجماعة – رحمهم الله -.

قال ابن عبد البر – رحمه الله -: "إن كل من يثبت له عقد الإسلام في وقت بإجماع المسلمين ثم أذنب ذنباً أو تأول تأويلاً فاختلفوا بعد في خروجه من الإسلام، لم يكن لاختلافهم بعد اجتماعهم معنى يوجب حجة، ولا يخرج عن الإسلام المتفق عليه إلا باتفاق آخر أو سنة ثابتة لا معارض لها، وقد اتفق أهل السنة والجماعة وهم أهل الفقه والأثر على أن أحداً لا يخرجه ذنبه وإن عظم من الإسلام، وخالفهم أهل البدع، فالواجب في النظر أن لا يكفر إلا من اتفق الجميع على تكفيره أو قام على تكفيره دليل لا مدفع له من كتاب أو سنة"[٢].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: "وأما السلف والأئمة... فمنهم من لم يكفر أحداً من هؤلاء إلحاقاً بأهل المعاصي، قالوا: فكما أن من أصول أهل السنة والجماعة أ م لا يكفرون أحداً بذنب، فكذلك لا يكفرون أحداً ببدعة، والمأثور عن السلف والأئمة إطلاق أقوال بتكفير الجهمية المحضة، الذين ينكرون الصفات... وأما الخوارج والروافض ففي تكفيرهم نزاع وتردد عن أحمد وغيره"[٣].

---

(١) أقاويل الثقات (ص٦٩).

(٢) التمهيد (٢٢/١٧).

(٣) مجموع الفتاوى (٣٥١/٣، ٣٥٢، ٢٨٢)، وانظر: (٥٠٧/٧).

٤ – موانع التكفير:

إن الحكم بالكفر على من تلبس به يمنع منه عدة موانع ذكر الشيخ مرعي واحداً منها فقال: "ولا نكفر أحداً من أهل الفرق بما ذهب إليه واعتقده، خصوصاً مع قيام الشبهة والدليل عنده"[(١)].

دراسـة رأيه:

ذكر أهل العلم أن الحكم على من تلبس بالكفر، يمنع منه عدة موانع وهي: الجهل، والخطأ، والتأويل، والإكراه.

والمقصود بالتأويل: التلبس والوقوع في الكفر من غير قصد لذلك، وسببه القصور في فهم الأدلة الشرعية، دون تعمد للمخالفة، بل قد يعتقد أنه على حق[(٢)].

قال العلامة عبد الرحمن بن سعدي – رحمه الله –: "إن المتأولين من أهل القبلة الذين ضلوا وأضلوا وأخطأوا في فهم ما جاء في الكتاب والسنة، مع إيما م بالرسول واعتقادهم بالرسول واعتقادهم صدقه في كل ما قال، وأن ما قاله كان حقاً والتزموا ذلك، لكنهم أخطئوا في بعض المسائل الخبرية أو العملية، فهؤلاء قد دل الكتاب والسنة على عدم خروجهم من الدين، وعدم الحكم لهم بأحكام الكافرين، وأجمع الصحابة رضي الله عنهم والتابعون ومن بعدهم من أئمة السلف على ذلك"[(٣)].

وعليه فليس كل التأويل يعتبر سائغاً أو عذراً مقبولاً، فهناك من التأويل ما يعتبر سائغاً، ومنه ما ليس كذلك، فلابد من مراعاة ذلك، وعدم الخلط بينهما[(٤)].

وعليه فما قرره الشيخ مرعي من عدم الكفر على من عنده شبهة أو دليل موافق لما قرره أهل السنة والجماعة - رحمهم الله - إجمالاً.

إلا أنه - رحمه الله - لم يذكر بقية الموانع من التكفير وهي الجهل والخطأ والإكراه.

---

(١) أقاويل الثقات (ص٦٩).

(٢) انظر: رسالة ضوابط التكفير (ص٣٢٨، ٣٤٦).

(٣) الإرشاد في معرفة الأحكام (ص٢٠٩).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (٢٣١/٣)، الإرشاد في معرفة الأحكام (ص٢٠٩).

الفصل الخامس

الولاء والبراء وحكم التشبه بالمشركين

الفصل الخامس

الولاء والبراء وحكم التشبه بالمشركين

١ – الولاء والبـراء:

يرى الشيخ مرعي – رحمه الله – أن الولاء يكون لمن اتبع محمداً صلى الله عليه وسلم والبراءة ممن ترك دين الله تعالى فقال: "فالفضل الحقيقي هو اتباع ما بعث الله تعالى به محمداً من الإيمان والعلم باطناً وظاهراً، لا أنه بمجرد كون الشخص عربياً أو عجمياً أو أسود أو أبيض... فمن اتقى الله فقد حاز فضيلة التقوى، ومن لم يتق الله فهو إلى البهائم أقرب"(١).

والشيخ يحب السلف ويتمنى الموت على طريقتهم، ويكره من خالفهم من الصوفية والفلاسفة وأهل الزيغ والفساد والضلال، ويبرأ من معتقدا م الفاسدة، لأن كل ذلك يعتبر من تكاليف الولاء والبراء، وفي ذلك يقول: "وبمذهب السلف أقول وأدين الله تعالى به، وأسأله سبحانه الموت عليه مع حسن الخاتمة في خير وعافية"(٢).

وقال: "فانظر رحمك الله إلى السلف وطريقتهم فكن على مثل ما عليه كانوا تربح، وإياك ومحدثات الأمور المخالفة لطريقتهم، فإنك إن ركبتها تضل وتخسر، ولا تغتر بما غلب على الطباع وألفته العادات الفاسدات، وإياك وموافقة الغوغاء وأرباب الجهالة تقع في الضلالة"(٣).

وقال مبيناً بغضه وكرهه لأهل الزيغ والضلال: "ولقد صرح كثير من المتصوفة: أن الباري سبحانه هو غير ما ظهر وما بطن من الوجود... وقد شافهني بعض مشايخهم المتعمقين بذلك، فقلت له: ومن أين دليل هذا؟ فقال: من قوله سبحانه: ﴿ هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ ﴾(٤)، فإذا كان هو يقول: هو الظاهر والباطن، أتقول أنت: لا؟ فعجبت من

---

(١) مسبوك الذهب في فضل العرب وشرف العلم على شرف النسب (ص٥٤).

(٢) أقاويل الثقات (ص٢٠٠).

(٣) شفاء الصدور (ص٢٧٨).

(٤) سورة الحديد، الآية: (٣).

مقالته، ومن تحسين الشيطان لعقول هؤلاء ...، فقرأ في ا لمس قارئ ... : ﴿ لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾[(١)]، فقلت له: أيها الشيخ هذه الآية ترد ما قلت، حيث جعل لله ما فيهما، فهو سبحانه غيرهما لا عينهما، فقال على الفور: لَله ما في السماوات وما في الأرض بفتح لام "لله" فعجبت من هذه الفلسفة والزندقة، أعاذنا الله تعالى منها ومن الزيغ والضلال"[(٢)].

دراســة رأيه:

الولاء في اللغة :

قال ابن فارس: "الواو واللام والياء: أصل صحيح يدل على قرب، من ذلك الوَلْي: القرب، يقال: تباعد بعد ولي، أي قرب وجلس مما يليني"[(٣)].

والموالاة ضد المعاداة، والولي ضد العدو[(٤)].

البراء في اللغة :

التباعد من الشيء ومزايلته.

برئ إذا تخلص، وبرئ إذا تنــزه وتباعد، وبرئ إذا أعذر وأنذر[(٥)].

الولاء في الاصطلاح :

الولاية: هي المحبة والنصرة والقرب ظاهراً وباطناً[(٦)].

---

(١) سورة البقرة، الآية: (٢٨٤).

(٢) أقاويل الثقات (ص١٠٨).

(٣) معجم مقاييس اللغة (ص١٠٦٤).

(٤) انظر: لسان العرب (٩٨٦/٣).

(٥) انظر: معجم مقاييس اللغة (ص١١١)، لسان العرب (١٨٣/١).

(٦) انظر: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (ص٧)، وجامع العلوم والحكم (ص٤٤٩).

البراء في **الاصطلاح :**

هو البعد والبغض والعداوة بعد الإعذار والإنذار[1].

فالولاء والبراء مبنيين على قاعدة الحب والبغض، فإن الناس في نظر أهل السنة والجماعة، بحسب الحب والبغض والولاء والبراء ثلاثة أصناف:

الأول : من يحب جملة. وهو من آمن بالله ورسوله، وقام بوظائف الإسلام ومبانيه العظام علماً وعملاً واعتقاداً، وأخلص أعماله وأفعاله وأقواله لله، وانقاد لأوامره وانتهى عما نهى الله عنه ورسوله، وأحب في الله، ووالى وأبغض في الله، وعادى في الله، وقدم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم على قول كل أحد كائناً من كان.

الثاني : من يحب من وجه ويبغض من وجه، فهو المسلم الذي خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً، فيحب ويوالي على قدر ما معه من الخير، ويبغض ويعادي على قدر ما معه من الشر ومن لم يتسع قلبه لهذا كان ما يفسد أكثر مما يصلح.

وإذا أردت الدليل على ذلك فهذا عبد الله بن حمار، وهو رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يشرب الخمر، فأتي به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلعنه رجل وقال: ما أكثر ما يؤتى به، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: **"لا تلعنه فإنه يحب الله ورسوله"**[2] مع أنه صلى الله عليه وسلم لعن الخمر وشاربها وبائعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه[3].

الثالث : من يبغض جملة. وهو من كفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، ولم يؤمن بالقدر خيره وشره، وأنه كله بقضاء الله وقدره وأنكر البعث بعد الموت، أو ترك أحد

---

(١) انظر: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، وجامع العلوم والحكم (ص٤٢٩).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الحدود – باب ما يكره من لعن شارب الخمر وأنه ليس بخارج من الملة، (ح٦٧٨٠)، (ص٥٦٦).

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب الأشربة – باب العصير للخمر (ح٣٦٧٤)، (ص١٤٩٥)، وابن ماجه في كتاب الأشربة – باب لعنت الخمر على عشرة أوجه (ح٣٣٨٠)، (ص٢٦٨١)، والحديث صححه الألباني، انظر: صحيح سنن أبي داود (٧٠٠/٢)، وصحيح سنن ابن ماجه (١٤٤/٣).

أركان الإسلام الخمسة، أو أشرك بالله في عبادته أحداً من الأنبياء والأولياء والصالحين، وصرف لهم نوعاً من أنواع العبادة كالحب والدعاء والخوف والرجاء والتعظيم والتوكل، والاستعانة والاستعاذة والاستغاثة والذبح والنذر والإنابة والذل والخضوع والخشية والرغبة والرهبة والتعلق، أو ألحد في أسمائه وصفاته واتبع غير سبيل المؤمنين[1]...

فأهل السنة يوالون المؤمن المستقيم على دينه ولاء كاملاً ويحبونه وينصرونه، ويتبرأون من الكفرة والملحدين والمشركين ويعادو م.

أما من خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً فيوالونه بحسب ما عنده من الإيمان، ويعادونه بحسب ما هو عليه من الشر.

و ذا يتضح أن ما ذهب إليه الشيخ مرعي من أن الولاء والحب يكون لمن اتبع النبي صلى الله عليه وسلم، والبغض لمن ابتعد عن طريق الله، هو موافق للكتاب والسنة وهو مذهب السلف - رحمهم الله -.

---

(١) انظر: إرشاد الطالب (ص١٣)، والولاء والبراء والإسلام (ص١٣٨).

٣ – حكم التشبه بالمشركين:

يرى الشيخ مرعي – رحمه الله – النهي عن التشبه بالمشركين مستدلاً على ذلك بالسنة فقال: "روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي بأخذ القرون قبلها شبراً بشبر، وذراعاً بذراع"**.

فقيل: يا رسول الله كفارس والروم؟

قال: **"ومن الناس إلا أولئك"**[١].

فأخبر عليه السلام أنه سيكون في أمته مضاهاة لفارس والروم وهم الأعاجم، فالتشبه بفارس والروم مما ذمه الله ورسوله، لأن الغالب عليهم تعاطي أموراً من أفعال الجبارين والمتكبرين في الملبس والعمائم، والقيام والركوع والسجود لبعضهم، أو القيام بين يديه وهو جالس، إلى غير ذلك من الخصائل المذمومة.

وقد قال عليه السلام: **"من تشبه بقوم فهو منهم"**[٢].

وإنما ت الشريعة عن التشبه بمن ارتكب خلاف الشرع لأنه كلما كانت المشا ة أكثر كان التفاعل في الصفات والأخلاق أتم وأكمل، حتى يؤول الأمر إلى أن لا يتميز أحدهما عن الآخر إلا بالعين فقط، وهذا أمر محسوس في بني آدم، واكتساب بعضهم أخلاق بعض بالمعاشرة والمشاكلة"[٣].

و ى عن التشبه بالنصارى في غلوهم للأنبياء، وعن جفاء اليهود لهم فقال: "دين الله تعالى بين الغالي فيه والجافي عنه، فإن النصارى عظموا الأنبياء حتى عبدوهم وعبدوا تماثيلهم، واليهود استخفوا م حتى قتلوهم، والأمة الوسط عرفت مقاديرهم فلم تغلوا فيهم غلو

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة – باب قول النبي صلى الله عليه وسلم "لتتبعن سنن من كان قبلكم"، (ح٧٣١٩)، (ص٦١٠).

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب اللباس – باب في لبس الشهرة، (ح٤٠٣١)، (ص١٥١٨)، قال ابن تيمية: إسناده جيد، اقتضاء الصراط المستقيم (٢٦٩/١)، وصححه الألباني في إرواء الغليل (١٠٩/٥)، موع طرقه.

(٣) مسبوك الذهب في فضل العرب وشرف العلم على شرف النسب (ص٦٨).

النصارى ولم تجفوا عنهم جفاء اليهود، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم فيما صح عنه: **"لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم فإنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله"**[(١)].

دراســة رأيه :

التشبه لغة : قال ابن فارس: "الشين والباء والهاء أصل واحد يدل على تشابه الشيء وتشاكله لوناً ووصفاً"[(٢)].

التشبه اصطلاحاً : هو عبارة عن محاولة الإنسان أن يكون شبه المتشبه به، وعلى هيئته وحليته ونعته وصفته، لغير مصلحة معتبرة شرعاً[(٣)].

والتشبه بالمشركين منهي عنه بالكتاب والسنة:

فمن الكتاب :

قال تعالى: ﴿ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ ﴾[(٤)].

قال الطبري – رحمه الله -: "ولا تتبع أهواء هؤلاء اليهود الذين يقولون: إن أوتيتم الجلد في الزاني المحصن دون الرجم، وقتل الوضيع بالشريف إذا قتله وترك قتل الشريف بالوضيع إذا قتله فخذوه وإن لم تؤتوه فاحذروا"[(٥)].

فهنا حرم الله على نبيه أن يتبع أهواء أهل الكتاب في الحكم بينهم، فكيف بمن يتبع أهواءهم في الحكم بين المسلمين.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء – باب قول الله: ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا ﴾، (ح٣٤٤٥)، (ص٢٨١).

(٢) معجم مقاييس اللغة (ص٥٢٦)، وانظر: لسان العرب (٥٠٣/١٣).

(٣) انظر: حسن التنبه لما ورد في التشبه، (ف ٢/٢)، فيض القدير (١٠٤/٦)، مظاهر التشبه بالمشركين.

(٤) سورة المائدة، الآية: (٤٨).

(٥) جامع البيان في تأويل آي القرآن (٦٠٩/٤)، وانظر: الجامع لأحكام القرآن (١٩٨/٦-١٩٩).

وقال سبحانه: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا ﴾[1].

هذه الآية جاءت في وصف عباد الرحمن المتقين، ففسرها غير واحد من السلف بأن الزور[2] هو أعياد المشركين.

قال ابن كثير – رحمه الله -: "وهذه أيضاً من صفات عباد الرحمن أ م لا يشهدون الزور، قال غير واحد من السلف: هو أعياد المشركين"[3].

وقال القرطبي – رحمه الله -: "وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه أعياد المشركين"[4].

وهذا يعني أن صفات عباد الرحمن المتقين لا يمكن أن تكمل إلا بأن يكونوا في منأى عن التشبه بصفات الكفار وشعائرهم الظاهرة كالأعياد وغيرها.

ومن السـنة:

حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: حين صام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم عاشوراء وأمر بصيامه، قالوا: يا رسول الله إنه يوم تعظّمه اليهود والنصارى، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"فإن كان العام المقبل إن شاء الله صمنا اليوم التاسع"**[5] قال: فلم فلم يأت العام المقبل حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال شيخ الإسلام – رحمه الله -: "فتدبر، هذا يوم عاشوراء يوم فاضل يكفّر صيامه سنة ماضية، صامه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر بصيامه ورغب فيه، ثم لّما قيل له قبيل وفاته: إنه يوم تعظمه اليهود والنصارى؛ أمر بمخالفتهم بضم يوم آخر إليه، وعزم على ذلك"[6].

---

(١) سورة الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، الآية: (٧٢).

(٢) الزور: هو الكذب والباطل. انظر: لسان العرب (٣٣٦/٤).

(٣) تفسير القرآن العظيم (٣٦٢/٣).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (٧٨/١٣).

(٥) أخرجه مسلم في كتاب الصيام – باب أي يوم يصام في عاشوراء، (ح١١٣٤)، (ص٨٦٠).

(٦) اقتضاء الصراط المستقيم (٢٨٥/١).

وحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"جزّوا الشوارب وأرخوا اللحى خالفوا ا وس"**[1].

قال شيخ الإسلام – رحمه الله -: "فأمر بمخالفة المشركين مطلقاً ثم قال: "احفوا الشوارب وأعفوا اللحى" وهذه الجملة الثانية بدل من الأولى".

وذلك دليل على أن مخالفة ا وس أمر مقصود للشارع، وهو العلة في هذا الحكم، أو علة أخرى، أو بعض علة، وإن كان الأظهر عند الإطلاق: أنه علة تامة؛ ولهذا فهم السلف كراهة التشبه با وس، في هذا وغيره، كرهوا أشياء غير منصوصة بعينها عن النبي صلى الله عليه وسلم من هدي ا وس"[2].

نستخلص من هذه الآيات والأحاديث النهي عن التشبه بالكفار بكل وسيلة وطريق.

ولقد جاء موقف الصحابة من التشبه بالكفار موافقاً لموقف القرآن الكريم، والسنة النبوية.

فعن قيس بن أبي حازم قال: دخل أبو بكر على امرأة من أحمس[3]، يقال لها زينب، فرآها لا تكلم فقال: **"ما لها لا تتكلم؟"** قالوا: حجت مصمته[4]، قال لها: **"تكلمي، فإن هذا لا يحل، هذا من عمل الجاهلية"**[5].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله -: "فأخبر أبو بكر أن الصمت المطلق لا يحل، وعقب ذلك بقوله: هذا من عمل الجاهلية، قاصداً بذلك عيب هذا العمل وذمه، وتعقيب الحكم بالوصف دليل على أن الوصف علة، فدل على أن كونه عمل الجاهلية وصف يوجب النهي عنه والمنع منه"[6].

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الطهارة – باب خصال الفطرة، (ح٢٦٠)، (ص٧٢٣).

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (٢٠٤/١).

(٣) وهي قبيلة من بجيلة، انظر: فتح الباري (١٥٠/٧).

(٤) مصمته: بضم الميم وسكون المهملة أي: ساكته، انظر: فتح الباري (١٥٠/٧).

(٥) أخرجه البخاري في كتاب مناقب الأنصار – باب أيام الجاهلية، (ح٣٨٣٤)، (ص٣١١).

(٦) اقتضاء الصراط المستقيم (٣٧١/١).

وفي صحيح مسلم أن أبا موسى الأشعري رضي الله عنه بعث إلى قراء أهل البصرة، فدخل عليه ثلاثمائة رجل قد قرؤوا القرآن، فقال: "أنتم خيار أهل البصرة وقراؤهم، فاتلوه ولا يطولن عليكم الأمد فتقسوا قلوبكم كما قست قلوب من كان قبلكم..."[1].

فهذا الصحابي رضي الله عنه أراد أن يعظ هؤلاء القراء، فخوفهم من قسوة القلوب التي وقع فيها الذين من قبلنا من الأمم، فكان بإمكانه أن يكتفي بالتحذير من قسوة القلب، ولكنه حذر من شيء آخر في هذه المعصية ألا وهو التشبه بالكفار، فإن من قسا قلبه تشبه بأهل الكتاب الذين قست قلو م.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله -: "وهذه القضايا في مظنة الاشتهار وما علمنا أحداً خالف ما ذكرناه عن الصحابة رضي الله عنهم في الجملة، فعلم اتفاقهم على كراهة التشبه بالكفار"[2].

وقد ذكر شيخ الإسلام – رحمه الله – ما يدل على إجماع أهل العلم على وجوب مخالفة الكفار وهو: "ما ذكره عامة علماء الإسلام من المتقدمين والأئمة المتبوعين وأصحا م في تعليل النهي عن أشياء بمخالفة الكفار، أو مخالفة النصارى أو مخالفة الأعاجم وهو أكثر من أن يمكن استقصاؤه وما من أحد له أدنى نظر في الفقه إلا وقد بلغه من ذلك طائفة وهذا بعد التأمل والنظر يورث علماً ضرورياً باتفاق الأئمة على النهي عن موافقة الكفار والأعاجم والأمر بمخالفتهم"[3].

وبناءً على ما سبق فما قرر الشيخ مرعي من النهي عن التشبه بالكفار موافق للكتاب والسنة وهو قول السلف – رحمهم الله -.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة – باب لو أن لابن آدم واديين لابتغى ثالثاً، (ح١٠٥٠)، (ص٨٤٣).

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (٣٩٠/١).

(٣) المصدر السابق (٣٩١/١).

الخاتمة

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلـى آلـه وأصحابه أجمعين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فقد انتهيت بعون الله وتوفيقه من إتمام هذا البحث وإكماله، وفي هذه الخاتمة أحب أن أجمل أهم النتائج التي توصلت إليها في النقاط التالية:

١ - أهمية دراسة الآراء الاعتقادية لأعلام المذاهب الفقهية المتبوعة، وضرورة تقويمها، وبخاصة المتأخرين منهم لعظيم أثرهم، وانتشار كتبهم.

٢ - خلف الشيخ مرعي – رحمه الله – عدداً كبيراً من المؤلفات والرسائل القيمة في مختلف العلوم، ولم يزل بعض هذا التراث مخطوطاً، وتجدر العناية بتحقيقه ودراسته.

٣ - من خلال دراستي لآراء الشيخ مرعي الاعتقادية تبين لي أنه وافق أهـل السـنة والجماعة في مسائل كثيرة، ووقع منه زلا ت ومخالفات في مسائل أخرى، وفيما يلي أذكر بيان ذلك:

أ - في مصادر تلقي العقيدة ومنهج الاستدلال :

* وافق السلف في كون القرآن والسنة والإجماع مصادراً لتلقي العقيدة.

* وخالفهم في بعض الجوانب المنهجية للاستدلال .

ب - في توحيد الربوبية:

* وافق السلف في معنى توحيد الربوبية، وفي صحة إيمان المقلد.

* قرر الشيخ مرعي أن الاستدلال على وجود الله يتم بطريقتين:

الأولى: وافق فيها السلف وهي طريقة النظر في المخلوقات.

الثانية: خالف فيها السلف ووافق المتكلمين وهي طريقة الحدوث.

ج - في توحيد الألوهية:

الشيخ مرعي يتفق مع السلف تماماً في توحيد الألوهية:

من حيث معنى توحيد الألوهية، وأول واجب على المكلف، وموقفه مما ينافي توحيد الألوهية من التنجيم والاستغاثة بالأموات، وبناء المساجد على القبور والصلاة والذبح عندها والتمسح ا وتقبيلها وشد الرحال إليها.

د - في توحيد الأسماء والصفات:

* وافق السلف في بيان معنى الأسماء والصفات، ووافقهم في إثبات بعض الصفات، وفي بعضها كان كلامه فيها محتملاً مثل صفة الرحمة وصفة الغضب وبينت ذلك في موضعه.

وقوله بأن آيات الصفات من المتشابه، يحتمل أكثر من معنى وقد بينت ذلك في موضعه

* خالفهم في بعض الصفات وذلك لأنه لم يتضح عنده رأي السلف في هذا الباب وفيما يلي بيان ذلك:

- خالفهم بقوله إن التفويض هو مذهب السلف.
- خالفهم في تجويزه التأويل في الصفات، وأحياناً يوافقهم في عدم تجويزه للتأويل في الصفات.

هـ - في الإيمان بالملائكة والكتب:

* وافق السلف في معنى الإيمان بالملائكة، وحقيقتهم، وأعمال الملائكة، والإيمان بالقرآن الكريم وأنه كلام الله منزل غير مخلوق.

و - في الإيمان بالرسل:

* وافق السلف في الحكمة من إرسال الرسل، وفي معنى الإيمان بالأنبياء والرسل، وعصمة الأنبياء فيما يتعلق بالتبليغ.

* خالفهم في عصمة الأنبياء مطلقاً من الكبائر والصغائر.

* وافق السلف في سرده بعض معجزات النبي صلّى الله عليه وسلّم، وأنه خاتم الأنبياء، وعموم رسالته للثقلين.

* وخالفهم في مسألة النور المحمدي.

ز - في الإيمان باليوم الآخر:

الحياة البرزخية:

* وافق السلف في إثبات الموت وسكراته، وفتنة القبر، ونعيمه وعذابه، وأن ذلك على الروح والبدن معاً.

* رجح في حقيقة الروح القول بالإمساك والوقف، وهو قول مأثور عن بعض أهـل العلم، إلا أنه مخالف لجمهور قول أهل السنة الذين يرون أن الروح جسم مخالف بالماهيـة لهذا الجسم المحسوس وهو جسم نوراني علوي خفيف حي متحرك ينفذ في جوهر الأعضاء ويسري فيه سريان الماء في الورد وسريان الدهن في الزيتون والنار في الفحم.

أشراط الساعة:

وافق السلف في تعريف أشراط الساعة، وبيان أقسامها.

الحياة الآخرة:

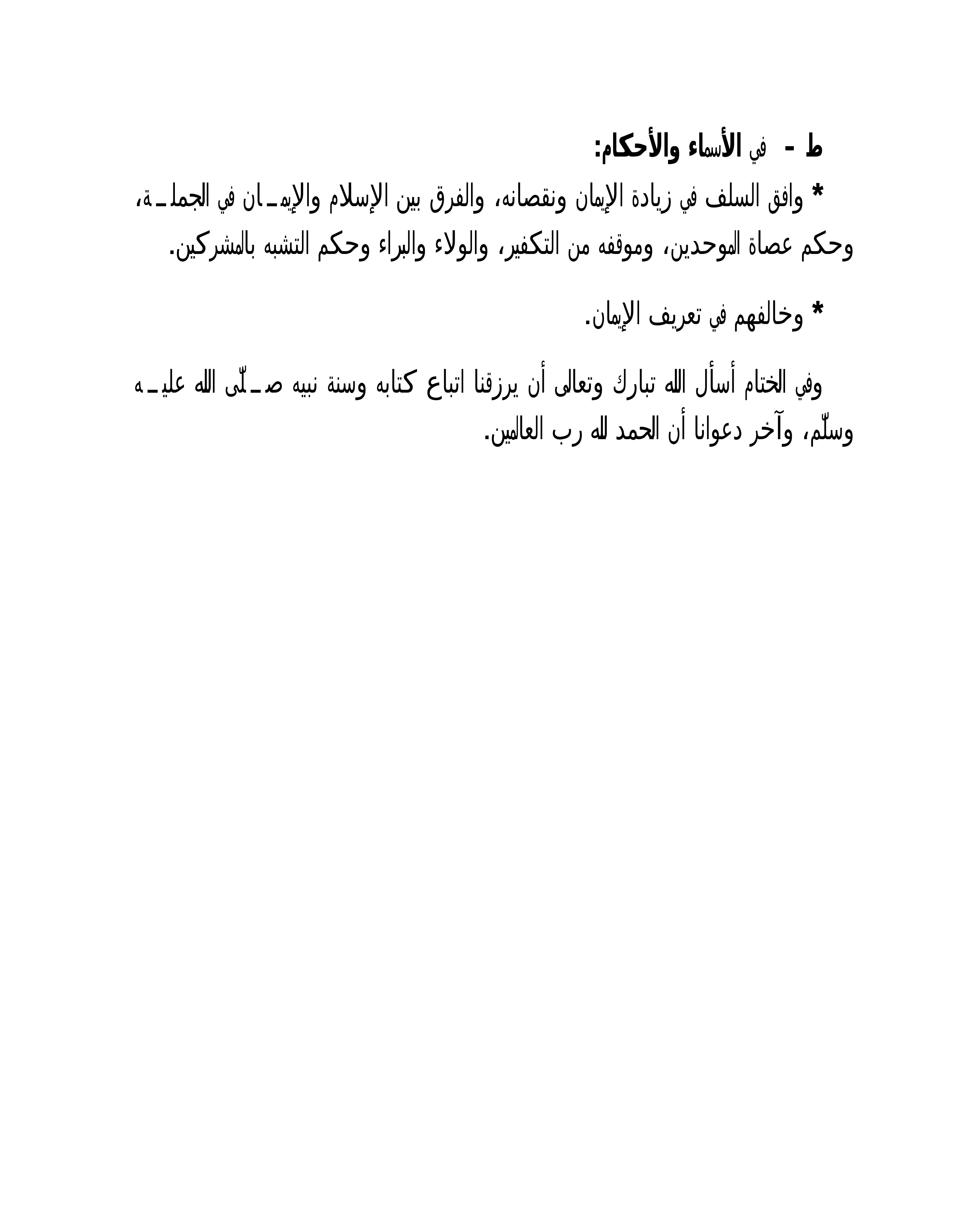
* وافق السلف في إثبات المعاد، والشفاعة، والميزان والصراط والحوض.

* رجح في أصحاب الأعراف الجمع بين جميع الأقوال، وقوله فيه بعد وقد بينت ذلك، والقول الذي عليه أكثر أهل العلم أن أصحاب الأعراف هم: قوم تسـاوت حسـنا م وسيئا م، فما كانوا من أهل الجنة، ولا من أهل النار، منعتهم حسنا م من دخول النار، ومنعتهم سيئا م من دخول الجنة، فأوقفهم الله على الأعراف، لكونه درجة متوسطة بين الجنة والنار، ثم يدخلهم الله الجنة بفضله ورحمته.

* وافق السلف في وجود الجنة والنار الآن، وأ ما مخلوقتنان وباقيتان بإبقاء الله لهمـا، وأهلهما خالدون فيهما أبداً.

ح - في الإيمان بالقدر:

وافق السلف في الإيمان بالقدر، وأفعال العباد، والحكمة والتعليل في أفعال الله، وعدم التكليف بما لا يطاق، وتنـزيه الله عن الظلم.



ط - في الأسماء والأحكام:

* وافق السلف في زيادة الإيمان ونقصانه، والفرق بين الإسلام والإيمـان في الجملـة، وحكم عصاة الموحدين، وموقفه من التكفير، والولاء والبراء وحكم التشبه بالمشركين.

* وخالفهم في تعريف الإيمان.

وفي الختام أسأل الله تبارك وتعالى أن يرزقنا اتباع كتابه وسنة نبيه صـلّى الله عليـه وسلّم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الفهارس العامة

- فهرس الآيات القرآنية
- فهرس الأحاديث النبوية
- فهرس الآثار
- فهرس الأبيات الشعرية
- فهرس الأعلام
- فهرس الفرق والطوائف
- فهرس المصادر والمراجع
- فهرس الموضوعات

فهرس الآيات القرآنية

﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا … ﴾	١٣٦	٤٩٤
﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا ﴾	١٤٣	٣٨٣
﴿ … حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾	١٦٧	٤٣٩
﴿ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِۖ ﴾	١٧٣	١٣٧
﴿ لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ … ﴾	١٧٧	٢٤٤
﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ … ﴾	٢١٠	٢٠٦
﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾	٢١٨	١٩٠
﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾	٢٢٣	٧٢
﴿ تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۘ مِّنۡهُم … ﴾	٢٥٣	٢٩١
﴿ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ ﴾	٢٥٥	٣٩٤
﴿ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ ٱللَّهِۚ ﴾	٢٧٢	١٦٩
﴿ لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ ﴾	٢٨٤	٣١٠
﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ … ﴾	٢٨٥	٢٤٤
﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ ﴾	٢٨٦	٤٦٩

سـورة آل عمـران		
الآيـة	الرقم	الصفحـة
﴿ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ … ﴾	٧	٦٧
﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ … ﴾	٣١	٢٧٠
﴿ قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ … ﴾	٣٢	٢٧١
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ ﴾	٣٣	٢٥٦
﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ ﴾	٥٤	١٩٨

سـورة الأنعـام		
الآيـة	**الرقم**	**الصفحـة**
﴿ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ... ﴾	١٩	٢٤٠
﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَـٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ... ﴾	٥٥	٨٠
﴿ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً ﴾	٦١	٢٣٤
﴿ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ﴾	٧٣	٢٣٣
﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَـٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ... ﴾	٨٣، ٨٦	٢٥٦
﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّـٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ ... ﴾	٩٣	٣١٩
﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَـٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ... ﴾	٩٤	٣٧٧
﴿ وَلَا تَأْكُلُواْ تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ... ﴾	١٢١	١٤٠
﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ﴾	١٣٣	١٩١
﴿ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ... ﴾	١٤٥	١٤٠
﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا ... ﴾	١٤٨	٧٧، ٤٧٨
﴿ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَـٰلِغَةُ ... ﴾	١٤٩	٢٥٣
﴿ وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ... ﴾	١٥٣	٦٠
﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ... ﴾	١٥٨	٢٠٨
﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى ... ﴾	١٦٢، ١٦٣	١٣٦

سـورة الأعـراف		
الآيـة	**الرقم**	**الصفحـة**
﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ ﴾	٦	٣٧٨
﴿ ... فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾	٨	٤٠٠

﴿ وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم ... ﴾	٩	٤٠١
﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا ... ﴾	٢٣	٢٦٨
﴿ كَمَا بَدَأَكُمۡ تَعُودُونَ ﴾	٢٩	٣٧٧
﴿ قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ ... ﴾	٣٣	١٦١
﴿ فَإِذَا جَآءَ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَأۡخِرُونَ سَاعَةٗۖ ... ﴾	٣٤	٤٦٢
﴿ وَنَادَوۡاْ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۚ ... ﴾	٤٦، ٤٧	٤٢٧
﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ ﴾	٥٣	٦٧
﴿ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ ﴾	٥٤	٩٣
﴿ سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ... ﴾	١٤٦	٢٨٧
﴿ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ ﴾	١٥٦	١٥٧
﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ... ﴾	١٥٧	٢٩٣
﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ... ﴾	١٥٨	٢٧٠
﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ ... ﴾	١٨٨	٣١١
﴿ أَلَهُمۡ أَرۡجُلٞ يَمۡشُونَ بِهَآۖ ... ﴾	١٩٥	١٨٧

سـورة الأنفـال		
الآيـة	**الرقم**	**الصفحـة**
﴿ وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ ﴾	٣٠	١٩٨
﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ ... ﴾	٦٧، ٦٨	٢٦٣

سـورة التوبـة

سـورة يونـس

سـورة هـود

﴿ قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ مُفۡتَرَيَٰتٖ ﴾	١٣	٢٤٢
﴿ وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا ﴾	٣٧	١٧٣
﴿ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ ﴾	٤٣	٢٦٠
﴿ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ ﴾	٤٤	١٥٨
﴿ ... إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾	٤٦	٢٦٩
﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ ﴾	٥٠	٢٥٦
﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۚ ﴾	٦١	٢٥٧
﴿ وَلَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمٗا ... ﴾	٦٩، ٧٠	٢٢٦
﴿ وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗا ... ﴾	٧٧	٢٢٥
﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا ... ﴾	٨٢	٢٢٣
﴿ وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ ﴾	٨٤	٢٥٧

سـورة يوسـف		
الآيـة	الرقم	الصفحـة
﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا ... ﴾	١٧	٤٩٢

سـورة الرعـد		
الآيـة	الرقم	الصفحـة
﴿ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ قِطَعٞ مُّتَجَٰوِرَٰتٞ ﴾	٤	٩٧
﴿ وَإِن تَعۡجَبۡ فَعَجَبٞ قَوۡلُهُمۡ ... ﴾	5	٢٠٠
﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ ... ﴾	١١	٢٢٨
﴿ فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا ﴾	١٧	٤٤٤
﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِمۡ ... ﴾	٢٢	١٦٩

﴿ يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُۖ ... ﴾	٣٩	٤٦٠

سـورة إبراهيـم		
الآيـة	**الرقم**	**الصفحـة**
﴿ ... وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾	١٥	١٨٦
﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ ... ﴾	٢٧	٢٣٥
﴿ ... إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴾	٤٧	١٥٧

سـورة الحجـر		
الآيـة	**الرقم**	**الصفحـة**
﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ﴾	٢	٥٠٦
﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾	٩	٢٧٧

سـورة النحـل		
الآيـة	**الرقم**	**الصفحـة**
﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ ... ﴾	٣٦	١٠٩، ٢٥١
﴿ ... لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴾	٤٤	١٥٥
﴿ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ سَاعَةٗۖ ... ﴾	٦١	٤٦٢
﴿ وَيَوۡمَ نَبۡعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدًا عَلَيۡهِم مِّنۡ أَنفُسِهِمۡۖ ... ﴾	٨٩	٢٥٢
﴿ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ ﴾	١٠٦	٤٩١

سـورة الإسـراء		
الآيـة	**الرقم**	**الصفحـة**
﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا ... ﴾	١	٤٢٣
﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا ﴾	١٥	٤٣٠

﴿ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾	٥٥	٢٤٠
﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ ... ﴾	٦٠	٤٢٣
﴿ يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ ۖ ﴾	٧١	٣٨٤
﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ ... ﴾	٧٩	٢٩٠
﴿ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾	٨٥	٣٢٨
﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ ... ﴾	٨٨	٢٤٢
﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ ... ﴾	٨٩	٢٧٦

سـورة الكهـف		
الآيـة	الرقم	الصفحـة
﴿ وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾	٤٧	٧٣
﴿ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾	٤٩	٤٧٤
﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ .. ﴾	٥٤	٢٧٦
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ... ﴾	١٠٧	٥٠٥
﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ... ﴾	١١٠	٣١١

سـورة مريـم		
الآيـة	الرقم	الصفحـة
﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ... ﴾	٣٩	٤٣٧
﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴾	٥٦	٢٥٧
﴿ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾	٥٧	٢٤٨
﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ ... ﴾	٧١	٤١٠

﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ... ﴾	٦٥	٤٣٩
﴿ فَأُوْلَـٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَـٰتٍ ﴾	٧٠	٤٨٥
﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ ... ﴾	٧٢	٥٢٣

ســورة الشــعراء		
الآيــة	**الرقم**	**الصفحــة**
﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾	١٠٨	٢٥١

ســورة النــمل		
الآيــة	**الرقم**	**الصفحــة**
﴿ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ ... ﴾	٣٥	٢٤٨
﴿ وَمَكَرُواْ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾	٥٠	١٩٨
﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾	٦٥	١١٧
﴿ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ.. ﴾	٨٢	٣٤٦
﴿ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾	٩٠	٤٧٤

ســورة القصــص		
الآيــة	**الرقم**	**الصفحــة**
﴿ فَٱسْتَغَـٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ ... ﴾	١٥	١٢٤
﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ ... ﴾	٥٩	٤٣٠
﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾	٨٨	١٧٠

سورة العنكبوت		
الآية	الرقم	الصفحة
﴿ وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ ... ﴾	٤٨	٢٩٣

سورة الروم		
الآية	الرقم	الصفحة
﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ... ﴾	٢٠	٣٠٧
﴿ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ ... ﴾	٣٠	٤٣١
﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ ثُمَّ رَزَقَكُمۡ ... ﴾	٤٠	٩١

سورة لقمان		
الآية	الرقم	الصفحة
﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ ... ﴾	٢٥	٩٣

سورة السجدة		
الآية	الرقم	الصفحة
﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَدۡنَىٰ ... ﴾	٢١	٣٢١

سورة الأحزاب		
الآية	الرقم	الصفحة
﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ ﴾	٦	٢٩٩
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ... ﴾	٢٨، ٢٩	٢٩٢
﴿ إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ ... ﴾	٣٥	٤٩٧

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ ... ﴾	٣٦	٢٧٣
﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ ... ﴾	٤٠	٢٥٧
﴿ إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا ... ﴾	٥٠	٢٨٩
﴿ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ ﴾	٥٣	١٦٦
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴾	٧٠، ٧١	٤

سـورة سـبأ		
الآيـة	**الرقم**	**الصفحـة**
﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا ﴾	٢٨	٢٧٠

سـورة فاطـر		
الآيـة	**الرقم**	**الصفحـة**
﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ... ﴾	١	٢٢٠
﴿ وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ ١٩ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ ... ﴾	١٩-٢٢	٤٨٢
﴿ وَمِنَ ٱلۡجِبَالِ جُدَدُۢ بِيضٞ وَحُمۡرٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهَا ... ﴾	٢٧	٩٧

سـورة يـس		
الآيـة	**الرقم**	**الصفحـة**
﴿ يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ ﴾	٥٢	٣٧٨
﴿ وَأَزۡوَٰجُهُمۡ فِي ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴾	٥٦	٤١٩
﴿ ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ ... ﴾	٦٥	٣٨٤
﴿ وَمَا عَلَّمۡنَٰهُ ٱلشِّعۡرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓۚ ﴾	٦٩	٢٩٣
﴿ مِّمَّا عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ ﴾	٧١	١٧٦

سـورة الصـافات		
الآيـة	الرقم	الصفحـة
﴿ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرًا ﴾	٢	٢٢٧
﴿ بَلۡ عَجِبۡتَ وَيَسۡخَرُونَ ﴾	١٢	٢٠٠

سـورة ص~		
الآيـة	الرقم	الصفحـة
﴿ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ ... ﴾	٢٤	268
﴿ وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا بَٰطِلٗاۚ ... ﴾	٢٧	٤٦٦
﴿ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ... ﴾	٢٨	٤٨٢
﴿ ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ ﴾	٤٢	١٨٩
﴿ وَٱذۡكُرۡ إِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ وَكُلّٞ مِّنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ﴾	٤٨	٢٥٧
﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ ﴾	٧٥	١٥١
﴿ قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُتَكَلِّفِينَ ﴾	٨٦	٣٦٤

سـورة الزمـر		
الآيـة	الرقم	الصفحـة
﴿ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ﴾	٣	١٢٢
﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا ... ﴾	١٧، ١٨	٦٠
﴿ ذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ ﴾	٢٤	٤٧٤
﴿ وَلَقَدۡ ضَرَبۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖ ... ﴾	٢٧، ٢٨	٢٧٦
﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ ﴾	٦٢	٤٥٧

﴿ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُواْ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾	٧٦	٤٧٤

سورة الدخان		
الآية	الرقم	الصفحة
﴿ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴾	١٠	٣٦٤
﴿ رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴾	١٢	٣٦٥
﴿ إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلْعَذَابِ قَلِيلاً ۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴾	١٥	٣٦٥
﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ... ﴾	٣٨، ٣٩	٤٦٦

سورة الأحقاف		
الآية	الرقم	الصفحة
﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ ...﴾	٢٩-٣٢	٤٠٧

سورة محمد		
الآية	الرقم	الصفحة
﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ... ﴾	١٨	٣٣٨
﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾	٢٤	١٥٨

سورة الفتح		
الآية	الرقم	الصفحة
﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾	٢	٢٦٨
﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ ﴾	١٠	١٧٦
﴿ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ ... ﴾	١٨	١٩٤
﴿ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ ﴾	٢٩	١٥٨

سـورة الحجـرات		
الآيـة	الرقم	الصفحـة
﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ...﴾	٢	٣٠٢
﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَـٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ ... ﴾	١٣	٤٩١
﴿ وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَـٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ ﴾	١٤	٤٩١

سـورة ق~		
الآيـة	الرقم	الصفحـة
﴿ مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ ﴾	١٨	٢٣٤
﴿ وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ﴾	١٩	٣١٨
﴿ مَا يُبَدَّلُ ٱلۡقَوۡلُ لَدَيَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّـٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴾	٢٩	٤٧٤
﴿ يَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلۡأَرۡضُ عَنۡهُمۡ سِرَاعٗاۚ ... ﴾	٤٤	٣٧٩

سـورة الذاريـات		
الآيـة	الرقم	الصفحـة
﴿ فَٱلۡمُقَسِّمَـٰتِ أَمۡرًا ﴾	٤	٢٢٧
﴿ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ... ﴾	٢٤، ٢٥	٢٢٥
﴿ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ ... ﴾	٢٦-٢٨	٢٣٠
﴿ قَالَ فَمَا خَطۡبُكُمۡ... لِلۡمُسۡرِفِينَ ﴾	٣١-٣٤	٢٢٣
﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴾	٥٦	٣١٠

سـورة الطـور		
الآيـة	الرقم	الصفحـة
﴿ فَلۡيَأۡتُواْ بِحَدِيثٖ مِّثۡلِهِۦٓ ﴾	٣٤	٢٤٢
﴿ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ ﴾	٤٨	٧٢

ســورة النجــم		
الآيــة	**الرقم**	**الصفحــة**
﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾	٣، ٤	٢٦١
﴿ أَفَتُمَـٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴾	١٢	٤٢٣
﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾	١٣، ١٤	٤٣٤
﴿ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴾	١٥	٤٣٣
﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَـٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾	١٨	٤٢٣

ســورة القمــر		
الآيــة	**الرقم**	**الصفحــة**
﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ... ﴾	١-٥	٢٧٧
﴿ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا ﴾	١٤	٧٢
﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَـٰهُ بِقَدَرٍ ﴾	٤٩	٤٥٧

ســورة الــرحمن		
الآيــة	**الرقم**	**الصفحــة**
﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَـٰلِ ... ﴾	٢٦، ٢٧	٣٢٠
﴿ تَبَـٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾	٧٨	١٧١

ســورة الواقعــة		
الآيــة	**الرقم**	**الصفحــة**
﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝١١ فِى جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾	١١، ١٢	٣٣٣
﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَـٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴾	٨٥	٨٥
﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ... ﴾	٨٨، ٨٩	٣٣٤

سـورة الملك		
الآيـة	الرقم	الصفحـة
﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ ... ﴾	٢	٣١٠
﴿ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ ﴾	٨	١٨٦

سـورة الحاقة		
الآيـة	الرقم	الصفحـة
﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴾	١٧	٢٣٣
﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ... ﴾	٤٤-٤٧	٢٦١

سـورة المعارج		
الآيـة	الرقم	الصفحـة
﴿ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا ﴾	٤٣	٣٧٨

سـورة الجـن		
الآيـة	الرقم	الصفحـة
﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ... ﴾	٢٦، ٢٧	١١٧

سـورة المدثر		
الآيـة	الرقم	الصفحـة
﴿ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ... ﴾	٣١	٢٢٤

سـورة القيامـة		
الآيـة	الرقم	الصفحـة
﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾	٢٢، ٢٣	٤١٦

ســورة الإنســان		
الآيــة	الرقم	الصفحــة
﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ ﴾	٣٠	٤٥٣

ســورة المــرسلات		
الآيــة	الرقم	الصفحــة
﴿ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعۡلُومٍ ﴾	٢٢	٤٤٤

ســورة النبــأ		
الآيــة	الرقم	الصفحــة
﴿ عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۞ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾	١، ٢	٢٤٨
﴿ يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأۡتُونَ أَفۡوَاجٗا ﴾	١٨	٣٧٤

ســورة النــازعات		
الآيــة	الرقم	الصفحــة
﴿ وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ۞ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا ﴾	١، ٢	٢٢٧
﴿ فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا ﴾	5	٢٢٧
﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجۡرَةٞ وَٰحِدَةٞ ۞ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴾	١٣، ١٤	٣٧٦

ســورة عبــس		
الآيــة	الرقم	الصفحــة
﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۞ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ﴾	١، ٢	٢٦٨

ســورة التكويــر		
الآيــة	الرقم	الصفحــة
﴿ وَإِذَا ٱلۡوُحُوشُ حُشِرَتۡ ﴾	5	٣٧٤
﴿ وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ ﴾	٢٣	٢٢٣

سـورة الانفطـار		
الآيـة	**الرقم**	**الصفحـة**
﴿ وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ﴾	١٠، ١١	٢٢٨

سـورة المطففيـن		
الآيـة	**الرقم**	**الصفحـة**
﴿ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾	٦	٣٧٥
﴿ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۝٢٢ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴾	٢٢، ٢٣	٤١٩

سـورة الطـارق		
الآيـة	**الرقم**	**الصفحـة**
﴿ إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا ۝١٥ وَأَكِيدُ كَيۡدٗا ﴾	١٥، ١٦	١٩٩

سـورة الأعلـى		
الآيـة	**الرقم**	**الصفحـة**
﴿ إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ۝١٨ صُحُفِ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾	١٨، ١٩	٢٤٠

سـورة الفجـر		
الآيـة	**الرقم**	**الصفحـة**
﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ﴾	٢٢	٢٠٦

سـورة الشـرح		
الآيـة	**الرقم**	**الصفحـة**
﴿ وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ ۝٢ ٱلَّذِيٓ أَنقَضَ ظَهۡرَكَ ﴾	٢، ٣	٢٦٨

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس الآثـــار

فهرس الأبيات الشعرية

فهرس الأعـــلام

فهرس الفرق والطوائف

فهرس المصادر والمراجع

١- الأباطيل، للجوزقاني، ت/ عبد الرحمن الفريوائي، المطبعة السلفية، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.

٢- الإبانة عن أصول الديانة، لأبي الحسن الأشعري، ت/ بشير محمد عون، مكتبة دار البيان، الطبعة الرابعة ١٤٢٠هـ.

٣- إبطال التأويلات لأخبار الصفات ، لأبي يعلى الفراء ، ت / محمد بن حمد النجدي ، مكتبة دار الإمام الذهبي ، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ .

٤- إبطال التنديد باختصار شرح كتاب التوحيد، للشيخ محمد بن علي بن عتيق، ت/ سمير ابن عدنان الماطي، دار المعالي، الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ.

٥- ابن عثيمين الإمام الزاهد، للدكتور ناصر بن مسفر الزهراني، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

٦- إتحاف الجماعة، للشيخ حمود التويجري، دار الصميعي، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ.

٧- إتحاف ذوي الألباب ، لمرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي ، مخطوط .

٨- إثبات الشفاعة، للذهبي، ت/ إبراهيم باجس، دار أضواء السلف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

٩- إثبات عذاب القبر، للبيهقي، ت/ د. شرف محمود القضاة، دار الفرقان، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.

١٠- اجتماع الجيوش الإسلامية، لابن القيم الجوزية، ت/ عواد عبد الله المعتق، مكتبة الرشد، الطبعة الرابعة ١٤٢٦هـ.

١١- الإجماع، لابن المنذر، ت/ أبو حماد صغير أحمد بن محمد حنيف، دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ.

١٢- إحكام الأساس في آية: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ ﴾، لمرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي، ت/ عماد توفيق أحمد بدوي، مطبعة الرسالة المقدسية، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.

١٣- أحكام الجنائز وبدعها، للألباني، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

١٤- إخلاص الوداد في صدق الميعاد، لمرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي، ت/ خالد بن العربي مدرك، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.
١٥- آراء ابن حجر الهيتمي الاعتقادية ،لمحمد بن عبد العزيز الشايع ، مكتبة دار المنهاج،الطبعـة الأولى ١٤٢٧هـ ،
١٦- الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، لأبي المعالي الجـويني، ت/ أسـعد تمـيم، مؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.
١٧- الإرشاد إلى معرفة الأحكام، للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، المعارف، الرياض، ١٤٠٠هـ.
١٨- إرشاد ذوي العرفان لما للعمر من الزيادة والنقصان، لمرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي، ت/ مشهور حسن سلمان، دار عمار، عمان، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.
١٩- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، للقسطلاني، المطبعة الكبرى الأميرية ببـولاق، الطبعة السادسة ١٣٠٥هـ.
٢٠- إرشاد الطالب إلى أهم المطالب، للشيخ سليمان بن سحمان، مطبعة المنار بمصر، الطبعة الأولى ١٣٤٠هـ.
٢١- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، لمحمد بن علي الشوكاني، مطبعة البابي الحلبي، الطبعة الأولى ١٣٥٦هـ.
٢٢- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، للشيخ محمد ناصر الـدين الألبـاني، ت/ محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ.
٢٣- الاستغاثة في الرد على البكري، لابن تيمية، ت/ عبد الله بن دجين السهلي، دار الوطن، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.
٢٤- الاستقامة، لابن تيمية، ت/ د. محمد رشاد سالم، إدارة الثقافة والنشر بجامعـة الإمـام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الثانية ١٤١١هـ.
٢٥- الأسماء والصفات، للشيخ محمد الأمين الشنقيطي، ت/ حسن السماحي سـويدان، دار القادري، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.
٢٦- الإشاعة لأشراط الساعة، لمحمد بن رسول البرزنجي، ت/ حسين محمد علي شكري، دار المنهاج، الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ.

٢٧- اشتقاق أسماء الله تعالى، للزجاجي، ت/ د. عبد المحسن المبـارك، مؤسسـة الرسـالة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ.
٢٨- أصول أهل السنة والجماعة المسماة برسالة أهل الثغر، لأبي الحسن الأشـعري، ت/ د. محمد السيد الجليند، المكتبة الأزهرية للتراث، بدون تاريخ.
٢٩- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشيخ محمد الأمين محمد المختار الشـنقيطي، مكتبة ابن تيمية، ١٤١٣هـ.
٣٠- أطفال الكفار في الآخرة، للشوكاني، ت/ محمد صبحي حلاق، دار البيـان الحديثـة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.
٣١- إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، للدكتور صالح بن فـوزان الفـوزان، مؤسسـة الرسالة، الطبعة الثانية ١٤٢٢هـ.
٣٢- اعتقاد فرق المسلمين والمشركين، لفخر الدين الرازي، ت/ علي سـامي النشـار، دار الكتب العلمية، بدون تاريخ.
٣٣- الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد، للبيهقي، ت/ أحمد بن إبراهيم أبـو العيـنين، دار الفضيلة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.
٣٤- الأعلام، للزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة الخامسة ١٩٨٠م.
٣٥- أعلام الحديث، للخطابي، ت/ محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود، إحياء التـراث الإسلامي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.
٣٦- الأعلام العلية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية، لأبي حفص عمر بن علي البزار، ت/ د. صلاح الدين المنجد، طبع دار الكتاب الجديد، الطبعة الأولى ١٣٩٦هـ.
٣٧- أعلام النبوة، لعلي بن محمد الماوردي، ت/ محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتـاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.
٣٨- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، لابن القيم الجوزية، ت/ خالد عبد اللطيف السـبع العلمي، دار الكتاب العربي، الطبعة الثالثة ١٤١٩هـ.
٣٩- أقاويل الثقات، لمرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي، ت/ شعيب الأرنـؤوط، مؤسسـة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.
٤٠- الاقتصاد في الاعتقاد، لعبد الغني المقدسي، ت/ د. أحمد بن عطية الغامـدي، مكتبـة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

٤١- الاقتصاد في الاعتقاد، للغزالي، دار الكتب العلمية، بـيروت، لبنـان، الطبعـة الأولى، ١٤٠٩هـ.
٤٢- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، لابن تيمية، ت/ د. ناصر بن عبـد الكريم العقل، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، الطبعة السابعة ١٤١٩هـ.
٤٣- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، لابن تيمية، ت/ محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، بدون تاريخ.
٤٤- الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء، لابن عبد البر، مكتبة القدسي، مطبعة المعاهـد بمصر، ١٣٥٠هـ.
٤٥- الإنسان الكامل في معرفة الأوائل والأواخر، لعبد الكريم الجيلي، دار الفكر، بـيروت، الطبعة الرابعة ١٣٩٥هـ.
٤٦- الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، للباقلاني، ت/ محمد زاهد الكـوثري، المكتبة الأزهرية للتراث، الطبعة الثانية ١٤٢١هـ.
٤٧- أهل الفترة ومن في حكمهم، لموفق أحمد شكري، اعتنى بتصحيحه: سمير أحمد العطار، مؤسسة علوم القرآن، الإمارات، ودار ابن كثير بدمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.
٤٨- أهوال القبور وأحوال أهلها إلى النشور، لابن رجب الحنبلي، ت/ خالد عبد اللطيـف السبع العلمي، دار الكتاب العربي، الطبعة الخامسة ١٤١٨هـ.
٤٩- إيثار الحق على الخلق، لابن الوزير، دار الكتب العلميـة، بـيروت، الطبعـة الأولى، ١٤٠٣هـ.
٥٠- إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، إسماعيل باشا البغدادي، طبع اسـتنبول سنة ١٩٥٥م.
٥١- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، لمسعود بن أحمد الكاسـاني، دار الكتـاب العـربي، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨٢م.
٥٢- بدائع الفوائد، لابن القيم، اعتنى بتصحيحه والتعليق عليه إدارة الطباعـة المنيريـة، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، بدون تاريخ.
٥٣- بداية السول في تفضيل الرسول، للعز بن عبد السلام، ت/ محمد ناصر الدين الألبـاني، المكتبة الإسلامية، الطبعة الرابعة ١٤٠٦هـ.

٥٤- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، للشوكاني، وضع حواشيه: خليل المنصور، مكتبة عباس أحمد الباز، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.
٥٥- البدور السافرة في أحوال الآخرة، للسيوطي، ت/ أبي عبد الله محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.
٥٦- بديع الإنشاء والصفات والمكاتبات والمراسلات، لمرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي، مطبعة التقدم العلمية بمصر، ١٣٢٦هـ.
٥٧- البرهان في أصول الفقه، لأبي المعالي الجويني، ت/ عبد العظيم الديب، الدوحة الحديثة، قطر، ١٩٨٠م.
٥٨- البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان، للسكسكي، ت/ بسام علي العموش، مكتبة دار المنار، الأردن، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.
٥٩- بصائر ذوي التمييز، للفيروزآبادي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، بدون تاريخ.
٦٠- بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس، لأحمد بن يحيى بن أحمد الضبي، دار الكتاب العربي، ١٩٦٧م.
٦١- البناء على القبور، للشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، ت/ حاكم بن عبيان المطيري، دار أطلس، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.
٦٢- جة الناظرين وآيات المستدلين، لمرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي، ت/ أبو بكر خليل إبراهيم الموصلي، رسالة دكتوراه، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.
٦٣- تأويل مشكل الحديث، لابن قتيبة، ت/ أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ.
٦٤- تاج العروس من جواهر القاموس، للزبيدي، دار الكتاب العربي، بيروت، بدون تاريخ.
٦٥- التاريخ الإسلامي في العهد العثماني، لأحمد شاكر، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ.
٦٦- تاريخ آداب اللغة العربية، لجرجي زيدان، دار مكتبة الحياة، بيروت، بدون تاريخ.
٦٧- تاريخ الأدب العربي، لبروكلمان، نقله إلى العربية د. عبد الحليم النجار، دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية، بدون تاريخ.
٦٨- تاريخ بغداد، لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بدون تاريخ.

٦٩- تاريخ الدولة العلية العثمانية، لمحمد فريد بك المحامي، ت/ إحسان حقي، دار النفائس، الطبعة السادسة ١٤٠٨هـ.

٧٠- تبرئة السلف من تفويض الخلف، لمحمد بن إبراهيم اللحيدان، دار الحميضي، دار الكتاب والسنة، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.

٧١- التبصير في الدين، لأبي المظفر الاسفراييني، ت/ كمال يوسف الحوت، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.

٧٢- التبيان في إعراب القرآن، لأبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري، ت/ علي محمد البجاوي، دار الجيل، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ.

٧٣- التبيان في أقسام القرآن، لابن القيم، ت/ الشيخ محمد شريف سكر، دار إحياء العلوم ببيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.

٧٤- تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد، للألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الرابعة ١٤٠٣هـ.

٧٥- تحسين الطرق والوجوه في قوله عليه السلام: "**اطلبوا الخير عند حسان الوجوه**"، لمرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي، مخطوط.

٧٦- التحفة المهدية شرح الرسالة التدمرية، لفالح بن مهدي آل مهدي، تصحيح وتعليق: د. عبد الرحمن بن صالح المحمود، دار الوطن، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

٧٧- تحقيق البرهان في إثبات حقيقة الميزان، لمرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي، ت/ مشهور حسن سلمان، دار ابن القيم، بدون تاريخ.

٧٨- تحقيق البرهان في شأن الدخان الذي يشربه الناس الآن، لمرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي، ت/ مشهور حسن سلمان، دار السلف، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

٧٩- تحقيق الخلاف في أصحاب الأعراف، لمرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي، ت/ مشهور حسن سلمان، دار الصحابة، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

٨٠- التدمرية، لابن تيمية، ت/ د. محمد بن عودة السعوي، مكتبة العبيكان، الطبعة الخامسة ١٤١٩هـ.

٨١- تذكرة الحفاظ، للذهبي، دار الكتب العلمية، بدون تاريخ.

٨٢- التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، للقرطبي، ت/ عصام الدين الصبابطي، دار الحديث، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.

٨٣- ترتيب القاموس المحيط، للطاهر أحمد الزاوي، دار عالم الكتب، الطبعة الرابعة ١٤١٧هـ.
٨٤- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، للقاضي عياض، ت/ جماعة من العلماء، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية، بدون تاريخ.
٨٥- تشويق الأنام إلى حج بيت الله الحرام، لمرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي، مخطوط.
٨٦- التصريح بما تواتر من نزول المسيح، الكشميري، ت/ عبد الفتاح أبو غدة، مطبعة الأصيل، حلب، مكتب المطبوعات الإسلامية، ١٣٨٥هـ.
٨٧- التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق، لزكي مبارك، دار الجيل، بيروت، بدون تاريخ.
٨٨- التصوف بين الحق والخلق، لمحمد فهر شقفة، الدار السلفية، الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ.
٨٩- التصوف المنشأ والمصدر، إحسان إلهي ظهير، إدارة ترجمان السنة، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.
٩٠- تطهير الاعتقاد من أدران الإلحاد، للصنعاني، ضمن الجامع الفريد، شركة الجميح، الطبعة الخامسة ١٤٢٣هـ.
٩١- التعريفات، للجرجاني، ت/ إبراهيم الأبياري، دار الريان للتراث، بدون تاريخ.
٩٢- تعظيم قدر الصلاة، لمحمد بن نصر المروزي، ت/ د. عبد الرحمن الفريوائي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.
٩٣- تفسير غريب القرآن الكريم، لابن قتيبة، ت/ السيد أحمد صقر، دار إحياء الكتب العربية، بدون تاريخ.
٩٤- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، لمحمد رشيد رضا، دار المعرفة، الطبعة الثانية، بدون تاريخ.
٩٥- التفسير الكبير، لابن تيمية، ت/ د. عبد الرحمن عميرة، دار الكتب العلمية، بدون تاريخ.
٩٦- تقريب التهذيب، لابن حجر العسقلاني، ت/ محمد عوامة، دار ابن حزم، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.
٩٧- تلبيس إبليس، لابن الجوزي، ت/ السيد الجميلي، دار الكتاب العربي، الطبعة السادسة ١٤١٣هـ.
٩٨- تلخيص أوصاف المصطفى وذكر من بعده من الخلفاء، لمرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي، مخطوط.
٩٩- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لابن عبد البر، ت/ جماعة من العلماء، وزارة الأوقاف بالمملكة المغربية، بدون تاريخ.

١٠٠- تنبيه الأفاضل على ما ورد في زيادة العمر ونقصانه من الدلائل، للشوكاني، ت/ مشهور حسن سلمان، دار ابن حزم، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

١٠١- التنبيهات السنية شرح العقيدة الواسطية، للشيخ عبد العزيز الناصر الرشيد، دار الرشيد، بدون تاريخ.

١٠٢- تنبيه الحذاق على بطلان ما شاع بين الأنام من حديث النور المنسوب لمصنف عبد الرزاق، لأحمد عبد القادر الشنقيطي المدني، دار اليقين، الرياض، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ.

١٠٣- التنجيم والمنجمون وحكم ذلك في الإسلام، للدكتور عبد ا يد بن سالم المشعبي، أضواء السلف، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ.

١٠٤- تنزيه الأنبياء، لعلي بن الحسين المرتضى، دار الأضواء، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨٩م.

١٠٥- تنوير بصائر المقلدين في مناقب الأئمة ا تهدين، لمرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي، ت/ عبد الله الكندري، دار ابن حزم، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.

١٠٦- افت الفلاسفة، لأبي حامد الغزالي، ت/ سليمان دنيا، دار المعارف، القاهرة، مصر، بدون تاريخ.

١٠٧- ذيب الأسماء واللغات، للنووي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، بدون تاريخ.

١٠٨- توشيح الديباج وحلية الابتهاج، للقرافي، ت/ أحمد الشتيوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٣٠٣هـ.

١٠٩- توضيح البرهان في الفرق بين الإسلام والإيمان، لمرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي، ت/ د. محمد البريدي، مجلة الحكمة، العدد التاسع والعشرون، ١٤٢٥هـ.

١١٠- توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم (المسماة الكافية الشافية)، لأحمد بن إبراهيم بن عيسى، ت/ زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٦هـ.

١١١- توقيف الفريقين على خلود أهل الدارين، لمرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي، ت/ خليل ابن عثمان الجبور، دار ابن حزم، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.

١١٢- تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، ت/ محمد أيمن الشبراوي، عالم الكتب، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.

١١٣- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.

١١٤- تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، المعارف، الرياض، ١٤٠٠هـ.

١١٥- جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر، دار الكتب العربية، بيروت، بدون تاريخ.

١١٦- جامع البيان في تأويل آي القرآن، للطبري، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

١١٧- جامع الترمذي، للترمذي، إشراف الشيخ/ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، دار السلام، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.

١١٨- جامع الرسائل، لابن تيمية، ت/ د. محمد رشاد سالم، مطبعة المدني بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٣٨٩هـ.

١١٩- جامع العلوم والحكم، لابن رجب، ت/ شعيب الأرنؤوط وآخر، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.

١٢٠- الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ت/ عبد الرزاق المهدي، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

١٢١- جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، لابن القاضي، دار المنصور للطباعة، بالرباط، ١٩٧٣م.

١٢٢- الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم، دائرة المعارف العثمانية، الهند، ١٣٧٢هـ.

١٢٣- الجواب الباهر في زوار المقابر، لابن تيمية، ت/ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، مطبعة المدني، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

١٢٤- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لابن تيمية، مطبعة المدني.

١٢٥- الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر، للسخاوي، ت/ إبراهيم باجس عبد ا يد، دار ابن حزم، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.

١٢٦- جولة في دور الكتب الأمريكية، لكوركيس عواد، مطبعة الرابطة، بغداد، ١٩٥١م.

١٢٧- الجوهر المنضد في طبقات متأخري أصحاب أحمد، لابن المبرد، ت/ د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

١٢٨- الحبائك في أخبار الملائك، للسيوطي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

١٢٩- حجة الله على العالمين في معجزات سيد المرسلين، ليوسف بن إسماعيل النبهاني، دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ.

١٣٠- الحجة في بيان المحجة، لقوام السنة أبي القاسم، ت/ د. محمد ربيع المدخلي وآخر، دار الراية، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.

١٣١- حجة القراءات، ابن زنحله،ت/سعيد الأفغاني،الطبعة الثانية١٣٩٩هـ.
١٣٢- حسن التنبه لما ورد في التشبه، للغزي، مخطوط.
١٣٣- حقوق النبي على أمته في ضوء الكتاب والسنة، للدكتور محمد بن خليفة التميمي، أضواء السلف، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.
١٣٤- حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ، لعبد الرؤوف القاسم، دار الصحابة، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.
١٣٥- خصائص أفضل المخلوقين، لابن الملقن، ت/ عبد الله بحر الدين، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية.
١٣٦- الخصائص الكبرى، للسيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، بدون تاريخ.
١٣٧- خصائص المصطفى صلى الله عليه وسلم بين الغلو والجفاء، للصادق بن محمد إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.
١٣٨- خطط الشام، لمحمد كرد علي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٨٩هـ.
١٣٩- خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، للمحبي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، الطبعة الأولى ١٣٨٧هـ.
١٤٠- درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية، ت/ د. محمد رشاد سالم، إدارة النشر والثقافة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الثانية ١٤١١هـ.
١٤١- دراسة عن الفرق وتاريخ المسلمين "الخوارج والشيعة"، للدكتور أحمد محمد أحمد جلي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ.
١٤٢- الدرر السنية في الأجوبة النجدية، جمع عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، دار العربية، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ.
١٤٣- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لابن حجر العسقلاني، ت/ الشيخ عبد الوارث محمد علي، مكتبة عباس أحمد الباز، مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.
١٤٤- الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، للسيوطي ، دار الفكر للطباعة ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ .
١٤٥- الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد، للشوكاني، ت/ أبو عبد الله الحلبي، دار ابن خزيمة، الطبعة ١٤١٤هـ.

١٤٦- الدرة الفاخرة في علوم الآخرة، للغزالي، ت/ محمد عبد القادر عطا، مؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ.
١٤٧- الدرة فيما يجب اعتقاده، لابن حزم، ت/ د. أحمد بن ناصر الحمد وآخر، مطبعة المدني بمصر، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.
١٤٨- دعوة التوحيد، للدكتور محمد خليل هراس، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.
١٤٩- دفع إيهام التشبيه، للدكتور محمد السمهري، دار بلنسية، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.
١٥٠- دفع الشبهة والغرر عمن يحتج على فعل المعاصي بالقدر، لمرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي، ت/ د. عبد الله سليمان الغفيلي، دار المسير، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.
١٥١- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، للبيهقي، ت/ عبد المعطي قلعجي، دار القلم، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.
١٥٢- دلائل النبوة، لأبي نعيم الأصبهاني، ت/ محمد رواس قلعجي وآخر، دار النفائي، الطبعة الرابع ١٤١٩هـ.
١٥٣- دلائل النبوة، لسعيد عبد القادر باشنفر، ت/ مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.
١٥٤- دلائل النبوة، لقوام السنة إسماعيل بن محمد الأصبهاني، ت/ مساعد بن سليمان الراشد الحميد، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.
١٥٥- دليل الطالب لنيل المطالب، لمرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي، ت/ عبد الله عمر البارودي، مؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.
١٥٦- الديباج المذهب في أعيان علماء المذهب، لبرهان الدين إبراهيم بن علي اليعمري، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.
١٥٧- الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، لابن فرحون، ت/ محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث، القاهرة، بدون تاريخ.
١٥٨- الدين الخالص، لصديق حسن القنوجي، دار المعرفة، القاهرة، ١٣٧٩هـ.
١٥٩- ديوان لبيد، للبيد، دار صادر، بيروت ١٣٨٦هـ.
١٦٠- الذبائح عند القبور، للصنعاني ت/ عقيل بن محمد المقطري، دار ابن حزم، بيروت، مكتبة دار القدس، صنعاء، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.

١٦١- الذيل على طبقات الحنابلة، لابن رجب الحنبلي، ت/ محمد حامد الفقي، مطبعة السـنة المحمدية، ١٣٧٢هـ.
١٦٢- الرد على الأخنائي، لابن تيمية، ت/ عبد الرحمن بن يحيى المعلمـي، الرئاسـة العامـة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء سنة ١٤٠٤هـ.
١٦٣- الرد على الجهمية، لابن منده، ت/ د. علي الفقيهي، مكتبة الغرباء، المدينـة المنـورة، الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ.
١٦٤- الرد على المنطقيين، لابن تيمية، دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ.
١٦٥- الرد على من قال بفناء الجنة والنار، لابن تيمية، ت/ د. محمد السمهري، دار بلنسـية، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.
١٦٦- الرسائل العشر، لابن أبي الحديد، ت/ محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحيـاء التـراث العربي، الطبعة الثانية ١٩٦٥م.
١٦٧- الرسل والرسالات، للدكتور عمر سليمان الأشقر، دار النفائس، الطبعة العاشرة ١٤٢١هـ.
١٦٨- رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء الدار، للصنعاني، ت/ محمد ناصر الدين الألبـاني، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.
١٦٩- رفع التلبيس عمن توقف فيما كفر به إبليس، لمرعي بن يوسـف الكرمـي الحنبلـي، مخطوط.
١٧٠- رفع المقال في رفع عيسى حياً ونزوله وقتله الدجال، للدكتور محمد خليل هراس، مكتبة السنة، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.
١٧١- الروح، لابن القيم الجوزية، ت/ د. السيد الجميلي، دار الكتاب العربي، الطبعة الخامسة ١٤١٢هـ.
١٧٢- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للألوسي، ت/ علي عبـد البـاري عطية، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.
١٧٣- الروض المربع شرح زاد المستنقع، للبهوتي، خرج أحاديثه عبد القدوس محمد نذير، دار المؤيد، مؤسسة الرسالة، الطبعة ١٤١٧هـ.
١٧٤- روضة الناظر وجنة المناظر، لابن قدامة المقدسي، ت/ د. عبد الكريم بن علي النملـة، مكتبة الرشد، الطبعة الثالثة ١٤١٥هـ.

١٧٥- الروضة الندية شرح العقيدة الواسطية، للشيخ زيد بن عبد العزيز الفياض، دار الـوطن، الرياض، الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ.

١٧٦- الرؤية، للدارقطني، ت/ إبراهيم محمد العلي وآخر، مكتبة المنار، الأردن، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.

١٧٧- زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي، المكتب الإسلامي، الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ.

١٧٨- زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن القيم الجوزية، ت/ شـعيب الأرنـؤوط وآخـر، مؤسسة الرسالة، الطبعة السادسة ١٤١٢هـ.

١٧٩- الزواجر عن اقتراف الكبائر، لابن حجر الهيثمي، ت/ محمد خير طعمة الحلبي وآخـر، دار المعرفة، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.

١٨٠- السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة، لمحمد بن عبد الله بن حميد، ت/ بكر عبد الله أبو زيد وآخر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.

١٨١- سلسلة الأحاديث الصحيحة، للألباني، مكتبة المعارف، ١٤١٥هـ.

١٨٢- سلوان المصاب بفرقة الأحباب، لمرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي، ت/ إبراهيم إسماعيل القاضي وآخرون، دار الحرمين، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.

١٨٣- سنن أبي داود، لأبي داود، إشراف الشيخ: صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، دار السلام، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.

١٨٤- سنن ابن ماجه، لابن ماجه، إشراف الشيخ: صالح بن عبـد العزيـز آل الشـيخ، دار السلام، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.

١٨٥- سنن الدارمي، للدارمي، ت/ فواز أحمد زمزلي وآخر، دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية ١٤١٧هـ.

١٨٦- السنن الكبرى، للبيهقي، دار المعرفة، بدون تاريخ.

١٨٧- سنن النسائي، للنسائي، إشراف الشيخ: صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، دار السـلام، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.

١٨٨- السنة، لابن أبي عاصم، ت/ محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ.

١٨٩- السنة، لعبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل، ت/ د. محمد بن سعيد القحطاني، رمادي للنشر، المؤمن للتوزيع، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ.

١٩٠- السنة، للخلال، ت/ د. عطية الزهراني، دار الراية، الرياض، الطبعة الثانية ١٤١٥هـ.
١٩١- سير أعلام النبلاء، للذهبي، ت/ شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثامنة ١٤١٢هـ.
١٩٢- سيرة وحياة الشيخ العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز، لإبراهيم بن عبد الله الحازمي، دار الشريف، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.
١٩٣- السيف البتار على من سب النبي المختار صلى الله عليه وسلم، لعبد الله أحمد الغماري، ت/ صفوة جودة أحمد، مكتبة القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.
١٩٤- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، لمحمد بن محمد مخلوف، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٣٤٩هـ.
١٩٥- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلي، دار الكتب العلمية، بدون تاريخ.
١٩٦- شرح الأصول الخمسة، للقاضي عبد الجبار، ت/ د. عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الثالثة ١٤١٦هـ.
١٩٧- شرح حديث النزول، لابن تيمية، ت/ محمد عبد الرحمن الخميس، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.
١٩٨- شرح السنة، للبغوي، ت/ زهير الشاويش وآخر، المكتب الإسلامي، ١٩٧١م.
١٩٩- شرح السنوسية الكبرى، لمحمد يوسف السنوسي، ت/ عبد الفتاح بركة، دار القلم، الكويت، بدون تاريخ.
٢٠٠- شرح الصدور ببيان بدع الجنائز والقبور، لعبد الله بن محمد الحمادي، مكتبة الصحابة، مكتبة التابعين، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.
٢٠١- شرح الصدور في أحوال الموتى والقبور، للسيوطي، دار المعرفة، الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ.
٢٠٢- شرح الصدور في تحريم رفع القبور، للشوكاني، ت/ محمد صبحي حسن، دار الهجرة، صنعاء اليمن، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.
٢٠٣- شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي، ت/ د. عبد الله التركي وآخر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة ١٤١٢هـ.
٢٠٤- شرح العقيدة الواسطية، لابن عثيمين، خرج أحاديثه سعد بن فوزان الصميل، دار ابن الجوزي، الطبعة الرابعة ١٤١٧هـ.

٢٠٥- شرح العقيدة الواسطية، للدكتور صالح بن فوزان الفوزان، رئاسة البحوث العلمية والإفتاء، الطبعة السادسة ١٤٢٠هـ.
٢٠٦- شرح العقيدة الواسطية، للدكتور محمد خليل هراس، خرج أحاديثه: علوي السقاف، دار الهجرة، الطبعة الثالثة، ١٤١٥هـ.
٢٠٧- شرح القصيدة النونية، لابن القيم الجوزية، ت/ د. محمد خليل هراس، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
٢٠٨- شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، للغنيمان، مكتبة الدار، المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.
٢٠٩- شرح الكوكب المنير، لابن النجار، ت/ د. محمد الزحيلي وآخر، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٠هـ.
٢١٠- شرح مختصر الروضة، للطوفي، ت/ د. عبد الله التركي، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.
٢١١- شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد، ت/ محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية ١٩٦٥م.
٢١٢- الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة، لابن بطة، ت/ د. رضا نعسان معطي، مكتبة العلوم والحكم، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ.
٢١٣- شعب الإيمان، للبيهقي، ت/ محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.
٢١٤- شفاء الصدور في زيارة المشاهد والقبور، لمرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي، ت/ جمال ابن صلاح حبيب، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.
٢١٥- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، لابن القيم الجوزية، ت/ عمر ابن سليمان الحفيان، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.
٢١٦- الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض اليحصبي، ت/ علي محمد البجاوي، دار الكتاب العربي، بدون تاريخ.
٢١٧- الشفاعة، لمقبل بن هادي الوادعي، مطبعة المدني، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ.
٢١٨- الشفاعة عند أهل السنة والرد على المخالفين، للدكتور ناصر بن عبد الرحمن الجديع، دار أطلس، الطبعة الثانية ١٤٢٢هـ.

٢١٩- الشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية، لمرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي، ت/ د. نجم عبد الرحمن خلف، دار الفرقان، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.
٢٢٠- الصحاح، للجوهري، ت/ أحمد عبد الغفور عطار، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ.
٢٢١- صحيح البخاري، للإمام البخاري، إشراف: الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، دار السلام، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.
٢٢٢- صحيح الجامع الصغير وزيادته، للألباني، ت/ محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ.
٢٢٣- صحيح سنن أبي داود، للألباني، ت/ زهير الشاويش، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.
٢٢٤- صحيح سنن ابن ماجه، للألباني، مكتبة المعارف، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.
٢٢٥- صحيح مسلم، للإمام مسلم، إشراف: الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، دار السلام، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.
٢٢٦- صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة، لعلوي بن عبد القادر السقاف، دار الهجرة، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.
٢٢٧- الصفدية، لابن تيمية، ت/ د. محمد رشاد سالم، دار الهدي النبوي، مصر، دار الفضيلة، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.
٢٢٨- الصلة، لابن بشكوال، ت/ أبي القاسم خلف بن عبد الملك، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٦م.
٢٢٩- الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة، لابن حجر الهيتمي، ت/ عبد الرحمن بن عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.
٢٣٠- ضوابط التكفير عند أهل السنة، لعبد الله محمد القرني، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.
٢٣١- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، للسخاوي، ت/ عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.
٢٣٢- طبقات الحنابلة، لمحمد بن أبي يعلى، ت/ محمد حامد الفقي، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، بدون تاريخ.

٢٣٣- طبقات الشافعية الكبرى، للسبكي، ت/ عبد الفتاح محمد الحلو وآخر، هجر، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ.
٢٣٤- العرب والعثمانيون، للدكتور عبد الكريم رافعة، لم يذكر الناشر، بدون تاريخ.
٢٣٥- عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، للدكتور يوسف بن محمد السعيد، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية العدد (٢٨)، ١٤٢٠هـ.
٢٣٦- عصمة الأنبياء، لفخر الدين الرازي، ت/ محمد منير الدمشقي، إدارة الطباعة المنيرية، بدون تاريخ.
٢٣٧- العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية، لابن عبد الهادي، ت/ محمد حامد الفقي، مكتبة المؤيد، بدون تاريخ.
٢٣٨- عقيدة أهل الإسلام في نزول عيسى عليه السلام، للشيخ عبد الله محمد الصديق الغماري، مطبعة المختار، مكتبة القاهرة، بدون تاريخ.
٢٣٩- عقيدة أهل السنة والجماعة، لابن عثيمين، إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الطبعة الرابعة، ١٤٢١هـ.
٢٤٠- عقيدة السلف وأصحاب الحديث، لأبي عثمان إسماعيل الصابوني، ت/ نبيل السبكي، دار طيبة، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.
٢٤١- العقيدة النظامية، للجويني، ت/ محمد زاهد الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث، ١٤١٢هـ.
٢٤٢- العقيدة الواسطية، لابن تيمية، علق عليها: الشيخ محمد بن مانع، مطبوعة سعد الراشد، الرياض، بدون تاريخ.
٢٤٣- علاقة الإثبات والتفويض بصفات رب العالمين، للدكتور رضا نعسان معطي، دار الهجرة، الطبعة السادسة ١٤١٦هـ.
٢٤٤- علماء آل سليم وتلامذ م وعلماء القصيم، لصالح سليمان العمري، مطابع الإشعاع، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.
٢٤٥- علماء نجد خلال ستة قرون، للشيخ عبد الله بن عبد الرحمن البسام، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، بدون تاريخ.
٢٤٦- علماء ومفكرون عرفتهم، لمحمد ا ذوب، دار الشواف، الطبعة الرابعة ١٩٩٢م.
٢٤٧- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، للعيني، عني بتصحيحه: مجموعة من العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، دار إحياء التراث، بدون تاريخ.

٢٤٨- عنوان ا د في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد، لإبراهيم فصيح بن صبغة الله بن الحيدري، دار منشورات البصري، بغداد، بدون تاريخ.
٢٤٩- عنوان ا د في تاريخ نجد، لابن بشر، ت/ عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ، مطبوعات إدارة الملك عبد العزيز، الطبعة الرابعة ١٤٠٣هـ.
٢٥٠- غاية المرام في علم الكلام، للآمدي، ت/ حسن محمد عبد اللطيف، ا لس الأعلى للشؤون الإسلامية بمصر ١٣٩١هـ.
٢٥١- غاية المنتهى في الجمع بين الإقناع والمنتهى، لمرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي، المؤسسة السعيدية بالرياض، الطبعة الثانية، بدون تاريخ.
٢٥٢- غذاء الأرواح بالمحادثة والمزاح، لمرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي، ت/ يسام عبدالوهاب الجابي، دار ابن حزم، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.
٢٥٣- الغنية لطالبي طريق الحق، للجيلاني، دار الألباب، دمشق، بدون تاريخ.
٢٥٤- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، ت/ محب الدين الخطيب وآخرون، دار الريان للتراث، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.
٢٥٥- فتح البيان في مقاصد القرآن، لصديق حسن القنوجي، مطبعة العاصمة، القاهرة ١٩٦٥م.
٢٥٦- فتح رب البرية بتلخيص الحموية، لمحمد بن صالح العثيمين، دار الآثار، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ.
٢٥٧- فتح القدير، للشوكاني، دار الخير، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.
٢٥٨- فتح ا يد شرح كتاب التوحيد، للشيخ عبد الرحمن بن حسن، ت/ د. الوليد بن عبدالرحمن آل فريان، دار الصميعي، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.
٢٥٩- الفتن والمحن بين يدي الساعة في ضوء الكتاب والسنة، عفاف عبد الغفور حميد، دار عمار، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
٢٦٠- الفتوحات المكية، لابن عربي الطائي، ت/ عثمان يحيى، وزارة الثقافة والإعلام، مصر، ١٣٩٢هـ.
٢٦١- الفتوى الحموية الكبرى، لابن تيمية، ت/ د. حمد بن عبد المحسن التويجري، دار الصميعي، الطبعة الثانية ١٤٢٥هـ.
٢٦٢- فرائد فوائد الفكر في الإمام المهدي المنتظر، لمرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي، ت/ سامي الفريري، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.

٢٦٣- الفرق بين الفرق، للبغدادي، ت/ الشيخ إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت، لبنـان، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.
٢٦٤- الفروع، لابن مفلح، ت/ د. عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.
٢٦٥- الفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم، ت/ أحمد شمـس الـدين، دار الكتـب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ.
٢٦٦- فضل علم السلف على الخلف، لابن رجب، ت/ علي حسن علي عبد الحميد، دار عمار، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.
٢٦٧- الفهرست، لابن النديم، ت/ إبراهيم رمضان، دار المعرفة، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.
٢٦٨- فوائد الارتحال ومعرفة السفر في أخبار القرن الحادي عشر، لمصـطفى بـن فـتح الله الشافعي الحموي، مخطوط.
٢٦٩- الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، للشوكاني، ت/ عبد الرحمن بن يحيى المعلمـي اليماني، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.
٢٧٠- الفوائد الموضوعة في الأحاديث الموضوعة، لمرعي بن يوسف الكرمي الحنبلـي، ت/ د. محمد لطفي الصباغ، دار الوراق، الطبعة الثالثة ١٣١٩هـ.
٢٧١- الفوائد، لابن القيم، ت/ محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي، الطبعة السابعة ١٤٢٠هـ.
٢٧٢- فيض القدير شرح الجامع الصغير، لعبد الرؤوف المناوي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٥٦هـ.
٢٧٣- القاموس المحيط، للفيروزآبادي، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.
٢٧٤- قرة عيون الموحدين، للشيخ عبد الرحمن بن حسن، ت/ المجلس العلمي بدار المغني، نشر دار المغني، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.
٢٧٥- قصة المسيح الدجال، للألباني، المكتبة الإسلامية، عمان، الأردن، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.
٢٧٦- القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ومذاهب الناس فيه، للدكتور عبد الرحمن بـن صالح المحمود، دار الوطن، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ.
٢٧٧- القضاء والقدر، للرازي، ت/ محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، الطبعـة الأولى ١٤١٠هـ.
٢٧٨- قطر الولي على حديث الولي، للشوكاني، ت/ د. إبراهيم إبراهيم هلال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ.

٢٧٩- قلائد المرجان في الناسخ والمنسوخ من القرآن، لمرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي، ت/ د. محمد الرحيل غرايبة وآخر، دار الفرقان، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.

٢٨٠- القناعة فيما يحسن الإحاطة به من أشراط الساعة، للسخاوي، ت/ د. محمد بن عبدالوهاب العقيل، أضواء السلف، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

٢٨١- القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، لابن عثيمين، ت/ أشرف عبد المقصود، أضواء السلف، أصداء المجتمع، ١٤١٦هـ.

٢٨٢- قوت القلوب، لأبي طالب المكي، راجعه/ سعيد نسيب مكارم، دار صادر، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

٢٨٣- القول البديع في علم البديع، لمرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي، ت/ د. محمد بن علي الصامل، كنوز إشبيليا، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ.

٢٨٤- القول السديد في مقاصد التوحيد، للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، مؤسسة النور، الرياض، الطبعة الثالثة ١٣٩٠هـ.

٢٨٥- القول الفصل شرح الفقه الأكبر، لمحيي الدين محمد بن بهاء الدين الشهير ببهاء الدين زادة، ت/ رفيق العجم، دار المنتخب العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

٢٨٦- القول المعروف في فضل المعروف، لمرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي، ت/ محمد أبو بكر عبد الله باذيب، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.

٢٨٧- القول المفيد على كتاب التوحيد، للشيخ محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، الطبعة الرابعة ١٤٢١هـ.

٢٨٨- كتاب الإيمان، لأبي عبيد القاسم بن سلام، ت/ محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ.

٢٨٩- كتاب الإيمان، لابن أبي شيبة، ت/ محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ.

٢٩٠- كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل، لابن خزيمة، ت/ د. عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان، مكتبة الرشد، الطبعة السادسة ١٤١٨هـ.

٢٩١- كتاب التوحيد، لابن منده، ت/ د. علي بن محمد الفقيهي، مكتبة العلوم والحكم، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ.

٢٩٢- كتاب التوحيد، للإمام محمد بن عبد الوهاب، وزارة الشؤون الإسلامية، ١٤١٦هـ.

٢٩٣- كتاب الشريعة، للآجري، ت/ محمد بن الحسن إسماعيل، مكتبة دار الباز، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.
٢٩٤- كتاب اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع، لأبي الحسن الأشعري، ت/ الشيخ عبد العزيز عز الدين الشيروان، دار لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.
٢٩٥- الكشاف عن حقائق غوامض التنـزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للزمخشري، ت/ مصطفى حسين أحمد، دار الكتاب العربي، بدون تاريخ.
٢٩٦- كشف الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار، للشوكاني، مخطوط.
٢٩٧- كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، لإسماعيل محمد عبد الهادي العجلوني، ت/ محمد عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.
٢٩٨- كشف الظنون على أسامي الكتب والفنون، لحاجي خليفة، دار الفكر العربي، ١٤٠٢هـ.
٢٩٩- الكلمات البينات في قوله تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ﴾، لمرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي، ت/ د. عبد الحكيم محمد الأنيس، مجلة الأحمدية، تصدر عن دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي، العدد السادس١٤٢١هـ.
٣٠٠- الكلمات النافعة في المكفرات الواقعة، للشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، ضمن الجامع الفريد، شركة الجميح، الطبعة الخامسة ١٤٢٣هـ.
٣٠١- الكواكب الدرية في مناقب المجتهد ابن تيمية، لمرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي، ت/ د. نجم عبد الرحمن خلف، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.
٣٠٢- الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، للشيخ نجم الدين محمد بن محمد الغـزي، ت/ خليل المنصور، مكتبة عباس أحمد الباز، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.
٣٠٣- لباب التأويل في معاني التنـزيل، للخازن، ت/ عبد السلام محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.
٣٠٤- اللباب في تهذيب الأنساب، لابن الأثير، دار صادر، بيروت، ١٤٠٠هـ.
٣٠٥- لسان العرب، لابن منظور، دار صادر، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.
٣٠٦- لسان الميزان، لابن حجر العسقلاني، ت/ عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.
٣٠٧- لطائف المعارف، لابن رجب، دار الجيل، بيروت، بدون تاريخ.

٣٠٨- اللفظ الموطأ في بيان الصلاة الوسطى، لمرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي، ت/ د. عبـد العزيز مبروك الأحمدي، دار البخاري، بريدة، الدمام، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.
٣٠٩- لمعة الاعتقاد، لابن قدامة، شرح: محمد بن صالح العثيمين، ت/ أشرف عبد المقصود، مكتبة دار طبرية، مكتبة أضواء السلف، الطبعة الثالثة ١٤١٥هـ.
٣١٠- لوائح الأنوار، للسفاريني، ت/ محمد بن سليمان البصيري، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.
٣١١- لوامع الأنوار البهية، للسفاريني، مع تعليقات للشيخ عبد الرحمن أبابطين، والشيخ سليمان بن سحمان، المكتب الإسلامي، بيروت، دار الخاني، الرياض، الطبعة الثالثة ١٤١١هـ.
٣١٢- مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب [القسم الأول، القسم الخامس]، إعداد ونشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، بدون تاريخ.
٣١٣- ما يفعله الأطباء والداعون بدفع شر الطاعون، لمرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي، ت/ خالد بن العربي مدرك، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.
٣١٤- مجانبة أهل الثبور المصلين في المشاهد وعند القبور، لعبد العزيز بن فيصل الراجحي، مكتبة الرشد، الطبعة ١٤٢٥هـ.
٣١٥- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للهيثمي، دار الكتب العلمية ١٤٠٨هـ.
٣١٦- ا موع شرح المهذب، للنووي، ت/ محمد نجيب المطيعي، دار إحياء التراث العـربي، ١٤١٥هـ.
٣١٧- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، ١٤١٦هـ.
٣١٨- مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن عثيمين، جمع وترتيب فهد السلمان، دار الثريا، الرياض، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ.
٣١٩- مجموعة الرسائل والمسائل النجدية لبعض علماء نجد الأعلام، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ.
٣٢٠- محرك سواكن الغرام إلى حج بيت الله الحرام ، لمرعي الكرمي الحنبلي ، ت / د . محمد بن عبدالله باجوده وآخر ، دار الظاهرية ، الطبعة الأولى ٢٠٠٦م .

٣٢١- محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين، للرازي، تعليق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.
٣٢٢- مختار الصحاح، للرازي، ت/ محمد حلاق وآخر، دار إحياء التراث، مؤسسة التاريخ العربي، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.
٣٢٣- مختصر الصواعق المرسلة، لابن القيم، اختصره: محمد بن الموصلي، ت/ رضوان جامع رضوان، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، الرياض، بدون تاريخ.
٣٢٤- مختصر طبقات الحنابلة، لابن شطي، ت/ فواز أحمد زمزلي، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.
٣٢٥- مختصر العلو للعلي الغفار، للذهبي، ت/ محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ.
٣٢٦- مختصر الفتاوى المصرية، لأبي عبد الله بدر الدين البعلي، ت/ محمد حامد الفقي، دار ابن القيم، الدمام، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ.
٣٢٧- المختصر في أصول الدين، للقاضي عبد الجبار المعتزلي، دار مكتبة الحياة، بيروت، بدون تاريخ.
٣٢٨- مدارج السالكين، لابن القيم، ت/ بشير محمد عيون، دار البيان، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.
٣٢٩- المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل، لعبد القادر بن بدران الدمشقي، ت/ د. عبدالله التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية ١٤٠١هـ.
٣٣٠- مذاهب الإسلاميين، للدكتور عبد الرحمن بدوي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية ١٩٧٩م.
٣٣١- مذكرة في أصول الفقه، للشيخ محمد الأمين الشنقيطي، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، بدون تاريخ.
٣٣٢- مذهب أهل التفويض في نصوص الصفات، لأحمد بن عبد الرحمن القاضي، دار العاصمة، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.
٣٣٣- مسبوك الذهب في فضل العرب وشرف العلم على النسب، لمرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي، ت/ د. نجم عبد الرحمن خلف، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.
٣٣٤- المستدرك على الصحيحين، للحاكم، دار المعرفة، بدون تاريخ.

٣٣٥- المستصفى في علم الأصول، لأبي حامد الغزالي، المطبعة الأميرية ببولاق، مصر، الطبعـة الأولى ١٣٢٤هـ.
٣٣٦- المسرة والبشارة في فضل السلطنة والوزارة، لمرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي، ت/ د. محمد عبد القادر خريسات، مركز زايد للتراث والتاريخ، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ.
٣٣٧- مسند أبو يعلى الموصلي، لأبي يعلى، ت/ حسين سليم أسد، دار الثقافة العربية، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.
٣٣٨- مسند الإمام أحمد بن حنبل، للإمام أحمد بن حنبل، ت/ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.
٣٣٩- مسند الإمام أحمد بن حنبل، للإمام أحمد بن حنبل، ت/ محمود شاكر، دار الحديث، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.
٣٤٠- مشكاة المصابيح، للشيخ ولي الدين محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، ت/ محمد ناصرالدين الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٣٨٠هـ.
٣٤١- المصباح المنير، للفيومي، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٧م.
٣٤٢- مصرع التصوف، للبقاعي، ت/ عبد الرحمن الوكيل، رئاسة إدارة البحـوث العلميـة، ١٤١٥هـ.
٣٤٣- مصطلحات الفقه الحنبلي، للدكتور سالم بن علي الثقفي، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ.
٣٤٤- مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية، لإدريس محمود إدريس، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.
٣٤٥- معارج القبول، للشيخ حافظ الحكمي، ت/ عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم، الطبعة الثالثة ١٤١٥هـ.
٣٤٦- معالم التنـزيل في التفسير والتأويل، للبغوي، دار الفكر، بدون تاريخ.
٣٤٧- معالم التنـزيل، للخطابي، منشورات المكتبة العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ.
٣٤٨- معالم السنن، للخطابي، ت/ عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الباز، بدون تاريخ.
٣٤٩- المعتزلة وأصولهم الخمسة، لعواد بن عبد الله المعتق، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الثالثة ١٤١٧هـ.
٣٥٠- معتقد فرق المسلمين واليهود والنصارى والفلاسفة والوثنيين في الملائكة المقربين، للدكتور محمد بن عبد الوهاب العقيل، أضواء السلف، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

٣٥١- معجم الأدباء، لياقوت الحموي، إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.
٣٥٢- معجم بلدان فلسطين، لمحمد محمد شراب،دار المأمون للتراث، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.
٣٥٣- معجم البلدان، لياقوت الحموي، دار الكتاب العربي، بيروت، بدون تاريخ.
٣٥٤- المعجم الفلسفي، للدكتور جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني، ١٩٧٨م.
٣٥٥- معجم ما ألف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، للدكتور صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ.
٣٥٦- معجم المؤلفين، لعمر كحالة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ.
٣٥٧- معجم المطبوعات العربية والمعربة، ليوسف إلياس سركيس، دار صادر، بدون تاريخ.
٣٥٨- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، رتبه ونظمه لفيف من المستشرقين، مكتبة بريل في مدينة ليدن ١٩٣٦م.
٣٥٩- معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، ت/ محمد عوض مرعب وآخر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.
٣٦٠- معرفة القراء الكبار على الطبقات والإعصار، للذهبي، ت/ بشار عواد وآخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.
٣٦١- المغني في أبواب العدل والتوحيد، للقاضي عبد الجبار المعتزلي، ت/ جماعة من العلمـاء، نشر وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مصر، بدون تاريخ.
٣٦٢- المغني، لابن قدامة، ت/ د. عبد الله التركي وآخر، وزارة الشؤون الإسلامية، الطبعـة الثالثة ١٤١٧هـ.
٣٦٣- مفاتيح الفقه الحنبلي، للدكتور سالم بن علي الثقفي، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ.
٣٦٤- مفتاح دار السعادة، لابن القيم، ت/ علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد، دار ابن عفان، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.
٣٦٥- المفردات، للراغب الأصبهاني، ت/ محمد سيد كيلاني، طبعة الحلبي، القاهرة ١٣٨١هـ.
٣٦٦- مقالات الإسلاميين، لأبي الحسن الأشعري، ت/ محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، ١٤١٩هـ.
٣٦٧- مقدمة ابن خلدون، لعبد الرحمن بن محمد بن خلدون، تصحيح وفهرسة: أبو عبد الله السعيد المندوة، مكتبة مصطفى أحمد الباز، الطبعة الثالثة ١٤١٧هـ.

٣٦٨- المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد، لابن مفلح الحنبلي، ت/ د. عبد الرحمن سليمان العثيمين، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.
٣٦٩- الملل والنحل، للشهرستاني، ت/ أمير علي مهنا وآخر، دار المعرفة، بـيروت، لبنـان، الطبعة السابعة ١٤١٩هـ.
٣٧٠- المنار المنيف في الصحيح والضعيف، لابن القيم الجوزية، ت/ أحمد عبـد الشـافي، دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ.
٣٧١- منهاج السلامة في ميزان القيامة، لابن ناصر الدين الدمشقي، ت/ مشعل المطيري، دار ابن حزم، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.
٣٧٢- المنهاج في شعب الإيمان، للحليمي، ت/ حلمي محمود فوده، دار الفكر، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ.
٣٧٣- منهج الحافظ ابن حجر العسقلاني، لمحمد إسحاق كندو، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.
٣٧٤- منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة، لعثمان بن علي حسن، مكتبة الرشد، الرياض، شركة الرياض، الطبعة الرابعة ١٤١٨هـ.
٣٧٥- منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات، للشيخ محمد الأمين الشنقيطي، الدار السلفية، الكويت، الطبعة الرابعة ١٤١٤هـ.
٣٧٦- المواقف في علم الكلام، للآيجي، عالم الكتب، بيروت، بدون تاريخ.
٣٧٧- موسوعة تاريخ مصر، لأحمد حسين، دار الشعب، الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ.
٣٧٨- الموسوعة العربية العالمية ، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع ، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ .
٣٧٩- موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة، للدكتور: سليمان بن صالح الغصن، دار العاصمة، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.
٣٨٠- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، للذهبي، ت/ علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، بدون تاريخ.
٣٨١- النبذة الشريفة النفيسة في الرد على القبوريين، لحمد بن ناصر بن عثمان آل معمر، ت/ عبد السلام بن برجس بن ناصر آل عبد الكريم، دار العاصمة، الرياض، الطبعـة الأولى ١٤٠٩هـ.

٣٨٢- النبوات، لابن تيمية، ت/ محمد عبد الرحمن عوض، دار الكتاب العـربي، الطبعـة الأولى ١٤٠٥هـ.
٣٨٣- نزول عيسى بن مريم آخر الزمان، للسيوطي، ت/ محمد عبد القادر عطا، لم يذكر الناشر، ولا تاريخ النشر.
٣٨٤- نسيم الرياض في شرح شفا القاضي عياض، لأحمد شهاب الدين الخفاجي، دار الكتاب العربي، بدون تاريخ.
٣٨٥- نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، لعلي النشار، دار المعارف، مصر، الطبعة السابعة ١٩٧٧هـ.
٣٨٦- نظم المتناثر في الحديث المتواتر، للكتاني، دار المعارف، حلب، بدون تاريخ.
٣٨٧- النعت الأكمل لأصحاب الإمام أحمد بن حنبل، لمحمد بن كمال الـدين الغـزي، ت/ محمد مطيع نزار أباظة، دار الفكر، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ.
٣٨٨- نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة، للمحبي، دار إحياء التراث العربي، القاهرة، الطبعة الأولى ١٣٨٧هـ.
٣٨٩- نقض عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد، لعثمان بن سعيد الدارمي، ت/ منصور بن عبد العزيز السماري، أضواء السلف، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.
٣٩٠- نهاية الإقدام في علم الكلام، للشهرستاني، ت/ الفرد جيوم، لم يذكر الناشر، ولا تاريخ النشر.
٣٩١- النهاية في الفتن والملاحم، لابن كثير، ت/ خليل مأمون شيحا، دار المعرفـة، الطبعـة الرابعة ١٤٢٣هـ.
٣٩٢- النور المحمدي بين هدي الكتاب المبين وغلو الغالين، لعداب محمود الحمش، دار حسان، دار الأماني، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.
٣٩٣- نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار، للشوكاني، طبع مصطفى البابي الحلبي، مصر، بدون تاريخ.
٣٩٤- هدية العارفين وأسماء المؤلفين وآثار المصنفين، لإسماعيل باشا البغدادي، طبع استنبول ١٩٥٥م.
٣٩٥- الوافي بالوفيات، لصلاح الدين خليل الصفدي، دار نشر، فرانز شتايز بفيسادن، بـدون تاريخ.

٣٩٦- الوفا بأحوال المصطفى، لابن الجوزي، المكتبة العصرية، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ.
٣٩٧- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لابن خلكان، دار النفائس، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة
الفصل الأول : آراؤه في الإيمان بالملائكة والكتب	٢١٧
تمهيد في تعريف الملائكة	٢١٩
المبحث الأول : معنى الإيمان بالملائكة وما يتضمنه	٢٢١
المبحث الثاني : حقيقة الملائكة	٢٢٩
المبحث الثالث : أعمال الملائكة	٢٣١
المبحث الرابع : معنى الإيمان بالكتب وما يتضمنه	٢٣٩
المبحث الخامس : الإيمان بالقرآن الكريم	٢٤٢
الفصل الثاني : آراؤه في الإيمان بالرسل	٢٤٦
تمهيد في تعريف النبي والرسول والفرق بينهما	٢٤٨
المبحث الأول : الحكمة من إرسال الرسل	٢٥١
المبحث الثاني : معنى الإيمان بالأنبياء والرسل وما يتضمنه	٢٥٥
المبحث الثالث : عصمة الأنبياء	٢٥٩
المبحث الرابع : الإيمان بنبوة النبي صلى اللّه عليه وسلم	٢٧٠
أولاً : وجوب طاعته صلى اللّه عليه وسلم واتباعه	٢٧١
ثانياً : آيات الرسول صلى اللّه عليه وسلم ودلائل نبوته	٢٧٥
ثالثاً : خصائص النبي صلى اللّه عليه وسلم	٢٨٨
رابعاً : النور المحمدي	٣٠٦
الفصل الثالث : آراؤه في الإيمان باليوم الآخر	٣١٣
تمهيد في تعريف اليوم الآخر	٣١٦
المبحث الأول : آراؤه في الحياة البرزخية	٣١٨
المطلب الأول : الموت وسكراته	٣١٨
المطلب الثاني : عذاب القبر ونعيمه	٣٢١

الموضوع **رقم الصفحة**

الموضوع رقم الصفحة